موسوعة
شهداء الحركة الإسلامية
في العصر الحديث

إيمان - بطولات - كفاح - استشهاد

إعداد

أ.د. توفيق يوسف الواعى

الجزء الأول

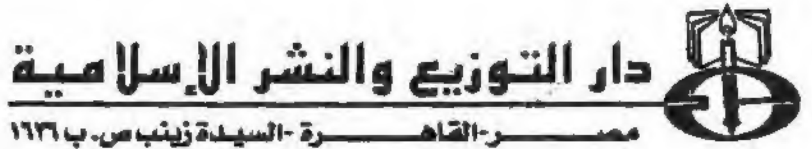
الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٥٦٨٥

الترقيم الدولى: I.S.B.N

977-265-661-0



مصـــر - القاهـــرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٧ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

مقدمــة

الحديث عن الشهداء حديث له رهبة فى النفس، ووجل فى القلب، وخشية فى الضمائر، لأنهم نفوس تسامت فوق الشهوات، وتعالت على حظوظها، وباعت أرواحها لله سبحانه وتعالى، ووهبت حياتها لأوطانها وديارها فداء لعزة المسلمين وحفظًا لأعراضهم ودمائهم، فهم رجال مبادئ وقيم لا رجال مناصب وكراسى وأطماع، أرادوا لمبادئهم أن تسود ولأفكارهم أن تعلو وتسمو وتستقر، وتحيا أبد الدهر، مرفوعة شامخة. وحياة المبادئ كما يقرر العارفون ترتبط بعطاء أصحابها فهى تعلو بتضحياتهم وتسرى فى دنيا الحقيقة بمقدار ما يُبذل فى سبيلها من نفوس صادقة وجهود مخلصة ودماء ذكية متدفقة، ذلك لأن المبادئ والأفكار تبقى جثثًا هامدة حتى يستشهد صاحبها فى سبيلها فتحيا وتعظم وتكون حقيقة ماثلة فى واقع الناس وتتعملق وتسود وتقود.

والكاتب عن حياة الشهداء يحس أنه يسطر أفضل ما دون، وأنبل ما كتب، وأعظم ما قرئ وأجل ما ذكر، لأنهم أغلى الناس، وأخلص البشر، وأصدق الخلق، لهم عبق الفردوس، وروائح الجنان، وأريج الحور العين، نعم: لأنهم نودوا إلى الواجب فلبوا وإلى الجهاد فسارعوا، وإلى التضحية فركضوا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد، فلم يصابوا بالوهن أو يتلونوا بالكسل، رغم ما يحاط بهم من موات ويخالطهم من ضياع، ويتربص بهم من عدو، ويلاحقهم من أنظمة، ويطاردهم من سلطات عميلة ومنحلة وفاسدة، تفتح لهم السجون وتقضى عليهم بالاغتيال تارة وبإرشاد العدو إلى عوراتهم تارة أخرى، قاتلوا عدوهم ولا ظهر لهم أو ظهير، ولا سند لهم أو معين، فى أرض زُرع فيها الجواسيس كما تُزرع الحنطة.

ورُبيَّت فيها العملاء كما تُربَّى الحيَّات والثعابين والعقارب، قاتلوا العدو الصهيونى وليس معهم سلاح، قاتلوه بالأيدى وبالحجارة وبالمدى وبما يصل إلى أيديهم، وبما يُستَخْلص من أيدى العملاء من سلاح، قاتلوه بغير دبابات ولا مدافع ولا رواجم أو سيارات مصفحة، قاتلوهم عاريى الصدور خاويى البطون، وتحت أزيز

الطائرات ورواجم الصواريخ، قاتلوهم والبيوت تُهدم على رؤوسهم والحصار يُنهك قواهم، قاتلوهم وأمة المليار ونصف تنظر ما يُفعل باليتامى والأرامل والعجزة ولا نكير ولا معين، قاتلوهم ووراء اليهود أعتى الدول وأقوى الشعوب، والإمدادات تنهمر على الصهاينة ليلا ونهارا، وقد مات الضمير العالمى، وسقطت كل أقنعة الزيف والبهات ودعاوى حقوق الإنسان، وقد بدت أنياب ذئاب أدعياء الحضارة الكاذبة تظهر للعيان وهى ملوثة بدماء الضحايا الأبرياء العزل.

وقد توارت كلمات البهتان التى تُردد هنا وهناك عن الرقى والسلام والرأفة ببنى الإنسان، ولم يمل دعاة الكذب والخداع بوصف المدافعين عن أنفسهم بالإرهاب ومفرداته، وكأن ما يُفعل بالأبرياء فى فلسطين هو السلام والعدالة وحكم القانون، وكأن شارون وزعماء الصهاينة، هم رسل السلام وحماة العدالة وحقوق الإنسان . . .

وأدعياء الحضارة اليوم لهم جيوب وليس لهم قلوب، ولهم أطماع وليس عندهم أخلاق، ولهم مخالب وليس عندهم رحمة. وعندهم قوة بلا ضمير ولا عقل، فينبغى أن تُعرف حقيقتهم بغير دخل أو خداع، وتدرك مراميهم بدون نية أو سذاجة، ويقدر لكل شىء قدره، ويعد لكل أمر عدته وصدق الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧٤]، ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤]

وبعد: أما آن الشعوب أن تصحح المسيرة وتعدل الميزان، وتأخذ زمام المبادرة، وقد كانت قومة الشعوب بعد استشهاد الشيخ ياسين وإخوانه دليلا صارخًا على أنها تملك حسًا وعقلا وإرادة، كما كانت قومتها استفتاءً على خيار المقاومة وعلى ضرورة الجهاد والكفاح حتى تسترد الأمة كرامتها وعزتها.

كما كان استشهاد الشيخ ياسين مثلا صارخًا على أن هذه الأمة ما زالت قادرة على إخراج الأبطال، وعلى ضرب الأمثلة فى الكفاح تحت أقسى الظروف والأحوال، ورغم أزمة الإفلاس العسكرى، والعهر السياسى والنفاق الاجتماعى . . . ولكن يبقى الإيمان هو الأقوى، فرجل على كرسى متحرك وبأطراف مشلولة يدوِّخ أعتى الدول، ولكنه كرسى رجل بفكره وإيمانه قد ملأ الدنيا بعطائه، وأضاء شعلة الجهاد بصموده.

كرسيك المتحرك اختصر المدى وطوى بك الآفاق والأزمانا
علمته معنى الإباء فلم يكن مثل الكراسى الراجفات هوانا
معك استلذ الموت صار وفاؤه مثلا وصار إباؤه عنوانا
أشلاء كرسى البطولة شاهدٌ عدلٌ يدين لغادر الخوانا

فشتان بين أشل مقعد يحيى أمة، وبين أحياء بيدهم مقدرات الشعوب يُميتون أممًا، شتان بين من يضحى بنفسه من أجل تحرير المقدسات، وبين من يضحى بها ليُثَبِّت كُرسيهُ وعرشه، إن أفواج الشهداء فى هذا العصر قد قطعت الطريق على كل جبان مرتعد الفرائص، ونادت الأمة أن هلموا إلى المجد فهذا هو الطريق، إنهم يقذفون بأنفسهم على الباطل فإذا هو زاهق، وعلى العدو فإذا هو مرتعد الفرائص، ورعديد جبان، وهذا دليل ساطع وعنوان أكيد على أن البطولة جذابة والشجاعة منادية وأخاذة، وشباب الأمة فيهم الخير وعلى محياهم النصر، وستظل دماء الشهداء باعثة ودافعة وعاملة فى الأمة. وصدق الله ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٧].

فطوبى لهؤلاء الشهداء بنصر الله إن شاء الله، وطوبى للأمة بهم، فهم مفاتيح الخير إن شاء الله والأمة على آثارهم، وطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر، وويلٌ لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقًا للخير.

لابد من مواجهة التقنية الإسرائيلية:

لن يخشى على الشعب الفلسطينى ولا على قياداته المجاهدة من جبن أو خوف نزال، ورغم ذلك يُخشى عليه من عدم استعداده للتخلص من تقنيات العدو فى مراقبة الاتصالات والاختراق بالعملاء، والبحث التقنى والنوعى بواسطة الطائرات المروحية والأقمار الصناعية، الخ، الخ .. التكنولوجيا وآليات اختراق المقاومة الفلسطينية.

تقنية الاتصالات:

ربما يعود النجاح الصهيونى الكبير فى ملاحقة العديد من قادة المقاومة الفلسطينية وعناصرها عن طريق عمليات رصد وتعقب تعتمد على تقنية الاتصالات، هو ما دفعنا

لتتبع هذه المسالة وتقديمها بصورة مبسطة للقارئ الفلسطيني العادى. فمثلا قتل الصهيونيون خلال انتفاضة الأقصى (٣٨٣) قياديًا حتى نهاية تموز ٢٠٠٣، وذلك بعد تعقب ورصد وملاحقة طويلة ميزها غالبًا استخدام وسائل التعقب التقنية للوصول إلى المصنفين بأنهم مطلوبون. لماذا نجحت (إسرائيل) فى ذلك الاستخدام المكثف للتقنية. . . والجواب: لتطورها التقنى والعملى.

تطور التقنية:

بدأت آلية الاتصال من خلال استخدام الصوت الذى هو عبارة عن موجات وذبذبات تنتقل فى الهواء وتحمل صفات مميزة لكل منها تعرف بالتردد (frequency)

التقنية والعمل الاستخبارى:

فتحت القاعدة الأهم فى عالم الاتصالات، وهى تحويل الصوت إلى إشارة كهربائية ثم إعادته إلى أصله من جديد فى موقع آخر، الباب على مصراعيه أمام عالم الرصد وجمع المعلومات فيما يعرف بدائرة التجسس، وذلك من خلال التقاط تلك الإشارة الكهربائية العائمة فى الهواء والجو المفتوح أمام جميع المراقبين الذين يحرصون على التقاط أى إشارة لتخزينها وتحليلها والنظر فى أهميتها، ومن ثم التصرف بناء على ما تحويه من معلومات، هذه هى القاعدة أو المبدأ الفيزيائى الذى تقوم عليه فكرة الاتصال الإليكترونى والتى تمت ترجمتها عمليًا عبر أجهزة متعددة منها أجهزة الهاتف الخلوى والحاسوب والبث الفضائى.

الهاتف المحمول واللاسلكى:

يعنينا فى هذه الورقة دور الهاتف النقال أو الخلوى كأداة تقنية للرصد والتعقب والتجسس على المكالمات ومعرفة المتحدث والتعرف إلى هويته وتحديد موقعه للوصول إليه لاعتقاله أو تصفيته. لأن الهواء جو مفتوح للجميع، يستطيع أى شخص مهتم أن يضع لاقط الإشارات (antenna) للحصول على أى إشارة كهربائية عائمة فيه مثل إشارة هذا الجهاز. ولذلك أصبح الهاتف النقال هو أخطر الأجهزة على حامله كونه يعمل بنفس الأسلوب. تتم آلية التقاط المعلومة منه عن طريق احتجاز أى جملة أو عبارة تحتوى على كلمات تحرص المخابرات على معرفة كل ما يتعلق بها، حيث تتم

معالجة المكالمة وتسجيلها بشكل كامل ولا تحتاج عملية تحليل تلك المكالمة لأكثر من ٥ , ٢ مليون ألف جزء من الثانية هى سرعة جهاز الكمبيوتر العادى. فإذا علمنا أن أجهزة المخابرات لديها أجهزة أكثر تطوراً بعشرات المرات، فإن ذلك يعنى أن قدرتها على تحديد موقع المتصل من خلال إجراء حسابات وقياسات للموجات الملتقطة من الجهاز المحمول لا تحتاج إلا إلى القليل من الأجزاء من الثانية وهو ما يعرف بآلية التتبع.

أما التعرف على صاحب المكالمة فهو أيضًا أمر سهل. وقررت التقنية الحديثة آلية بسيطة جداً للوصول إليه، من خلال ما يُعرف ببصمة الصوت، حيث يتم فحص مطابقة الصوت الملتقط مع عينات مخزنة لأصوات الأشخاص الذين تبحث عنهم دوائر المخابرات، الأمر الذى يشكل أول أساليب الاستهداء إلى المطلوبين عبر الاتصالات اللاسلكية.

تلخص هذه الآلية الأساس العلمى للتعامل مع أجهزة الاتصال كافة، من خلال رصد المكالمة بعد جمع الإشارات الكهربائية من الهواء بواسطة اللاقط، ثم تحليلها عن طريق أجهزة حاسوب متطورة ومتوفرة مدنيًا، ثم تسجيل كل ما يلفت النظر فيه والتعرف إلى المتحدث من خلال برامج علمية تقوم على حسابات صوتية تعتمد على الذبذبات وتميز كل صوت وكأنها البصمة الخاصة به، ثم تحديد مكان المتحدث عبر حسابات غير معقدة بالنسبة لجهاز حاسوب متطور تعتمد على طاقة الموجات الصوتية عند التقاطها وحساب الكمية المفتقدة منها من الطاقة لمعرفة مصدرها. وسنتحدث حول عدد من التطبيقات العملية وحوادث اعتقال واغتيال استخدمت هذه التقنية تواً.

الهاتف العادى:

يمثل سلك الهاتف العادى وسط انتقال الإشارة الكهربائية من سماعة مرسل هاتف إلى سماعة مستقبل آخر. فهى كالهواء مفتوحة عند الاتصال أمام الجميع، وتبدأ تلك الأسلاك بالإغلاق أمام الموجات المرسلة مع إبقاء الخطوط المخصصة للأرقام المطلوبة فقط مفتوحة أمام المستقبل، ومن هنا فإن دوائر المخابرات تستخدم هذا المبدأ للحصول على جميع المكالمات المتداولة وتخزينها جميعاً ومعالجتها لحظيًا قبل التخلص من ملايين المكالمات التى لا تعنيها، حيث تبقى دوائر المخابرات خطوطها مفتوحة لدخول جميع المكالمات إليها دون استثناء. وهذه إحدى الطرق الكلاسيكية المستخدمة

منذ زمن بعيد للتجسس على الهواتف السلكية. كما أن وجود الأسلاك الحاملة للإشارات الكهربائية يمنح وسطًا إضافيًا للتجسس؛ من خلال وضع تحويلة سلكية عليها تعمل تمامًا بمبدأ وجود عدة أجهزة هواتف لنفس الخط والرقم، وهذا نظام شائع الاستخدام فى المكاتب متعددة الموظفين. مع رفع المستقبل سماعة هاتفه لسماع المكالمة ليستمع إلى كل ما يدور على الطرفين بين المتحادثين. ومن بين الأساليب الشائعة فى التجسس على الهاتف استخدام المجال المغناطيسى الذى تولده الشحنات الكهربائية ثم تحول بعد ذلك إلى ذبذبات صوتية. ولا تستغرق هذه العملية أكثر من أجزاء قليلة من الثانية لا يدرك المتحدث قيمتها وأهميتها.

البريد الإلكترونى أو ما يعرف بـ: (email)

يعمل هذا البريد بنفس مبدأ الهاتف ولكن دون الحاجة إلى وجود أسلاك، بل تعتبر الشبكة العنكبوتية العالمية (wide web world) بمثابة نظام يدمج الاستخدام السلكى واللاسلكى لأجهزة الاتصال بحيث يبقى الراصد خطوطه مفتوحة أمام الإشارات الكهربائية المرسلة فى الهواء ليعالجها بجهاز الحاسوب خاصته لحظيًا ويتصرف بناء على تلك المعالجة بنقل ما حصل عليه من معلومات إلى الدوائر الأمنية التنفيذية المختصة لتقرر التصرف المطلوب حيال الرسالة المنقولة ومرسلها ومستقبلها.

وفى هذا المجال تحديدًا تلعب سرعة التصرف أهمية قصوى، إذ إن الإنترنت يوفر وسيلة متنقلة للمراسلة لا تلزم بمكان محدد، ويمكن لمستخدمه إرسال رسائله من مواقع مختلفة وأجهزة حاسوب متعددة دون الالتزام بمكان محدد يستخدم كفخ للإيقاع به. فمرسل الرسالة يمكنه إعداد الرسالة (message) ونقلها على قرص إلى أى جهاز كمبيوتر ثم يرسلها إلى العنوان العائم فى الهواء فى لحظات ويغادر المكان. وكذلك المستقبل، حيث يمكنه تخزين المعلومات بلحظات على قرص آخر ثم يغادر المكان الذى استلمها فيه ليطالعها على جهاز كمبيوتر آخر غير متصل بالهواء المفتوح أمام القراصنة للمراقبة، وهو ما جعل من المراقبين مجرد مطلعين على ما يجرى دون أن تتوفر بالضرورة إمكانية تحديد هوية من يقف وراء أى معلومة أو رسالة حيث تبقى كل تلك المعلومات رهنًا بالتسابق الأمنى فى مجال الذكاء التحليلى للمعلومات بالعقول الإنسانية أو الآلية.

الأقمار الصناعية وطائرات التجسس:

تعتبر الأقمار الصناعية أهم أداة تجسس فى العالم كونها تحمل أجهزة مراقبة وكاميرات تصوير وأجهزة تسجيل متطورة قادرة على تضخيم الصوت والصورة آلاف المرات. فهى بالتالى ترصد أرضًا مكشوفة وتنقل كل ما يدور عليها من تحركات. لا تختلف طائرات الرصد كثيراً عن الأقمار الصناعية إلا بتحليقها على مسافات أقل ارتفاعًا عن السطوح الخاضعة للمراقبة. ولتجنب المخاطر فى استخدام هذه الطائرات فإنها تحمل بآلات التصوير والتسجيل وتطلق فى الهواء دون العنصر البشرى (الطيار) حيث إن أغلب أنواع تلك الطائرات هى من دون طيار ويتم تشغيلها والتحكم بها من محطات على الأرض توجهها وتدير عملها عن بعد عشرات الآلاف من الأميال.
ويشكل استخدام الأقمار الصناعية وطائرات التجسس أسلوبًا عالى الضمان لنجاح العمليات الأمنية المختلفة التى يمثل فشلها ضربة قاسية لأجهزة المخابرات. فعلى سبيل المثال قصفت مروحيات عسكرية صهيونية سيارة فلسطينية كانت تسير فى منطقة نابلس شمال الضفة الغربية وكان يستقلها محمود أبو هنود واثنان من رفاقه أيمن ومأمون حشايكة، وبعد عدة أشهر عرضت القناة الثانية فى التليفزيون الصهيونى فيلماً وثائقياً حول الحادث تحت عنوان "حرب إسرائيل القذرة" نقلت فيه بالصورة الحية صورة السيارة الفلسطينية وهى تسير على الشارع قبل قصفها ثم مشاهد القصف وتدمير السيارة لحظة بلحظة.

أجهزة التعقب (bugs):

تسمى أجهزة التعقب بالبقة (bug) بسبب حجمها الصغير، بدأ اللجوء إلى هذه الوسائل مع تطور الترانزيستور وأساليب الشحن والتفريغ للموصلات الكهربائية (البطاريات)، وترجع أهمية هذه الموصلات إلى دقة حجمها وسهولة إخفائها فى أى جسم ليتحول إلى مصدر معلومات يصدر الذبذبات والإشارات على شكل موجات شبيهة بأمواج الميكروويف(Microwaves)

من جوانب خطورة استخدام هذه الأجهزة؛ إمكانية زرعها دون لفت أى انتباه فى أى شىء؛ مثل أجهزة الكمبيوتر والهاتف والمحمول، وحتى فى الثياب والأحذية وبين الجدران والأثاث، بل وفى جسد الإنسان نفسه من خلال جرح بحيث تصبح أدق

تفاصيل حياة الشخص المراقب مكشوفة ومعلومة من خلال بث موجات الميكروويف التى تطلقها هذه الجسيمات.

المقاومة.. التطور النوعى

لم يكن بمقدور المقاومة الفلسطينية أن تستمر ويكون لها هذا التأثير القوى لو أنها اقتصرت على أساليب المقاومة التقليدية ولم تطورها وتبتكر أساليب جديدة لتكون ندا للقوة الحربية الإسرائيلية. ولم تحرز المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقها فى الستينيات من القرن الماضى زخمًا كما اكتسبته المقاومة الحالية، فعلى الرغم من توفر كافة الظروف الميدانية والسياسية الملائمة للعمل المقاوم فإنها لم تكن تشكل كبير خطر على الدولة العبرية ولم تؤثر فى القوة الإسرائيلية كما أثرت المقاومة الحالية.

ولعل من أبرز الأسباب التى أكسبتها الوضع الحالى يكمن فى استخدام أساليب جديدة فى الصراع لم تكن معهودة من قبل، وقد عرضت تلك الأساليب نظرية الأمن الإسرائيلى للخطر.

العمليات الاستشهادية.. القنبلة الذكية:

بغض النظر عمن اقتبس الفلسطينيون أسلوب العمليات الاستشهادية، سواء من اللبنانيين أو من نمور التاميل فى سريلانكا أو من غيرهم، فإنهم طوروا هذا الأسلوب فأصبحت العمليات الاستشهادية فى الأشهر الأخيرة من الانتفاضة السلاح الأبرز فى مواجهة الآلة العسكرية الإسرائيلية.

ونظرا لاعتماد القوى الفلسطينية بشكل كبير وأساسى فى مقاومتهم على العمليات الاستشهادية فقد اعتبر العديد من المراقبين أن هذه العمليات بدأت تؤسس لمرحلة مهمة من النضال الفلسطينى وتعتبر فى الوقت ذاته تغييرا فى البنية الاستراتيجية للقوى الفلسطينية لتتماشى مع ما هو متاح من أساليب المقاومة. وتكمن أهمية هذا النوع من العمليات فى أنها تستطيع التحكم بوقت ومكان الانفجار، إذ يصفها الدكتور نعومى بدهستور الذى أعد دراسة مفصلة عن العمليات الاستشهادية بأنها "القنبلة الذكية" التى تستطيع أن تختار التوقيت الملائم للانفجار الأمر الذى يجعلها سلاحا نموذجيا تلجأ إليه قوى المقاومة الفلسطينية.

وعلى الرغم من أن التنظيمات الإسلامية الفلسطينية هى أول من بدأ أسلوب العمليات الاستشهادية فى المقاومة فى العام الثانى من عمر الانتفاضة وحتى نهاية عام ٢٠٠١ (٦١٪ من منفذى العمليات الاستشهادية كانوا من أعضاء حماس والجهاد الإسلامى)، فقد انضمت إليهما فى عام ٢٠٠٢ حركتا: فتح بجناحها العسكرى «كتائب شهداء الأقصى» حيث قامت بعمليتين استشهاديتين، والجبهة الشعبية حيث قامت بعملية استشهادية واحدة.

ولم يقتصر تنفيذ العمليات الاستشهادية على فئة معينة من الشباب الفلسطينى، إذ أسهم فى تنفيذ تلك العلميات شباب من فئات مختلفة، وتشير دراسة بدهستور إلى أن من بين من نفذوا تلك العلميات ١٥٣ استشهاديا من الضفة الغربية، و٥٤ من غزة، وستة من القدس الشرقية، واثنين من الأردن، وواحد من فلسطينى ٤٨. وعن المستوى التعليمى لمنفذى العمليات توضح الدراسة أن ٥٣ من منفذيها يحملون مؤهلا علميا عاليا، و٥٨ يحملون مؤهلا جامعيا، و٤٢ لم يلتحقوا بالتعليم الجامعى، فى حين تفاوتت أعمار منفذى العمليات الاستشهادية فمنهم ١٠٣ شهداء من الفئة العمرية ١٧-٢٣ سنة وثلاثة من الفئة العمرية من ٣٠-٤٨ سنة.

كما لم تنحصر العمليات الاستشهادية على إسهام الذكور، ففى تطور جديد اتبعته القوى الفلسطينية قامت ثلاث فتيات فلسطينيات بتنفيذ عمليات عسكرية فى العام الثانى للانتفاضة.

وتأتى العمليات الاستشهادية فى المرتبة الأولى من بين كافة أشكال المقاومة، من حيث إيقاعها بأكبر عدد من القتلى الإسرائيليين، ففى شهادة رئيس قسم العمليات بالجيش الإسرائيلى الجنرال إيلى أميتاى أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست ذكر أنه على الرغم من أن عدد العمليات الاستشهادية آخذ فى التقلص مقارنة مع العمليات الفدائية الأخرى فإنها أكثر وسيلة تودى بحياة الإسرائيليين من حيث العدد، فحسب الإحصاءات الإسرائيلية فإن العمليات الاستشهادية تشكل ٦٪ من مجمل العمليات الفدائية، ومن أصل ٦٣٠ قتيلا إسرائيليا سقطوا منذ بداية الانتفاضة الفلسطينية فإن ٤٥٥ (٧٥٪) قتلوا من جراء العمليات الاستشهادية، كما أن ٨٤٪ من الجرحى الإسرائيليين أصيبوا فى تلك العمليات.

وعلى الرغم من الحملة الضارية التى شنها الجيش الإسرائيلى ضد المقاومة الفلسطينية بكافة قواها، فإنها تمكنت من ضرب العمق الإسرائيلى بعمليات نوعية ناجحة. فالعمليات الاستشهادية كانت أكثر عددا فى العام الثانى من عمر الانتفاضة رغم حالة الحصار التى ضُربت على الأراضى الفلسطينية فى أعقاب حملة السور الواقى مما أدى إلى إصابة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بالصدمة إذ اعتقدت بعد عملية "السور الواقى" واعتقالها عددا من القيادات الفلسطينية واغتيال عدد آخر أنها قد تمكنت من وقف العمليات الاستشهادية لأشهر طويلة قبل استئنافها من جديد، لكن ذلك لم يحدث، فقد تمكنت القوى الفلسطينية من ترميم بناها العسكرية بسرعة واستعادة عافيتها لتنفيذ المزيد من العمليات.

وزاد الأمور تعقيدا فى وجه الإسرائيليين أن المقاومة وبعد كل الضربات الموجعة التى وجهت لها تمكنت من تطوير قدراتها العسكرية والانتقال إلى أهداف إسرائيلية جديدة لم يعتقد فى يوم من الأيام أنها ستكون هدفا سهلا للقوى الفلسطينية.

عمليات المقاومة والنقلة النوعية:

اختراق أماكن حساسة فى عملية هى الأولى من نوعها، تمكنت المقاومة الفلسطينية فى شهر مايو/ أيار الماضى من تفجير إحدى شاحنات الغاز فى أكبر مجمع للغاز فى مدينة تل أبيب، لكن العملية لم تنجح إذ انفجرت الشاحنة عند مكاتب الإدارة. ورغم عدم نجاح العملية فإنها أثارت الرعب فى الأوساط الأمنية الإسرائيلية بعد تمكن المقاومة من تفجير شاحنة كهذه فى مكان يتمتع بحراسة مشددة. وحسب بعض التقارير فإن النجاح بتفجير مخازن الغاز كان سيتسبب فى مقتل خمسة آلاف إسرائيلى على الأقل.

تطوير نوعى لسلاح المقاومة:

كما شهد العام الثانى من عمر الانتفاضة الفلسطينية تمكن حركة حماس من تطوير صواريخ "القسام ٢" ليصبح مداها عشرة كيلومترات وتصل إلى قلب الأراضى المحتلة عام ١٩٤٨، وهى المرة الأولى التى تتمكن فيها المقاومة الفلسطينية وبسهولة من إلحاق الضرر بالمجال الحيوى الإسرائيلى وتهديد هذا المجال بهجمات موجعة ومؤثرة.

اقتحام المستوطنات :

ولم يقتصر الأمر على إطلاق الصواريخ تجاه التجمعات الإسرائيلية، فقد أصبحت عمليات اقتحام المستوطنات الإسرائيلية أمرا عاديا لدى قوى المقاومة، وتمكنت فى عمليات الاقتحام التى نفذتها من إيقاع عدد لا بأس به من القتلى وهو ما بات يهدد المستوطنين الإسرائيليين ليس فقط على الطرق المؤدية إلى المستوطنات بل فى داخلها.

تقلص الخسائر الفلسطينية:

وليس أدل على التطور النوعى الذى وصلت إليه المقاومة الفلسطينية من مقارنة أعداد الشهداء الفلسطينيين مع أعداد القتلى من الجانب الإسرائيلى، ففى الأشهر الستة الأولى من عمر الانتفاضة كان معدل القتلى الفلسطينيين ١ , ٥ مقابل قتيل إسرائيلى واحد، فى حين بلغت تلك النسبة ١ , ٧ فى الجانب الفلسطينى مقابل قتيلين إسرائيليين وهو معدل لم تصل إليه تلك النسبة حتى فى الحروب العربية الإسرائيلية.

الميركافا.. التطور الأبرز:

فى إطار تطور عمليات المقاومة فى العام الثانى للانتفاضة، تمكنت المقاومة الفلسطينية من التقدم إلى الأمام بخطى واسعة فى مواجهة الجيش الإسرائيلى، فقد تمكن الفدائيون الفلسطينيون من توجيه ضربة قوية إلى الآلة العسكرية الإسرائيلية بعد تمكنهم من تفجير عدد من دبابات الميركافا التى يصفها جيش الاحتلال بأنها «الأم التى لا تقهر».

ويعد تدمير دبابة الميركافا من أكثر عمليات المقاومة تأثيرا فى الجيش الإسرائيلى بعد أن تأكد لجيش الاحتلال الإسرائيلى أن أول عملية تدمير للميركافا (وقعت فى فبراير/ شباط ٢٠٠٢) لم يكن حدثا استثنائيا، إذ تبعت عملية التدمير تلك ثلاث عمليات أخرى، الأمر الذى يؤكد حسب المراقبين أن قيادات المقاومة طورت كثيرا من أساليب قتالها، خصوصًا النوعى، عن طريق دراسة نقاط الضعف والقوة وضرب العدو فى أضعف نقاطه وأقواها فى آن.

كما استفادت المقاومة الفلسطينية من أسلوب حزب الله اللبنانى، باعتمادها على الحرب النفسية فعمدت إلى تصوير عمليات تفجير دبابات الميركافا وقوافل الجيش

الإسرائيلى وقصف المستعمرات، وهو ما أعاد إلى أذهان هيئة الأركان العسكرية الإسرائيلية أسلوب الحزب فى هجماته ضد جيش الاحتلال الإسرائيلى وأثرها النفسى السيئ فى جنود الاحتلال والجمهور الإسرائيلى.

تأثير المقاومة فى الداخل الفلسطينى:

لم يقتصر تأثير المقاومة الفلسطينية على الجانب الإسرائيلى وحده، إذ امتد ليشمل الجانب الفلسطينى أيضا، وكان لتنامى قوة المقاومة تأثير سلبى فى السلطة الفلسطينية.

السلطة الفلسطينية:

اعتقدت السلطة فى بداية الانتفاضة أنها قادرة على استثمار الانتفاضة لتحقيق بعض المكاسب فى مفاوضاتها مع الجانب الإسرائيلى، كما أنها رأت فيها فرصة لتحسين رصيدها فى الشارع الفلسطينى بعد المشاركة الفعالة لحركة فتح العمود الفقرى للسلطة فى فعاليات الانتفاضة.

غير أن رياح التغيير التى أثارتها المقاومة لم تأت كما تشتهى السلطة، إذ لم تعد قادرة على ممارسة لعبة الازدواج فى تعاملها مع الانتفاضة، فتارة تحاور الإسرائيليين وتنسق معهم أمنيًا، وتارة أخرى تمتشق البندقية لتصبح أكثر ثورية من التنظيمات الفلسطينية. فقد وجدت نفسها مطالبة من جانب الإسرائيليين والأميركيين فى الوقت ذاته باستنكار العمليات الاستشهادية والمقاومة بشكل عام، وهو ما تم، مما أفقدها التفاف الشارع الفلسطينى الذى تمكنت من اكتسابه فى بداية الانتفاضة وحصار رئيسها ياسر عرفات فى رام الله.

وأدى تنامى المقاومة إلى تولد قناعة لدى الإسرائيليين والأميركيين بأن السلطة لم تعد قادرة على القيام بدورها فى السيطرة على الشارع الفلسطينى، وبالتالى وجوب تغيير نهج التعامل معها، وهو ما دفع الجانبين الإسرائيلى والأميركى إلى المطالبة باستبدال ياسر عرفات وإحلال قيادة بديلة مكانه.

ومع وقوع السلطة الفلسطينية بين ضغط المقاومة وتعنت الحكومة الإسرائيلية، أقدمت -فى محاولة منها للحفاظ على مكاسبها التى حققتها منذ دخولها مناطق الحكم الذاتى فى العام ١٩٩٤- على إحداث تغييرات فى بنيتها علها تتمكن من الخروج من

عنق الزجاجة التى أدخلتها فيها المقاومة، فأحدثت تغييرا وزاريا شمل الأجهزة الأمنية، لكن تلك التغييرات لم تلق القبول من جانب الإسرائيليين وكذلك من الشعب الفلسطينى. وقد شكلت استقالة الحكومة الفلسطينية فى شهر سبتمبر/ أيلول بعد المعارضة التى واجهتها فى المجلس التشريعى دليلا قويا على ضعف السلطة وقيادتها وانخفاض أسهمها وسط الشارع الفلسطينى.

ولا تزال السلطة تقاوم محاولات تهميشها بعد عدم تمكنها من امتطاء أمواج الانتفاضة، ولا يعتقد أن أى انتخابات ستمكن السلطة من الإبقاء على مكاسبها، فتجربة السلطة تشير إلى أنها ترضخ فى النهاية لما تفرضه عليها ضرورات الواقع ومتطلبات المرحلة، وهو ما سيجعل ياسر عرفات يقدم على تعيين رئيس للوزراء وقد تم الأمر الذى سيؤدى إلى تقليص صلاحيات الرئيس بشكل واضح.

القوى الفلسطينية:

امتد تأثير المقاومة ليشمل القوى الفلسطينية المحرك الأساسى للمقاومة، إذ إن العدوان الإسرائيلى وشراسته وانحياز الشعب الفلسطينى للمقاومة جعل كافة القوى الفلسطينية على مختلف توجهاتها الأيدولوجية والسياسية تدرك أن لا خيار أمامها سوى المقاومة وتفعيل العمل المقاوم.

كما أسهم انحياز الشعب الفلسطينى للمقاومة فى تعزيز انحياز القوى الفلسطينية لخيار المقاومة، فآخر استطلاعات للرأى تظهر أن ٤٨٪ من الشعب الفلسطينى مع المقاومة و٦٨٪ مع العمليات الاستشهادية.

إضافة إلى ذلك أسهمت المقاومة فى إحداث خلافات داخل بعض القوى الفلسطينية وأصبحت تهدد بإحداث انشقاق فيها، وتعد حركة فتح التى تعتبر العمود الفقرى للسلطة وتنظيمها فى الشارع الفلسطينى من أبرز الأدلة على ذلك. فبعد تنفيذ كتائب شهداء الأقصى عددا من العمليات الاستشهادية وشعور السلطة بالحرج من تنفيذ تنظيمها الذى يرأسه عرفات لتلك العمليات صرح نبيل شعث وزير التخطيط والتعاون الدولى فى السلطة وعضو اللجنة المركزية فى الحركة أن كتائب شهداء الأقصى التى تقوم بهذه العمليات لا تمثل حركة فتح.

الشعب الفلسطيني:

أسهم اشتداد حدة المقاومة للعدوان الإسرائيلي بالتأثير في الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للشعب الفلسطيني الذي تعرض منذ بدء الانتفاضة قبل عامين لخسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، ففي أحدث تقرير للأمم المتحدة ذكر التقرير أن قبضة إسرائيل الخانقة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ بداية الانتفاضة تسببت في إفلاس السلطة الفلسطينية وزادت من تهاوي الفلسطينيين في هوة الفقر.

وأشار التقرير الصادر عن منظمة مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أونكتاد) إلى أنه في الفترة من أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٠ إلى مارس/ آذار ٢٠٠٢ تكبد الاقتصاد الفلسطيني ٤٠٪ من إنتاجه عام ١٩٩٩ والذي يقدر بنحو ٥,٥ مليارات دولار.

ويعيش حوالي نصف الفلسطينيين دون خط الفقر (وهو دولاران للفرد يوميا) في حين قفزت معدلات البطالة من ١٠٪ من القوى العاملة في سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٠ إلى حوالي ٣٠٪ في يوليو/ تموز ٢٠٠٢.

كما تشير الإحصاءات إلى أن سلطات الاحتلال قامت بالضفة الغربية في الفترة من ٢٩ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٠ إلى ١٣ أغسطس/ آب ٢٠٠٢ بتجريف ١٥ ألف دونم زراعي منها حوالي ١١٧٨٢ دونما أراضي زراعية تشكل ما نسبته ٨٤٪ من الأراضي الزراعية، ونحو ٢٢١٨ دونما من الأراضي الحرجية، كما هدمت في الفترة ذاتها ٦٨٠ منزلا منها ٥٧٩ منزلا هدمت بشكل كامل.

أما في قطاع غزة فقد تم في الفترة ذاتها تجريف حوالي ١٥١٥٢ دونما منها ٢٢١٨ أراض حرجية ورملية في حين تشكل الأراضي الزراعية التي تم تجريفها ما نسبته ٩,١٪، كما بلغ عدد المنازل التي تم تدميرها ٧٠٠ منزل منها ٥٨٥ منزلا هدمت بشكل كامل.

معوقات تطور الانتفاضة إلى مقاومة شعبية:

رغم انخراط الشعب الفلسطيني بكافة فئاته العمرية في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي ومعاناة كافة أفراده من الإجراءات الإسرائيلية ونسب التأييد المرتفعة في

أوساطه للمقاومة، فإن الشعب الفلسطينى لم يتمكن من خلق مجتمع مقاوم يتبنى المقاومة أسلوبا وحيدا لمواجهة الكيان الإسرائيلى واعتبار المقاومة المسلحة الأسلوب الأمثل للمواجهة والتخلص من الاحتلال عوضا عن اعتبارها نوعا من رد الفعل تجاه ما يتعرض له من قتل وتنكيل فى الانتفاضة، ويرجع ذلك إلى عدد من العوامل :

ـ إبراز السلطة الفلسطينية للعمليات العسكرية على أنها من أهم أسباب العدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى، وأنه لولا المقاومة وعملياتها العسكرية المختلفة لتم التوصل إلى حل سياسى يوقف شلال الدم الفلسطينى.

ـ تصوير العمليات الاستشهادية على أنها السبب فى إضعاف التعاطف الدولى مع الانتفاضة الفلسطينية الذى حققته فى انطلاقتها وحقوق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة.

ـ التأثير الكبير لمواقف القوى الفلسطينية فى توجه الشارع الفلسطينى، فعلى الرغم من توجه الفصائل الفلسطينية إلى العمل العسكرى فإن تلك الفصائل لم تتمكن من توحيد موقفها تجاه المدى الزمنى الذى ستستمر فيه فى انتهاج أسلوب العمل المقاوم.

ـ صعوبة الظروف المعيشية التى يمر بها الشعب الفلسطينى والخسائر الفادحة فى الأرواح والممتلكات، الأمر الذى يدفع الشعب الفلسطينى إلى التفكير مليا فى تقديم مزيد من التنازلات التى لن تؤتى ثمارها بشكل سريع وواضح.

ـ عدم وجود اقتصاد فلسطينى مقاوم ينطلق من الاعتماد على الذات ولا يعتمد على الاقتصاد الإسرائيلى، فالصراع مع الكيان الإسرائيلى صراع طويل ولا يمكن التخلص من الاحتلال فى فترة وجيزة، وهو ما يتطلب من الشعب الفلسطينى إحداث تغيير فى بنيته الاقتصادية يخفف من حدة الأزمات الاقتصادية الخانقة التى قد يمر بها الشعب الفلسطينى مثلما هو سائد الآن.

ـ شعور الشعب الفلسطينى بأنه يقف وحيدا فى المواجهة مع الكيان الإسرائيلى، وأن المحاولات العربية للتدخل فى وقف ما يتعرض له الشعب الفلسطينى إنما ترمى إلى الالتفاف على ما يحققه من مكاسب.

منذ اعتماد العمليات الاستشهادية من قبل حركات المقاومة الإسلامية للرد على السياسة الأمنية الإسرائيلية بقتل المدنيين الفلسطينيين واغتيال قادة تلك التنظيمات بدأ الجدل إزاء هذه العمليات يتزايد، خصوصًا بعد التنديد الدولى بتلك العمليات وعقد مؤتمر دولى فى شرم الشيخ فى عام ١٩٩٦ لبحث السبل القاضية بوقف تلك العمليات التى أصبحت السلاح الأبرز لقوى المقاومة الفلسطينية. ومن أبرز ما يطرحه معارضو تلك العمليات أنها تُخسر القضية الفلسطينية التعاطف الدولى معها وتدفع جيش الاحتلال الإسرائيلى إلى توسيع عدوانه على الشعب الفلسطينى والتنكيل به، كما يرون أن هذا الشكل من العمل النضالى لا يخدم الأهداف الوطنية الفلسطينية فى المرحلة الراهنة، إضافة إلى ذلك فإنهم يرون أن قضية عادلة مثل القضية الفلسطينية يجب أن لا تستهدف المدنيين بصورة مباشرة وأن على الشعب الفلسطينى أن يتفوق فى الصراع مع الكيان الإسرائيلى بنبل الأساليب المتبعة.

على الجانب الآخر يرى مؤيدو العمليات الاستشهادية أن ما يجرى فى فلسطين ليس حربا بين أشخاص هنا وأشخاص هناك وإنما حرب بين نظرية الأمن الفلسطينى الذى يريد الكيان الإسرائيلى أن يسقطه حتى لا يبقى للفلسطينى أى أمن فى أى موقع من مواقعه وبين نظرية الأمن الإسرائيلى الذى يشكل حجر الزاوية فى السياسة الإسرائيلية.

وعليه فإن الفلسطينيين الذين لا يملكون السلاح الكافى لمواجهة آلة الحرب الإسرائيلية لا يملكون إلا العمليات الاستشهادية لإصابة الأمن الإسرائيلى فى مقتل. ويرون أن العمليات الاستشهادية حققت حالة من توازن الفاعلية بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى بحيث امتلك الشعب الفلسطينى وللمرة الأولى القدرة على التأثير فى العمق الإسرائيلى بما يوازى قدرة إسرائيل على التأثير فى الشعب الفلسطينى. كما أنه لا يوجد فرق بين الجندى الذى يذهب إلى المعركة ليقاتل وهو يعرف أنه قد يموت بيد العدو وبين من يقوم بتحويل نفسه لقنبلة ذكية، وهو ما يزيل الفرق بين الجندى الذى يقاتل بالطريقة العادية وبين الاستشهادى لأن كليهما ينطلق عبر محاولة تحقيق الهدف الذى يؤمن به.

إضافة إلى ذلك فهم يرون أن الجانب الإسرائيلى لا يتجاوب مع مبادرات القوى الفلسطينية ويتمادى فى قتل المدنيين الفلسطينيين، فعلى الرغم من أن فصائل المقاومة قد أبدت استعدادها فى شهر يونيو/ حزيران الماضى لوقف العمليات الاستشهادية إذا وضع الكيان الإسرائيلى حدا لجميع الإجراءات التى اتخذها أثناء الانتفاضة ووقف قتل المدنيين الفلسطينيين، كان الرد الإسرائيلى على ذلك العرض القيام بمذبحة غزة التى راح ضحيتها ١٥ فلسطينيا من بينهم قائد الجناح العسكرى لحركة حماس صلاح شحادة.

مهما يكن الجدل المثار حول المقاومة الفلسطينية والجدوى منها فإنه لا يحق لأى كان أن يطلب من الشعب الفلسطينى تناسى التجربة الإنسانية العميقة التى عاشها ولا يزال خلال عامين من عمر الانتفاضة الفلسطينية. أو يطلب منه أن يتناسى قتل المدنيين يوميا وتهديم دورهم وتشريد أسرهم، إن إسرائيل لا تعرف العهود ولا المواثيق ولا السلام، ولا تعرف إلا الاستئصال فهل يطلب من مقاومة تريد تحرير وطنها من الاحتلال أن تستسلم لهذا الإجرام، أو تعيش على وعود كذاب؟!

دروس من الشهداء

هؤلاء الشهداء الأبرار يرسلون إلينا دروسًا يجب أن نعيها:

أول الدروس: أن الشهيد باستشهاده قد حقق أمنية كان يطلبها لنفسه من ربه، كما يطلبها كل مجاهد مخلص: أن تختم حياته بالشهادة، وهل هناك ختام أغلى وأعظم من هذا الختام؟

سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يقول: اللهم آتنى أفضل ما آتيت عبادك الصالحين! فقال له: **إذن يعقر جوادك، ويهراق دمك فهذا أفضل ما يؤتيه الله عباده الصالحين**. ولو كان أحمد ياسين مثلا ينشد السلامة، ويحرص على الحياة، لاستطاع أن يتجنب الصلاة فى المساجد، ولا سيما صلاة الفجر، وأن يغير مكانه من بيت إلى بيت، ولكنه أصر على أن يؤدى الصلوات فى الجماعة، فجاء مقتله بعد أن أدى فرضه، وأرضى ربه، ولقيه متوضئا مصليا راكعا ساجدا، راضيا مرضيا. وقد قال تعالى:
﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمْ

﴿الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦] وإنا لنتمنى وندعو ربنا أن يختم لنا بما ختمه لأحمد ياسين.

وثانى الدروس: أن كثرة الشهداء لن يضعف من المقاومة، ولن يطفئ شعلتها، كما يتوهم الصهيونيون وعصاباتهم فى دولة الكيان الصهيونى، بل سيرون بأعينهم: أن النار ستزداد اشتعالا، وأن كل شهيد ترك وراءه رجال، وأن كل الفصائل ستثأر، وكلها توعدت إسرائيل: كتائب القسام، وسرايا القدس، وكتائب شهداء الأقصى، وكتائب الشهيد أبو على مصطفى، ومناضلو الجبهة الشعبية، وكل أبناء فلسطين: وحدتهم المحنة، ووقفوا صفا واحدا ضد المجرمين السفاحين. إن دم المجاهدين لن يذهب هدرا، بل سيكون نارا ولعنة على إسرائيل، وحلفاء إسرائيل ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ولقد جربت إسرائيل القتل والاغتيال للقادة من قديم: جربته فى لبنان (أبو يوسف النجار ورفاقه)، وجربته فى تونس (أبو جهاد وأبو إياد)، وجربته فى فلسطين: قتلت يحيى عياش، وفتحى الشقاقى، وأبو على مصطفى، وصلاح شحادة، وإسماعيل أبو شنب، وغيرهم وغيرهم، فلم تتوقف المقاومة، ولم تسكن ريح الجهاد، بل حمى الوطيس أكثر مما كان.

وكيف لا وقد علمنا القرآن أن المسلم لا يقاتل من أجل شخص، ولو كان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يقاتل من أجل مبدأ ورسالة، ولهذا حين أشيع نبأ قتل الرسول الكريم فى غزوة (أحد) وفت ذلك فى عضد كثير من المسلمين نزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وضرب لهم مثلا بما حدث لأصحاب الدعوات قبلهم ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ (وفى قراءة: قتل) مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] إن الشعب الفلسطينى البطل شعب ولود، كلما فقد بطلا، ولد بطلا آخر، بل أبطالا يخلفونه ويحملون رايته، ولن تسقط الراية أبدا، وما أصدق ما قاله الشاعر العربى قديما:

إذا مات منا سيد قام سيد ... قئول لما قال الكرام فعول!

وثالث الدروس: أن إسرائيل قد طغت واستكبرت فى الأرض بغير الحق، وأمست تقترف الجرائم البشعة كأنما تشرب الماء، فهى فى كل صباح ومساء، تعيث فى الأرض فسادا، وتهلك الحرث والنسل، وتسفك الدماء، وتقتل الأبرياء، وتغتال النجباء، وتذبح الأطفال والنساء، وتدمر المنازل، وتجرّف المزارع، وتقتلع الأشجار، وتنتزع الأرض من أصحابها بالحديد والنار، وتقيم الجدار العازل على الأرض الفلسطينية عنوة، جهارا نهارا، وقد توجت جرائمها المستمرة بهذه الجريمة النكراء، أم الجرائم، اغتيال الرجل القعيد المتطهر المصلى بتخطيط من شارون وإشراف منه. فهى تجسد إرهاب الدولة بأجلى صوره. وهذا نذير ببداية النهاية للطغاة، فإن ساعتهم قد اقتربت، فإن الطغيان إذا تفاقم، والظلم إذا تعاظم: يسوق أصحابه إلى الهلاك وهم لا يشعرون ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

ورابع الدروس: أن أمريكا شريكة فى المسؤولية عن هذه الجريمة وما سبقها من جرائم، فإسرائيل ترتكب مجازرها بسلاح أمريكا، ومال أمريكا، وتأييد أمريكا. وهى لا تقبل أن تؤدب إسرائيل، أو تدان أو توجه إليها كلمة لوم، وإلا فإن (الفيتو) الأمريكى بالمرصاد.

ولو كنت قاضيا يحكم فى هذه الجريمة، ويحاكم القتلة والجناة فيها، لكان المتهم الأول عندى فيها هو الرئيس (بوش) وأمريكا. فهو المحرض الأول على الجريمة، وهو الذى أعطى المجرم السلاح، وهو الذى يعتبر المجرم القاتل مدافعا عن نفسه.

بوش هو الذى أفتى شارون وعصابته بأن (المقاومة الفلسطينية إرهابية) وفى مقدمتها حماس والجهاد، ومعنى أنها إرهابية: أنها تستحق القتل، وأن لا عقوبة على من قتل الإرهابيين. وهكذا قال نائب وزير الدفاع الإسرائيلى: إن أحمد ياسين كان ممن يستحق القتل. هذا هو منطق أمريكا وإسرائيل، أو منطق بوش وشارون: أحمد ياسين إرهابى مجرم وحماس وكل مجاهد يستحق القتل، لأنه يدافع عن وطنه، عن أرضه وعرضه، عن منزله ومزرعته وشجرة زيتونه، عن حرماته ومقدساته. أما شارون القاتل السفاح، فهو ضحية مسكين، لا يمكنه الفلسطينيون الأشرار أن يلتهم كل ما يريد من أراضيهم.

وخامس الدروس: أن لا أمل فيما سموه (مسيرة السلام) و(مفاوضات السلام) فإن كل راصد للأحداث بحياد وإنصاف: يستيقن أن إسرائيل لا تريد سلاما حقيقيا: سلاما عادلا شاملا، يرد الحق إلى أهله، ويقف كل امرئ عند حده. إنها لا تعترف إلا بمنطق القوة، ولا تفهم إلا لغة الحديد، ولا تتكلم إلا بلسان النار. وإنما تلهى الفلسطينيين والحكام العرب بهذه الوعود الكاذبة، والأمانى الزائفة، والسراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا. لقد عرفنا بالممارسة والتجربة: أن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة، وأن الخيار الوحيد للفلسطينيين هو خيار المقاومة، والبديل عن المقاومة هو الاستسلام الخاضع لإسرائيل، ولا حد لأطماع إسرائيل. البديل للمقاومة هو الموت.

وسادس الدروس: أن على الفلسطينيين جميعا أن يتحدوا: وطنيين وإسلاميين، سلطة ومقاومة، فإن عدوهم يضرب الجميع، ويتحدى الجميع، ولا تدرى الضربة القادمة إلى من توجه؟ قد يكون الضحية القادمة عرفات، وقد يكون غيره من القادة، فليضع كل منهم يده فى يد أخيه. وليكن شعارهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

وسابع الدروس: أن على العرب أن يصحوا من سكرتهم، وأن يخرجوا من كهفهم الذى ناموا فيه طويلا، ليؤدوا ما عليهم نحو إخوانهم، بل نحو أنفسهم، فقضية فلسطين قضية الأمة كلها، للأسف الشديد، لم يعد الصراع عربيا إسرائيليا كما كان، بل أصبح فلسطينيا إسرائيليا، أما العرب فغائبون ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

دافع العرب عن فلسطين سنة ١٩٤٨ وكانت الجامعة العربية وليدة عمرها ثلاث سنوات، مكونة من سبع دول، فلما قارب عمرها الستين، وزاد عددها على العشرين دولة، تخلت عن دورها، ونكصت على عقبها. وتركت الفلسطينيين وحدهم يقاومون بصدورهم وأيديهم أكثر ترسانة عسكرية فى الشرق الأوسط، مؤيدة بالإمكانات الهائلة القاتلة.

وثامن الدروس: يتعلق بالأمة الإسلامية حينما ارتفعت المآذن معلنة بالتهليل والتكبير: أن على الأمة الإسلامية واجبًا نحو أرض الإسراء والمعراج، نحو القدس الشريف، ونحو المسجد الأقصى، الذى بارك الله حوله، أن الأقصى ليس ملك الفلسطينيين وحدهم، حتى يكلفوا بالدفاع عنه دون سائر الأمة. لقد اغتصب المسجد

الأقصى قديما أمام الصليبيين، وبقى أسيرا فى أيديهم نحو تسعين عاما، وكان الذين هبوا لنجدته وتحريره من أجناس وألوان شتى من المسلمين: عماد الدين زنكى التركى، وابنه نور الدين محمود، وتلميذه صلاح الدين الأيوبى الكردى، والظاهر بيبرس المملوكى، وغيرهم. والمسلمون (أمة واحدة) يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم. وفرض عليهم أن يتضامنوا ويتلاحموا حتى يحرروا أرض الإسلام. ومقدسات الإسلام، ويدافعوا عن حرمات الإسلام. وإن استشهاد الشيخ أحمد ياسين وقوافل الشهداء لهو نذير لهم: أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا: وأن يسمعوا صوتهم، واحتجاجهم بالبرقيات والمسيرات وصلاة الغائب. إننا ننادى العرب والمسلمين جميعا: أن يقفوا بجانب إخوانهم فى أرض النبوات، يمدونهم بكل ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم وذراريهم، وما يقدرهم على العيش بالحد الأدنى، فحرام على العربى، وعلى المسلم أن يأكل ملء بطنه، وينام ملء جفنه، وإخوانه لا يجدون ما يمسك الرمق.

إن الصهاينة وحلفاءهم الأمريكيين أرادوا أن يجففوا كل المنابع التى تمدهم بالقليل من المال، وعلينا أن نفشل خططهم، ونحبط كيدهم، ونوصل إليهم ما يعينهم على البقاء والجهاد.

وتاسع الدروس: يتصل بالأحرار والشرفاء فى أنحاء العالم، هؤلاء الذين خرجوا بالملايين فى مسيرات غاضبة من أجل الحرب على العراق، يتحدون أمريكا وحلفاءها، هؤلاء الشرفاء مطالبون أن يعلنوا سخطهم على الجرائم الصهيونية الشنيعة، التى تصابح الفلسطينيين وتماسيهم، ولا تدع لها زرعا ولا ضرعا، كما ننادى المؤسسات والهيئات العالمية وعلى رأسها مجلس الأمن: أن يقوموا بواجبهم فى فرض الشرعية الدولية على الصهاينة الذين يضربون عرض الحائط بالأخلاق والأعراف والقيم والقوانين.

ونحن نقول للصهاينة: لقد ارتكبتم أفظع الأعمال التى لا يغفرها أحد لكم، وإن فى ذلك لبشرى لنا، وتدميرا لكم، ورب ضارة نافعة. وعلى الباغى تدور الدوائر. وإن مع اليوم غدا، وإن غدا لناظره قريب، وإن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

عاشر الدروس: على الشباب المسلم أن يجدَّ وأن يكون سندا لأمته ولقضاياها المصيرية، وأن يأخذ الدروس والعبر من واقعنا الأليم، وأن يعرف أنه لا يحمى الديار إلا أهلها، ولا يرد الحقوق إلا قوة أصحابها، وأن يقتدى بالشباب المجاهد فى فلسطين وهم يدافعون برجولة وبطولة عن مقدساتهم وديارهم وأعراضهم، مضحين بكل مرتخص وغال، وبازلين أرواحهم فى سبيل الله، حبا فى الشهادة وفى رفعة شريعته سبحانه وابتغاء مرضاته، وقد سطروا قصص الفداء والبطولة متواصلين مع الصحب الأول الذى اشترى الله منه نفسه وماله بجنة عرضها السموات والأرض.

حادى عشر الدروس: قدم دعاة الإسلام أرواحهم فداء لدعوتهم ودليلاً على صدق توجههم وإخلاصهم، وتركوا الجاه والمناصب التى عرضت عليهم، واحتقروا المادة التى اشترت غيرهم، وأذلت أعناق الكثيرين من ضعفاء النفوس، وقالوا . . . .

ونشــرب إن وجــدنا الماء صــفــواً   ويشــرب غــيــرنا كــدرا وطينا

وهكذا فهم يضربون الأمثلة لأمة فقدت مثلها فى العصر الحديث وضاع من قدمها الطريق . وهؤلاء الرواد الذين استشهدوا ما غابوا عن أممهم وما فقدوا فى الميدان وإنما ظلوا حضورا فى عزائم الشعوب وسواعد المجاهدين، يرفعون الرايات ويخوضون المعارك بأيدى الأبطال على مدى التاريخ.

وهذه الموسوعة التى بين أيدينا جمعت بين استشهاد القادة والجند رجالاً ونساءً وفتيانًا، فكانت بحق زاداً لكل قائد وكل جندى، وطريقًا إلى المجد والعزة والكرامة، ودربًا إلى الجنة، نسأل الله أن يلحقنا وإياهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . . . آمين . . . آمين . . . آمين .

أ.د. توفيق يوسف الواعى

* * *

الشهيد/حسن البنا



طيف من النور لاح فى الأفق ألمَّ بهذه الدنيا إلمام الغريب الطارئ، أو الضيف العابر، ثم تركها ومضى، هذه هى قصة حسن البنا.

فماذا يأخذ الطيف النورانى من الدنيا ؟ وماذا يترك منها؟

لا يأخذ شيئًا منها، ولكنه يترك كل شىء، يترك للضمائر نورها، وللنفوس قدسها وطهرها وللحياة بهجتها وسناها.

وهكذا كان حسن البنا، لم يأخذ لنفسه شيئًا، وقد ترك للحياة و للناس كل شىء.

نموذج فريد:

يُعَدّ «حسن البَنَّا» نموذجًا فريدًا للزعيم الروحى والمفكر الدينى، والمصلح الاجتماعى، والقائد الجماهيرى الذى يمكن أن تلتف حوله مختلف الطوائف والمستويات التى يجمعها اتجاه فكرى واحد، وتربط بينها أيديولوجية مشتركة، فقد استطاع «حسن البَنَّا» فى سنوات قليلة أن يؤسس أكبر جماعة دينية فى القرن العشرين بلغ أتباعها الملايين.

ويمكن اعتبار «حسن البَنَّا» مزيجًا متميزًا من الفكر السلفى والروحانية الصوفية، فقد كان تجسيدًا فريدًا للروحانى الصوفى، والعالم المسلم، والقائد الحركى الذى امتلك قدرة نادرة على تحريك الجماهير، من خلال ترجمة المبادئ العقدية والفكر السلفى إلى عمل اجتماعى.

قدرات خاصة وعقلية متفردة:

كان حسن البَنَّا ذا قدرة عظيمة على العمل، فلم يكُن ينام أكثر من خمس ساعات فى اليوم، وكان واسع الاطلاع بصورة نادرة، فقد كان يحفظ العديد من دواوين الشعراء وعلى رأسها «ديوان المتنبى» عن ظهر قلب، بالإضافة إلى القرآن الكريم، ومحفوظاته من الأحاديث النبوية.

وكان من أبرع الكُتَّاب، ومن أكثرهم قدرة على تصوير ما بنفسه، ومن أشدهم تأثيراً فى النفوس بالألفاظ الكريمة والمعانى المركَّزة، وبلغ من قوة حافظته أنه كان يعرف عدداً كبيراً من الناس، ويعرف عنهم كل ما يحيط بهم معرفة تامة، ويعرف مدن القطر وقراه، وكل بلد فيه، ونظم أهلها، وعاداتهم وتقاليدهم، وكل ما يتعلق بكيانهم الروحى والاجتماعى والعقلى.

وقد حباه الله بنية قوية كانت سنداً له فى دعوته، ومكَّنته من احتمال مشاق الأسفار وأعباء العمل المتواصل ليل نهار.

ويجمع الذين كتبوا أو تحدثوا عن «البَنَّا»، مادحين أو قادحين، أنه كان ذا شخصية قويَّة، استطاع أن يمزج شخصيته بالجماعة والدعوة فى مختلف أطوارها وأحوالها.

وحرص - فى خطبه ومقالاته - على أن يتجنب الجدل الدينى الذى يثيره عادة أصحاب العقول الضيقة، فقد كان حريصًا على جمع كلمة المسلمين، ولمِّ شملهم، وتوحيد طوائفهم وفرقهم.

وكان يفهم الإسلام فهمًا معتدلاً، وكان يرى أن تعاليمه وأحكامه شاملة تنظم شؤون الناس فى الدنيا والآخرة، وأن الإسلام عقيدة وعبادة، ودين ودولة، وروحانية ومصحف وسيف.

حقيقة داعية:

وصفه أحد محبيه بقوله:

سمعت عنه كثيراً، ورأيت له فى قلوب محبيه صوراً لامعة رائعة، فتراءى لعقلى عملاق هُدى ورأى وحكمة، وتخيلته أمام عينى عملاقًا فى جسمه أيضًا، جبارًا فى قسماته، وسماته.

ولما رأيته بين صحبه، أول ما رأيته، ما ظننت أنه هو، ثم قدمت إليه فتلقانى فى بشاشة، لا تكلف فيها، ورحب بى، منساقًا مع فطرة رحبة.

لم أجد له فى مشاهدتى، صورته فى مخيلتى. . . كان أقرب إلى القصر منه إلى الطول، وأدنى إلى الوداعة منه إلى الجبروت، فى صراحته إباء، وفى جرأته إغضاء.

زرته فى بيته، فوجدته زاهداً بسيطًا، وأكلت على مائدته، فوجدته فقيراً كريمًا، وصحبته فى أسفار، فلم أر أكثر منه أنسًا وإيناسًا فى مواطن الراحة، ولا أكثر منه فناء فى العمل وقت العمل.

شاهدته يتكلم بين أفراد، فلم أجد صوته يتطاول على الأصوات، ولاح لى أميل إلى الإصغاء منه إلى إبداء الآراء، فإذا دخل الحديث طور المراء، صمت فى إعراض، أو أقبل بابتسام، وهو بين الإشفاق والشفقة؛ حتى إذا انتهى الأمر إلى زبدته، كانت كلمته هى الفاصلة.

وأصغيت إليه، وهو يخاطب ملأه فخيل إلىّ أنه يحاول أن يسكت لسانه، وينطق قلبه بل وكل جوارحه، وإذ ذاك كان يمعن النظر فيمن أمامه وكأنه يحدق فى أفق بعيد فينبعث من عيونه شبه نور وهَّاج، يتصل شعاعًا تجلب إليه القلوب.

وسمعته يخاطب الجماهير، فوجدته الطبيب الخبير يعالج: فى ثنايا حديثه شؤونًا من صميم حياة المستمعين؛ حتى ليظن أحدهم أنه كوشف بخويصة مشكلته، وأخذ يصفه له الرواد. فإذا آنس أن القوم قد ركنوا إليه، اشتد عليهم فى موعظته وجلجل بصيحات الحق، التى تتخلل حديثه الدفاق، المرصع بآى القرآن، فيضعون أنفسهم منه - دون اختيار - موضع الرعية من الراعى.

وهكذا يبلغ منهم لدعوته ما يريد، وينتهى غير مملول، محبوبًا ومرهوبًا.

شهادة رجالات عصره:

قال الشهيد سيد قطب رحمه الله، تحت عنوان: حسن البنا وعبقرية البناء:

«فى بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة قدراً وحكمة مدبرة فى كتاب مسطور. حسن البنا. إنها مصادفة أن يكون هذا لقبه. ولكن من يقول: إنها مصادفة؟! والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هى البناء وإحسان البناء بل عبقرية البناء؟!.. وإن استشهاده عملية جديدة من عمليات البناء، وعملية تعميق للأساس وتقوية للجدران. وما كان ألف خطبة وخطبة، ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة فى نفوس الإخوان كما ألهبتها قطراتُ الدم الزكى المهراق.. إنّ كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا فى سبيلها دبَّت فيها الروح، وكتبت لها الحياة. وعندما سلَّط الطغاة الحديد والنار

على بناء حسن البنا والعاملين فيه، استطال عليهم الهدم، لأن الحديد والنار لا يمكن أن يهدما فكرة في يوم من الأيام».

وقال السيّد أبو الحسن الندوى رحمه الله:

«إن كلّ من عرف حسن البنا عن كثب لا عن كتب، وعاش متصلاً به، عرف فضل هذه الشخصية التى قفزت إلى الوجود وفاجأت مصر ثم العالم العربى والإسلامى كله بدعوتها وجهادها وقوتها الفذّة.

فقد اجتمعت فيه صفات ومواهب تعاونت فى تكوين قيادة دينية اجتماعية لم يعرف العالم العربى والإسلامى وما وراءه قيادة دينية أو سياسية أقوى وأعظم تأثيراً، أو أكثر إنتاجًا منها منذ قرون، وفى تكوين حركة إسلامية يندر أن تجد حركة أوسع نظامًا، وأعظم نشاطًا، وأكبر نفوذًا منها.

وقد تجلت عبقرية حسن البنا من ناحيتين:

الأولى: شغفه بدعوته وإيمانه واقتناعه بها، وتفانيه فيها، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله. وذلك هو الشرط الأساس والسمة الرئيسة للدعاة والقادة الذين يُجرى الله على أيديهم الخير الكثير.

الثانية: تأثيره العميق فى نفوس أصحابه وتلاميذه ونجاحه المدهش فى التربية والإنتاج. فقد كان منشئ جيل ومربى شعب وصاحب مدرسة علمية فكرية خُلقية. وقد أثّر فى ميول من اتصل به من المتعلمين والعاملين، فى أذواقهم ومناهج تفكيرهم وأساليب بيانهم ولغتهم..

وقال الشيخ محمد الحامد - رحمه الله تعالى:

كان حسن البنا لله بكليته وروحه وجسده، بقلبه وقالبه، بتصرفاته وتقلبه. كان لله فكان الله له، واجتباه فجعله من سادات الشهداء الأبرار.

وقال عبد الحكيم عابدين ـ رحمه الله ـ أمين سر الإخوان فى عهد البنا:

أقام الداعية المؤمن مدرسته الفاضلة فى توجيه الفكر الإسلامى على عشر دعائم:

- دوام استهداف الوحدة، وهى الحرص على رابطة القلوب واجتماع الكلمة.

- كلّ من قال : «لا إله إلا الله» يلتقى معك فى ظل التوحيد.

- اتهام النفس، وإحسان الظن بالمخالف.

- أدب الإنكار والاختصام، فإذا أنكر على إنسان أو خاصم، التزم الخلق الرفيع فى ذلك.

- ذم الجدال والمكابرة.

- جواز تعدد الصواب.

- التعاون فى المتفق عليه، وتبادل العذر فى المختلف فيه.

- استحضار خطر العدو المشترك الذى لا يميز بين مسلم وآخر.

- فتح آفاق العمل والإنتاج، فعلى كلّ أخ - فوق أعماله الخاصّة - أن يقرأ كل يوم وِرْدًا من القرآن، ويحاسب نفسه قبل النوم.

- الرثاء للضال المنحرف، لا الشماتة فيه ولا التشهير به.

ويقول الأديب الكبير أحمد حسن الزيات:

«وجدت فيه ما لم أجد فى قبيله، أو أهل جيله : من إيمان بالله راسخ رسوخ الحق، لا يزعزعه غرور العلم ولا شرود الفكر، وفقه فى الدين صاف صفاء المُزن، لا يكدره ضلال العقل، ولا فساد النقل، وقوة فى البيان مشرقة إشراق الوحى لا تحبسها عقدة اللسان، ولا ظلمة الحس، إلى حديث يتصل بالقلوب، ومحاضرة تمتزج بالأرواح، وجاذبية تدعوك إلى أن تحبه، وشخصية تحملك على أن تذعن !!».

ثم قال الزيات : «والفطرة التى فطر عليها حسن البنا والحقبة التى ظهر فيها حسن البنا تشهدان بأنه المصلح الذى اصطنعه الله لهذا الفساد الذى صنعه الناس».

حياته من المولد حتى الإسماعيلية (١٩٠٦ - ١٩٢٧):

ولد الإمام الشهيد حسن البنا فى المحمودية عام ١٩٠٦م وقضى بها سنوات عمره الأولى. ومنذ صباه المبكر نمت معه الرغبة فى الإصلاح على نهج الإسلام، فكانت ثورة على كل مظاهر الفسق والتحلل. وقعت بالصبى الصغير، وهو إذ ذاك تلميذ فى المدرسة الإعدادية وتبلورت شعلة الإيمان المقدسة فى نفسه على مر الأيام، فاستطاع أن

يترجمها إلى عباراته القوية فيما بعد، حيث يقول : «والفرق بيننا، وبين قومنا أن الإيمان عندهم إيمان مخدر نائم فى نفوسهم، لا يريدون أن ينزلوا على حكمه، ولا أن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمان ملتهب، مشتعل، قوى، يقظ فى نفوس الإخوان المسلمين».

ويبدو أن مقومات الزعامة والقيادة كانت متوافرة لديه، ففى مدرسة الرشاد الإعدادية كان متميزًا بين زملائه، مرشحًا لمناصب القيادة بينهم، حتى إنه عندما تألفت «جمعية الأخلاق الأدبية» وقع اختيار زملائه عليه ليكون رئيسًا لمجلس إدارة هذه الجمعية.

ثم تطورت الفكرة فى رأسه بعد أن التحق بمدرسة المعلمين بدمنهور، فألف «الجمعية الحصافية الخيرية» التى زاولت عملها فى حقلين مهمين هما :

الأول : نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية.

الثانى : مقاومة الإرساليات التبشيرية التى اتخذت من مصر موطنًا، تبشر بالمسيحية فى ظل التطبيب، وتعليم التطريز، وإيواء الطلبة.

بعد انتهائه من الدراسة فى مدرسة المعلمين فى دمنهور، انتقل إلى القاهرة، وانتسب إلى مدرسة دار العلوم العليا، واشترك فى جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، وكانت الجمعية الوحيدة الموجودة بالقاهرة فى ذلك الوقت، وكان يواظب على سماع محاضراتها، كما كان يتتبع المواعظ الدينية التى كان يلقيها فى المساجد حينذاك نخبة من العلماء العاملين.

بيد أن ما رآه فى القاهرة من مظاهر التحلل والفساد والبعد عن الأخلاق الإسلامية، جعله يفكر فى أن المساجد وحدها لا تكفى فى إيصال التعاليم الإسلامية إلى الناس، وهنا تبدو عقلية البنا المبتكرة ؛ لأن الجمهور الذى لا يرتاد المساجد، أشد حاجة إلى الموعظة، وقد اقترح على جماعة من زملائه بدار العلوم وبعض أصدقائه الأزهريين أن يخرجوا للدعوة فى المقاهى والمجتمعات العامة !! فعجبوا لفكرته، واستنكروها أول الأمر !! وانتهى الجدل بينهم أن تكون التجربة هى الحد الفاصل بين المضى فيها أو الإقلاع، وأظهرت التجربة نجاحًا عظيمًا لفكرته، شجعهم على الاستمرار فيها، وتخصصت منه

شعبة تتولى نشر الدعوة الإسلامية فى الريف والمدن أثناء الإجازة الصيفية، وأفادوا من هذه التجربة كسب الثقة النفسية، وحسن الأحدوثة فى الأوساط الشعبية.

ثم اجتاحت مصر موجة من الإلحاد والإباحية، على إثر الانقلاب الكمالى فى تركيا - إن صح هذا التعبير - وإلغاء الخلافة الإسلامية.

وكان لهذه الموجة الإلحادية رد فعل قوى، فى الأوساط الإسلامية عامة، وفى نفس الأستاذ البنا خاصة، فكان يتحدث عن شعوره لكل المتصلين به من الزملاء، ولكل من يعرفه ويمكنه الاتصال بهم من الشيوخ والعلماء.

وكان ممن اتصل بهم المرحوم «السيد محمد رشيد رضا» والمرحومان «الشيخ الدجوى» والأستاذ الأكبر «محمد الخضر حسين» شيخ الأزهر السابق، والأستاذ الكبير «محب الدين الخطيب».

الإسماعيلية وتأسيس جماعة الإخوان المسلمين (١٩٢٧-١٩٣٣):

حصل الأستاذ البنا على دبلوم دار العلوم العليا سنة ١٩٢٧، وكان أول دفعته، وعُين معلمًا بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية.

ولما استقر به المقام بالإسماعيلية أثر فى نفسه ما رآه من الاستعمار العسكرى المتمثل فى المعسكرات الإنجليزية بالقناة، والاستعمار الاقتصادى المتمثل فى شركة قناة السويس، ثم ساءه أن يعرف أن المسلمين فى البلد منقسمون بسبب خلافات دينية، نتيجة تعصب كل فريق لرأى خاص، وأخذ يزاول التدريس والدعوة ويتحرى الموضوع الذى يتحدث فيه؛ حتى لا يتعرض للنواحى الخلافية، ويضرب لهم مثلاً لتسامح علماء المسلمين فى الصدر الأول رغم اختلافهم فى الآراء.

وقد عمل الوعظ عمله فى نفوس المتلقين، فأخذوا يفيقون ويفكرون، ثم تدرجوا من ذلك إلى سؤاله عما يجب عليهم تجاه دينهم وأمتهم، فأجابهم إجابات غير قاطعة جذبًا لانتباههم، واسترعاء لقلوبهم، وانتظاراً للفرصة السانحة، وتهيئة للنفوس الجامحة.

وفى ذى القعدة سنة ١٣٤٧هـ، مارس سنة ١٩٢٨م زار الأستاذ البنا أولئك الإخوة الستة: حافظ عبد الحميد، وأحمد الحصرى، وفؤاد إبراهيم، وعبد الرحمن حسب الله، وإسماعيل عز، وزكى المغربى، وهم من الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التى كان يلقيها، وجلسوا يتحدثون إليه، وفى صوتهم قوة، وفى عيونهم بريق، وعلى

وجوههم سنا الإيمان والعزم، وقالوا : ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام، وخير المسلمين؟! ونحن لا نملك إلا هذه الدماء تجرى حارة بالعزة فى عروقنا، وهذه الأرواح تسرى مشرقة بالإيمان والكرامة مع أنفسنا، وهذه الدراهم القليلة، من قوت أبنائنا، وكل الذى نريده أن نقول لك ما نملك ؛ لنبرأ من التبعة بين يدى الله، وتكون أنت المسؤل بين يديه عنا، وعما يجب أن نعمل.

كان لهذا القول المُخلص أثره البالغ فى نفس الأستاذ البنا، ولم يستطع أن يتنصل من هذه التبعة، وقال فى تأثر عميق : «شكر الله لكم، وبارك هذه النية الصالحة، ووفقنا إلى عمل صالح، يرضى الله، وينفع الناس، وعلينا العمل، وعلى الله النجاح، فلنبايع الله على أن نكون لدعوة الإسلام جنداً، ففيها حياة الوطن وعزة الأمة».

وكانت بيعة، وكان قسمًا أن نحيا إخوانًا نعمل للإسلام، ونجاهد فى سبيله.

وقال قائلهم : بم نسمى أنفسنا؟ وهل نكون جمعية، أو ناديًا، أو طريقة، أو نقابة؛ حتى نأخذ الشكل الرسمى؟ فرد الأستاذ البنا قائلاً: لا هذا ولا ذاك، دعونا من الشكليات، ومن الرسميات، وليكن أول اجتماعنا وأساسه: الفكرة والمعنويات والعمليات. ونحن إخوة فى خدمة الإسلام، فنحن إذن «الإخوان المسلمون».

وجاءت بغتة... وذهبت مثلاً... وولدت أول تشكيلة للإخوان المسلمين من هؤلاء الستة حول هذه الفكرة، على هذه الصورة، وبهذه التسمية.

وهكذا غُرست البذرة الأولى لفكرة الإخوان المسلمين فى أرض طيبة من هذه القلوب الستة، آمنوا بها، وعاهدوا الله على الجهاد فى سبيله، فكانت تلك الثمار المباركة لوفائهم وإخلاصهم، من نجاح للدعوة، ومرشدها، مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠].

ولبث الأستاذ البنا يعمل لدعوته صامتًا، فكسبت دعوته - كل يوم - مزيداً من الأنصار والجنود، بفضل الله ثم إخلاصه العميق، وفهمه الدقيق للفكرة، وأهدافها.

القاهرة وبناء الدعوة (١٩٣٣-١٩٤٩):

وبعد نحو خمس سنوات من تأسيس الدعوة بالإسماعيلية، نُقل الأستاذ البنا سنة ١٩٣٣ إلى القاهرة. ودخلت الدعوة بنقله مرحلة جديدة، وإن ظلت سائرة على النهج

السابق من نزول إلى المساجد ووعظ بها، وتجميع الأنصار وتأسيس للفروع، بحذر وصمت، وذكر الأستاذ البنا في إحدى مقالاته المنشورة سنة ١٩٣٤ - أي بعد مضى نحو عام واحد من إقامته بالقاهرة - أن فكرة الإخوان قد انتشرت فيما يزيد على خمسين بلداً من بلدان القطر المصرى، وقامت فى كل بلد من هذه البلدان تقريبًا بمشروع نافع، أو بمؤسسة مفيدة، ففى الإسماعيلية أسست مسجد الإخوان، وناديهم، ومعهد حراء لتعليم البنين، ومدرسة أمهات المؤمنين لتعليم البنات، وفى شبراخيت أسست مسجداً، وناديًا ومعهداً للبنين، وداراً للصناعة يتعلم فيها طلبة المعهد الذين لا يستطيعون إتمام التعليم، وفى المحمودية - البحيرة - قامت بمثل ذلك فأنشأت منسجًا للنسيج والسجاد، إلى جوار معهد تحفيظ القرآن الكريم، وفى المنزلة - دقهلية - أقامت معهداً لتحفيظ القرآن، وقُل مثل ذلك أو بعضه فى كل شعبة من شعب الإخوان المنتشرة من إدفو إلى الإسكندرية.

وفى هذه المدة بدأ الأستاذ بإلقائه أحاديث دينية واجتماعية بالإذاعة والأندية، وفى إرسال رسائل إلى رؤساء الوزارات المصرية المتعاقبة، من عهد محمد محمود حتى قيام الحرب العظمى الثانية، وكان محور الرسائل: الدعوة إلى الإصلاح الداخلى على أساس النظام الإسلامى، غير أن الإخوان لم يسترعوا نظر الحكومات، لأن نشاطهم السياسى كان مغلفًا بالطابع الدينى فلم يبال به الرسميون.

وفى سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، أرسل الأستاذ البنا خطابًا إلى الملك السابق فاروق، والرئيس السابق مصطفى النحاس رئيس الحكومة حينذاك وإلى حضرات ملوك ورؤساء الدول العربية، وحكام بلدان العالم الإسلامى المختلفة، وكثير من زعمائها الدينيين والسياسيين، رسالة عنوانها (نحو النور) يدعوهم فيها إلى طريق الإسلام، وأصوله، وقواعده وحضارته، ومدنيته، نابذين طريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها، ثم يبين فيه خصائص كل من الطريقين، ويوضح بأن الإسلام كفيل بإمداد النهضة بما تحتاج إليه فى الجندية، الصحة، والنظام، والاقتصاد، وينتهى بالدعوة إلى أن يكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله بقارورة الدواء، ومن طب القرآن واستنقاذ العالم المريض، ثم يضع منهاجًا للإصلاح الشامل فى مختلف مظاهر الحياة، محتويًا على خمسين بنداً، وكان أخطر ما فى هذه الرسالة هو توجيه قوى الأمة السياسية وجهة واحدة وصفًا واحداً.

ودخلت الدعوة من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٤٥ طوراً جديداً من حيث علاقتها بسياسة تنفيذ الإسلام وبداية الازدهار من حيث النشاط وتحقيق البرامج الواسعة، وتضاعف نشاط الإخوان، وانضم إليهم عنصر جديد من شباب جامعتي القاهرة والأزهر ومختلف الطوائف العمالية والمهنية، من عمال وتجار وصناع، وأصحاب أعمال ومهندسين، وأطباء ومدرسين ومحامين، وأصبح بها ممثلون لسائر طوائف المجتمع المصرى، وضربوا فى النشاط الاقتصادى بسهم وافر، وأقبلوا على النشاط الرياضى والكشفى، وانتظمت أعمالهم فى الفروع التى ملأت القطر، وأصبحوا قوة يحسب لها كل حساب، وتوالى على حكم مصر فى هذه الفترة من رؤساء الوزارات المصرية: علي ماهر، وحسن صبرى، وحسين سرى، ومصطفى النحاس، وأحمد ماهر، والنقراشى، وإسماعيل صدقى، والنقراشى ثانية، وفى وزارات الأولين على ماهر، وحسن صبرى دأبوا على الموعظة والنصيحة فى كتبهم وخطبهم الخاصة والمفتوحة، شأنهم مع جميع الحكومات السابقة، وفى عهد على ماهر خاصة، أعلنوا تأييدهم لقراره تجنيب مصر ويلات الحرب فحسب، دون أن يقابلوه أو يتقدموا إليه بطلب معين.

بداية المحن:

وبدأت المحنة الأولى للإخوان على يد حسين سرى، بضغط من السفارة والقيادة الإنجليزية فصادرت حكومته مجلتى التعارف والشعاع الأسبوعيتين، ومجلة المنار الشهرية، ومنعت طبع أى رسالة من رسائلهم، أو إعادة طبعها، وأغلقت مطبعتهم وحرمت على الجرائد أن تذكر شيئًا عنهم، كما منعت اجتماعاتهم، ثم عمدت إلى تشريد رؤساء الجماعة، فنقلت الأستاذ البنا من القاهرة إلى قنا، ونقلت الوكيل إلى دمياط، ثم أعادتهما بضغط من الحملة البرلمانية، ولكنها عادت إلى ماهر أعنف من ذلك وأشد، فاعتقلت الأستاذ البنا مرة ثانية، كما اعتقلت السكرتير العام ثم أفرجت عنهما لاتقاء ما أحدثه هذا الإجراء من حرج فى صدور الإخوان.

ثم جاءت وزارة النحاس، ورغب الأستاذ البنا أن يرشح نفسه نائبًا فى البرلمان عن دائرة الإسماعيلية، مهد الدعوة ليمثل الإخوان، وينطق بلسانهم، ولكن النحاس رجاه أن يعدل عن الترشيح فعدل، وبدأ النحاس بمهادنتهم، فسمح لهم بالاجتماعات، وأعاد

إليهم المجلة والمطبعة، ثم تكرر ضغط السفارة الإنجليزية مرة أخرى، فعادت المحنة فى صورة أشد من الأولى إذ أغلق النحاس جميع الشعب ماعدا المركز العام، وضيق عليهم فى اجتماعاتهم ومطبوعاتهم، وسائر نواحى نشاطهم، وقابلوا شدة الحكومة بالأناة والصبر، فعدلت الحكومة النحاسية عن شدتها، واستمر الموقف بينهما يتقلب، تارة تدع الحكومة لهم الحرية فيعملون، وطوراً ترهقهم بالتضييق فيصبرون، ولكنهم ظلوا على عادتهم فى تقديم النصح كتابة ومشافهة، إلى أن أُقيلت الوزارة سنة ١٩٤٤ .

وجاءت بعد وزارة النحاس وزارة أحمد ماهر، فأخذتهم بالشدة وحالت دون نجاح من رشح نفسه للنيابة عنهم، بناء على قرار مؤتمر الإخوان العام سنة ١٩٤١ : بأن يرشح الأكفاء على أساس خدمة المنهج الإسلامى.

وحين أعلن أحمد ماهر الحرب على ألمانيا وإيطاليا، عارضه الإخوان، وكتبوا إليه بالعدول عن ذلك، ثم اغتال العيسوى (أحد الوطنيين) أحمد ماهر لهذا السبب، وتولى النقراشى الحكم وبدأ باعتقال الأستاذ المرشد العام، والسكرتير العام، وبعض الإخوان، ولكن النيابة أفرجت عنهم بعد ذلك، وبادر الأستاذ البنا إلى زيارة النقراشى معزيًا فى ماهر، راجيًا أن يطلق له حرية العمل. بيد أن النقراشى لم يستجب إلى الرجاء، وفرض عليهم أثقل القيود فى نشاطهم، واجتماعاتهم، ومراقبة دورهم، كان يسمح لهم بعقد اجتماعات عامة، أو مؤتمرات عامة، تحت ضغط الظروف، ولكن سرعان ما يعود إلى سياسة العنف والإرهاق.

وانتهت الحرب سنة ١٩٤٥ ودخلت الجماعة بعد ذلك فى دور المحنة الكبرى، لأنها تزعمت قيادة الحركة الشعبية، وألهبت المشاعر الوطنية للمطالبة بحقوق البلاد التى وعد الإنجليز - أثناء الحرب - بتحقيقها، فور انتهاء الحرب وإعلان الهدنة، وأقاموا نشاطات مختلفة منها شركات اقتصادية متنوعة، درّت عليهم الأرباح، ومكنت لهم فى أوساط العمال، وأصدروا جريدة يومية، صدر العدد الأول منها فى ٥ مايو ١٩٤٦م الموافق ٣ جمادى الآخر سنة ١٣٦٥هـ، وأضحى بذلك صوتهم مسموعًا فى مصر والبلاد العربية وبلغ أعضاء الجماعة العاملين فى مصر وحدها نصف مليون، والأعضاء المنتسبين والمؤازرين أضعاف هذا العدد، أما عدد شعبهم فى مصر وحدها فبلغ ألفى شعبة، وفى السودان حوالى خمسين شعبة، عدا شعبهم فى معظم البلدان العربية، والبلاد

الإسلامية، والأصدقاء فى جميع البلاد وفى أوروبا وأمريكا، ولهذا لقيت الجماعة مقاومة فى غاية العنف من قبل الحكومات التى وليت الحكم بعد الحرب الكبرى الثانية وذلك بتحريض من الاستعمار.

ثم شن عليهم صدقى رئيس وزراء مصر حملة، فاعتقل عدداً منهم، وصادر جريدتهم، ثم قبض على الوكيل العام، وقابله الإخوان بحملة مثلها، ثم حوصرت دورهم وفُتشت، وقاد صدقى حملة عليهم واسعة النطاق من النقل والتشريد، تناولت أخلص الموظفين من الإخوان فى شتى المصالح والوزارات.

واستقال صدقى، وتألفت وزارة النقراشى مرة أخرى فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ وفى يوم تأليفها نشر البنا مقالاً دعا فيه الحكومة الجديدة إلى اختصار الطريق، واحترام إرادة الأمة، وإنهاء المفاوضات التى لاطائل منها، وسلوك سبيل الجهاد، ثم تابع نشر مقالاته فى الجريدة.

وكانت هذه هى البداية لحرب داخلية بين النقراشى والإخوان، زادتها قضية فلسطين، التى ساهم فيها الإخوان مساهمة فعالة، وكانت بالتالى محك قوتهم ونفوذهم من جهة، ومصدر عزة لهم فى مصر والعالم العربى من جهة أخرى، واشترك الإخوان فى المعركة تحت إشراف الجامعة العربية، وكان هذا الاشتراك المسلح لهم فرصة للتمرُّن على القتال، كما كشف عن مدى استعدادهم الحربى ومدى نفوذهم، وخشيت حكومة النقراشى سلطتهم، فاغتنمت فرصة وقوع حوادث عنف فى داخل القطر، واتهمتهم بأن لهم ضلعًا فيها، وأنهم ينوون إحداث انقلاب، فأصدرت أمرًا عسكريًا رقم ٦٣ مؤرخًا فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ «بحل جماعة الإخوان وشُعبها أينما وجدت، ويغلق الأماكن المخصصة لنشاطها، ويضبط جميع الأوراق والوثائق والمجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال وكافة الأشياء المملوكة للجمعية»، وتبع هذا الأمر صدور أوامر عسكرية أخرى، بتصفية شركاتهم، والعمل على استخلاص أموال الجمعية لتخصيصها فى الوجوه العامة التى يقررها وزير الشؤن الاجتماعية، وحاول البنا أن يسد هذه الثغرة، ويسوى الموقف، ولكنه لم يجد من النقراشى وحكومته أدنى استعداد، حتى قضى مقتل النقراشى فى ٢ ديسمبر ١٩٤٨ على هذه المحاولات، إذ اتهم الإخوان بقتله مما زاد الموقف حرجًا بينهم وبين الحكومة.

وقد تنبأ الأستاذ البنا بحصول كل هذه المحن وطالما كان يتحدث عنها وكأنه يراها، ويبين أن هذه هى سبيل أصحاب الدعوات، ويضرب الأمثال بما حدث للمجاهدين والنبيين من قبل، وكأنه وثق منها حتى أصبحت عقيدة راسخة فى رأسه، فسجلها للإخوان فى إحدى رسائله يقول : "أحب أن أعرفكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها، ويدركون مراميها وأهدافها، ستلقى منهم خصومة شديدة، وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات، أما الآن فلا زلتم مجهولين، ولا زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تطلبه من كفاح وجهاد، سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم، وستجدون من أهل التدين من العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام، وينكر عليكم جهادكم فى سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف فى وجوهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم، وأن تضع العراقيل فى طريقكم، وسيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة، والأخلاق الضعيفة، والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال، وإليكم بالإساءة والعدوان، وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات، وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس فى أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، معتدين بأموالهم ونفوذهم وستدخلون بذلك ولا شك فى دور التجربة والامتحان ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين، ومثوبة العاملين المحسنين"

وكأن الرجل الملهم كان ينظر بعين الغيب، فقد تحقق بعد الحل كل ما كتبه فى هذه الرسالة التى كتبها للإخوان قبل نشوب الحرب العظمى الثانية وقبل أن تحل تلك المحنة بسنوات، وإن كان قد عكف على تكرار هذه المعانى قبل المحنة مباشرة، حتى يعد الإخوان لاستقبالها فلا يصدموا بحقيقتها المروعة، ووسائلها التى أعادت إلى الأذهان صور محاكم التفتيش الإسبانية.

وقد صدقت جميع نبوءاته حتى فى رجال الدين أنفسهم، فقد تطوع منهم من ألقى حديثًا فى الإذاعة يؤيد به ما ذهبت إليه الحكومة من نفى للإخوان، مستدلاً بالآية الكريمة

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٣٣] وعُلقت هذه الآية الكريمة فى معتقل الطور وسائر المعتقلات ليقرأها الإخوان بأمر إدارة تلك المعتقلات، وواضح أن فى ذلك ما فيه من معانى التحدى، والاستفزاز للشعور، والإيلام النفسى للإخوان باتهامهم بأنهم يحاربون الله ورسوله! مع أن هتافهم: الله غايتنا، والرسول زعيمنا.

فلسطين والإمام البنا:

وقد أولى الأستاذ البنا قضية فلسطين اهتمامًا خاصًا، واعتبرها: «قضية العالم الإسلامى بأسره»، وكان يؤكد دومًا أن: «الإنجليز واليهود لن يفهموا إلا لغة واحدة، هى لغة الثورة والقوة والدم».

وأدرك حقيقة التحالف الغربى الصهيونى ضد الأمة الإسلامية، ودعا إلى رفض قرار تقسيم فلسطين الذى صدر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ م، ووجه نداءً إلى المسلمين كافة، وإلى الإخوان خاصة، لأداء فريضة الجهاد على أرض فلسطين، حتى يمكن الاحتفاظ بها عربية مسلمة، وقال: «إن الإخوان المسلمين سيبذلون أرواحهم وأموالهم فى سبيل بقاء كل شبر من فلسطين إسلاميًا عربيًا، حتى يرث الله الأرض ومن عليها».

واتخذت الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين قرارًا فى ٦ مايو سنة ١٩٤٨م ينص على إعلان الجهاد المقدس ضد اليهودية المعتدية، وأرسل البنا كتائب المجاهدين من الإخوان إلى فلسطين فى حرب ١٩٤٨م.

حادث الاستشهاد:

ولهذا بات واضحًا وجليًا أن أعداء الإسلام متمثلين فى اليهود والغرب الحاقد وأذنابهم فى الداخل، قد عقدوا العزم على التخلص نهائيًا من الإمام البنا وجماعته، وتحقق لهم الأمر الثانى فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ ونشطوا فى تحقيق الأمر الأول وهو اغتيال الإمام نفسه، وتحقق لهم ذلك بعد تخطيط محكم وتدبير شيطانى

ولقد مرت عملية الاغتيال الآثم بعدة مراحل كانت تمهيدًا للجريمة الكبرى، وكانت على النحو التالى:

أولاً: حل الجماعة واعتقال أفرادها ومصادرة ممتلكاتها.

ثانيًا: عدم اعتقال الإمام البنا وتركه طليقًا بعيداً عن إخوانه الذين يفدونه بأرواحهم وذلك حتى يتمكنوا من قتله أعزل من الأعوان والأحباب.

ثالثًا: تجريده من الحماية الشخصية حيث تم تجريده من مسدسه الخاص وسحب رخصته، وكذلك الاستيلاء على سيارته الخاصة حتى يحد ذلك من حركته فيضطر إلى استخدام وسائل المواصلات العامة مما يسهل أن يكون تحركه تحت أعينهم.

رابعًا: تحديد إقامته بمدينة القاهرة وعدم السماح له بمغادرتها إلى أى مكان آخر داخل البلاد أو خارجها.

خامسًا: الاستدراج إلى مكان ووقت الجريمة الشنيعة. وإن التاريخ ليسجل تلك الفترة العصيبة. والتى مرت بأمتنا وقضت على أعز الرجال وأنبلهم وخير ما أنبتته مصر بأسرها فى تلك الفترة.

يسجل التاريخ كيف تحولت حكومة مصر فى ذلك الحين إلى عصابة إجرامية يقودها رئيسها ويخطط لها بعقلية العصابات ورجال المافيا.

تفرغت الحكومة فلم يعد يشغلها إلا أمر قتل الإمام البنا، وإنه لخزى وعار أن تتحول القوى الغاشمة والسلطة الحاكمة إلى إجرام عظيم وغدر محكم ومحاربة لله تعالى ودينه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢].

ترتب على حل الجماعة واعتقال قادتها وترك الإمام البنا وحيداً محاصراً أن تُرِك شباب الإخوان دون قادة حكماء، وخليق بالشباب أن يندفع، فهو قطعة من ثورة متأججة، وسيما أن هذا الشباب فى حاجة إلى من يضبط سيره وينظم خطوته وقد فعل به مافعل، ولكن من أين له هذا وقد حيل بينه وبين قادته وضرب بسور ضخم حول الإمام البنا فاستحال أن يتم اللقاء به ؟!

كانت الممارسات والمظالم التى ارتكبتها حكومة النقراشى وقيامها باعتقال الإخوان، وتعريضهم للتعذيب والقسوة والنفى والتشريد ووقف قوافل الجهاد فى فلسطين

واعتقال المجاهدين من الإخوان المسلمين فى فلسطين سببًا فى اندفاع أحد الشباب المسلم المتحمس الغيور على دينه، فقتل النقراشى رئيس الحكومة فى ٢٢/ ١٢/ ١٩٤٨، حين توجه النقراشى إلى مبنى وزارة الداخلية تقدم منه شاب يرتدى ملابس ضابط بوليس فحياه بتحية عسكرية ثم أخرج مسدسه وصوبه إلى رئيس الحكومة فأرداه قتيلاً فى الحال، وألقى القبض على الشاب، وتبين أنه طالب بكلية الطب البيطرى بالقاهرة، واسمه عبد المجيد أحمد حسن وعمره اثنان وعشرون عامًا.

وبسؤال القاتل عن قتله للنقراشى قال :

حل جماعة الإخوان المسلمين وهى ركيزة العمل الإسلامى لتحرير البلاد المحتلة، والقائمة بالتربية الإسلامية النقية من الخرافات والزج بهم فى السجون ونهب أموالهم بدون جريرة.

تضييع النقراشى لفلسطين، والموافقة على الجلوس مع إسرائيل فى المجتمعات الدولية والسماح لليهود بدخول البلاد.

مشكلة السودان وإبعادها عن جدول أعمال المفاوضات المصرية الإنجليزية وكانت السودان جزءًا من مصر.

وفى جنازة النقراشى هتف شباب الحزب السعدى الذى كان يتزعمه النقراشى: (الثأر الثأر) وراح النقراشى ضحية صلفه وغروره وجهله الذى تسلط على عقله فأعماه عن الحقائق، وشرد به عن الواقع، فاغتيل فى سويداء عرينه الذى لم يغن عنه شيئًا.

وقد أصدر الإمام البنا عقب اغتيال النقراشى باشا، بيانًا عامًا بعنوان « بيان للناس» استنكر فيه اغتيال النقراشى وبين فيه الإمام حقيقة الدعوة الإسلامية، وهى العمل لخير الوطن وإعزاز الدين ومقاومة دعوة الإلحاد والإباحية والخروج عن أحكام الإسلام وفضائله، ونفى الإمام أن تكون الجريمة والإرهاب والعنف من وسائل الدعوة، وفى النهاية ناشد الجميع أن يتعاونوا على استتباب الأمن والاستقرار.

رواية صالح حرب :

ويروى اللواء صالح حرب باشا، رئيس جمعية الشبان المسلمين فى ذلك الوقت، جانبًا مهمًا من الأحداث التى عقبت ذلك، أنه التقى بالإمام بعد قرار الحل وتكرر لقاؤه

به أكثر من مرة، وقد تبين له أن الحكومة دبرت أمراً خبيثًا وأنها غير مخلصة فى مفاوضاتها مع الشيخ البنا. ويذكر أن الإمام البنا قال له: إنى خيرت المسؤلين فى واحدة من أربع:

- إما أن يطلقوا سراح كبار الإخوان لنعمل معًا جادين مخلصين حسب توجيه الحكومة حتى تطمئن ويزول ما فى النفوس وتهدأ الخواطر.
- وإما أن يختاروا قرية ألجأ إليها ولو كانت فى مكان قفر.
- وإما أن يسمحوا لى بمغادرة القطر إلى أى بلد عربى أو إسلامى.
- وإما أن يعتقلونى كما اعتقلوا أصحابى، [ولكنهم لم يستجيبوا إلى واحدة من هذه الأربعة].

ومضت الأيام سريعة، ولما قرب الموعد قامت العصابة الحاكمة بعدة إجراءات تمهيداً لتنفيذ الجريمة الكبرى.

وقبل الموعد المرتقب بشهر تقريبًا، قامت الحكومة باعتقال المرحوم عبد الباسط البنا شقيق الإمام البنا وكان ضابط بوليس وظل مرافقًا للإمام لتوفير الحماية له.

ثم قامت الحكومة بسحب المسدس المرخص به من الإمام، وهكذا بقى الإمام وحيداً أعزل ليس معه إلا الله تعالى، وكان اعتقال الأخ يوم ١٣/ ١/ ١٩٤٩ ثم قطع التليفون الخاص بالإمام البنا لمنع اتصاله بأى فرد وإشعاره أنه محاصر، وكان ذلك يوم ١٨/ ١/ ١٩٤٩.

ثم وضعت الحكومة الإمام البنا تحت مراقبة دائمة من البوليس السرى لتتبع خطواته أينما ذهب وظلت المراقبة عليه حتى يوم استشهاده.

وفى اليوم الموعود أكملت الحكومة خطتها وعزمت على التنفيذ، وبدأت الأصابع الآثمة فى الحركة، وتم استدراج الإمام البنا إلى مكان ومسرح الجريمة... ولله فى خلقه شئون، وقدر الله وما شاء فعل.

لقد كانت المقدمة تُنبئ بالنتائج، فقد رأى الإمام البنا رؤيا صالحة فى منامه قصها على أهله وهى أن سيدنا عمر بن الخطاب قال له: «ستبيت عندنا الليلة يا حسن».

وكان تعبيراً واضحًا لا يحتاج إلى ابن سيرين . ورغم هذا مضى الإمام وخرج إلى الموعد المرتب واللقاء المنتظر وهو يتمثل قول الله تعالى ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾ .

بل قبل يومين من استشهاده كان فى مكتب الدكتور عزيز فهمى المحامى ، فسأله : هل معك سلاح فرد عليه الإمام البنا : السلاح أخذوه والأخ سجنوه. فسأله الدكتور عزيز : وبماذا تدافع عن نفسك ؟ فقال رحمه الله :

أى يومىّ من الموت أفر	يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا قدر لا أرهبه	ومن المقدور لا ينجو الحذر

قال الدكتور عزيز : إنى أخشى عليك أن تموت صغيراً، فعقلك أكبر من سنك بمراحل .

وفى يوم السبت ١٤ ربيع سنة ١٣٦٨هـ، ١٢ نوفمبر ١٩٤٩م تم استدراج الإمام البنا إلى مسرح الجريمة فى مقر جمعية الشبان المسلمين، وكان ذلك بعد أن صرح رئيس الحكومة إبراهيم عبد الهادى إلى وزير من وزرائه ، أنه باستطاعة الإمام البنا أن يتقابل مع إخوانه أعضاء مكتب الإرشاد خلال أيام قليلة .

وانطلق أحد رجال جمعية الشبان المسلمين وهو الأستاذ محمد الليثى ، وهو محل ثقة الإمام ، إلى منزل الإمام وطلب إليه الحضور يوم السبت الساعة الخامسة مساءً لمقابلة الأستاذ الناغى سكرتير الجمعية وقريب رئيس الحكومة إبراهيم عبد الهادى ، وأخبره أن لديه أخبارا ساره بشأن الإخوان ، واستبشر الإمام البنا بذلك ، ولاح له وميض أمل فى انقشاع الغمة التى ألمت بالجماعة وأخذ يستعد للخروج ، وشعر أولاده بالخطر فالتفوا حوله يبكون ويتوسلون إليه أن لا يخرج ، فالرؤيا واضحة وتفسيرها ظاهر ، ولكنه أصر على الخروج : وقال كيف أهاب الموت والله تعالى يقول : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء : ٧٨] .

وتمت المقابلة بين الإمام والأستاذ الناغى . فى حوالى الساعة الثامنة إلا عشر دقائق من مساء ذلك اليوم غادر الناغى الجمعية . وفى الساعة الثامنة والنصف خرج الأستاذ البنا والأستاذ عبد الكريم منصور ومعهما الأستاذ الليثى الذى طلب من أحد سعاة الجمعية أن ينادى على سيارة أجرة، فجاءت السيارة وركب فيها الأستاذ البنا وعلى يساره عبد الكريم منصور ، ولم تكد السيارة تبدأ بالسير حتى انقض عليها الجناة وبدأ الضرب من

جانبى السيارة، وتمكن أحد الجناة من فتح الباب من ناحية الإمام الشهيد وأطلق الرصاص على الإمام، وتمكن الإمام من النزول من السيارة وجرى خلف القاتل الذى ركب سيارة كانت فى انتظاره، وأسرعت السيارة واستطاع الإمام أن يلتقط رقمها، ونُقل الإمام البنا إلى مستشفى قصر العَينى وكانت الإصابة بسيطة وحالته ليست خطيرة، كما جاء فى التقرير الطبى. وبعد ربع ساعة من وقوع الجريمة، كان الأميرالاى محمود وصفى وكيل حكمدار القاهرة والمشرف على البوليس السياسى فى مكان الحادث وقد سبق المصابين إلى قصر العينى، ودخل غرفة العمليات، ولما نقل الإمام البنا وصهره عبد الكريم منصور إلى القصر العينى كان الحكمدار سبقهما إلى هناك ليتتبع سير الأمور ويخطط لها مسارها الذى يحقق الهدف المراد وهو موت الإمام.

التقرير الطبى:

أثبت الطبيب الشرعى فى تقريره أنه شاهد بجثة الإمام البنا سبعة جروح نتيجة الإصابة بسبعة مقذوفات نارية، وشاهد الطبيب الشرعى نزيفًا بعضلات الصدر بالجهة اليمنى ونزيفًا خفيفًا بتجويف الصدر الأيمن ونزيفًا بالكتف الأيمن وتمزقًا بأوردة الإبط ونزيفًا بعضلات الفخذ اليسرى، كما شاهد كسراً بعظمتى الساعد الأيمن فى ثلثه السفلى مع نزيف بالأنسجة. وخلص الطبيب الشرعى إلى أن الوفاة نتيجة النزيف الناشئ من تمزق أوعية الإبط نتيجة الإصابة بمقذوفات نارية أطلقت على الشهيد من مسافة حوالى نصف متر، ولم تكن الإصابة جسيمة بل كان الإمام محتفظًا بصحته داخل غرفة العمليات ولم يحتج إلى مساعدة لخلع ملابسه بل كان مهتمًا بحالة صهره عبد الكريم منصور الذى كانت حالته خطيرة - ورغم هذا كُتبت له السلامة والنجاة.

فكيف إذا تمت الجريمة:

إن الإمام الشهيد تعرض للقتل مرتين، مرة على يد الجناة الذين أطلقوا عليه الرصاص، ومرة فى غرفة عمليات قصر العينى حين تعرض لتصفية دمه الطاهر، حيث ترك ينزف دمه قطرة قطرة حتى خرجت روحه إلى باريها، تزفها إلى السماء ملائكة الرحمة فى موكب مهيب يليق بالشهيد.

شهد الدكتور يوسف رشاد بأنه سمع من الدكتور محمد شكيب الذى اشترك فى تشريح جثة الإمام البنا أن إصابته لم تكن جسيمة وكان يمكن إنقاذ حياته إذا خيطت جراح الإبط، ولكن ذلك لم يحصل فكثر النزيف منها مما أدى إلى الوفاة. ويتحسر

الإمام الراشد عمر التلمسانى ـ رحمه الله ـ وهو يسترجع هذا الموقف العصيب ويقول :
« ولما عجز الاستعمار عن احتواء الرجل، وإيقاف المد الإسلامى الذى أرسله حسن البنا من سم الخياط الفكرى فى ذلك الحين، أغروا به القصر الملكى فى عهد فاروق فاغتالوه عيانًا بيانًا فى أكثر شوارع القاهرة حركة، بعد أن أعدت دولة بأسرها عدتها لهذا الاغتيال، دولة بأسرها تتآمر ضد رجل أعزل من مواطنيها، ويا لها من دولة تافهة حقيرة، ويا له من ملك صغير، ويا له من رئيس وزراء تافه وحقير، وياله من رجل أى رجل!! تلقى جسده الضئيل الواهى سبع رصاصات سويًا فنزل من السيارة ينزف دمًا غزيرًا كريمًا ويطلب الإسعاف من تليفون جمعية الشبان المسلمين، فتنقله إلى قصر العينى ، وهناك أُصدرت أوامر فاروق إلى أطباء قصر العينى بعدم إسعافه، وترك أولئك الأطباء الشجعان (رسل الإنسانية) دم الشهيد ينزف أمام أعينهم قطرة قطرة، ومع كل قطرة لعنة رأس فاروق وأطبائه الجبناء الذين خانوا أماناتهم الإنسانية من أجل دراهم معدودات يتقاضونها كل شهر لم ينقذوا جريحًا كان فى الإمكان أن ينجو لو كان فى قصر العينى أطباء رجال ، وإنها إرادة الله التى أبت إلا أن يحقق لحسن البنا أعز أمانيه التى تمناها ودعا الشباب إلى طلبها «الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا».

ويمضى حسن البنا إلى جوار ربه، يمضى وقد استكمل البنا أسسه، يمضى فيكون استشهاده على النحو الذى أريد له، عملية جديدة من عمليات البناء، عملية تعميق للأساس، وتقوية للجدران. وما كانت ألف خطبة وخطبة ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوى فى نفوس الإخوان كما ألهبتها قطرات الدم الذكى المراق . . . إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع حتى إذا متنا فى سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة . . . بهذه الكلمات التى سطرها العملاق الشهيد سيد قطب ينعى فيها الإمام الشهيد حسن البنا ويضع يده على جانب من جوانب القدرة الإلهية التى جعلت الإمام البنا دعوة فى حياته ومماته .

وقال الأمير المجاهد عبد الكريم الخطابى - رحمه الله:

«ويح مصر وإخوتى أهل مصر مما يستقبلون جزاء ما اقترفوا، فقد سفكوا دم ولىّ من أولياء الله !! ترى أين يكون الأولياء إن لم يكن منهم، بل فى غُرَّتِهم، حسن البنا الذى لم يكن فى المسلمين مثله؟».

وأخيرًا رحم الله الفقيد الشهيد رحمة واسعة وأجزل له المثوبة بقدر ما قدم من جهد وبذل وعطاء مستمر فى الأمة إن شاء الله تعالى إلى يوم الدين.



الإمام الشهيد: حسن البنا



بدأ دعوته يختار الناس الذين عقدوا العزم على نصرة الإسلام

صورة نادرة لأول مجلس إدارة لأعضاء جمعية الإخوان المسلمين وهم:

- الجالسون فى الصف الأول: الحاج محمود اليمانى، الحاج سيد الصولى، مدرس زميل الأستاذ حسن البنا، الشيخ محمد فرغلى، الأستاذ حسن البنا، الشيخ على الجداوى، الحاج سيد أحمد محمد، الشيخ سعيد الصولى.
- الواقفون فى الصف الأوسط: الحاج محمود درويش، الحاج محمود الجعبرى، الأستاذ سيد المنياوى، الأستاذ مصطفى جويد، الحاج أحمد العرباتى، الحاج إبراهيم كشك، الحاج عبد السميع الشريف، الأستاذ أحمد المصرى.
- الواقفون بالصف الأعلى: الأستاذ زكى المغربى، الأستاذ محمد الفاقوسى، الأستاذ عثمان الجضى، الأستاذ طلعت المغربى، الأستاذ عبد الرحمن حسب الله.

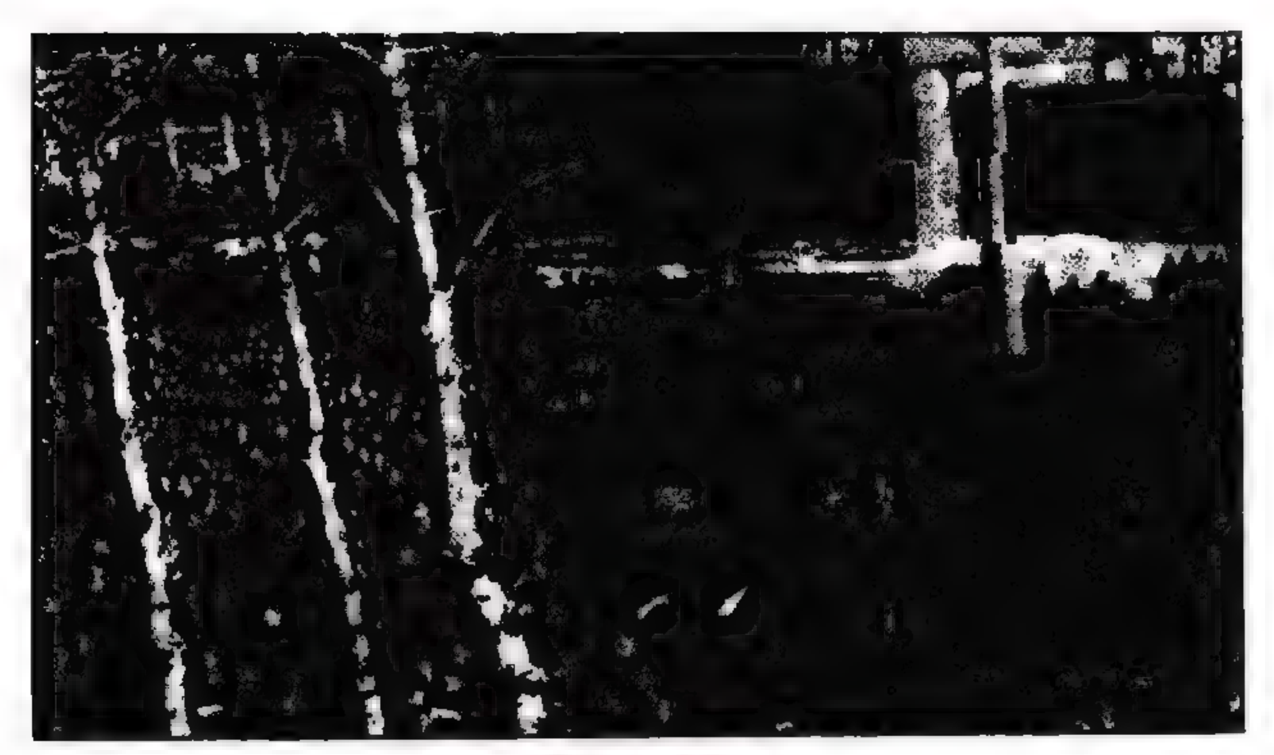
(الإسماعيلية عام ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م)

***



متحدثا فى إحدى المناسبات ويبدو أحد رجال الكشافة التى كانت تتولى تنظيم الاحتفالات.

كان حديثه يوم الثلاثاء من كل أسبوع فى المركز العام للإخوان ملتقى الحشود من الإخوان وغيرهم من أبناء الشعب المصرى والعالم الإسلامى



رجل التفت حوله الملايين



صداقة تربطه بعلماء العالم الإسلامى

الإمام الشهيد بين جمع من الإخوان وعن يمينه العالم الهندى عليم صديق

ثم الأستاذ سعد الدين الوليلى - الإسكندرية عام ١٩٤٦ م



كان مفكرا ذا ثقافة
موسوعية يسعى إليها
أرباب الفكر في الأمة

الصورة: الإمام البنا
مع طه حسين



عاش لقضية فلسطين واستشهد من أجلها

الإمام الشهيد حسن البنا بين عدد من المجاهدين على أرض فلسطين ويرافقه
الدكتور مصطفى السباعي (على يساره)



اخر صورة التقطت للأستاذ حسن البنا يوم المصلين فى جمعية الشبان المسلمين
مساء ٢ فبراير ١٩٤٩م قبيل استشهاده من ذات الليلة
(عن جريدة الوفد المصرية الصادرة فى ١٦ أبريل ١٩٨٧م)



الملك فاروق قاتل البنا مع نورى السعيد رئيس وزراء العراق الأسبق
همس وحوار من أجل ماذا؟.. مصلحة الأمة أم خيانتها بالتخلص من زعماء الإصلاح!!

الداعية المجاهد الشهيد محمد فرغلى

(١٣٢٦-١٣٧٤هـ، ١٩٠٦ - ١٩٥٤م)



كانت بداية معرفتى بالداعية المجاهد الشيخ محمد فرغلى أواخر ١٩٤٩م حين قدمت إلى مصر للدراسة الجامعية، حيث التقيته محدثًا وموجهًا للإخوان فى دروس الكتائب والمعسكرات والأسر والرحلات، فقد كانت مجموعة من قادة الإخوان تتعاقب عليها أمثال : البهى الخولى، وعبد العزيز كامل، ومحمد فرغلى، ومحمد عبد الحميد أحمد، ومحمد الغزالى، وسيد سابق، وغيرهم.

وكنت أرى فى الشيخ فرغلى المهابة والوقار، وعزة المؤمن، وفقه المجاهد، يتكلم بهدوء وبعبارات موجزة، عظيمة الدلالة، عميقة المغزى، فيها الحنان والعطف والحب للإخوان والثقة والطمأنينة بما عند الله من نصر لهذا الدين ولعباده المؤمنين إن هم صدقوا مع الله وأخلصوا النية له.

وكان يهوّن من شأن أعداء الله من الإنجليز واليهود وغيرهم من العملاء والمأجورين، ويصفهم بأنهم عبيد المادة والهوى والشهوات والشبهات، ويؤكد أن مناهج التربية لدى الإخوان هى الكفيلة بصياغة المسلم الحق، لأنها مستقاة من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، وهى الكفيلة بإعداد الجيل المؤمن المجاهد، الذى يتصدى للكفر بكل أنواعه دونما خوف أو وجل، وأن الميدان اليوم يتطلب حشد الألوف من الشباب المؤمن، من جميع أنحاء العالم الإسلامى ليملأوا الساحة ويتصدوا للمفسدين فى الأرض الذين وجدوا الميدان خاليًا فصالوا وجالوا، وعاثوا فى الأرض فسادًا، وانتفش باطلهم، وعلا صوتهم، وتجرؤوا على الدين وأهله وساموا الأمة الخسف والهوان، لأن الشعوب عزلاء، مجردة من سلاح الحق والقوة، يتحكم فى رقابها أذناب الاستعمار وعملاؤه من الحكام المرتزقة، الذين يدورون فى فلك الأعداء، وينتصبون لحرب الدعاة إلى الله، والوقوف أمام دعوة الحق والقوة والحرية، دعوة

الإسلام العظيم، التى جدد أمرها فى أرض الكنانة مجدد القرن الرابع عشر الهجرى الإمام الشهيد حسن البنا.

فى مواجهة الطغاة :

كان الشيخ المجاهد محمد فرغلى رجلاً عميق الإيمان شديد المراس، قوى العزيمة زاهدًا فى المظاهر، يؤثر العمل على القول، يحب الناس جميعًا، ويتفانى فى خدمتهم وبخاصة الضعفاء منهم، حيث يقف إلى جانبهم لأخذ حقوقهم ورفع الحيف والظلم عنهم.

يتصدى للظالمين والطغاة، والمتسلطين على الضعفاء، ويجالدهم بكل قوة وصلابة، فكانوا يخشونه أشد الخشية، ويحسبون له ألف حساب، وكان مجرد ذكر اسمه يُرعب الإنجليز واليهود والعملاء، وقد وضعوا الجوائز الكبيرة لمن يعثر عليه ويسلمه لهم حيًا أو ميتًا.

وكان إخوانى الزملاء فى الجامعة يحدثوننى عن هذا الرجل الفذ، والداعية المجاهد، وعن محبة الإمام البنا له، وثقته به، واعتماده على الله ثم عليه فى المهمات العظام والأحداث الجسام، فكان نعم الرجل فى كل موقع ومهمة.

إن الشيخ فرغلى كان جزءًا مهمًا من تاريخ حركة الإخوان المسلمين منذ نشأتها والتحاقه المبكر بها إلى أن أكرمه الله بالشهادة على يد فرعون مصر الطاغية عبد الناصر عميل اليهودية والصليبية وصنيعة الأمريكان.

ولقد كان الإخوان المسلمون، شيوخًا وشبابًا، ينظرون لهذا الرجل العظيم الشيخ فرغلى، نظرة الإكبار والإجلال، والحب والوفاء، لما يتمتع به من خصال الخير وصفات الرجولة.

وكانت أحاديثه فى مخيمات الإخوان وكتائبهم ومعسكراتهم وأسرهم، تأخذ بمجامع قلوب السامعين، لما يجدونه فيها من الصدق والوضوح، والبساطة والحلاوة والإيمان والإخلاص، فحديثه حديث القلب إلى القلوب ومناجاة الروح للأرواح، يثير العواطف، ويحرك المشاعر، ويدعو للعمل والجهاد الدؤوب فى سبيل الله ومن أجل المستضعفين فى الأرض، ويوضح لجماهير الإخوان أن أعداء الإسلام من اليهود

والصليبيين والمستعمرين هم أتفه وأحقر من أن يصمدوا أمام عزائم الرجال المؤمنين وأن تجارب الحرب معهم فى فلسطين، كشفت عن جبنهم وتخاذلهم، وهشاشة قوتهم، فكانوا يفرون كالفئران المذعورة أمام مجاهدى الإخوان المسلمين، ولولا المؤامرات الدولية الكبرى، وتخاذل بعض الأنظمة فى ديار العرب والمسلمين لما ضاعت فلسطين، ولما كان للإنجليز أو الفرنسيين أو الأمريكان وجود فى البلاد الإسلامية.

يقول الأستاذ عباس السيسى فى كتابه القيم «فى قافلة الإخوان المسلمين»:

«لقد كان الشيخ محمد فرغلى داعية من دعاة الإسلام ومن الرعيل الأول من الإخوان المسلمين، عمل مع الإمام الشهيد حسن البنا منذ بدأ دعوته فى مدينة الإسماعيلية، واختاره الإمام الشهيد لمسؤوليات كبار، فكان عند حسن الظن، حيث شمر عن ساعد الجد، وسط مدينة كانت ترابط حولها من كل جانب قوات الاحتلال البريطانى، فجعل الأرض تميد من تحت أقدامهم . . .».

ويتحدث الإمام الشهيد حسن البنا فى «مذكرات الدعوة والداعية» عن الشيخ فرغلى فيقول «. . . حين تم بناء المسجد، الذى طالب به عمال الشركة بالجباسات بالإسماعيلية انتدب للإمامة والتدريس فضيلة الأخ المفضال الأستاذ الشيخ محمد فرغلى المدرس بمعهد حراء حينذاك. وصل الأستاذ فرغلى وتسلَّم المسجد، وأُعد له سكن خاص بجواره، ووصل روحه القوى المؤثر بأرواح هؤلاء العمال الطيبين، فلم تمض عدة أسابيع وجيزة حتى ارتفع مستواهم الفكرى والنفسانى والاجتماعى ارتفاعًا عجيبًا، لقد أدركوا قيمة أنفسهم، وعرفوا سمو وظيفتهم فى الحياة وقدَّروا فضل إنسانيتهم، فنزع من قلوبهم الخوف والذل والضعف والوهن، واعتزوا بالإيمان بالله وبإدراك وظيفتهم الإنسانية فى هذه الحياة - خلافة الله فى أرضه - فجدوا فى عملهم اقتداءً بقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»، عفُّوا عما ليس لهم، فلم تأسرهم المطامع التافهة، ولم تقيدهم الشهوات الحقيرة وصار أحدهم يقف أمام رئيسه عالى الرأس فى أدب، شامخ الأنف فى وقار، يحدثه فى حجة ومنطق، لا يقول ولا يقبل منه كلمة نابية، أو لفظة جافية، أو مظهراً من مظاهر التحقير والاستصغار، كما كان ذلك شأنهم من قبل، تجمعوا على الأخوة، واتحدوا على الحب والجد والأمانة، ويظهر أن هذه السياسة لم تعجب الرؤساء، وقرروا أنه إذا استمر الحال

على ذلك ستكون السلطة كلها لهذا الشيخ، ولن يستطيع أحد بعد ذلك أن يكبح جماحه وجماح العمال.

ظنَّ الرؤساء هذا فى الشركة، وفكَّروا فى إقصاء هذا الشيخ قوى الشكيمة عن العمل، وأرسل إليه الرئيس المباشر، فلما توجه إليه قال له : المدير أخبرنى بأن الشركة قد استغنت عن خدماتك وأنها تفكر فى انتداب أحد العمال للقيام بعملكم فى المسجد، وهذا حسابكم إلى اليوم حسب أمر المدير.

فكان جواب الشيخ له بكل هدوء : ما كنت أظن يا «مسيو فرانسوا»، أننى موظف شركة جباسات البلاح، لو كنت أعلم هذا ما قبلت العمل معها، ولكنى أعلم أننى موظف من قِبَل الإخوان المسلمين بالإسماعيلية، وأتقاضى راتبى منهم محولاً عليكم، وأنا متعاقدَ معهم لا معكم على هذا الوضع، وأنا لا أقبل منك مرتبًا ولا حسابًا، ولا أترك عملى فى المسجد ولا بالقوة، إلا إذا أمرنى بذلك رئيس الجمعية التى انتدبتنى هنا، وهو أمامكم بالإسماعيلية، اتفقوا معه كما تريدون، واستأذن وانصرف.

حجة معقولة:

ويضيف الإمام البنا فى مذكراته : «وسقط فى يد إدارة الشركة وصبرت أيامًا، لعل الشيخ يطلب منها مرتبه، ولكنه كان قد اتصل بى فى الإسماعيلية فأوصيناه بالتمسك بموقفه وألا يدع مكانه بحال، وحجته معقولة ولا شيء لهم؛ عندها لجأت الشركة إلى الإدارة، واتصل مديرها «المسيو مانيو» بمحافظ (القنال) الذى اتصل بدوره بالمأمور بالإسماعيلية وأوصاه أن يقوم على رأس قوة لعلاج الموقف، وحضر المأمور ومعه قوته، وجلس فى مكتب المدير، وأرسل فى طلب الشيخ الذى اعتصم بالمسجد وأجاب الرسول: لا حاجة لى عند المأمور، ولا عند المدير وعملى بالمسجد، فإذا كان لأحدهما حاجة ليحضر لى، وعلى هذا فقد حضر المأمور إلى الشيخ، وأخذ يطلب إليه أن يستجيب لمطالب المدير، ويترك العمل ويعود إلى الإسماعيلية، فأجاب بمثل ما تقدم، قال له: تستطيع أن تأتينى من الإسماعيلية بكلمة واحدة فى خطاب فأنصرف، ولكنك إذا أردت استخدام القوة، فلك أن تفعل ما تشاء، ولكنى لن أخرج من هنا إلا جثة لا حراك بها، ووصل النبأ إلى العمال، فتركوا العمل فى لحظة واحدة، وأقبلوا متجمهرين صاخبين، وخشى المأمور العاقبة فترك الموقف وعاد إلى الإسماعيلية،

واتصل بى للتفاهم على الحل، ولكنى اعتذرت له، بأننى مضطر إلى التفكير فى الأمر، وعقد مجلس إدارة الجمعية للنظر ثم أجيبه بعد ذلك، وفى هذه الأثناء يؤسفنى أن أقول إننى حضرت إلى القاهرة لمقابلة العضو المصرى الوحيد فى مجلس إدارة الشركة، فوجدت منه كل إعراض عن مصالح العمال، وكل انحياز إلى آراء الشركة ومديرها، وكل تجرد من أى عاطفة فيها معنى الغيرة الوطنية.

قابلت بعد ذلك مدير الشركة، وسألته عما ينقمه من فضيلة الشيخ، فلم أجد عنده إلا أنهم يريدون شخصًا يستسلم لمطالبهم، وكان من كلامه كلمة لا أزال أذكرها: «إننى صديق للكثير من زعماء المسلمين، ولقد قضيت فى الجزائر عشرين سنة، ولكنى لم أجد منهم أحدًا كهذا الشيخ، الذى ينفذ علينا هنا أحكامًا عسكرية كأنه جنرال تمامًا».

فناقشته فى هذا الكلام وأفهمته أنه مخطئ، وأن الشركة هى التى تقسو على العمال وتنقص من حقوقهم، وتستصغر إنسانيتهم، وتبخل عليهم، وتقتر فى أجورهم، فى الوقت الذى يتضاعف ربحها، ويتكدس، وأن من الواجب علاج هذه الحال بعلاج نظم هذه الشركات، ووجوب قناعتها باليسير من الربح، واتفقنا أخيراً على أن يبقى الأستاذ الشيخ فرغلى شهرين حيث هو، وأن تقوم الشركة بتكريمه عند انتهاء هذه المدة، وأن تطلب رسميًا من الإخوان أن يحل محله واحد من المشايخ، وأن تضاعف للشيخ الجديد راتبه، وتعنى بسكنه ومطالبه، وفى نهاية المدة عاد فضيلة الشيخ فرغلى وتسلم مكانه فضيلة الأستاذ شافعى أحمد، واستمرت الدعوة تشق طريقها، فى هذه الصحراء باسم الله مجريها ومرساها».. انتهى.

الجهاد فى فلسطين:

لقد كان الشيخ محمد فرغلى من المبادرين إلى الجهاد فى فلسطين ١٩٤٨م، حيث دخلها على رأس قوة من مجاهدى الإخوان المسلمين، فقد أعلن الإمام حسن البنا أن تحرير فلسطين عن طريق المجاهدين المؤمنين، أقرب منه عن طريق الجيوش النظامية، التى يُحكم الاستعمار قبضته حول أعناقها، ورغم أن حكومة النقراشى أحكمت قبضتها على الحدود لمنع المجاهدين من التسلل إلى فلسطين، ورغم أن الاحتلال البريطانى لفلسطين، أغلق الحدود الفلسطينية فى وجه المجاهدين، لكن مجاهدى الإخوان المسلمين أمكنهم التسلل واختراق كل الحواجز والدخول إلى فلسطين، ليقفوا

إلى جانب إخوانهم المجاهدين الفلسطينيين، وكان الشيخ محمد فرغلى من أبرز قادة الإخوان المسلمين الذين شرعوا بتدريب إخوانهم الفلسطينيين وشاركوهم فى اقتحام مواقع اليهود، وأقضوا مضاجعهم وهاجموا مستعمراتهم.

بطولات..

ومن أعمال الشيخ فرغلى البطولية فى فلسطين، أنه خرج وثمانية من إخوانه المجاهدين وراء خطوط اليهود، وتسللوا إلى مستعمرة قرب الفجر، وصعد الشيخ فرغلى أعلى مكان فيها، وأذن الفجر، وظنَّ اليهود أن الإخوان المسلمين داهموهم بليل، فولوا الأدبار هاربين وفى مقدمتهم حراس المستعمرة، وفى الصباح سلَّم مجاهدو الإخوان المستعمرة إلى الجيش المصرى دون استخدام سلاح أو إراقة دماء، وهكذا كانت جرأة الشيخ فرغلى وشجاعته وإقدامه، وإلى هذا الحد كان خوف اليهود وهلعهم من الإخوان المسلمين.

وفى سنة ١٩٥١م ألغت الحكومة المصرية معاهدة ١٩٣٦م مع بريطانيا، فقابل الإنجليز الأمر باستخفاف، ونزل الشيخ فرغلى وإخوانه إلى المعركة بعزم وصدق وجلد على ضفاف قناة السويس، مما جعل الزعيم البريطانى «تشرشل» يطلق تصريحه المشهور فى لندن حيث قال: «إن عنصراً جديداً قد نزل إلى ساحة المعركة».

وقد دارت معارك طاحنة بين الفدائيين المصريين وقوات الاحتلال البريطانى، على أرض القناة وفى معسكرات التل الكبير، ووسط ثكنات الجيش البريطانى، وفى بور سعيد والإسماعيلية والسويس، حيث سالت الدماء وفاضت أرواح الشهداء، وتأكد للإنجليز أن بقاءهم لن يطول أمام هذا العنصر الجديد الذى دخل المعركة من مجاهدى الإخوان المسلمين، وكانت المواقف البطولية للشيخ المجاهد محمد فرغلى تزرع الرعب فى قلوب الإنجليز، مما دفعهم لإعلان جائزة كبرى ثمنًا لرأسه حيًا أو ميتًا.. ولكنهم لم يفلحوا.

لقد كان الداعية المحنك الشيخ المجاهد محمد فرغلى هو رئيس الإخوان المسلمين بمنطقة الإسماعيلية، وكان ساعده الأيمن الذى يشد من أزره هو المجاهد الجسور يوسف طلعت، وكان الاثنان مصدر الخوف والرعب لقوات الاحتلال البريطانى بالقناة.

عبد الناصر يحاول الوقيعة :

يقول الأستاذ كامل الشريف فى كتابه القيم «المقاومة السرية فى قناة السويس» :

« . . لقد عرفت الشيخ محمد فرغلى - أول ما عرفته - يوم كان يرافق الإمام الشهيد حسن البنا فى جولته على خطوط القتال فى فلسطين، ثم توثقت بيننا عرى الأخوة، حين عملنا سويًا، خلال الحملة الفلسطينية، فازددت به معرفة وإعجابًا، فقد كان من الصنف الذى يفرض عليك - رغم تواضعه الشديد وأدبه الجم - أن تحترمه وتقدره، وكان مفتاح شخصيته هو «الترفع» الترفع عن الصغائر، والترفع عن الخصومات، والترفع عن كل ما يشين، وكان شديد الحرص على سمعة الدعوة ونظمها، غيوراً إلى أبعد الحدود، على هيبتها وكرامتها، وأذكر أن الشيخ فرغلى وأنا، كنا نمثل الإخوان فى لقاء بمكتب البكباشى عبدالناصر، كان وقتها وزيراً للداخلية فى وزارة محمد نجيب، وقد ضم الاجتماع رجال الانقلاب: عبد الحكيم عامر، وصلاح سالم، وحسين كمال الدين، فأراد ضباط الانقلاب، أن يوقعوا بين الشيخ فرغلى، والمرشد العام الهضيبى بذكرهم جهاد الشيخ فرغلى على أرض فلسطين والقناة، وثنائهم عليه، والنيل من شخص المرشد العام، فما كان من الشيخ فرغلى إلا أن قطع عليهم الحديث وقال غاضبًا : «يجب أن تدركوا أن هذا الذى تتحدثون عنه هو زعيمنا وقائد جماعتنا، وإننى أعتبر حديثكم هذا إهانة للجماعة كلها ولشخصى بصفة خاصة، وإذا كان هذا أسلوبكم فإنكم لن تصلوا إلى شىء»، فكان هذا القول كافيًا لإقناعهم أنهم أمام رجل صلب العود، قوى الشكيمة، فانصرفوا بالحديث إلى جهة أخرى.

لم يكن الشيخ فرغلى من ذلك النوع من شيوخ الدين، الذين يتعلقون بالقشور ويبحثون عن المناصب والمراكز، ولكنه كان مجاهداً بحق، وحسبه أنه ترك وظيفته وأهله، وذهب إلى فلسطين مع رجال جماعته من المجاهدين، وحين نشبت معركة قناة السويس، ترك أهله مرة أخرى واندمج بكليته فى المعركة».

ويستطرد كامل الشريف : «وحين بدأ الإنجليز التحرش بأهالى منطقة القناة، والتعدى على الناس، عمت المظاهرات الشعبية المنطقة كلها، وانعقد مؤتمر كبير بالإسماعيلية برئاسة الشيخ محمد فرغلى حيث تقرر فيه التصدى للإنجليز بالقوة ومقاومتهم وضربهم فى أوكارهم ومعسكراتهم، وقد حمل الشيخ فرغلى هذا القرار

بوصفه رئيس المؤتمر إلى مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين بالقاهرة، وقد أعلن إضراب عام للعمال العاملين فى قناة السويس وأضرب التجار عن إمداد الجيش الإنجليزى بالمواد التموينية، واندفع الشعب يساند مجاهدى الإخوان المسلمين، لمناجزة الإنجليز ومحاربتهم، وقد قتل الإخوان الكثير من جنود الإنجليز، وجرحوهم ودمروا الكثير من المنشآت العسكرية، والجسور والدبابات والمصفحات، فخاف الجنود وأعلنت حالة الطوارئ عندهم ومُنعوا من الخروج من معسكراتهم بعد الغروب، وانكسرت هيبتهم أمام الناس، وصار الأطفال يرمونهم بالحجارة، وتحمس بعض ضباط الجيش المصرى واندفعوا مع الإخوان يدربون الشباب على أنواع الأسلحة وفنون القتال، وقد أتيح لى شخصيًا أن أحضر اجتماعات متعددة، كانت تعقد فى منزل الشيخ محمد فرغلى بالإسماعيلية - يحضرها بعض الضباط المصريين وبعض قادة الإخوان المسلمين- وكان الشيخ فرغلى ويوسف طلعت يحسب لهما الإنجليز وأعوانهم حسابًا شديداً، ويرصدون تحركاتهما من خلال الجواسيس والعملاء المأجورين، وقد نشرت مجلة «روزاليوسف» حديثًا مطولاً للشيخ فرغلى مع مندوبها وقد وصفته المجلة بأنه الشيخ الغامض الذى يحسب له الإنجليز ألف حساب، حيث قال فى حديثه للمجلة: «إن الإخوان المسلمين لا يستطيعون الكف عن محاربة الإنجليز حتى يتم جلاء القوات البريطانية، وإن أفضل طريقة أمام القيادة البريطانية لحماية جنودها هى سحبهم من قناة السويس» انتهى.

هذا هو الشيخ فرغلى، الذى عرفته منذ كنتُ طالبًا فى السنة الأولى بجامعة الأزهر إلى أن تخرجت فيها، وهذا هو البطل الفَذ، والمجاهد الشجاع، والداعية الحكيم، الذى دوخ اليهود والإنجليز، وتلك هى سيرته العطرة وتاريخه المجيد.

وها هو الطاغية عبد الناصر يتطوع بتقديم رأس الشيخ على حبل المشنقة إرضاءً لسادته اليهود والإنجليز والأمريكان والروس، هدية مجانية مع إخوانه الشهداء الخمسة الذين أعدموا جميعًا يوم ٧/ ١٢/ ١٩٥٤م، حيث وقف الشيخ المجاهد شامخ الرأس أمام حبل المشنقة، باسمًا فى إقدام، فرحًا فى إيمان، مرددًا قول من سبقوه من إخوانه وهم يمضون فى طريق الشهادة، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] وقال قولته الشهيرة: «إننى مستعد للموت فمرحبًا بلقاء الله»، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿مِنَ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ولقد أوردت مجلة «بارى ماتش» الفرنسية فى عددها الصادر يوم ٨/ ١٢/ ١٩٥٤م الخبر التالى: «فى الساعة السادسة من صباح يوم أمس ٧/ ١٢/ ١٩٥٤م رفع العلم الأسود على سجن القاهرة وسيق المحكوم عليهم بالإعدام يسيرون بأقدام عارية، ملابس الإعدام الحمراء، وبدأ تنفيذ الأحكام فى ستة من الإخوان المسلمين هم: «محمود عبد اللطيف، يوسف طلعت، هنداوى دوير، إبراهيم الطيب، محمد فرغلى، عبد القادر عودة»، الساعة الثامنة، وقد ذهب المحكوم عليهم إلى المشنقة بشجاعة منقطعة النظير، وهم يحمدون الله على حصولهم على شرف الشهادة، وقال الشيخ محمد فرغلى: «أنا على استعداد للموت.. مرحبًا بلقاء الله» انتهى.

ولقد عم العالم العربى والإسلامى موجة من السخط الشديد، والاستنكار الغاضب، وأعلن الحداد فى بلاد الشام وغيرها، على هؤلاء الشهداء، ونكتفى بإيراد مقتطفات من كلمة الأستاذ الكبير على الطنطاوى التى أذيعت من دمشق ونشرت فى عدد من الصحف العربية والإسلامية حيث قال: «لو كان الأمر لى، لما جعلته يوم حداد، بل يوم بشر وابتهاج، ولما صيرته مأتمًا بل عرسًا، عرس الشهداء الأبرار على الحور العين، ولما قعدت مع الإخوان أتقبل التعزيات بل التهنئات، وهل يرجو المسلم إلا أن يموت شهيدًا؟ وهل يسأل الله خيراً من حسن الخاتمة؟، إننى لأتمنى - والله شاهد على ما أقول - أن يجعل منيتى على يد فاجر ظالم فأمضى شهيدًا إلى الجنة، ويمضى قاتلى إلى النار، فتكون مكافأتى سعادتى به، ويكون عقابه شقاؤه بى.

هذا هو العقاب لا عقابك يا جمال، عقاب الناصر لأوليائه، القاهر فوق أعدائه، الذى ستقف أمامه وحدك ليس معك جيشك ولا دباباتك ولا سلاحك، ولا عتادك، تساق إليه وحيداً فريداً، ليسألك الله عن هذه الدماء الزكية فيم أرقتها؟ وعن هذه الأرواح الطاهرة فيم أزهقتها؟ وعن هاتيك النساء القانتات الصابرات فيم رملتهن؟ وعن أولئك الأطفال البرءاء، فيم يتَّمْتَهم؟ وعن هذه الجماعة الداعية إلى الله المجاهدة فى سبيله، فيم شمتتْ بها أعداء الله ورسوله؟

فإن كان عندك دفاع فأعده من الآن، لتدلى به أمام محكمة الجبار، التى لا تحكم بالموت شنقًا، بل بالحياة الدائمة فى النار، التى يصغر الشنق ألف مرة من عذاب لحظة منها، يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا حزب ولا أعوان ولا سيف ولا سلطان، يوم تتبدل الموازين وتتغير المقاييس ويكون الفضل للفاضل، والصدر للصالح، وتنزل ملوك وتعلو سوقة، يوم ينادى المنادى: لمن الملك اليوم؟ للطغاة! للبكباشية! لسادة بكنجهام والبيت الأبيض والكرملين! كلا، إنه لله الواحد القهار.

فهل تجد لك طريقًا لا يمر بك على المحشر؟ ولا يقف بك موقف الحساب؟ هل تعرف ملكًا تفر إليه؟

ولقد حكم مصر من قبلك فاروق ومن قبلة المماليك ومن قبلهما فرعون وهامان فأين اليوم فرعون والمماليك وفاروق؟

أين من طغى وبغى وقال أنا ربكم الأعلى؟

لقد ساروا جميعًا فى ركاب عزرائيل، تشيعهم دعوات المظلومين»انتهى.

رحم الله شهيدنا الشيخ محمد فرغلى ورحم الله كوكبة الشهداء الذين أعدموا معه والذين سبقوهم ولحقوا بهم ورحمنا الله معهم وجمعنا بهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، والحمد لله رب العالمين [1].

***

(١) من أعلام الحركة الإسلامية - عبد الله العقيل - ص ٤٨٧.

القاضى الشهيد عبد القادر عودة

قال الأستاذ العقيل:



بداية معرفتى بالقانونى الكبير والقاضى الفقيه الأستاذ عبد القادر عودة كانت سنة ١٩٤٩م عند وصولى إلى مصر للدراسة الجامعية بالأزهر، حيث التقيته مع إخوانى الطلبة فى اللقاءات الأسرية والكتائب، وبدور الإخوان والمركز العام للإخوان المسلمين، واستمعنا إلى محاضراته ودروسه، كما سعدت أكثر من مرة بزيارتى له فى مكتبه، حيث التقيت هناك أيضًا الأخ المجاهد المحامى إبراهيم الطيب، الذى كان يعمل فى مكتبه.

كما استمتعت بمرافعاته عن الإخوان المسلمين فى المحاكم المصرية، وكان قوى الحجة، بليغ العبارة، دقيق الملاحظة، وحين طُبع كتابه القيم: «التشريع الجنائى فى الإسلام مقارنًا بالقانون الوضعى»، أقبل الإخوان على دراسته، فقد كان كتاب الموسم بحق، حيث أحدث تحولاً كبيرًا لدى المثقفين بمصر، لأنه أظهر سمو الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية، وسبقها للنظم البشرية فى علاج مشكلات الناس وقضايا المجتمع وحقوق الأمة والدولة، ولم يقتصر ذلك على مصر وحدها، بل انتشر الكتاب فى أنحاء العالم العربى والإسلامى، وتلقاه العلماء والفقهاء، ورجال القانون وأساتذة الجامعات، والقضاة والمحامون وسائر الطبقات المثقفة بالقبول، حتى طُبع منه أكثر من ثلاث عشرة طبعة، وترجم إلى كثير من اللغات، كالإنجليزية والفرنسية والتركية والأوردية والإندونيسية وغيرها.

وحين تولى الأستاذ حسن الهضيبى، منصب المرشد العام للإخوان المسلمين، تمَّ اختيار الأستاذ عبد القادر عودة، ليكون الوكيل العام للإخوان، فاستقال من القضاء، وتفرغ للعمل الدعوى.

وظل يمارس نشاطه الدعوى، ومسؤولياته الإدارية، فى جماعة الإخوان المسلمين، حتى لقى ربه شهيدًا على حبل المشنقة فى ٧/ ١٢/ ١٩٥٤م بأمر الطاغية

جمال عبد الناصر، الذى كان يحقد على الأستاذ عبد القادر عودة، لمكانته وقوة شخصيته، وقد صدر حكم الإعدام عليه مع ثلة من الشهداء الأبرار: محمد فرغلى، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، ومحمود عبد اللطيف، وهنداوى دوير.

وتم التنفيذ بالشهداء الستة، واحداً إثر واحد، فى سجن مصر، خلال ثلاث ساعات، فكان يومًا، عَمَّ فيه السخط والغضب، أنحاء العالم العربى والإسلامى، ولم تنفع مع الطاغية وساطات وشفاعات ملوك وزعماء وقادة وعلماء العرب والمسلمين، بل باء بإثم قتلهم - ظلمًا وعدوانًا- وسيلقى عقابه عند الواحد الأحد، الفرد الصمد، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا ولد.

مكانة مرموقة:

إن الأستاذ الكبير عبد القادر عودة، علم من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، وداعية من دعاة الإسلام فى العصر الحديث، ومسؤول كبير فى الإخوان المسلمين، كانت له الكلمة المسموعة، والمكانة المرموقة، لدى الإخوان المسلمين بخاصة، ولدى جماهير الشعب المصرى بعامة، وكان له دوره الفاعل والمؤثر فى مجرى الأحداث بمصر، بعد استشهاد الإمام حسن البنا فى ١٢/ ٢/ ١٩٤٩م، حيث حمل العبء مع الأستاذ حسن الهضيبى المرشد الثانى للإخوان المسلمين.

والأستاذ عبد القادر عودة عالم متمكن، وقاض متمرس، وقانونى ضليع، صدرت له بالإضافة إلى كتابه القيم «التشريع الجنائى فى الإسلام» كُتب أخرى، نذكر منها: «الإسلام وأوضاعنا القانونية»، «الإسلام وأوضاعنا السياسية»، «الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه»، و«المال والحكم فى الإسلام»، وغيرها من الكتب والبحوث والدراسات والمقالات، التى تكررت طباعتها مرات ومرات وترجمت إلى كثير من اللغات، بل إن العديد من طلبة الدراسات الإسلامية، فى العالم العربى والإسلامى، قدَّموا أطروحاتهم للماجستير والدكتوراة، عن مؤلفات القاضى الشهيد عبد القادر عودة باعتباره الرائد فى هذا الميدان.

يقول الأستاذ عودة فى كتابه «التشريع الجنائى فى الإسلام مقارنًا بالقانون الوضعى» ما نصه: «. . . حين أقارن بين القانون فى عصرنا الحاضر وبين الشريعة، إنما أقارن بين قانون متغير متطور يسير حثيثًا نحو الكمال حتى يكاد يبلغه كما يُقال، وبين

الشريعة التى نزلت منذ ثلاثة عشر قرنًا، ولم تتغير ولم تتبدل فيما مضى، ولن تتغير أو تتبدل فى المستقبل، شريعة تأبى طبيعتها التغيير والتبديل، لأنها من عند الله، ولا تبديل لكلمات الله، ولأنها من صنع الله الذى أتقن كل شىء خلقه، فليس ما يخلقه فى حاجة إلى إتقان من بعد خلقه.

فنحن إذن حين نقارن، إنما نقارن بين أحدث الآراء والنظريات فى القانون وبين أقدمها فى الشريعة، أو نحن نقارن بين الحديث القابل للتغيير والتبديل، وبين القديم المستعصى على التغيير والتبديل، وسنرى ونلمس من هذه المقارنة، أن القديم الثابت، خير من الحديث المتغير، وأن الشريعة على قدَمها، أجلُّ من أن تقارن بالقوانين الوضعية الحديثة، وأن القوانين الوضعية بالرغم مما انطوت عليه من الآراء، وما استحدث لها من المبادئ والنظريات لا تزال فى مستوى أدنى من مستوى الشريعة.

شعور بالواجب:

لقد شعرت بأن علىَّ واجبًا، عاجل الأداء، نحو الشريعة، ونحو زملائى، من رجال القانون، ونحو كل من درسوا دراسة مدنية، وهذا الواجب هو أن أعرض على الناس أحكام الشريعة فى المسائل الجنائية، فى لغة يفهمونها، وبطريقة يألفونها، وأن أصحح لرجال القانون معلوماتهم عن الشريعة، وأن أنشر على الناس الحقائق التى حجبها الجهل عنا زمنًا طويلاً.

إن القانون من صنع البشر، أما الشريعة فمن عند الله، وكلا الشريعة والقانون، يتمثل فيه بجلاء صفات صانعه، فالقانون من صنع البشر، ويتمثل فيه نقص البشر وعجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم، ومن ثم كان القانون عرضة للتغيير والتبديل أو ما نسميه التطور، كلما تطورت الجماعة إلى درجة لم تكن متوقعة، أو وجدت حالات لم تكن منتظرة فالقانون ناقص دائمًا، ولا يمكن أن يبلغ حدَّ الكمال ما دام صانعه لا يمكن أن يوصف بالكمال ولا يستطيع أن يحيط بما سيكون وإن استطاع الإلمام بما كان.

أما الشريعة فصانعها هو الله، وتتمثل فيها قدرة الخالق، وكماله وعظمته وإحاطته بما كان وبما هو كائن، ومن ثم صاغها العليم الخبير، بحيث تحيط بكل شىء فى الحال والاستقبال حيث أحاط علمه بكل شىء، وأمر جل شأنه ألا تغيير ولا تبديل حيث قال:

﴿ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ لأنها ليست فى حاجة للتغيير والتبديل، مهما تغيرت الأوطان والأزمان، وتطور الإنسان». انتهى.

ويحدثنا الأستاذ محمود عبد الحليم عن الأستاذ عبد القادر عودة وصلته الوثيقة به وقربه من الإمام الشهيد حسن البنا والإمام حسن الهضيبى فيقول فى كتابه القيم (الإخوان المسلمون . . أحداث صنعت التاريخ): «فى البداية كان الأستاذ عودة على رأس طائفة من الإخوان تُحسن الظن فى جمال عبد الناصر أول الأمر، وتحمل تصرفاته محملاً حسنًا، باعتباره من ضباط الإخوان المسلمين ويجب تأييده.

ولا شك فى أن الأستاذ عبد القادر عودة يحتل فى قلوب الإخوان سويداءها، حبًا واحترامًا وتقديرًا، ولعلى أكون أكثرهم حبًا واحترامًا وتقديرًا، فقد كان لى الأخ الحبيب والصديق الصدوق، وهو أقرب الإخوان إلى قلبى، وأحظاهم بإعجابى وحبى.

ولقد كان الأستاذ عبد القادر من أحب الإخوان إلى الأستاذ الإمام الشهيد حسن البنا، وكثيرًا ما كان يذكره لنا بالفخر والاعتزاز، وظل الأستاذ عودة يشغل منصبه فى القضاء، فلما تولى الأستاذ حسن الهضيبى منصب المرشد العام للإخوان المسلمين، كان الأستاذ عبد القادر عودة أقرب الإخوان إلى قلبه، ولعله هو الذى أوحى إليه، أن يترك منصبه فى القضاء ليكون بجانبه وكيلاً للإخوان المسلمين». انتهى.

وعن جهوده فى حرب الإنجليز فى قناة السويس وتبنى قيادة الإخوان المسلمين للعمل الجهادى ضدهم، كتب الأستاذ كامل الشريف فى كتابه القيم «المقاومة السرية فى قناة السويس» يقول: «وفى منتصف شهر أكتوبر ١٩٥١م وردت إلىَّ فى بلدى البعيدة برقية مقتضبة بتوقيع الأستاذ عبد القادر عودة، الوكيل العام للإخوان المسلمين، تدعونى لمقابلته فى القاهرة لأمر هام، فركبت القطار متوجهًا إلى القاهرة، وفى منزل عبد القادر عودة، جرى الحديث عن الوضع الراهن، ومتطلباته، وأبلغنى أن الإخوان المسلمين قرروا تبنى المعركة فى قناة السويس، وكلفنى بدراسة الوضع فى منطقة القناة وإعداد تقرير شامل.

ثم بعد أيام جاءتنى مخابرة تليفونية، تدعونى لحضور اجتماع مهم فى الزقازيق، يحضره الأستاذ عبد القادر عودة، والأستاذ محمود عبده، وبعض قادة النظام الخاص،

وفور وصولنا اجتمعنا بالأستاذ عبد القادر عودة الذى أخبرنا أن الأستاذ محمود عبده قد عين قائداً للمعركة وأن علينا أن نتلقى تعليماتنا منه» انتهى.

وحين احتدم الخلاف بين الإخوان المسلمين وضباط الانقلاب وفَجَرَ عبد الناصر فى خصومته وأكاذيبه، وتنكر لكل عهوده ومواثيقه، وخان الأمانة وغدر بالإخوان المسلمين، أصدر الأستاذ عبد القادر عودة باعتباره الوكيل العام للإخوان المسلمين، البيان التاريخى رداً على مزاعم عبد الناصر وأكاذيبه واتهاماته وأباطيله وكان بعنوان «هذا بيان للناس» نورد مقتطفات منه:

«إن الدعوة تمر اليوم بأحداث جسام لها أثرها فى مستقبل الدعوة، وفى مستقبل الأجيال القادمة، ومن حقكم أن تُبَصَّرُوا بكل ما يواجه الدعوة من أحداث، وما يحيط بكم وبالدعوة من ظروف لتكونوا على بينة من أمركم ولتكون تصرفاتنا جميعًا على هدى الحق والواقع.

وإذا كان من حقكم على قيادتكم أن تبصركم وتوجهكم، فإن من حق الدعوة عليكم أن تأخذوا أنفسكم بآدابها، وأن تقيدوا أنفسكم بحدودها وأن تخضعوا تفكيركم لسلطانها، فلا تفكروا إلا من خلال الإسلام، ولا تقولوا إلا ما يحبه لكم الإسلام ولا تعملوا إلا فى حدود الإسلام، فإن فعلتم ذلك، ربطتم أنفسكم بكتاب ربكم، وسنة نبيكم، واستكملتم إيمانكم، وما يستكمل المؤمن إيمانه، حتى يقول لله ويعمل لله، فى رضاه وغضبه وحبه وبغضه وفى جميع حالاته **«من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»**.

أيها الإخوان الكرام: لسنا بغاة! فإن الإسلام يحرم علينا البغى، ولسنا دعاة فتنة، فإنها أشد من القتل، وما ينبغى للمؤمن أن يكون فتانًا ولا لعانًا، ولكنا نسير على آثار محمد عليه الصلاة والسلام، ندعو إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة، وندرأ بالحسنة السيئة، وندفع بالتى هى أحسن، فى أدب المؤمن وصبره، ويقينه بنصر ربه، لقد حلت جماعة الإخوان المسلمين مرة ثانية، واعتقل الكثيرون من أعضائها، ونسبت إليهم التهم، وخاضت فيهم الصحف، وإنه لابتلاء جديد، وامتحان يبشر برضاء الله عن هذه الجماعة، فإن سنة الله فى الجماعات، أن يمحصها، وأن يميز خبيثها من طيبها

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩) ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وغداً تخرج الجماعة على الناس، وهى أشد مضاء، وأقوى عزيمة، وأصلب عوداً، لأن هذا الابتلاء المتكرر، دليل على قوة إيمان الجماعة وقربها من الله، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى البلاء».

الصبر على البلاء:

فعلى الإخوان أن يقابلوا البلاء بالصبر، فإن الصبر - كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم - نصف الإيمان، وليتأسوا بمن قبلهم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى إذا استيأسوا، جاءهم نصر الله، ولقد شكا بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ قال: «إن من كان قبلكم، كان أحدهم يوضع المنشار على مفرقه فيخلص إلى قدميه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد، ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون» ولا تقنطوا أيها الإخوة من رحمة ربكم، وأحسنوا الظن بالله، فإن رحمته أقرب مما تظنون، وأسرع مما تنتظرون، واذكروا ما روى (عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه فينظر إليهم قانطين (يائسين) فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب) والتوجيه الأخير للإخوان، أن يحسنوا صلتهم بالله وبإخوانهم، وأن يترابطوا على أمر الله، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يصبروا ويصابروا، وأن يعلموا أن جماعة الإخوان المسلمين لا تحل على الورق، ولا بغلق الدور، وإنما تحل بانحلال ترابطهم، وفراغ قلوبهم من حب إخوانهم، وحب الدعوة، ولن يكون حل ما دامت تنبض بحب الدعوة قلوبهم، وتخفق مع ذكر الله مشاعرهم، وما داموا قد وهبوا أنفسهم لها، يحيون فيها، ويعيشون بها ولها، ويضحون فى سبيلها.

ولن يضر الدعوة شيء أن تغلق دورها وتعطل منابرها، ما دام كل منكم قد جعل للدعوة من قلبه داراً، ومن نفسه حصنًا، ومن كان قادراً على القول فكل مكان له منبر.

وستظل الدعوة بإذن الله، حية قوية، لها اعتبارها ولها كرامتها، ما دمتم متماسكين، مترابطين متحابين، صابرين، مصابرين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

(أخوكم عبد القادر عودة الوكيل العام للإخوان المسلمين) انتهى.

بهذه الثقة بالله والاعتماد عليه وبمثل هذا التوجيه الكريم والأسلوب العف النبيل، خاطب الأستاذ عبد القادر عودة الإخوان المسلمين وذكرهم بما يجب عليهم، نحو هذا البلاء، المسلط عليهم من الفراعنة الطغاة، تنفيذاً لأوامر الأسياد من اليهود والصليبيين والشيوعيين والمستعمرين.

يقول الأستاذ عباس السيسى فى كتابه القيم (فى قافلة الإخوان المسلمين):

«وجدير بالذكر أن السبب الحقيقى فى محاكمة الأستاذ عبد القادر عودة، هو الانتقام والخلاص منه، بسبب الموقف الرهيب الذى وقفه إلى جوار الرئيس محمد نجيب فى شرفة قصر عابدين، حين طلب منه الرئيس محمد نجيب الصعود إلى الشرفة، لتهدئة الجماهير الغفيرة المحتشدة فى الميدان الفسيح، ومطالبتها بالانصراف، فما كان من الأستاذ عودة إلا أن طالبهم بالانصراف حتى انصرفوا جميعًا فى الحال، بكل طاعة وهدوء ونظام، وقد أغاظ هذا الموقف عبد الناصر فَأَسَرَّها فى نفسه، وأدرك خطورة عبد القادر عودة الذى تأتمر الجماهير بأمره» انتهى.

المرشد الثالث:

أما المرشد الثالث لجماعة الإخوان المسلمين الأستاذ عمر التلمسانى فيقول عن القاضى الشهيد عبد القادر عودة: «إن عبد القادر عودة من الأعلام الذين لا تنطوى ذكراهم، ولا تخفى معالم حياتهم، ولا تدع للنسيان سبيلاً يزحف منه على جلائل أعمالهم ومواقفهم من أجل الحق وفى سبيل الخير، رجال انفردوا بسجايا وخصال وعاشوا على مستوى المثل والقيم، وشقوا فى الحياة طريقًا على مبادئ وأصول لقوا الموت فى سبيلها وتحملوا صنوف العذاب من أجلها.

لقد وقف عبد القادر عودة على حبل المشنقة فازداد على الحق إصرارًا، ورأى الموت بعينيه فأسرع للقياه، ولم تكن جريمته إلا أنه قال كما قال من سبقوه على الطريق (ربى الله) ولم تكن فعلته إلا أنه أنكر على الظالم ظلمه للناس، وأبت عليه نفسه أن يسكت على صنوف الذل والهوان للأمة، فمضى شهيدًا، بعد أن سطر على صفحات التاريخ سطورًا لا تنمحى، وحفر فى القلوب والأذهان ذكرى على مر الأيام تنمو وتزدهر.

ولى عبد القادر عودة أعمال القضاء، فكان المنارة الزاهية بين القضاة، لأنه أبى إلا أن يطبق قانون السماء ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ورفض أن يقيد نفسه بقوانين الأرض، التى عجزت أن توفر لبنى البشر، أمنًا يفتقدونه وهدوءًا يبحثون عنه، وحبًا يتوقون إليه.

كان جريئًا فى الحق ولو خالفته الدنيا بأسرها، لأنه كان يحرص على مرضاة ربه قبل أن يفكر فى إرضاء الناس.

وقف إلى جوار حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، ظنًا منه أن عبد الناصر سيحقق الخير الذى أعلنه على الناس، وقد أغضب فى ذلك الكثير من إخوانه ومحبيه، ولما تكشفت أمامه النوايا وبدأت تظهر الحقائق، سلك الطريق الذى ألزم به نفسه فى حياته ـ طريق الحق والصدق ـ قال له عبد الناصر «إننى سأقضى على كل من يعترض طريقى» فأجابه الشهيد عبد القادر عودة فى صراحة المؤمنين «ولكن من يبقون منهم، سيقضون بدورهم على الطغاة والظالمين».

فى يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٤م خرجت جموع الأمة، تطالب الحكام بالإقلاع عن الظلم، وتنحية الظالمين، وزحفت الآلاف إلى ميدان عابدين، تطالب الرئيس محمد نجيب بالإفراج عن المعتقلين، وتنحية الباطش، ومعاقبة الذين قتلوا المتظاهرين عند كوبرى قصر النيل، وتطبيق شرع رب العالمين.

وأدرك القائمون على الأمر يومئذ، خطورة الموقف، وطلبوا من المتظاهرين الثائرين أن ينصرفوا، ولكن بلا مجيب، فاستعان محمد نجيب بالشهيد عبد القادر عودة لتهدئة الموقف، متعهدًا بإجابة الأمة إلى مطالبها.

ومن شرفة قصر عابدين وقف الشهيد عودة، يطلب من الجماهير الثائرة أن تنصرف فى هدوء لأن الرئيس نجيب وعد بإجابة مطالبها، فإذا بهذا البحر الزاخر من البشر ينصرف فى دقائق معدودة. وبمنطق الحكم الدكتاتورى الذى كان يهيمن على البلد حينذاك، كان لابد أن يصدر قرار فى عبد القادر عودة، فإذا كان الشهيد قد استطاع أن يصرف الجموع الحاشدة التى جاءت محتجة، تطالب بإطلاق الحريات وإفساح المجال للحياة الدستورية، السليمة الأصيلة، والوفاء بالوعود وتأدية الأمانات، فهو يمثل خطورة على هذا الحكم الذى كان مفهومه لدى الحاكم، أن يضغط على الأجراس فيُلَبَّى نداؤه وعلى الأزرار فتتحرك الأمة قيامًا وقعودًا.

ومن هنا كانت مظاهرة عابدين هى أول وأخطر حيثيات الحكم على الشهيد عبد القادر عودة بعد ذلك بالإعدام، لذلك لم يكن غريبًا أن اعتُقل هو والكثيرون من أصحابه فى مساء اليوم نفسه ووقفوا على أرجلهم فى السجن الحربى من الرابعة صباحًا حتى السابعة صباحًا، يضربهم ضباط السجن وعساكره فى وحشية وقسوة.

وقدم عبد القادر عودة فى تهمة لا صلة له بها ولا علم، وحكموا على الشهيد بالإعدام، ظنًا منهم أن قتل عبد القادر عودة سيمضى كحدث هين لا يهتم به أحد، ولكن حاكم ذلك العهد عبد الناصر، لما رفعت له التقارير من جواسيسه عن أثر ذلك الإعدام فى نفوس الناس، قال فى حديث نشرته الصحف فى وقته: «عجبت لأمر هذا الشعب، لا يرضى بالجريمة، ولكن إذا عوقب المجرم، ثار عطفه على المجرمين» ولكن ثورة العواطف عند الشعب لم تكن من أجل المجرمين فما كان فى الموقف واحد منهم ولكن الشعب ثار عاطفيًا كراهية منه للظلم ووفاء منه للأبرياء» انتهى.

لقد وقف أستاذنا عبد القادر عودة أمام المحكمة الهزلية متحديًا وقال: أنا متهم بتهم -لو صحت- لكنت أنا الجانى، وأنتم المجنى عليكم، ولم أعرف حقًا للمجنى عليه فى محاكمة الذى جنى عليه، إننى لا أجد فى الدنيا قانونًا يبيح مثل هذه المحاكمة، فكيف يعقل أن يكون القاضى هو الخصم وهو الحكم؟!

عند حبل المشنقة:

وحين ذهبوا به مع إخوانه الشهداء لتنفيذ حكم الإعدام فيهم، تقدم القاضى الشهيد عبد القادر عودة إلى حبل المشنقة بكل جرأة مقبلاً على الله ربه فى تسليم

لقضائه، وكانت آخر كلمة قالها قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام وتصعد روحه إلى بارئها: «إن دمي سيكون لعنة على رجال الثورة».

وقد استجاب الله دعاءه فكان دمه لعنة عليهم، فلم يفلت أحد من الظالمين من انتقام الله فى الدنيا، حيث توالت عليهم النكبات؛ فهذا جمال سالم رئيس المحكمة يصاب بمرض عصبى، وأخوه صلاح سالم تتوقف كليتاه ويحتبس بوله ويموت بالتسمم، وشمس بدران يحكم عليه بالمؤبد، والمشير عبد الحكيم عامر يموت منتحرًا أو مسمومًا، وحمزة البسيونى تصدمه شاحنة فيتناثر لحمه فى العراء، والعسكرى غنيم يعثر عليه قتيلا بين الحقول، والصول ياسين هاجمه جمل له وقضم رقبته فقتله، وكثيرون غيرهم من الظلمة وأعوان الظلمة الذين اضطهدوا الإخوان المسلمين، أرانا الله فيهم عجائب قدرته، أما كبيرهم ورأس الشر فيهم عبد الناصر فقد كانت حياته كلها رعبًا وفزعًا فى اليقظة والمنام، بل طفحت المجارى على قبره فكان عبرة لمن يعتبر، والله غالب على أمره.

لقد شاهدنا بأعيننا آيات الله فى الظالمين الذين جنوا على الإخوان المسلمين، فقد ضرب فاروق الإخوان عام ١٩٤٨م فكان خلعه وطرده عام ١٩٥٢م، وضرب عبد الناصر الإخوان عام ١٩٥٤م فكان الاعتداء الثلاثى على مصر واحتلال إسرائيل لسيناء وبورسعيد، ثم ضربهم مرة ثانية عام ١٩٦٥م، فكانت هزيمته ونكبته عام ١٩٦٧م وهلاك عبد الحكيم عامر ثم هلاكه من بعده، فسبحان من يمهل ولا يهمل.

رحم الله العالم العامل والقاضى الفقيه المجاهد الشهيد الأستاذ عبد القادر عودة وألحقنا الله وإياه بالأنبياء والصالحين والصديقين والشهداء[١].

***

(١) من أعلام الحركة الإسلامية - عبد الله العقيل - ص ٥١٩.

الإخوان وثوار يوليو

رفض الإخوان ظلم السلطة الملكية والاحتلال الإنجليزى وكانوا حركة دائبة للإصلاح على مبادئ الإسلام الحنيف، فاحتضنوا ثوار يوليو وقدموا لهم العون رجاء صلاح الأمة. . لكن الرياح جرت بما لا تشتهى السفن، فكان الغدر والخيانة من عبد الناصر ورجاله.



محمد نجيب رئيس الجمهورية يبكى فى ذكرى استشهاد حسن البنا
وبجانبه الإمام الهضيبى وعبد الرحمن البنا متحدثاً فى الذكرى



عبدالناصر .. يسامر ويضحك ثم يقتل الشيخ محمد فرغلي ، ويسجن الأستاذ محمد حامد أبوالنصر مؤبداً



رجال الثورة .. ود .. ثم غدر..



صلاح سالم وعبد الحكيم عامر.. بالمسبحة.. وعبد العزيز عطية وعمر التلمسانى



الشيخ فرغلى .. الشهيد العالم لم يحن جبينه إلا لله سبحانه وتعالى



صلاح سالم وعبد الحكيم عامر من رجال الثورة بين عبد الرحمن البنا وعبد العزيز عطية من قادة الإخوان.



عهد وبيعة لله سبحانه وتعالى .. ثم غدر وانتقام

المستشار حسن الهضيبي يؤم عددا من قادة الإخوان مع قيادات الثورة لحظات الوفاق



رجال الثورة: جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وجمال سالم وزكريا محيى الدين فى الصف الخلفى والأستاذ عمر التلمسانى وحسين الشافعى والشيخ عبد المعز وكمال الدين حسين والشهيد عبد القادر عودة فى الصف الأمامى



الشيخ الشهيد محمد فرغلى
فى طريقه إلى المشنقة



محكمة الدجوى
عام ١٩٦٥م



الأستاذ المرشد
حسن الهضيبي فى
طريقه إلى المعتقل

أمام هيئة المحكمة (جمال سالم وأنور السادات وحسين الشافعى) محكمة الثورة ١٩٥٤م
ويرى جالساً الشهيد فرغلى وعلى رأسه العمامة



الشهيد/ يوسف طلعت

(١٣٣٢ - ١٣٧٤هـ، ١٩١٤-١٩٥٤م)



هو الأخ الكريم، والمجاهد الصادق، والجندى الملتزم، والبطل الجسور، يوسف عز الدين محمد طلعت، من مواليد مدينة الإسماعيلية بمصر، فى شهر أغسطس١٩١٤م، وكانت بداية معرفتى به فى القاهرة مع بعض إخوانى الطلبة الذين حدثونى عن جهاده فى فلسطين، وبطولاته التى أرعبت اليهود، وأقضت مضاجعهم، وجعلتهم كالفئران المذعورة أمام مجاهدى الإخوان المسلمين، وبخاصة أمثال يوسف طلعت، الذى تميز بالجرأة والحنكة والدهاء وهدوء الأعصاب والصبر وطول النفس فى مصاولة الأعداء.

لقد تعرف على الإمام الشهيد حسن البنا عام ١٩٣٦م، ومنذ ذلك الوقت ارتبطت حياته برسالة الإسلام الحق، التى يحمل لواءها الإخوان المسلمون، وكان الاهتمام فى ذلك الوقت لدى الإخوان بقضية فلسطين، وجهاد الشعب الفلسطينى، وضرورة مؤازرته، والوقوف إلى جانبه بالدعم المالى وتزويده بالسلاح، وتدريب أفراده، والتعريف بقضيته لجماهير الشعب المصرى من خلال الخطب والمحاضرات، والكتب والنشرات والمظاهرات، حتى إن جريدة الأهرام المصرية نشرت يوم ٣١/ ٧/ ١٩٣٨م تقول: «ألف جماعة من الإخوان المسلمين فى مدينة الإسماعيلية مظاهرة بدأوها من الجامع العباسى إلى دار الإخوان إظهاراً لشعورهم وعطفهم نحو فلسطين، وقد اعتقل البوليس عدداً من المتظاهرين، وبعد أن انتهت نيابة الإسماعيلية من التحقيق معهم، قررت القبض على حسن البنا ويوسف محمد طلعت وآخرين، وحبسهم أربعة أيام على ذمة التحقيق».

درس يوسف طلعت، وحصل على كفاءة التعليم الأولى، ثم عمل نجاراً، ثم عمل فى تجارة المحاصيل الزراعية، حتى تفرغ للدعوة، حيث كان له نشاطٌ كبير، مع رفيق الكفاح والجهاد الشيخ محمد فرغلى، فما كانت تحدث حادثة فى أسوان أو الإسكندرية أو القاهرة إلا ويعتقل يوسف طلعت ومحمد فرغلى.

جاب المحافظات كلها، وأنشأ الكثير من الشُّعب، ووثق الروابط بين الناس، فكان فى حركة دائمة ونشاط مستمر لا يتوقف، مما أثار رجال المخابرات البريطانية الذين كانوا يحكمون البلاد بالفعل، وقد تتبعه رجال المخابرات ورصدوا تحركاته، ولكنه مع ذلك كان يخدعهم، ويُفلت من أيديهم، فقد تصادف مرة أنه كان يحمل كمية من البنادق للمجاهدين فى فلسطين، اشتراها من تجار الأسلحة ووضعها فى كيسين «جوالين» وسط التبن وحملهما على بعير، وتنكَّر فى ثياب ريفية وسار فى طريقه، فإذا بمجموعة من الشرطة العسكرية الإنجليزية تحيط به من كل جانب، فسألوه عن وجهته فأجابهم بأنه يقيم بالمنطقة ومعه تبن لماشيته، وصار يُربت على رقبة البعير، وهو رابط الجأش غير مكترث، فانصرف عنه رجال العدو، وعندها غير يوسف طلعت وجهته ووصل بحمولته للمكان المطلوب.

مبدع موهوب:

وهو مبدع مبتكر، واسع الحيلة، يُحسن التصرف فى الأزمات، ويسرع فى علاج المشكلات، فقد حدث عام ١٩٤٨م فى فلسطين نقصان فى سلاح المجاهدين وذخيرتهم، فما كان منه ومن بعض إخوانه إلا التفكير فى تصنيع السلاح والذخيرة، بالاستفادة من الأسلحة التى كانوا يغنمونها من العدو، وقد كان.

إن جهاد الأستاذ يوسف طلعت فى فلسطين وبلاءه، كان مضرب المثل وحديث العدو والصديق، وهو من أوائل من سارع مع فريق من إخوانه فى الإسماعيلية للجهاد فى فلسطين عام ١٩٤٨م، حيث خرجوا إلى المعسكرات اليهودية، حتى إن اليهود كانوا يفضلون الانسحاب على أى معركة يكون الإخوان المسلمون طرفًا فيها.

وقد قاد يوسف طلعت معركة «دير البلح» التى استشهد فيها اثنا عشر من مجاهدى الإخوان المسلمين، وحين عقدت الهدنة لتسليم الجثث وحضرها قائد إنجليزى تفقد الجثث، وقف مذهولاً لأنه لاحظ أن جميع الإخوان مصابون فى صدورهم، ودار نقاش علم منه القائد الإنجليزى أن من صفات المؤمنين أن يُقبلوا فى المعارك ولا يولوا الأدبار، فقال القائد الإنجليزى: «لو أن عندى ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم الدنيا».

يقول الأستاذ كامل الشريف فى كتابه القيم «المقاومة السرية فى قناة السويس» : «إن من أقوى تشكيلاتنا السرية لمقاومة الإنجليز كانت فى منطقة الإسماعيلية التى يرأسها داعية محنك، عظيم الخبرة هو الشيخ محمد فرغلى، كما يساعده مغامر جسور هو يوسف طلعت، وعدد من الشباب المسلم الواعى، وقد سألنى يوسف طلعت ظهر يوم ونحن على مائدة الغداء فى منزل الشيخ محمد فرغلى : هل ترغب فى زيارة أحد الجنرالات الإنجليز فى منزله، وتناول الشاى على مائدته العامرة ؟

فضحكت لهذه الدُعابة، ولكنه أكد لى أنه لا يمزح ولا يقول إلا حِقًا، الأمر الذى أدهشنى غاية الدهشة، ولكنه فسر لى الموضوع قائلاً : إن لديه أخًا مخلصًا يعمل فى المعسكرات البريطانية ولا يعرفه أحد حتى الإخوان أنفسهم، وأنه وصل إلى مكانة عظيمة فى نفس الجنرال الإنجليزى، مما يساعده على التجول فى المعْسكرات بحرية تامة، وأنه يحمل معه شهادة تمكّنه من دخول منزل الجنرال وكبار الضباط فى أى وقت يشاء.

وقال يوسف طلعت ـ غامزاً بعينيه اللتين تفيض منهما الشجاعة والدهاء - : ألا ترى أن جولتك تبدو ناقصة مبتورة إذا أنت لم تَقُم بنزهة طويلة مع صاحبنا؟

والحق أننى أبديت تخوفى من هذه المغامرة، ولكن العرض كان مغريًا إلى درجة يَصعب معهما مقاومته، فقمت من فورى وقلت فى حزم : غدًا، فقال يوسف طلعت : غدًا صباحًا إن شاء الله تعالى.

إن يوسف طلعت جندى بالفطرة، ومحارب بالسليقة، وعصامى بمعنى الكلمة، كان ذا عقلية مبتكرة خلاقة لا تعجز عن إيجاد حل لأى قضية، أذكر حين كنا فى فلسطين أننا غنمنا بعض قنابل (المورتر) من العدو، ولم نكن نملك المدفع اللازم لها فى ذلك الوقت المبكر من الحرب، فوقفنا عاجزين، ولكن يوسف طلعت طلب منا أن نمهله، فتركناه ونحن لا ندرى ماذا ينوى، وبعد أيام قدم لنا إسطوانة فولاذية مثبتة على حامل أرضى، ولم تكن لامعة دقيقة الصنع كالمدفع الأصلى، ولكننا استخدمناها فى ضرب مراكز اليهود القريبة بقنابل المورتر وأحدثت أثرها الفعال.

ومرة وقفنا عاجزين أمام مشكلة مستعصية هى : كيف نستطيع أن نُلقى المفرقعات على استحكامات اليهود من مكان بعيد؟ فكان يوسف طلعت هو أول من فكر فى صنع

«راجمة ألغام» مبتكرة ساعدتنا كثيراً على قذف ألغامنا دون أن نتعرض للإصابات، أما أبرز صفات يوسف طلعت فكانت بلا شك هى «الدعابة» فهو مرح خفيف الظل مهذب، لا تسمع منه كلمة نابية، ولا تفارقه روح المرح فى أحرج المواقف وأشدها خطورة.

كان يومًا على رأس دورية قتال فى فلسطين مهمتها القيام بأعمال القنص ضد الحرس اليهودى فى إحدى المستعمرات القريبة، وقد أخذ يتسلل بجماعته فى الصباح الباكر من حفرة إلى حفرة إلى شجرة، حتى أصبحوا فى مكان قريب جداً من مبانى المستعمرة، بحيث كانوا يرون من فى داخل البيوت من اليهود.

وحينما نظر الإخوان إلى برج الحراسة وجدوا جنديًا يهوديًا وفتاة من المجندات فى موقف عاطفى، وجاءت النكتة المرحة على لسان يوسف طلعت، ولم يستطع كتمانها فى هذا الموقف الخطر، فهمس فى أذن إخوانه: أتدرون لماذا يقف اليهودى واليهودية فى هذا الموقف؟ فسكت الإخوان، واستمر وهو يقول: إنهم يعرفون جيداً أننا من الإخوان المسلمين وأننا موجودون هنا لنتجسس عليهم ونرصد مواقعهم، فأرادوا أن يمنعونا من النظر إلى مستعمراتهم، لأن اليهود يعلمون أن الله أمرنا أن نُشيح بأبصارنا عند رؤية المنكر كما جاء فى قوله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] ثم قال يوسف طلعت: نحن الآن أكثر من أربعة شهود، ونستطيع أن نقيم الحد عليهم، ثم أمر قناصته بإطلاق النار على رأس البرج، فوقع الفتى والفتاة على الأرض، وحينما كان الرصاص ينهمر على رأس يوسف طلعت وإخوانه كان لا يزال مستغرقًا فى ضحكة عالية قبل أن يلوذ مع إخوانه ببطن الوادى..» انتهى.

أمام المحكمة:

إن هذه الروح المرحة لم تفارق الأستاذ يوسف طلعت حتى يوم كان ماثلاً أمام المحاكمة الهزلية، التى عقدتها الحكومة العسكرية له لتحكم عليه بالإعدام، فحين قال له جمال سالم ـ رئيس المحكمة: هل تعرف تقرأ الفاتحة بالمقلوب؟ قال يوسف طلعت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأشار بيده إلى جمال سالم رئيس المحكمة عند قوله «الشيطان الرجيم»، ثم قرأ الفاتحة على الوجه الصحيح، فكُبت الرئيس.

وحين سأله : إنت بتشتغل إيه؟ أجاب : نجار ، فقال الرئيس : كيف تكون رئيس جهاز فيه أساتذة الجامعة وأنت نجار؟ فأجاب : لقد كان سيدنا نوح عليه السلام نجاراً وهو نبى ، فكُبت مرة أخرى وسكت ، وحين سأله : لماذا لا تستطيع الوقوف ؟ قال له يوسف : اسأل نفسك .

كان الأستاذ يوسف طلعت قد تعرَّض لتعذيب شديد القساوة والوحشية ، حيث كسروا عموده الفقرى وذراعه وجمجمته ولم يبق مكان فى جسمه إلا وأصيب بكسر أو جرح أو رض ، حتى إن الأستاذ المرشد حسن الهضيبى حين حاكمه جمال سالم تحدث الهضيبى قائلا : اكشفوا على يوسف طلعت لتروا مقدار التعذيب الذى أصيب به وغيره من الإخوان فى سجونكم .

يقول الكاتب اليسارى أحمد حمروش فى كتابه «قصة ثورة ٢٣ يوليو» (الجزء الأول ص ١٨٧) : «فى مارس ١٩٥٢ - أى قبل قيام الحركة بأربعة أشهر - كانت منشورات الضباط الأحرار ، تطبع بمعرفة خالد محيى الدين ، الذى كلفه عبد الناصر ، بعدم استخدام عبارة «الاستعمار الأنجلو أمريكى» والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطانى ، وذلك للتأييد الذى لمسه عبد الناصر من المسؤولين الأمريكيين فى المنطقة ، حيث وعدوه بالمعاونة باشتراط إبعاد الإخوان المسلمين والشيوعيين عن المشاركة فى الانقلاب» انتهى .

إن الحديث عن يوسف طلعت وشخصيته وبطولاته يحتاج إلى كتب وليس إلى مقالات ، فهو نموذج فريد من البطولة ، قلَّ أن يجود الزمان بمثله ، ومن عرفه عن قرب عرف عنه الكثير ، مما يُشرف هذه الدعوة المباركة التى أسسها الإمام الشهيد حسن البنا ، وتخرجت فى مدرستها هذه النماذج الفذة من الرجال الذين صدقوا مع الله فى عهدهم وبيعتهم أرواحهم لله وفى سبيل الله .

إن الذى قاد قافلة الإمدادات للجيش المحاصر فى «الفالوجا» ، والذى اخترق خطوط اليهود بكل جرأة وشجاعة هو يوسف طلعت وإخوانه ، وكان جمال عبد الناصر وجماعته من المحاصرين فى الفالوجا .

لقد اعتقل يوسف طلعت وإخوانه عام ١٩٤٩م وهم فى ميدان الجهاد فى فلسطين ، وأقيم لهم معسكر اعتقال بإشراف الجيش المصرى ، ثم نُقلوا إلى معتقل الطور بمصر ،

وحين خرج من المعتقل لم يهدأ بل ظل يهاجم الإنجليز فى المعسكرات بقناة السويس مع أخيه محمد فرغلى والإخوان المجاهدين، حتى إن الإنجليز وضعوا جائزة قيمة لمن يعثر عليه أو على أخيه الشيخ فرغلى حيًا أوميتًا، فما كان منه إلا أن خرج أمامهم متنكرًا فى هيئة شيخ كبير السن يحمل طفلاً رضيعًا، فلم يتعرضوا له لما يتمتع به من هدوء الأعصاب، والقدرة على تجاوز الصعاب دون أدنى خوف أو وجل.

تأزم الموقف بين الإخوان والحكومة العسكرية فى يناير، وتتابعت الأزمات، واشتدت فى أكتوبر عام ١٩٥٤م بعد افتعال حادث المنشية الذى دبَّره عبد الناصر بتخطيط المخابرات الأمريكية واقتراحها للتخلص من الإخوان، كما ذكر ذلك حسن التهامى فى مذكراته، وهو من أعوان عبد الناصر ومسؤولى المخابرات عنده، وسمع يوسف طلعت بالحادث من إخوانه فقال على الفور: «عملها عبد الناصر»، لأنه لو كان للإخوان صلة بالحادث، لكان يوسف طلعت أوَّل من يعرف به، باعتباره رئيس النظام الخاص فى الجماعة.

وابتدأت موجة الاعتقالات للإخوان بالألوف، وزُج بالكبار والصغار والنساء والأطفال، وحرصت أجهزة عبد الناصر على القبض على يوسف طلعت، الذى يحرص على الذهاب للمساجد للصلوات حتى صلاة الجمعة دون اكتراث، وحين ألقى القبض عليه ناله من التعذيب من زبانية عبد الناصر ما لا يصبر عليه إلا أصحاب العزائم من الرجال المؤمنين الذين كانت تتقطع السياط على جلودهم، وتُكسر عظامهم، وتُشج رؤوسهم، وتُحرق أجسادهم، وتُنفخ بطونهم، ومنهم من يسقط من الإعياء، ومنهم من يلقى الله شهيدًا تحت سياط التعذيب، وكان من هؤلاء يوسف طلعت، الذى كان قمة فى الصبر على البلاء.

يوم حزين:

وفى يوم حزين من أيام ديسمبر ١٩٥٤م دخلت مدينة الإسماعيلية مصفحتان تحملان جثماني الشهيدين: محمد فرغلى، ويوسف طلعت، بعد تنفيذ الإعدام فيهما شنقًا، وقد منعت أجهزة السلطة العسكرية الناس من السير فى جنازتهما، فأقفلت مدينة الإسماعيلية أبوابها ونوافذها، وخيّم عليها الحزن، ووضعت نقطة حراسة ثابتة لمدة ستة أشهر لمنع الاقتراب من قبريهما.

وهكذا قطف اليهود والأنجلوأمريكان ثمرة مساعداتهم التى قدموها لصنيعتهم عبد الناصر بحصد رؤوس الدعاة إلى الله، والمجاهدين فى سبيله من أبطال فلسطين والقناة، ولكن هل نفعه ذلك؟ لقد أخزى الله جمال عبد الناصر وأعوانه فى الدنيا، وسيلقى من الله ما يستحق فى الآخرة. أما ركبُ الدعوة الإسلامية فى أرض الكنانة والعالم العربى والإسلامى فهو فى صعود والحمد لله، والدعوة باقية والأفراد زائلون، وكلما مات شهيد قام شهيد ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

نسأل الله أن يتقبل الشهيد البطل الجسور يوسف طلعت، وأن يدخله فسيح جنته مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا [١].

***

(١) من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة - عبدالله العقيل - ص ٥٤٩.



الشهيد
يوسف طلعت



الشهيد
يوسف
طلعت في
طريقه
لقاعة
المحكمة



يوسف طلعت .. داعيا مجاهداً لإعلاء كلمة الله



يوسف طلعت .. «فليسامحني الله وليسامح هؤلاء الذين عذبوني وأساءوا لي»

الأديب الشهيد سيد قطب

(١٣٢٤-١٣٨٦هـ، ١٩٠٦-١٩٦٦م)

مولده ونشأته:

وُلد صاحب «الظلال» سيد قطب إبراهيم فى قرية «موشة» التابعة لمحافظة أسيوط فى صعيد مصر عام ١٣٢٤هـ الموافق ٩/ ١٠/ ١٩٠٦م، ودخل المدرسة الابتدائية فى القرية عام ١٩١٢م، حيث تخرج فيها عام ١٩١٨م ثم انقطع عن الدراسة لمدة عامين بسبب ثورة ١٩١٩م.

وفى عام ١٩٢٠م سافر إلى القاهرة للدراسة، حيث التحق بمدرسة المعلمين الأولية عام ١٩٢٢م، ثم التحق بمدرسة «تجهيزية دار العلوم عام ١٩٢٥م» وبعدها التحق بكلية دار العلوم عام ١٩٢٩م، حيث تخرج فيها عام ١٩٣٣-١٣٥٢هـ، حاملاً شهادة الليسانس فى الآداب.

عين بعد تخرجه مدرسًا فى وزارة المعارف بمدرسة الداودية، ثم انتقل إلى مدرسة دمياط عام ١٩٣٥م، ثم إلى حلوان عام ١٩٣٦م، وفى عام ١٩٤٠م نقل إلى وزارة المعارف ثم مفتشًا فى التعليم الابتدائى، ثم عاد إلى الإدارة العامة للثقافة بالوزارة عام ١٩٤٥م، وفى هذا العام ألف أول كتاب إسلامى وهو «التصوير الفنى فى القرآن» وابتعد عن مدرسة العقاد الأدبية.

وفى عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م أوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم ونظمه، وبقى فيها حوالى السنتين، حيث عاد إلى مصر فى ٢٠/ ٨/ ١٩٥٠م، ١٣٧٠هـ وعين فى مكتب وزير المعارف بوظيفة مراقب مساعد للبحوث الفنية واستمر حتى ١٨/ ١٠/ ١٩٥٢م حيث قدم استقالته.

دعوته للإصلاح:

عمل سيد قطب فى الصحافة منذ شبابه ونشر مئات المقالات فى الصحف والمجلات المصرية، كالأهرام والرسالة والثقافة، وأصدر مجلتى «العالم العربى»، و«الفكر

الجديد»، ثم ترأس جريدة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، وهى السنة التى انتسب فيها إلى الإخوان المسلمين رسميًا، وكان قبل ذلك قريبًا من الإخوان متعاونًا معهم، وقد حارب فى مقالاته مظاهر الفساد والانحراف فى حياة مصر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهاجم المسئولين عن ذلك الفساد، ودعا إلى الإصلاح على أساس الإسلام، فكان بهذا -غيره- رجلاً اجتماعيًا ذا حضور دائم فى حياة مصر الثقافية والاجتماعية والسياسية والإصلاحية، وكان يعدّ الإنجليز وعملاءهم وأعوانهم من رجال القصر والحكومات المتعاقبة ورجال الأحزاب والإقطاع وكبار التجار السبب فى تخلف مصر.

وصل سيد قطب فى النقد والأدب إلى القمة، وبشر بنظرية نقدية جديدة فى النقد الأدبى، أطلق عليها «نظرية الصور والظلال» كما دعا إلى «المنهج المتكامل فى النقد الأدبى»، وذلك بالجمع بين المنهج الفنى والمنهج التاريخى اللغوى والمنهج النفسى.

وفى عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م اتجه سيد قطب إلى الإسلام، وغدا مصلحًا إسلاميًا ثم صار أحد أبرز رواد الفكر الإسلامى المعاصر، ودعا إلى بعث إسلامى طليعى، وإلى استئناف الحياة على أساس الإسلام، ولهذا فسر القرآن الكريم تفسيراً جديداً فى كتابه الضخم «فى ظلال القرآن» وكان فيه صاحب مدرسة جديدة فى التفسير، هى مدرسة التفسير الحركى لما أضافه من معان وأفكار حركية وتربوية على تفسيره.

دعا سيد قطب إلى العزلة الشعورية المتعلقة بإحساس المسلم ومشاعره، لا العزلة المادية الحسية المتعلقة بالأعضاء والجوارح، فى حدود ما أحل الله من حلال وما حرم من حرام، وكان يرى أن هذه العزلة الشعورية تنشأ تلقائيًا فى حس المسلم الملتزم تجاه من لا يلتزمون بأوامر الإسلام.

لم يصدر سيد قطب أحكامًا شرعية على الناس، ولم يقل بتكفير الناس، ولذلك نجده يؤكد ذلك بقوله: «إن مهمتنا ليست إصدار الأحكام على الناس، ولكن مهمتنا تعريفهم بحقيقة «لا إله إلا الله» لأن الناس لا يعرفون مقتضاها الحقيقى وهو التحاكم إلى شريعة الله».

كانت عقيدة سيد قطب عقيدة السلف الصالح، وفكره فكر سلفى خال من الشوائب، تركز حول موضوع التوحيد الخالص، وبيان المعنى الحقيقى لـ«لا إله إلا الله» وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان، كما وردت فى الكتاب والسنة، كما ركز فى كتاباته حول مسألة الحاكمية والولاء ليكون خالصًا لوجه الله تعالى وحده.

واجه سيد قطب الجاهلية المعاصرة فيما كتب، وأظهر حقيقتها، وبين أنها ليست حالة فردية بل يتحرك أفرادها ككائن عضوى بعضهم أولياء بعض، وطالب المجتمع المسلم بأن يواجه هذه الجاهلية بذات الخصائص، ولكن بدرجة أقوى وأعمق، حتى لا تقع الفتنة بظهور الفساد فى البر والبحر.

عرف سيد قطب المجتمع الجاهلى بأنه: «كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده، متمثلة هذه العبودية فى التصور الاعتقادى وفى الشعائر التقليدية وفى الشرائع القانونية».

ألف الشهيد سيد قطب عددًا كبيراً من المؤلفات غلبت عليها الوجهة الأدبية من نقد وأدب وشعر وقصص فى بداية حياته العلمية، ثم تحول بشكل جذرى إلى العطاء الفكرى الإسلامى، وهذا التطور يمثل التحول العميق فى حياته المستمرة وسيرته العطرة، وكان لمحاضراته الإسلامية فى بلاد الشام حين حضوره المؤتمر الإسلامى للقدس، أكثر الأثر فى نفوس الجماهير خاصة شباب الجامعات، الذين هللوا لهذا التوجه الإسلامى عند الأديب الكبير.

أهم مؤلفاته:

ومن أهم مؤلفاته: فى ظلال القرآن ـ هذا الدين ـ المستقبل لهذا الدين ـ خصائص التصور الإسلامى ـ معالم فى الطريق ـ التصوير الفنى فى القرآن ـ مشاهد القيامة فى القرآن ـ الإسلام ومشكلات الحضارة ـ العدالة الاجتماعية فى الإسلام ـ السلام العالمى والإسلام ـ كتب وشخصيات ـ أشواك ـ النقد الأدبى، أصوله ومناهجه ـ نحو مجتمع إسلامى ـ طفل من القرية ـ الأطياف الأربعة ـ مهمة الشاعر فى الحياة ـ معركة الإسلام والرأسمالية ـ تفسير آيات الربا ـ تفسير سورة الشورى ـ دراسات إسلامية – نحو مجتمع إسلامى ـ معركتنا مع اليهود ـ فى التاريخ فكرة ومنهاج ـ لماذا أعدمونى ؟

وقد أصدرت مجلة «عالم الكتب» التى تصدر بالمملكة العربية السعودية فهرسًا جيداً لمؤلفاته ومقالاته.

وقد كتب بعض هذه الكتب قبل أن يتوجه التوجه الإسلامى الملتزم الذى لقى الله عليه، ولكنها على كل حال تمثل مرحلة من مراحل حياته.

معرفتى به:

لقد سعدت بمعرفته أوائل الخمسينيات، بعد عودته من أمريكا، حيث زرته مع مجموعة من الأخوة الزملاء فى بيته فى حلوان، وكنا قبل لقائه قد قرأنا كتابه «العدالة

الاجتماعية فى الإسلام»، والذى صدر عام ١٩٤٦م، ودارت أحاديث معه حول توجهه الإسلامى، وكانت الندوات فى بيته تضم مجموعة من الإخوة السودانيين والسوريين والعراقيين والأردنيين، وإخوة من البحرين، ودول الخليج والجزيرة، بالإضافة للإخوة المصريين، وكان التركيز على ضرورة قيام الطليعة المؤمنة بدورها فى تغيير المجتمع، بعد أن تكون قد تربت على منهج الإسلام، وصاغت نفسها وفق تعاليم القرآن الكريم، الذى صاغ من قبل الجيل القرآنى الفريد، فكانوا نماذج صادقة عن الإسلام قولاً وعملاً واعتقاداً وسلوكًا.

وكان يروى كيف أنه لاحظ الفرحة التى عمت الولايات المتحدة حين سماعهم بمقتل الإمام البنا، حيث خرجوا يرقصون ويغنون ويتبادلون التهانى!

وحين تساءل عن الأمر قيل له: إن أخطر عدو للغرب وأمريكا قد قتل بمصر وهو حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين.

واستغرب سيد قطب أن يكون هذا شأن البنا وهو لم يعرفه بهذه المكانة الخطيرة حين كان بمصر.

فقرر أنه إذا عاد إلى مصر فسيبادر للاتصال بجماعة الإخوان المسلمين التى أسسها حسن البنا ويتعاون معها، وقد كان ذلك والحمد لله.

لقد كان الأخ عيسى آل خليفة وإخوانه من البحرين، والأخ محمد مدنى وإخوانه من السودان يكثرون من زيارة سيد قطب، بحكم أنهم يسكنون فى حلوان، أما نحن فكنا نزوره بين الفينة والأخرى، ولكن كنا نحرص على قراءة كتبه الأخيرة ذات التوجه الإسلامى، وحين كنت طالبًا فى الثانوية لم أكن أميل إلى سيد قطب بحكم أنه من مدرسة العقاد، بل أميل إلى مدرسة الرافعى وتلامذته سعيد العريان، وعلى الطنطاوى، ومحمود شاكر، وبعد وصولى لمصر وقراءاتى فى مجلة «الفكر الجديد» ومقالاته عن حسن البنا وعن الإخوان المسلمين فى مجلة «الدعوة» وحضورى لندواته فى بيته، ومحاضراته الرائعة فى جمعية الشبان المسلمين ضد فرنسا، ومطالبته بخلع الألقاب والشهادات الفرنسية انتصاراً لإخواننا فى شمال إفريقيا، وكذا مقالاته عن مواكب الفارغات، كل هذه الأشياء قربتنى كثيراً منه وصارت له مكانة عظيمة فى نفسى، فصرت أقبل على كل ما يكتب من مقالات أو يصدر من كتب وأقرؤها بنهم

وشغف، حتى إذا التحق بالإخوان المسلمين وتولى الجوانب الثقافية والدعوية ورئاسة تحرير جريدة «الإخوان المسلمون» أصبحت الصلة به أقوى وأوثق وأعمق.

الإسلام الأمريكاني:

يقول الشهيد سيد قطب: «الإسلام الذى يريده الأمريكان وحلفاؤهم فى الشرق الأوسط، ليس هو الإسلام الذى يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذى يقاوم الطغيان، ولكنه الإسلام الذى يقاوم الشيوعية، إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم.

إنهم يريدون إسلامًا أمريكانيًا، إنهم يريدون الإسلام الذى يُستفتى فى نواقض الوضوء، ولكنه لا يُستفتى فى أوضاع المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمالية، إنها لمهزلة بل إنها لمأساة.

إن هذا المجتمع لا يقوم حتى تنشأ جماعة من الناس تقرر أن عبوديتها الكاملة لله وحده، وأنها لا تدين بالعبودية لغير الله، ثم تأخذ بالفعل فى تنظيم حياتها كلها، على أساس هذه العبودية الخالصة».

الخلاف مع الثورة:

اختلف سيد قطب مع رجال الثورة المصرية بعد أن انقلب عبدالناصر على الرئيس محمد نجيب وتفرد بالسلطة وأقام الحكم الدكتاتورى بدل النظام الشورى وتعدى على رجال القانون والدعاة وأساتذة الفكر والعلماء، فاعتقل سيد قطب لأول مرة مطلع عام ١٩٥٤م، وبقى لمدة شهرين فى المعتقل مع قيادات الإخوان المسلمين ثم اعتقل مرة أخرى بعد مسرحية (حادث المنشية) التى اتهم عبدالناصر فيها الإخوان بمحاولة اغتياله يوم ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٤م، حيث قُدم سيد قطب للمحاكمة يوم ٢٢/ ١١/ ١٩٥٤م وكانت المحكمة برئاسة جمال سالم، وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى، وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا، ثم توسط الرئيس العراقى عبد السلام عارف فأفرج عنه بعفو صحى عام ١٩٦٤م.

وفى عام ١٩٦٥م، أعلن عبدالناصر من موسكو وكان فى زيارة لها عن اكتشاف مؤامرة دبرها الإخوان المسلمون بقيادة سيد قطب لاغتياله وقلب نظام الحكم!! فاعتقل سيد قطب للمرة الثالثة يوم ٩/ ٨/ ١٩٦٥م، وبدأ التحقيق معه فى السجن الحربى فى ١٩/ ١٢/ ١٩٦٥م، واستمر ثلاثة أيام، حيث بدأت محاكمته أمام محكمة برئاسة فؤاد

الدجوى يوم ١٢/ ٤/ ١٩٦٦م، وأصدرت المحكمة حكم الإعدام على سيد قطب يوم ٢١/ ٨/ ١٩٦٦ م، وقد وصلت برقيات عديدة من أنحاء العالم العربى والإسلامى تطالب عبد الناصر بعدم تنفيذ حكم الإعدام فى سيد قطب.

وكان الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود قد أرسل برقية لعبد الناصر وصلت يوم ٢٨/ ٨/ ١٩٦٦م، يرجوه فيها عدم إعدام سيد قطب، وأوصل سامى شرف البرقية لعبدالناصر فى ذلك المساء، فقال عبد الناصر لسامى شرف: «أعدموه فى الفجر.. بكرة، واعرض علىَّ البرقية بعد الإعدام!»، ثم أرسل عبدالناصر برقية اعتذار للملك فيصل بأن البرقية وصلت بعد تنفيذ الإعدام!!!.

وكان تنفيذ الحكم قد تم قبل بزوغ فجر يوم الاثنين ١٣/ ٥/ ١٣٨٦هـ ٢٩/ ٨/ ١٩٦٦م.

المودودى يوم الإعدام:

روى الشيخ خليل أحمد الحامدى - سكرتير المودودى - قائلاً: غداة تنفيذ حكم الإعدام بالشهيد سيد قطب، دخلنا على المودودى فى غرفته، وكانت الصحافة الباكستانية قد أبرزت الخبر على صفحاتها الأولى وقص علينا أمير الجماعة المودودى هذه القصة، فقال: «فجأة أحسست باختناق حقيقى.. ولم أدرك لذلك سببًا.. فلما عرفت وقت إعدام الشهيد سيد قطب فى الصحافة أدركت أن لحظة اختناقى هى نفس اللحظة التى شنق فيها سيد قطب»!

ويضيف الشيخ خليل الحامدى فيقول: وفى عام ١٩٦٦م بمكة المكرمة وفى فندق شبرا، دخل شاب عربى مسلم على الأستاذ المودودى وقدم له كتاب «معالم على الطريق» لمؤلفه سيد قطب، وقرأه الأستاذ المودودى فى ليلة واحدة، وفى الصباح قال: «كأنى أنا الذى ألفت هذا الكتاب!!» وأبدى دهشته من التقارب الفكرى بينه وبين سيد قطب، ثم استدرك يقول: «لا عجب، فمصدر أفكاره وأفكارى واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ».

يقول الشهيد سيد قطب (إن أصبع السبابة الذى يشهد لله بالوحدانية فى الصلاة، يأبى أن يكتب كلمة واحدة يقر بها لحاكم طاغية، فإن كنت مسجونًا بحق فأرتضى حكم الحق، وإن كنت مسجونًا بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل)

ويقول الدكتور أحمد عبد الحميد غراب (لا ندعى العصمة للشهيد سيد قطب ولا لغيره من العلماء والدعاة المسلمين، فكل يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٤] .

ولقد استنكر المسلمون هذه الجريمة الشنعاء وأقيمت صلاة الغائب عليه فى المشرق والمغرب، وأصدرت الكثير من الصحف الإسلامية بالعربية وغيرها أعدادًا خاصة عن الشهيد سيد قطب وإخوانه، وتوقع الكثيرون من العلماء والدعاة أن تصيب المجرمين قارعة، فلم تمض سوى شهور حتى حصلت نكبة ١٩٦٧، حيث هُزم عبد الناصر شر هزيمة.

وكتب علال الفاسى الزعيم المغربى وخطب قائلاً: (ما كان الله لينصر حربًا يقودها قاتل سيد قطب)

يقول الشاعرأحمد محمد الصديق :

وتجــرد القلم الذكى مــذكــرًا	بالله ترفض غيــر حكم البــارى
حـتى نسـجت من الحـقـائق راية	خـفـاقـة فى عـالم الأفكار
وأنرت للأجيـال خيـر «معـالم»	تجلو سـبـيـل الحق للأبرار
وجعلت وارفة «الظلال» معـارجًا	نحـو الخلود ومـرتقى الأطهـار

لقد ظن الطغاة أنهم إذا قتلوا الدعاة قضوا على الإسلام، ولكن شاء الله غير ذلك، فقد انتشرت مؤلفات سيد قطب فى جميع أنحاء العالم، وطبعت معظم كتبه أكثر من خمس وعشرين طبعة، كما تُرجمت إلي لغات كثيرة، ولم يبق مكان فى العالم إلا وعرف الشهيد سيد قطب، وأفكاره، ولماذا أعدم؟ ومن وراء إعدامه ؟ ولمصلحة من عدم؟

لقد انطلق الكتاب والمؤلفون والشعراء والنقاد فى تعريف فكر سيد قطب، والحديث عن تزجمته وسيرته، وصدرت الألوف، وكتبت عشرات الدراسات، وقدمت عشرات الرسائل الجامعية والبحوث الأكاديمية عنه وعن فكره ومؤلفاته بمختلف اللغات، وصارت دور النشر تتنافس فى طباعة كتبه، وكان كتاب «فى ظلال القرآن» أروج كتاب فى جميع معارض الكتب، وأقبل الناس والشباب المسلم ينهلون من هذا المورد العذب والماء الزلال.

ولعل الأخ الكريم الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى من أكثر تلامذة سيد قطب الذين عنوا بالكتابة عنه وعن تراثه الفكرى، وقد استفدت منه كثيراً فيما كتبتُ.

ولقد اطلعت قبل أكثر من ربع قرن على دراسة للباحث السعودى الأستاذ إبراهيم ابن عبد الرحمن البليهى بعنوان: «سيد قطب وتراثه الأدبى الفكرى»، كَتَبْتُ عنها فى مجلة المجتمع فى وقتها.

كما أن الإخوة الأساتذة: يوسف العظم، وعبد الله عزام، ومحمد على قطب، وأحمد عبد الغفور عطار، وأبو الحسن الندوى، ومحمد الحسنى، وأحمد حسن فرحات، وأحمد فائز، وسالم البهنساوى، وغيرهم، قد أسهموا إسهامًا جيداً فى التعريف بتراث الشهيد سيد قطب، وهذا بعض حقه علينا.

مواقف الإنصاف:

ولن ننسى مواقف الإنصاف التى وقفها المشايخ: عبد العزيز بن باز، وعبد الله الجبرين، وبكر أبو زيد، وعبد الرحمن الدوسرى وغيرهم. جزى الله الجميع كل الخير.

يقول سيد قطب: «إن دعوة الإخوان المسلمين، دعوة مجردة من التعصب، وإن الذين يقاومونها هم المتعصبون، أو هم الجهلاء الذين لا يعرفون ماذا يقولون».

ويقول: «الحقيقة الكبرى لحسن البنا هى البناء وإحسان البناء بل عبقرية البناء».

ويقول: «لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيراً من الدعاة، ولكن الدعاية غير البناء، وما كل داعية يملك أن يكون بناءً، وما كل بناء يوهب هذه العبقرية الضخمة فى البناء: هذا البناء الضخم «الإخوان المسلمون» إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة فى بناء الجماعات، ويمضى حسن البنا إلى جوار ربه، وقد استكمل البناء أسسه، يمضى فيكون استشهاده على النحو الذى أريد له، عملية جديدة من عمليات البناء، عملية تعميق للأساس، وتقوية للجدران، وما كانت ألف خطبة وخطبة، ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة فى نفوس الإخوان، كما ألهبتها قطرات الدم الزكى المهراق».

وقال: «إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا فى سبيلها دبت فيها الروح، وكُتبت لها الحياة».

وقال: «إن الكلمات التى ولدت فى الأفواه وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بالنبع الإلهى الحى قد ولدت ميتة».

وقال: «إن هذا القرآن لا يعطى سره إلا للذين يخوضون به المعركة ويجاهدون به جهاداً كبيراً».

ولقد نظم سيد قطب وهو خلف بوابات السجن قصيدته الرائعة: «أخى» التى تُعتبر إحدى عيون الشعر الإسلامى والتى يُعبر فيها عن نبض قلبه ووعيه ووجدانه، ومنها قوله:

أخى أنت حـــر وراء الســـدود	أخى أنت حـــر بتلك القـــيـــود
إذا كنت بالله مـــســتـعــصـمًــا	فـمـاذا يضـيـرك كـيـد العـبـيـد؟
أخى ســتـبـيـد جـيـوش الظلام	ويُشـرق فى الكون فـجـر جـديد
فـــأطلق لروحك أشـــواقـــهـــا	تر الفــجــر يرمــقنا من بعـيـد
أخى هل تُراكَ سـئـمت الكفـاح	وألقـيت عن كـاهلك السـلاح؟
فـمن للضـحـايا يواسى الجـراح	ويرفعُ رايتـــهـــا من جـــديد؟

وقد كان لهذه القصيدة صداها فى العالم العربى، ردده فى الأردن شاعر الأقصى الأستاذ يوسف العظم بقوله:

أخى من رُبى الأردن الصـــابر	ومن حـــرم المقـــدس الطاهر
أبثُّك شـــوقًـــا وبشـــرى غـــدٍ	كـــريم من الخـــالق القـــادر

كما ردده فى العراق الشاعر الإسلامى وليد الأعظمى بقوله:

أخى يا مـقـيـمًـا وراء السـدود	تلوح بوجـهك سـيـمـا السـجـود
فـمـهـمـا أعـد العـدا من قـيـود	فلن تسـتكين لحكم العـبـيـد

رحم الله أستاذنا الشهيد سيد قطب، وحشرنا الله وإياه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[1].

---

(١) من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة. عبدالله العقيل. ص ١٤٩.



الشهيد
سيد قطب



الشهيد سيد قطب في مؤتمر نصرة فلسطين بالقدس والى يساره نواب صفوي الزعيم الايراني



الشهيد سيد قطب خلف القضبان بين خيرة شباب مصر



الشهيد سيد قطب أمام زنزانته

رجال ومفكرو العالم الإسلامي.. جلسة صمت انتظاراً للتحقيق تحت الحراسة المشددة.

الشهيد سيد قطب في ساحة السجن في اليمين والشيخ فرغلي في اليسار والأستاذ منير الدلة ثم د. خميس حميدة



الشهيد الرائد البطل الشيخ /أحمد ياسين

٢٠٠٤/٣/٢٢م



الشهيد أحمد ياسين: نسيج وحده فى هذه الأيام العبوس، وفريد زمانه وقريع دهره فى هذه البيئة الجدبة، وكوكب نظرائه، وزهرة إخوانه، وغرة أهله، وحلية أكفائه، فى هذا الدهر البئيس، بطل فى زمن الهزائم، وشجاع فى أجواء الجبن، وقائد فى محيط الصعاليك، وعملاق فى وسط الأقزام، ورجولة فى ميادين النذالة، وأمل فى وقت ضياع الطريق ووعورة الدرب، وأمة بعد التنازع والانحلال والتفسخ وذهاب الريح، وصمود فى وجه الانهزام والانهيار والهزائم، ومثلٌ بعد فقدان القدوة والرجولة والشرف، وحكمة فى وسط الذهول وضياع الحلوم وعمى البصائر، وإيمان فى أجواء الانحلال وضياع الهوية وبروز قرون الشياطين، وثقة فى نصر الله ووعده للمؤمنين فى وسط الظلام والتيه وتكالب الأعداء ورجم الظنون، وهواجس الضمائر.

كل هذا فى رجل مقعد لا يقدر على الوقوف، ومشلول اليدين لا يقدر على حمل شيء، وجسم نحيل واهن، وبدن مبتلى بالأمراض والعلل، ونظرٌ قد فقد إلا بصيص من عين واحدة، وألم محض وأوجاع لا تهدأ، أليست هذه أعجوبة فى هذا الزمان، وآية على الأيام، ونفحة من عناية الرحمن. عاش الرجل لرسالته وأمته، وتفانى فى دعوته، فكان جهاداً يمشى وقدوة تتحرك، ومثلا يشع نورا وإيمانا، وفهما وعرفانا، فى أجواء عزَ فيها الناصح، وقل فيها الإخلاص، وانعدام قول الحق والجهرية. جاء الشيخ فأضاف إلى المجاهدين قائدا، وإلى الدعاة علما، وإلى المربين أستاذا حكيما وقدوة عظيمة، عجز جسمه النحيل، وشلله المقعد، ومرضه المزمن عن الجهاد بالسلاح، فجاهد بسلاح الحكمة، وحسام التربية وسيف التنظيم، ومدافع الإيمان، وقنابل الصبر والإصرار والثبات، كلماته القليلة تنفذ إلى الأعماق وتستقر فى العقول

وتفتح مغاليق القلوب بحب عجيب وإخلاص فريد، وتوجيه سديد، تسمعه يوجه الشباب فيقول:

حان الوقت يا أبنائى وأحفادى:

حان الوقت لترجعوا إلى الله تعالى وتتوبوا إليه، حان الوقت لتدَعوا الهتافات من حياتكم وتنحّوها جانبا، حان الوقت لتوقظوا أنفسكم وتصلوا الفجر فى جماعة، حان الوقت لتتعلموا وتتثقفوا وتخترعوا وتكونوا سباقين على الغير، حان الوقت لتتحلوا بالأخلاق وتفعلوا ما فى القرآن وتقتدوا بالنبى (محمد).

أدعوكم يا أبنائى للصلاة فى ميقاتها، أدعوكم يا أبنائى لتتقربوا من نبيكم الأعظم أكثر من ذلك.

أريدكم يا شباب الأمة الذكور:

أن تعرفوا وتقدروا معنى المسؤولية، أن تتحملوا مشاق الحياة وأن تتركوا الشكوى وأن تتوجهوا إلى الله تعالى وتستغفروه كثيرا ليمنحكم الرزق وأن توقروا الكبير وترحموا الصغير، أطلب منكم يا أحفادى الصغار أن لا تشغلكم قنوات الأغانى المرئية والمسموعة وأن تنسوا كلمات الهوى والعشق ولوع الحب وأن تستبدلوها بكلمات العمل والفعل وذكر الله، أحبائى، أرجوكم لا تشغلوا أنفسكم بمطرب أو مطربة ولا تتساقوا وراء الشهوات.

حان الوقت يا بناتى وحفيداتى:

أستحلفكم بالله بالحجاب الحق، وأستحلفكم الله بأن تحتموا بدينكم، وبرسوله الكريم، اقتدوا بأمكم خديجة وعائشة، اجعلوهما نبراس حياتكم. حرام عليكن أن تجعلن غض البصر للشباب كالحديد السائل على أجسامهم.

إلى كل من عرفونى وأحبونى:

أطلب منكم أن تستعدوا لما هو آت، استعدوا بالدين والعلم، استعدوا بالتطلع والحكمة، تعلموا كيف تعيشون فى ظلام دامس، علموا أنفسكم كيف تعيشون لأيام بلا أجهزة كهربائية ولا إلكترونية، علموا أنفسكم لأيام معدودة كيف تعيشون فى ظل

حياة قاسية، عودوا أنفسكم كيف تحمون أنفسكم وكيف تخططون لمستقبلكم. تمسكوا بدينكم وخذوا بالأسباب وتوكلوا على الله.

بهذه الكلمات الواضحة المخلصة التى تخرج من القلب بغير تنميق، وبعفوية صادقة وشفافية مضيئة، توضح الدرب وتقود المسيرة، بهذه المعانى الحانية الرؤوفة التى توجه الشباب وتأخذ بأيديهم يتكلم الشيخ وهو يقرأ ما فى نفوسهم ويخاطبهم بواقع حالهم، حتى يؤسس لجهاد يحتاج إلى إيمان واستعداد بما يستطيعه الإنسان ويملكه ويدع الباقى على الله تعالى، وكما وجه الشيخ الشباب، يوجه القادة أيضًا.

وقد أعد البطل الداعية الشهيد، رسالة لإرسالها إلى القمة العربية المزعومة - التى كان مزمعا انعقادها فى تونس بتاريخ ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٤ - قبل استشهاده فى ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤ يقول رحمه الله:

ما من شك أنه إذا عزَ العربُ عَزّ الإسلام، وإن دلت هذه المقولة على شيء فإنما تدل على عظم الأمانة التى تحملون أنتم - وفقكم الله لخير الأمة - من استرعاه الله حاضر الأمة ومستقبلها، ورسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سائل كل راع عما استرعى حفظ أم ضيع**» فالله الله فى أمة الإسلام وقد رماها أعداء الله وأعدائها عن قوس واحدة.

إن أمامكم اليوم تحديات جسام، وشعوبكم تنتظر ما ستمضى عنه القمة من قرارات، وكلها أمل أن تكون القمة على مستوى ما نواجه من تحديات، ولا يخفى أن على رأس تلك التحديات قضية العرب والمسلمين المركزية، قضية فلسطين، وكلى أمل أن تثمر هذه القمة عما يشكل رافعة لشعب فلسطين وقد أبوا إلا أن يواصلوا مسيرتهم الجهادية حتى يحقق الله النصر الذى نحب، والذى يرفع الله به شأن أمتنا بإذنه تعالى.

وإنى أناشدكم أن تأخذ القمة بعين الاعتبار القضايا التالية التى تخدم القضية الفلسطينية:

أولا: أرض فلسطين أرض عربية إسلامية اغتصبت بقوة السلاح من قبل اليهود الصهاينة، ولن تعود إلا بقوة السلاح، وهى أرض وقف إسلامى لا يجوز التنازل عن شبر منها حتى وإن كنا لا نملك الآن القوة اللازمة لتحريرها.

ثانيًا: الجهاد فى فلسطين حق مشروع للشعب الفلسطينى، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وإن وصفه بالإرهاب من قبل أعداء الله لظلم عظيم يرفضه شعبنا المرابط فى فلسطين، وترفضه كذلك شعوبنا العربية والإسلامية، ونتمنى على القمة أن توضح موقفها بوضوح لا بأس فيه نصرة لجهاد شعبنا المجاهد.

ثالثًا: إن شعبنا وهو يخوض ببسالة معركة قد فرضت عليه لهو جدير أن يلقى كل أشكال الدعم والتأييد من قادة الأمة، فهو بحاجة إلى الدعم الاقتصادى لتعزيز صموده وقد دمر الصهاينة الأشرار كل أسباب الحياة والعيش الكريم لهذا الشعب المرابط، ونهبوا خيراته، وهو بحاجة أيضًا إلى الدعم العسكرى، والأمنى، والإعلامى، والمعنوى، والدبلوماسى، وغير ذلك من أشكال الدعم التى تعينه على مواصلة جهاده، وهو يتطلع إلى أن تحقق له القمة كل ذلك بإذن الله تعالى.

رابعًا: إننا نناشدكم أن توقفوا كل أشكال التطبيع مع هذا العدو، وأن تغلقوا سفاراته، وقنصلياته ومكاتبه التجارية، وأن تُفَعِّلوا المقاطعة العربية، وأن توقفوا الاتصال به والتعاون معه.

خامسًا: إن الأمة تملك من الإمكانات والطاقات والقدرات ما يجعلها قادرة على نصرة قضاياها القومية، ووضع حد لجرأة أعدائها عليها، وإنى لأرى أنه قد آن لأمتنا أن تعمل بقول الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] لتصبح قوة فى زمن التكتلات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

سادسًا: إن المسجد الأقصى يناشدكم وقد أعد الصهاينة العدة لدك أركانه وبنيانه، فمن له بعد الله إن لم تكونوا أنتم.

سابعًا: إننا نناشدكم أن تقدموا كل أشكال الدعم للعراق الشقيق وشعبه حتى يتحرر من الاحتلال الأمريكى، لأن نصرة العراق وشعبه هى نصرة لقضية فلسطين والشعب الفلسطينى.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو:

هذا ما أردت أن أنصح به وقد علمنا رسول الله ﷺ أن الدين النصيحة، وأسأل الله أن يجمع كلمتكم لنصرة دينه، وأن يوحد صفكم على ما فيه خير الأمة ورفعتها. . . .

اخوكم / أحمد ياسين

مؤسس حركة المقاومة الإسلامية - حماس

غزة ـ فلسطين

بعضا من سيرته الذاتية (للقائد البطل):

* ولد "أحمد إسماعيل ياسين" عام ١٩٣٦م فى قرية (الجورة- قضاء المجدل) جنوبى قطاع غزة، لجأ مع أسرته إلى قطاع غزة بعد حرب العام ١٩٤٨م.

* تعرَّض لحادثٍ فى شبابه أثناء ممارسته للرياضة، نتج عنه شلل جميع أطرافه شللاً تامًا.

* عمل مدرسًا للغة العربية والتربية الإسلامية، ثم عمل خطيبًا ومدرسًا فى مساجد غزة، أصبح فى ظل الاحتلال أشهر خطيب عرفه قطاع غزة لقوة حجته وجسارته فى الحق.

* شارك "أحمد ياسين" وهو فى العشرين من عمره فى المظاهرات التى اندلعت فى غزة احتجاجًا على العدوان الثلاثى الذى استهدف مصر عام ١٩٥٦م، وأظهر قدرات خطابية وتنظيمية ملموسة؛ حيث نشط مع رفاقه فى الدعوة إلى رفض الإشراف الدولى على غزة، مؤكدًا ضرورة عودة الإدارة المصرية إلى هذا الإقليم.

* كانت مواهب "أحمد ياسين" الخطابية قد بدأت تظهر بقوة، ومعها بدأ نجمه يلمع وسط دعاة غزة، الأمر الذى لفت إليه أنظار المخابرات المصرية العاملة هناك، فقررت عام ١٩٦٥م اعتقاله ضمن حملة الاعتقالات التى شهدتها الساحة السياسية المصرية، والتى استهدفت كل من سبق اعتقاله من جماعة (الإخوان المسلمون) عام ١٩٥٤م، وظل حبيس الزنزانة الانفرادية قرابة شهر ثم أفرج عنه، وقد تركت فترة الاعتقال فى نفسه آثارًا مهمة لخصها بقوله "إنها عمقت فى نفسه كراهية الظلم، وأكدت فترة الاعتقال أن شرعية أى سلطة تقوم على العدل وإيمانها بحق الإنسان فى الحياة بحرية".

* عمل رئيسًا للمجمع الإسلامى فى غزة.

* اعتقل الشيخ "أحمد ياسين" عام ١٩٨٣م بتهمة حيازة أسلحة، وتشكيل تنظيم عسكرى، والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وقد حوكم الشيخ أمام محكمة عسكرية صهيونية، أصدرت عليه حكمًا بالسجن لمدة ١٣ عامًا.

* أفرج عنه عام ١٩٨٥م فى إطار عملية تبادل للأسرى بين سلطات الاحتلال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة- بعد أن أمضى ١١ شهرًا فى السجن.

* أسَّس الشيخ أحمد ياسين- مع مجموعة من النشطاء الإسلاميين- تنظيمًا لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى قطاع غزة فى العام ١٩٨٧م.

* داهمت قوات الاحتلال الصهيونى منزله أواخر شهر أغسطس١٩٨٨ وقامت بتفتيشه وهددته بدفعه فى مقعده المتحرك عبر الحدود، ونفيه إلى لبنان.

* فى ليلة ١٨/ ٥/ ١٩٨٩م قامت سلطات الاحتلال باعتقال الشيخ "أحمد ياسين" مع المئات من أبناء حركة (حماس) فى محاولة لوقف المقاومة المسلحة التى أخذت آنذاك طابع الهجمات بالسلاح الأبيض على جنود الاحتلال ومستوطنيه، واغتيال العملاء.

* فى ١٦/ ١٠/ ١٩٩١م أصدرت محكمة عسكرية صهيونية عليه حكمًا بالسجن مدى الحياة مضافا إليه خمسة عشر عامًا، بعد أن وجهت للشيخ لائحة اتهام تتضمن تسعة بنود منها التحريض على اختطاف وقتل جنود صهاينة وتأسيس حركة (حماس) وجهازيها العسكرى والأمنى.

* بالإضافة إلى إصابة الشيخ بالشلل التام، فإنه يعانى من أمراض عدة منها (فقدان البصر فى العين اليمنى بعد ضربه عليها أثناء التحقيق، وضعف شديد فى قدرة الإبصار للعين اليسرى، والتهاب مزمن بالأذن، وحساسية فى الرئتين، وأمراض والتهابات باطنية ومعوية)، وقد أدى سوء ظروف اعتقال الشيخ أحمد ياسين إلى تدهور حالته الصحية ممًا استدعى نقله إلى المستشفى مرات عدة، وظلت صحة الشيخ تتدهور بسبب اعتقاله وعدم توفر رعاية طبية ملائمة له.

* فى ١٣/ ١٢/ ١٩٩٢م قامت مجموعة استشهادية من مقاتلى كتائب الشهيد "عز الدين القسَّام" بخطف جندى صهيونى، وعرضت المجموعة الإفراج عن الجندى مقابل الإفراج عن الشيخ "أحمد ياسين" ومجموعة من المعتقلين فى السجون الصهيونية بينهم مرضى ومسنون ومعتقلون عرب اختطفتهم قوات صهيونية من لبنان، إلا أن الحكومة الصهيونية رفضت العرض وداهمت مكان احتجاز الجندى؛ مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة المهاجمة قبل استشهاد أبطال المجموعة الفدائية فى منزل فى قرية (بيرنبالا - قرب القدس).

* أفرج عنه فجر يوم الأربعاء ١/ ١٠/ ١٩٩٧م بموجب اتفاق جرى التوصل إليه بين الأردن والكيان الصهيونى للإفراج عن الشيخ مقابل تسليم عميلين صهيونيين اعتقلا فى الأردن عقب المحاولة الفاشلة لاغتيال الأستاذ "خالد مشعل" رئيس المكتب السياسى لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

* استشهد بعد صلاة الفجر يوم ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م فى عملية صهيونية جبانة، تحت إشراف السفاح شارون.

ملامح طفولة شيخ المجاهدين:

الشيخ ياسين أحب دعوة الإخوان ورجالاتها بعد زيارة الإمام البنا إلى غزة. تغلب على إعاقته واستكمل مسيرته بعزيمة يعجز عنها أولو القوة، مثلما كانت مسيرته الجهادية حافلة بمواقف الصمود والبطولة والثبات على المبدأ، زخرت طفولته بالعديد من الأحداث والمشاهد، واستطاع بصبره وإيمانه أن يتجاوز التحديات التى واجهته وأن يثبت ذاته، حتى أصبح شيخًا للمجاهدين وحقق الله أمنيته بأن سقط شهيدًا على يد قوات بنى صهيون الغادرة. فماذا عن الأجواء التى أحاطت بنشأة الشيخ أحمد ياسين؟ وكيف عاش سنى حياته الأولى؟ وكيف تغلب على إعاقته؟ هذه الأسئلة يجيب عنها صديق طفولته وأحد أقربائه وابن قرية جورة عسقلان وأحد رفاقه فى معسكر الشاطئ للاجئين فى قطاع غزة.. الشاعر الفلسطينى محمد أبو دية، وفيما يلى روايته:

*** ما طبيعة الأجواء التى أحاطت بمولد الشيخ أحمد ياسين؟**

- ولد أحمد ياسين فى عام ١٩٣٨م فى قرية الجورة وهى قرية فى غاية الروعة والجمال تقع قريبًا من شاطئ البحر المتوسط إلى الغرب من مدينة المجدل تحيط بها بساتين البرتقال وكروم التين والزيتون والأعناب ومزارع الخضار، ويعمل أهلها فى الفلاحة والصيد ويمتلكون العشرات من القوارب الصغيرة يجوبون بها البحر من رفح إلى رأس الطنطورة، وبالقرب من القرية تقع مدينة عسقلان الأثرية التى كانت مسرحًا للحروب الصليبية وفيها مقبرة قديمة للشهداء يدور حولها الكثير من القصص الشعبية الجهادية عن الأبطال الرواد، وفيها واد النمل الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم، وقال عنه ابن كثير فى تفسيره إنه موضع فى بلاد الشام.

*** ماذا عن أسرته وكيف كانت مكانة الشهيد بين أفرادها؟**

ـ فى قرية مليئة بالخيرات والثروات والذكريات ـ كما أشرت ـ ولد أحمد ياسين، كان أبوه إسماعيل ياسين رحمه الله من وجهاء القرية، وكانت أسرته ميسورة الحال، مات والد أحمد فى طفولته المبكرة وترك أسرة مكونة من أحد عشر فردًا أذكر من الأبناء أحمد وشحدة وحسن وبدر، ومن البنات آمنة وفهيمة، وأمه هى الحاجة الفاضلة الصابرة المحتسبة سعدة عبدالله الهبيل من فضليات نساء القرية، سيرتها كالعطر، كانت تحب أحمد حبًا شديدًا ولا عجب فهو أصغر أبنائها وأقربهم منها وأطوعهم لها.

*** كيف عاش الشيخ ياسين طفولته فى ظل الاحتلال الصهيونى؟ وماذا عن ملابسات ارتباطه بالحركة الإسلامية؟**

ـ درس أحمد فترة قصيرة فى مدرسة القرية الابتدائية وفى عام ١٩٤٨م قُصفت المدرسة ومحيطها وقرية الجورة من الجو والبحر، واستشهد العشرات من أبنائها وممن هاجروا إليها من القرى المجاورة أثناء نكبة ١٩٤٨م.

فى هذه الأجواء المأساوية هاجر أحمد ابن الأحد عشر أو الاثنى عشر عامًا إلى منطقة الرمال فى غزة، وهناك عرفته عن كثب، وفى تلك الفترة المليئة بالإحباط والقنوط والاحتقان ظهر نور دعوة الإخوان المسلمين التى راح دعاتها يبثون روح المقاومة والصمود والأمل، وكانت وفودهم من مصر إلى قطاع غزة لا تنقطع، وجاء من مصر مدرسون وعسكريون ومثقفون وشيوخ من أمثال الشيخ محمود عيد والشيخ محمد الغزالى، ومن قبلهما زار الشيخ حسن البنا مدينة غزة وكانت زيارته بداية البركات والخيرات للقطاع وأهله. .

أحب الشيخ هذه الدعوة ورجالاتها وراح يقرأ كتبها ورسائلها بنهم شديد وتفهم فريد، ويختزن كل ذلك فى قلب ذكى ونفس تتوق إلى النصر المؤزر فى يوم من الأيام.

*** الإصابة التى أقعدت الشيخ ياسين على كرسى متحرك.. كيف وقعت وكيف استطاع أن يتغلب عليها ويستكمل تعليمه؟**

ـ راح الفتى أحمد ياسين يكمل دراسته حتى وصل المرحلة الثانوية، وفى تلك الأثناء وقع له حادث مؤسف وخطير أثناء ممارسته للرياضة فى منتصف الخمسينيات فأصيب

بشلل جزئى . . كان ذلك على شاطئ البحر مقابل معسكر الشاطئ للاجئين وعند ذلك حمله أصحابه ـ وكان لى الشرف أن أكون واحداً منهم ـ إلى الخيمة وكنا نظن أنه سيشفى ببعض العلاج ولكن تبين أن الإصابة خطيرة فى عظام الرقبة، مما أثر على الحبل الشوكى .

استمر أحمد فى الدراسة وكان يسير وكتبه تحت إبطه إلى المدرسة ماشيًا على رؤوس أصابع قدميه ويداه متوترتان وأصابعه لا تكاد تمسك القلم إلا بصعوبة، ولكنه أكمل دراسة الثانوية بامتياز وعين مدرسًا بعد أخذ ورد بين الجهات المسؤولة فى الإدارة المصرية آنذاك وبين رجال التربية والتعليم . . فكان مدرسًا وداعية لا يشق له غبار، وكأنى أنظر إليه فى تلك الأيام وهو يسير خطوات ثم يقع على الأرض ثم يلملم كتبه وينهض ويكمل المسيرة بعزيمة يعجز عنها أولو القوة .

*** هل تذكر للشيخ ياسين بعض مشاهد طفولته المتعلقة بالصهاينة؟**

ـ لأمه الحاجة سعدة رحمها الله قصة غريبة، فقد فوجئت فى فترة الاحتلال بعد عام ١٩٦٧م بمجموعة من الأطفال يقولون لها إن جنود الصهاينة أخذوا أحمد وهم يضربونه الآن . . فوقعت وهى فى حالة شديدة من الأسى والألم وهى تقول: أحمد لا يحتمل هذا . . وبعد أيام توفيت إلى رحمة الله تعالى من شدة ما أصابها من الحرقة والعذاب بسبب ذلك الحادث المفجع .

*** ماذا فى ذاكرتك من صفات عن طفولته؟ وكيف كان يتعامل مع أصدقائه؟**

ـ من الأمور التى لاحظتها ولاحظها الكثيرون على الشيخ أحمد أنه كان فى صغره خفيف الجسم سريع الحركة يمر أمامك ثم يختفى كالجن ولكنه لا يؤذى ولا يسب أحداً، ما سمعت فى حياتى من يشكو منه أو من صحبته قبل إصابته أو بعدها . كان كريمًا لطيفًا يأكل قليلاً وينام قليلاً سريع الاستجابة للخير لا يكاد يتخلف عن موعد .

وينصت كثيراً ويستوعب ما يسمع فى ذاكرة رائعة حتى إننى لما رأيته عندما زار الكويت بعد فراق دام حوالى أربعين سنة ذكّرنى بتفاصيل حياتنا وصحبتنا فى الخمسينيات وكان يرد على أسئلة المحاورين له بذهنية صافية وكلام واثق ينم عن ثقة لا حدود لها بالنصر القادم بإذن الله تعالى .

باب منزله لم يغلق فى وجه كل من قصده لحل مشكلته . . وكثيرون سحبوا قضاياهم من المحاكم وتوجهوا إليه لثقتهم فى عدله، كان يخصص جزءاً من وقته لحل الكثير من المشكلات وديًا، دون لجوء أصحابها إلى المحاكم، وذلك من خلال لجان الإصلاح التى أسسها فى الأراضى الفلسطينية، وتمثل أحد الأسباب الرئيسة فى حب شريحة كبيرة من المجتمع الفلسطينى له رحمه الله.

وعلى الرغم من أن الشيخ ياسين كان قبل استشهاده منشغلاً كثيراً فى قيادته لحركة «حماس»، إلا أنه كان يعطى الجانب الاجتماعى والإصلاح بين الناس أهمية كبيرة توازى فى تأثيرها الجانب السياسى، وكانت له صولات وجولات فى هذا الأمر، وهو ما جنَّب الفلسطينيين إراقة الكثير من الدماء، من خلال عمله على حل مشكلات وقضايا معقدة ظلت عالقة سنوات طويلة فى المحاكم.

ولم يغلق الشيخ ياسين فى يوم من الأيام باب داره فى وجه أحد قصده ليحل له مشكلاته، لاسيما الضعفاء من الناس، كما أن جميع شرائح وفئات وطوائف المجتمع كانت تتوجه إليه لحل مشكلاتها، بمن فى ذلك العديد من المسيحيين، وكان يعمل على حلها حلاً عادلاً، حتى إن الكثير من المواطنين كانوا يسحبون قضاياهم من المحاكم، ومن عند المحامين، ويتوجهون بها للشيخ ياسين، من أجل إنصافهم.

يقول بسام حنا رباح، وهو مسيحى من مدينة رام الله، فى الضفة الغربية: إنه لم يتردد عام ١٩٨٨ فى التوجه للشيخ أحمد ياسين، حينما تعرض لعملية احتيال من قبل أحد المواطنين فى غزة، حيث تمكنت لجنة الإصلاح، التى كان الشيخ مرجعيتها من إنصافه من خصمه.

وأضاف رباح: «كنت أسمع عن الشيخ ياسين واللجنة التى كانت يمكنها أن تحصل للناس على حقوقهم، ولم يخطر ببالى أننى ـ وأنا مسيحى ـ سأجد باب الشيخ مفتوحًا لى، بل بالعكس وجدت منه ومن اللجنة كل جدية فى متابعة القضية، وتمكنوا من إنصافى، وإعادة حقوقى المالية. وقد قمت بالتبرع بجزء من المال، الذى حصلت عليه من الرجل الذى احتال علىَّ لأحد المساجد بغزة».

ولم يكن حنا وحده هو المسيحى الذى توجه للشيخ ياسين لحل مشكلاته، بل كان هناك عدد آخر منهم سمعوا عن الشيخ وعدله، وتوجهوا إليه، وعمل على حل مشكلاتهم، مثلهم مثل المسلمين، وهم بالمئات.

ويقول الشيخ زياد عنان أحد أعضاء «لجنة الإصلاح» فى غزة: «منذ تأسيس المجمع الإسلامى، كانت الغاية منه الإصلاح بين الناس، فقد عملنا على حل مشكلات كثيرة لكل فئات وشرائح وأطياف المجتمع الفلسطينى، بمن فيهم إخواننا النصارى»، مشيراً إلى أن ذروة العمل كانت بعد بدء الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧، فقد غاب القانون وما كان من الناس إلا التوجه إلى الشيخ ياسين.

وأشار إلى أن الشيخ ياسين شكل لجان إصلاح فى كل منطقة، على مستوى القطاع، وكان هو المرجعية لهذه اللجان، التى كانت تلجأ إليه عندما تواجهها أى صعوبة، فى حل أى مشكلة.

يضيف: «كان الرجل رغم مرضه وضعف قدراته البدنية؛ شعلة من النشاط والطاقة، ولا أنسى موقفًا حصل معى فى شهر رمضان، وكنا فى بيته لحل عدد من المشكلات، وكنا منهكى القوى، منتظرين أذان المغرب، لكن صاحب مشكلة دخل علينا أثناء رفع الأذان، فتوجهت إليه وطلبت منه المجىء بعد الإفطار. لكن الشيخ ياسين نظر إلىَّ نظرة غضب، وقال لى: إذا أنت تعبان، اذهب إلى بيتك. واستبقى الرجل وجلس معه مستمعًا إليه بابتسامته المعهودة، وظل معه قرابة ساعة قبل أن نتناول طعام الإفطار... ثم قال لى الشيخ بعد أن ذهب الرجل: هكذا الدعوة يا زياد».

وأردف عنان قائلاً: «هذا الموقف لم أنسه فى حياتى.. علمنى كيف أتعامل مع الناس، حيث قال لى: أنت تريد أن توصل رسالة إسلامية للناس، فكيف تريد أن تكون إنسانًا داعية للحق بسلوكك هذه الطريقة؟ وكان دائمًا يوصينا أن نكون رفقاء بالناس، ولا نستخدم أى أسلوب قاس، مع أى منهم حتى المعتدى».

ويؤكد أنهم عملوا على حل مشكلات عويصة استمرت عالقة فى المحاكم لمدة عشرين عامًا. وأشار إلى أن توجه الناس للشيخ، وليس للمحاكم، كان بسبب قناعتهم

الكاملة بأن هذا الرجل (الشيخ ياسين) يعمل لله تعالى، وليس لأى مصلحة، وأنه عادل».

وأورد عنان «قصة رجل من عائلة كبيرة بغزة، تزوج من امرأة عائلتها ضعيفة، وكان يعاملها بقسوة، فتوجهت الزوجة للشيخ، وقالت له إن زوجى فلانًا من عائلة كبيرة اعتدى علىَّ، وأخذ ذهبى وطردنى، فقال الشيخ: احملونى إليه. وذهبنا إلى هذا الرجل. ولما وصلنا قال الشيخ للزوج: إن هذه البنت هى ابنتى.. أرجع إليها حقوقها، وإياك أن تعتدى عليها».

وهكذا تيقن الناس أن الشيخ يعمل لله، وينصر الضعيف، فانتشر اسمه بعنوان الإصلاح، وأصبح الناس يسحبون أوراقهم من المحامين والمحاكم، ويتوجهون للشيخ، الذى كان يمتلك قدرات مميزة فى هذا الأمر.

وعندما اعتقل الشيخ عام ١٩٨٩ افتقدناه، لكن كان من أهدافه توزيع المهام، ولذا ظل العمل الاجتماعى يسير بهمته على أكمل وجه.

ويضيف: «كانت تقابلنا مشكلات نقف أمامها عاجزين لكن عندما نتوجه ويجلس مع الأطراف، يتحدث بكلمات مقنعة جدًا، ويتمكن من حل المشكلة بين المتخاصمين بفضل الله».

وأضاف: «كان الشيخ يقول لنا إذا أردتم أن تنجوا فى الدنيا والآخرة فعليكم بتقوى الله.. هذه قواعد رسخها الشيخ فى قلوبنا، وهذا الرجل عندما كنا نجلس معه كنا نخرج بعزيمة كبيرة جدًا، ويذكرنا بأن العدل بين الناس هو أساس النجاح، وكنا عندما تأتى المشكلة نتذكر كلمات الشيخ ومعنوياته».

وتابع: «صحيح أن الشيخ ترك فراغًا كبيرًا، ومن الصعب أن يملأه أحد، لكننا سنواصل هذا العمل، لأن الإصلاح بين الناس عمل رائع، كما أن الشيخ فى هذا الجانب زرع بذورًا وهذه البذور ستنمو وتترعرع».

وأضاف أن «الإسرائيليين كانوا يعرفون أهمية هذا الأمر، وكانوا يحسبون له ألف حساب، لأن الإصلاح بين الناس يجمع بينهم، والاحتلال من أهدافه التفرقة، وقدتم استدعائى لدى المخابرات الصهيونية قبل اعتقالى على خلفية لجنة الإصلاح... وسألت ضابط المخابرات: لماذا القلق من هذا العمل (الإصلاح بين الناس)؟ فقال:

يقلقنى جداً أنى أجد إنساناً علاقته ممتازة مع جيرانه . . . وعند اعتقالى فى السجون الصهيونية عام ١٩٩٠ قال لى المحقق : أنت عضو فى تنظيم «حماس» فقلت له : كل ما أقوم به العمل على حل المشكلات بين الناس . فقال هذا كلام غير صحيح . . أنتم منتشرون كالأخطبوط فى كل شرائح المجتمع ، وكل القضايا ، فمن أين لكم القوة؟ قلت له : نستمدها من العدل و المنطق» .

وأوضح أن الشيخ ياسين ظل يتابع قضايا المواطنين ومشكلاتهم حتى آخر لحظة فى حياته ، إما من خلاله مباشرة ، أو من خلال لجان الإصلاح المنتشرة فى كل أرجاء فلسطين . وقال : «قبل اغتياله بأربعة أيام ، ورغم الظروف الأمنية الصعبة ، إلا أن الشيخ جلس معنا جلسة مطولة ، من أجل متابعة عمل هذه اللجان ، ومن أجل الاطمئنان إن كانت هناك أية مشكلات تواجهنا ، والعمل على تطوير عمل هذه اللجان ، والوصول بها إلى أكبر عدد من المواطنين من أجل حل مشكلاتهم» .

وهكذا فإن خروج غزة عن بكرة أبيها فى تشييع جنازة الشيخ الشهيد أحمد ياسين كان أمراً متوقعاً ، لاسيما أنه تمكن من الوصول إلى كل أفراد المجتمع ، من خلال عمله الاجتماعى والإصلاحى بين الناس . . فرحم الله الشيخ ياسين .

الشيخ الشهيد أحمد ياسين الإنسان.. والأب.. والعابد الزاهد:

فى منزله المتواضع جداً فى حى الصبرا بمدينة غزة ، كان الحديث عن الذكريات القريبة يدور بين أقارب الشيخ الشهيد أحمد ياسين ومرافقيه .

كى تجلس بين أفراد أسرة الشيخ أحمد ياسين فى محاولة منك لتوثيق مشاعر الفخر وأحاسيس الحزن على فراق أبيهم ، فقطعاً لن تحتاج إلى مجرد قلم وورقة لتدوين الكلمات . . أو إلى آلة تصوير فائقة الدقة لتعكس صورة المشهد الدامع ، بل ببساطة كل ما عليك أن تستمع بكل حواسك إلى أهل بيته أقرب الناس إليه ، عندها فقط ستدرك حقيقة واحدة هى أن الشيخ الذى حمل هموم فلسطين الكبيرة وأرق الاحتلال الإسرائيلى كان يمارس دور الأبوة بامتياز مع أبنائه الذين تعلموا منه أبجديات الجهاد والشهادة .

بيت يثير فى تواضعه استغراب أى شخص سمع عن الرجل الذى زلزل الكيان الصهيونى ، ولكن رائحة صاحبه كانت عالقة فى كل ركن فيه ، ونبض الحياة كان فى

ملامح صوره المعلقة، أما أهل البيت فبعد أن فقدوا أبًا بكل معنى الكلمة ابتسموا بإيمان عميق وقالوا: «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراق الشيخ لمحزونون».

بناته يفتقدنه:

الحاجة أم محمد - أرملة الشيخ الشهيد تقول: كان الشيخ يشعر فى الأيام الأخيرة بأنه سوف يستشهد، ولم يبلغنى بذلك مباشرة لكنه أبلغ بقية الأسرة.. قال لهم: أشعر أننى سوف أستشهد، وأنا أطلبها أبحث عن الآخرة ولا أريد الدنيا.

وتقول سمية ابنة الشيخ: على غير العادة جمعنا والدى رحمه الله أنا وإخوتى قبل استشهاده بيوم واحد، ورغم أن والدى اعتاد ما بين وقت وآخر جمعنا والجلوس معنا إلا أن جلسته الأخيرة هذه بدت أشبه بجلسة مودع، وقال خلالها إنه يشعر بأنه سوف يستشهد وأنه يطلب الشهادة.

عايدة كبرى بناته قالت ودمعة تسيل على خدها: كان أبى دومًا حنونًا، والشىء الذى لن أنساه أنه كان يصفنى مثله بالحنونة فيقول أنت أحب بناتى إلىّ لأنك كثيراً ما كنت تساعدين جدتك فى مرضها والآن أنت تساعديننى يا ابنتى فى قضاء بعض حاجاتى، قالت تلك العبارة بفخر وكأنه منحها بها أجمل وسام للابنة البارة، وحين سألتها عن إحساسها بافتقاده حين كان أسيراً فى سجون الاحتلال أجابت «مسافة المكان التى كانت تفصلنا عنه لم تمنعنا من أن نشعر به ونتألم لأجله» مؤكدة أنها كانت تزوره باستمرار مع إخوتها ويستشيرونه فى تفاصيل حياتهم. وإذا لم يتمكنوا من الزيارة كانوا يوصون أى شخص يذهب لزيارته لينقل لهم كل ما يرغبون فى قوله.

عايدة كانت أكثر أخواتها قدرة على التعبير عن حقدها تجاه عدوهم الأكبر شارون فتؤكد: أنا لست حزينة على استشهاد والدى لأن الشهادة كانت أمنيته ولكن حزنى على فراقه وعلى ما فعله شارون الجبان الذى أتمنى أن أخرج قلبه من صدره لأقطعه بيدى، وتضيف أن الشيخ كان حريصًا على الاجتماع بالعائلة مرة كل أسبوعين. وأنه كان دائم الزيارة لهم. وتختم عايدة حديثها: «استبشرنا خيراً من اتصال هاتفى جاءنا فيه أن طفلاً عمره ٨ أعوام رأى الشيخ فى منامه وهو يجلس على كرسى من ذهب وحوله يحيى عياش وصلاح شحادة وآخرون من الشهداء».

الزوجة الصابرة:

تساؤل من الممكن أن يدور فى ذهن أى شخص، طرحناه على أم محمد زوجة الشيخ وهو عما إذا كانت قد ترددت فى قبول الزواج من رجل مقعد منذ كان عمره ١٦ سنة. أجابتنا بابتسامة تختصر صبر النساء الفلسطينيات «هو ابن عمى وحين تقدم لى منذ ٤٠ عام قررت ان أرضى بنصيبى الذى اختاره الله لى»، وتستأنف حديثها: «تزوجنا وعشنا حياة سعيدة وأنجبنا ٣ أبناء و ٨ بنات قمنا بتربيتهم على خلق الإسلام»، مشيرة إلى أن الشيخ «كان مثالاً للزوج الحنون الذى يعطى كل ذى حق حقه» وهى كانت تعامله بالمثل بحيث أشرفت دومًا على كل شؤونه الشخصية، ويذكر أن الشيخ لم يكن ينظر فى مسألة تزويج بناته سوى لاعتبار واحد هو التقوى حيث صاهر من أنساب مختلفة «الغزاوى والبدوى والمجدلاوى والحمامى» الخ.

منذ الطفولة حتى الشهادة:

وعن علاقة الشيخ بإخوته يقول شقيقه الحاج شحدة «(٧٧ عامًا)»: لم يكن الشهيد الشيخ أحمد أخًا فحسب فلم أشعر أنه كان أخًا بل كان ابنًا لى وأنه خرج من صلبى، لقد مات والدى ولم يبلغ أحمد الرابعة من عمره بعد، كنا ثلاثة أشقاء أنا وأخى الجالس بجانبى هذا الحاج حسن «٧٠ عامًا» والأصغر الشيخ أحمد، مضيفًا أنه ـ الحاج شحدة ـ كان طالبًا عندما توفى والده فتحمل بعدها عبء الأسرة من بعده حيث ترك والده ثلاثة أشقاء و٦ بنات فكان لا بد أن يقوم بتربيتهم وإعالتهم.

ويصمت الحاج شحدة مستذكراً أيام طفولته وأخيه أحمد ثم يقول: كان الشيخ مرحًا ونشيطًا.

ويضيف: بدأت أعلمه مثل ابنى حتى تعلم وأصبح يستطيع القراءة وكان مجتهداً منذ نعومة أظفاره وكان يجمع الأطفال حوله ويلقى عليهم ما تعلمه وحفظه.

ويضيف: «أدخلته المدرسة فى الجورة حتى وصل إلى الصف الرابع، حينها بدأت هجرتنا من بلادنا وانتقلنا بعدها أنا والأسرة إلى منطقة الحرش ثم وادى غزة، وعندما هدأت الأوضاع انتقلنا إلى مخيم الشاطئ بغزة وكان أحمد يتمتع بذكاء حاد بل كان

أكبر من سنه، فعندما شعر أن العبء أصبح ثقيلاً على كاهلى عرض على أن يساعدنى فى سد احتياجات الأسرة، وقال لى: أنا بدى أشتغل وأجيب مصارى، هات لى وابور وآلة علشان بدى أعمل فلافل وأعمل لى خيمة على البحر علشان أبيع وأصرف على أخواتى البنات.. وقد اشتريت له ما أراد من حاجيات الفلافل التى طلبها».

يقول: كنت أرى فى شخص الشيخ منذ طفولته أنه سيصبح فى يوم من الأيام ذا شأن كبير.

وعندما بلغ سن العاشرة طلب منى أن يعود للدراسة ويلتحق بالمدرسة من جديد. أدخلته مدرسة الإمام الشافعى حتى بلغ الثانية عشرة من عمره ووصل إلى الصف السادس الابتدائى وكان حينها يعلمه المدرسان محمد أبو دية وفؤاد عيسى يوسف فى مدرسة الإمام الشافعى فى سوق فراس، وفى يوم من الأيام وبينما كان الشيخ يمارس هوايته فى اللعب، إذا بمجموعة من الأطفال يحملون الشيخ أحمد بين أيديهم وصعقت من هول المشهد، لقد فقد الشيخ أحمد حينها القدرة على الحركة إلا أنه قال لى: «لا تزعل يا أخى.. هذه إرادة الله».

وأضاف «لم أترك مكانًا أو مستشفى أو طبيبًا حتى عرضته عليه ثم بدأ الشيخ أحمد يسير على قدميه لكن ببطء ومضت الأيام والسنون حتى التحق أحمد بالدراسة فى مدرسة الرمال وكان متفوقًا فى الدراسة حيث حصل على نسبة عالية وبتقدير امتياز فى الثانوية العامة بعدها عقدت إدارة المدرسة امتحانًا لحوالى ١٥٠٠ طالب أنهوا دراستهم الثانوية ليصبحوا معلمين وكان الشيخ أحمد من الأوائل إلا أنه رغم ذلك لم يحظ برضا مدير المدرسة الذى رفض حينها تعيين الشيخ بسبب إعاقته.

ويصمت الحاج شحدة قليلاً ثم يقول «ما هى إلا أيام قليلة حتى سمعنا طرقًا عنيفًا فتحنا الباب فإذا برجل من مدرسة فلسطين يطلب منا أن يتوجه الشيخ أحمد إلى مدرسة فلسطين فورًا. لم نكن نعرف حينها السبب الذى دعاه ليطلبنا، لكن عندما وصلنا إلى المدرسة علمنا أن الحاكم العام لغزة أصدر أوامره بتوظيف الشيخ أحمد ياسين فعمل مدرسًا».

محبة ورحمة:

خليل حسن ياسين (أبو بلال) ٤٠ عامًا ابن شقيق الشيخ وأحد الذين عايشوه عن قرب، تحدث عن علاقة الشيخ بأقاربه ووصفها بأنها كانت غاية فى المحبة والرحمة، وقال: كان يعطى كل ذى حق حقه من أقاربه وعائلته، فكان يأخذ من وقته المشغول دائمًا ساعة أو ساعتين ليختلى بزوجته وأولاده وبناته، وقد كان كريمًا مع زوجته يحب دائمًا أن يدخل السرور على قلبها، ففى أوقات مرضها وعندما كان يأتى لزيارته د. محمود الزهار أو د. عبدالعزيز الرنتيسى، وكلاهما طبيبان كان حينها ينادى الشيخ على زوجته لتتحدث عن الآلام التى تشتكى منها.

ويشير أبوبلال إلى أن الشيخ كان عندما يرى طفلاً صغيرًا يعانى من أى مرض أو يشتكى من أى ألم يحثنا على الذهاب به إلى المستشفى من شدة حرصه وحبه للأطفال. ويضيف قائلاً: لقد كانت معاملته الحسنة تفوق كل تصور وقد كان دائم الزيارة لرحمه.

الكرم والزهد:

ويتحدث أبو بلال عن كرم الشيخ ياسين ويقول: كنت جالسًا معه فى مكتبه ودخل أحد الزوار ومعه هدايا للشيخ مرسلة من الخارج ووضعها الزائر على الطاولة وبعد أن انصرف الرجل أردنا أن تدخل تلك الهدايا للمنزل، فأمرنا الشيخ أن نتركها مكانها وبعد وقت قصير حضر زوار آخرون فوزع الشيخ الهدايا عليهم ولم يبق لنفسه شيئًا.

انتقل أبو بلال للحديث عن المواقف التى تدل على تمسك عمه الشيخ المجاهد وإصراره دائمًا على صلاة الفجر فى المسجد -وفى تلك اللحظات لم يستطع أبو بلال أن يتمالك نفسه فبكى وهو يذكر أحد المواقف قائلاً: عندما كان يقيم الشيخ فى معسكر الشاطئ خرج لصلاة الفجر برغم أنه كان مريضًا ولم يرافقه حينها أحد وتعثر الشيخ ووقع وبقى ملقى على الأرض حتى طلوع الشمس.

ومن مواقف الزهد فى الحياة يذكر أبوبلال أنهم عندما أرادوا تركيب ستائر للمكتب ومع معرفتهم بأن الشيخ سيرفض ذلك انتهزنا فرصة خروجه وقمنا بتركيب الستائر وعندما رجع ورأى ذلك بقى يقرعنا أيامًا عديدة بسبب ذلك وهو يقول لنا: تكسون الجدران؟! أليس من الأفضل إطعام فقير بثمن الستائر؟

ويقول أبو بلال إن هذا أمر طبيعى بالنسبة للشيخ فهو الذى رفض بعد خروجه من السجن عام ١٩٩٦ العرض بأن يغير مكان بيته إلى مكان آخر يليق به فرفض ذلك وأصر على البقاء فى المكان الذى عاش فيه طيلة حياته، وحتى أثناء حدوث الاجتياحات رفض تغيير مكان بيته لأنه كان يشعر بوفاء كبير لكل من يعرفه.

فكيف بالمكان الذى عاش فيه:

فى تلك اللحظات التى تحدث معنا فيها ابن شقيقه كان أبو مصعب أحد مرافقى الشيخ ينصت وآثار الحزن على فراق الشيخ بادية على قسمات وجهه. وتحدث أبومصعب مضيفًا مواقف أخرى للشيخ وزهده وقال إنه عندما كان ابنه عبد الحميد يتلقى معاش الشيخ كان يقول له: أعطوا نصفه للمحتاجين وأبقوا النصف الآخر، وعندما يأتى محتاج آخر يريد المساعدة يعطيه الشيخ نصف ما تبقى من المعاش، وهذا المعاش كان مصدر الدخل الوحيد للشيخ (فقد كان مدرسًا متقاعدًا) وعندما كانت تراجعه زوجته أم محمد وتقول له وزعت المعاش ونحن ماذا سيبقى لنا؟ يرد عليها قائلاً: «ربنا يبعث لنا» وكانت كلمته الشهيرة التى يرددها دائمًا «الله المستعان».

تواضع ولين:

وحول تواضع الشيخ ولين تعامله أشار أبومصعب إلى أن الشيخ المجاهد وفى لحظات وجوده فى الخارج كان يغضب إذا قمنا بإبعاد الناس عنه أثناء لحظات التدافع حوله وبالرغم من مضايقات الصحفيين أحيانًا كان لا يحب أن ندفعهم ليبتعدوا عنه.

كما كان لا يحب أن نرافقه أثناء الذهاب إلى عزاء الشهداء ونحن نحمل أسلحتنا حتى لا يخاف الناس من هذه الأسلحة خصوصًا الأطفال وكبار السن.

وحول الوضع الذى كان يعيشه الشيخ فى ظل التهديد باستهدافه قال أبو مصعب إنه بالرغم من تهديدات شارون باستهداف الشيخ المجاهد كان يخرج للمسجد لأداء الصلاة تحديًا لشارون.

وفى تلك اللحظات يدخل أبو محمد أقدم المرافقين للشيخ وقال إن الشيخ المجاهد كان فى مخبئه طوال المدة التى سبقت اغتياله ولكن ما دعاه للخروج الأزمة الصحية التى ألمت به والتى بدأت مساء الأربعاء ١٧/ ٣ وزاد مرضه حدة يوم الخميس . . وذهبنا به

إلى المستشفى ورأى الأطباء أنه يحتاج إلى البقاء في المستشفى إلا أنه رفض ذلك لحرصه على ألا يصاب المستشفى بمكروه لعلمه أن المحتلين يمكن أن ينفذوا جريمتهم أثناء وجوده في المستشفى، كما كان حريصًا على ألا يقال إنه مختبئ في المستشفى.

ويشير أبو محمد إلى أن الشيخ لم يكن يرتاح إلا في بيته للتجهيزات الخاصة الموجودة فيه والتي يحتاجها في حالته الصحية المعروفة للجميع. وفي ليلته الأخيرة اعتكف الشيخ في مسجد المجمع الإسلامي ونوى الصيام بعد أن تسحر بشربة ماء وصلى الفجر وبعد الصلاة شعر الموجودون هناك بخطر فخرج بعض الفتيان لإحضار إطارات سيارات لإشعالها حتى تغطي السماء بسحب الدخان ولكن الشيخ خرج مع رفاقه فتم قصفهم من قبل طيران جيش الاحتلال ليستشهد مرافقاه وزوج ابنته خميس مشتهى، علمًا بأن مشتهى هو صهره الثاني الذي يستشهد فقد استشهد سابقًا صهره هاني أبو العمرين.

حياته اليومية:

أبو محمد كمرافق دائم للشيخ المجاهد انتقل للحديث عن حياة الشيخ اليومية، وقال إنه كان يستيقظ من نومه قبل الفجر بساعة على الأقل فيتوضأ ويبدأ بصلاة القيام حتى الأذان فيصلي الفجر في المسجد أو جماعة في مكتبه مع مرافقيه وذلك حسب وضعه الصحي والأمني، وبعد الفجر مباشرة يبدأ بقراءة القرآن حتى الساعة السابعة صباحًا مع العلم بأنه في صلاة النوافل يراجع جزءًا يوميًا من القرآن.

ويشير أبو محمد إلى أنه بعد أن يتعب من الجلوس على كرسيه ينقله مرافقوه إلى سريره ليستلقي عليه ويطالع الصحف، من خلال لوحة عليها قصاصات الصحف، وبعد قراءة الأخبار والمقالات ينام قليلاً ويستيقظ مرة أخرى ليستعيد نشاطه من جديد ويبدأ في استقبال الزائرين من الذين يؤمون مكتبه يوميًا، ثم يأتي موعد صلاة الظهر ليصلي الظهر في المسجد فقد كان يصلي معظم الصلوات في المسجد خصوصًا في الفترة الأخيرة، وبعد ذلك يواصل استقبال الزوار، ويتابع أبو محمد قائلاً: وعندما كنا نطلب منه أن يرتاح من استقبال المواطنين كان يرد قائلاً: «متى ارتحت حتى أرتاح اليوم»؟

ويذكر أبو محمد أن الشيخ كان يخرج من المكتب فى زيارات خارجية فى أوقات ما بعد العصر أو بعد المغرب، وبعد العشاء يواصل مرة أخرى مقابلة الزائرين، وفى نهاية اليوم يسمع ويتلقى الأخبار من خلال المحطات التلفزيونية والإذاعية ومن خلال البريد والرسائل التى تصله، كما كان فى ساعات المساء يدخل إلى بيته للجلوس مع زوجته وأبنائه وبناته لمدة ساعة أو ساعتين.

ويقول أبو محمد إن الشيخ لم يكن ينام قبل الساعة الواحدة ليلاً على الأقل وإذا انتابه التفكير فى شىء لا يعرف النوم.

ومن خلال معايشة الشيخ قال أبو محمد: إن أهم حدث أثر فى الشيخ هو استشهاد الشيخ صلاح شحادة ،فقد كان يعتبره أحد أبنائه وبدا عليه الحزن واضحًا بعد استشهاد الشيخ صلاح من خلال تعابير وجهه والصمت الذى لازمه حينها.

أما الأشياء التى كانت تدخل السرور على الشيخ المجاهد، فحينما كان يسمع عن عملية عسكرية ضد جيش الاحتلال أو عملية استشهادية داخل فلسطين المحتلة، كما كان يسر كثيراً ـ حسب ما شاهد أبو محمد ـ عندما كان يزوره رفاقه وأصدقاؤه القدامى.

المشروع التغييرى للشهيد «أحمد ياسين»:

عاش الشهيد "أحمد ياسين" عمره للدعوة والجهاد؛ حيث بدأ مشروعه التغييرى منذ بداية الخمسينيات، وأخذ هذا المشروع بعدًا تربويًا وتنظيميًا فى الستينيات والسبعينيات أفضى بعد ذلك إلى تأسيس حركة (حماس) لتقوم بدورها فى الجهاد وضرب الاحتلال ودحره بكل ما يمكن من قوة، وعدم الخروج بهذه العمليات عن دائرة فلسطين كلها، وتحريم توجيه السلاح إلى صدر فلسطينى، فالدم الفلسطينى حرام، وشاركت (حماس) بفعالية فى الانتفاضة من ١٩٨٧م وحتى٢٠٠٤م، وزلزلت بعملياتها الفدائية الأمن الصهيونى.

وظهور هذا المشروع وتطوره برغم الضغوط الاستعمارية الهائلة على المنطقة العربية والإسلامية- وفى القلب منها فلسطين- يُشير إلى ثقة أكيدة فى تحقيق وعد الله بتحرير فلسطين- مهما طال الزمن- على أن يتم الإعداد له باستراتيجية جهادية متكاملة، تبدأ من تربية الأجيال تربية إسلامية تعتمد على أداء الفرائض الدينية، ودراسة كتاب الله

دراسة واعية، ودراسة السنة النبوية، والاطلاع على التاريخ، مع دراسة العدو وإمكاناته ومواطن ضعفه والقوى التى تناصره حتى يتحقق للمسلم وعى صحيح بالواقع وتصور سليم فى الفكر والاعتقاد.

المشروع التربوى:

وبدأ الشهيد هذا المشروع التغييرى من خلال الدعوة والتربية، وفى هذا الإطار لمع نجمه وسط دعاة (غزة) فى بداية الستينيات وبوقوع هزيمة يونيو ١٩٦٧م، بدأ الانقسام بين نهجين:

الأول: رسمى يدعو إلى الصلح مع الصهاينة وفق مبدأ (خذ وطالب)؛ وذلك وفق اعتبارات من قبيل مراعاة موازين القوى الإقليمية والدولية، والقول بعدم إمكانية هزيمة الكيان الصهيونى المتحالف مع القوى الكبرى.

الثانى: ويرى فى العقيدة والمنطلقات الإسلامية أساسًا ثابتًا للعمل ضد عدو يحمل منطلقات عقائدية، ومشروعًا مضادًا لكل مشاريع النهوض فى الأمة، وبناءً عليه لا يجيز الصلح مع المغتصب؛ لأسباب متعددة، ويعتبر أن المقاومة هى الخيار الوحيد لتحرير الأرض والمقدسات، على أن تأتى عملية انطلاقها بعد تكوين قواعد اجتماعية قوية، وتوفير البيئة المناسبة لاستمراريتها، بتوفير المساندة من جانب القوى الفلسطينية المختلفة، والتحصن بالشعب الفلسطينى، من خلال تنفيذ مشروع تربوى طويل الأمد يهدف إلى تحقيق الإيمان بخيار المقاومة، والحصول على تأييد غالبية الشعب الفلسطينى.

وكان الشيخ «أحمد ياسين» يعتنق أفكار جماعة (الإخوان المسلمون) التى تأسست فى مصر على يد الإمام "حسن البنا" عام ١٩٢٨م، والتى تدعو إلى فهم الإسلام فهمًا صحيحًا، والشمول فى تطبيقه فى شتى مناحى الحياة، وانطلاقًا من هذا النهج اتجه الشيخ فى الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى نحو تدعيم الأرضية التى بوسعها أن تتحمل بناءً عملاقًا لمواجهة الاحتلال، وكان الخيار مشروعًا عملاقًا للإحياء والمقاومة، مشروعًا لأجيال، يبدأ بترسيخ الأسس والقاعدة البشرية الصلبة.

وقد نشط الشهيد فى تنفيذه عقب الهزيمة مباشرة فبدأ يخطب فى مساجد غزة، وألهب مشاعر المصلين من فوق منبر مسجد (العباسى) الذى كان يخطب فيه لمقاومة المحتل، وعمل فى نفس الوقت على جمع التبرعات ومعاونة أسر الشهداء والمعتقلين.

واعتبر الشهيد أن المساجد ودور تحفيظ القرآن هى المحاضن الطبيعية لتحقيق الأهداف المنشودة؛ حيث يمكن من خلالها تربية الأطفال لتنشئتهم النشأة الإسلامية، ثم تعهدهم من سن المراهقة، بمناهج تربوية تشتمل على الجانب التعليمى والتثقيفى وتحفيظ القرآن الكريم.

وفى السبعينيات أسس الشهيد «أحمد ياسين» المجمع الإسلامى؛ وهو المنظمة التى تولى قيادتها، وبدأ بتجنيد الشباب بها، وفى بداية الثمانينيات فى أوج الثورة الإيرانية أنشأ الشيخ ياسين منظمة (مجد المجاهدين)...

وقد أزعج نشاط الشيخ سلطات الاحتلال التى اعتقلته عام ١٩٨٣م، ووجهت إليه تهمة تشكيل تنظيم عسكرى وحيازة أسلحة، فأصدرت عليه حكمًا بالسجن لمدة ١٣ عامًا؛ لكن الشيخ «ياسين» عاد إلى الحرية من خلال عملية لتبادل الأسرى بين سلطات الاحتلال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة فى عام ١٩٨٥م.

تأسيس (حماس):

ونتيجة الجهود الدعوية والتربوية للشهيد وإخوانه، شهدت فلسطين تطوراً واضحًا وملحوظًا فى نمو وانتشار الصحوة الإسلامية- كغيرها من الأقطار العربية- الأمر الذى جعل الحركة الإسلامية تنمو وتتطور فكرةً وتنظيمًا، فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، وفى أوساط التجمعات الفلسطينية فى الشتات، وأصبح التيار الإسلامى فى فلسطين يُدرك أنه يواجه تحديًا عظيمًا.

وقد أسهمت المواجهات الطلابية الإسلامية- وهى الذراع الطلابية للحركة- من خلال الجامعات الفلسطينية مثل جامعة (النجاح) الوطنية، وجامعة (بيرزيت) فى الضفة الغربية، و(الجامعة الإسلامية) فى (غزة)، فى إنضاج الظروف اللازمة لانخراط الجماهير الفلسطينية فى الانتفاضة ومقاومة الاحتلال بدءاً من ١٩٨٧م، وفى هذا التوقيت اتفق الشيخ «أحمد ياسين» مع مجموعة من قادة العمل الإسلامى الذين

يعتنقون أفكار (الإخوان المسلمون) فى قطاع (غزة) على تأسيس تنظيم إسلامى لمقاومة الاحتلال الصهيونى بغية تحرير فلسطين، أطلقوا عليه اسم حركة المقاومة الإسلامية المعروفة اختصاراً باسم (حماس).

وتعد حركة (حماس) امتداداً لحركة (الإخوان المسلمون)، وقبل الإعلان عن اسم الحركة علنيًا من قبل (الإخوان المسلمون) تم استخدام أسماء أخرى للتعبير عن مواقفهم السياسية تجاه القضية الفلسطينية، منها: (المرابطون على أرض الإسراء)، و (حركة الكفاح الإسلامى) وغيرها.

وتشير المادة «٣٣» من ميثاق (حماس) أنها تجاهد اليهود المغتصبين؛ دفاعًا عن الإنسان المسلم والحضارة الإسلامية والمقدسات الإسلامية، وأيضًا دفاعًا عن الحضارة الإسلامية التى استهدفتها الهجمة الصهيونية الشرسة وفق المادة (١٥) (تعتمد الحركة على الجهاد وتعتبره استراتيجية، وليس تكتيكًا، وتنص على أن الجهاد فرض عين على كل مسلم.

ولم ينته الجانب التربوى والدعوى بتأسيس حركة المقاومة الإسلامية، فإلى جانب تولى قيادة الحركة، استمر الشهيد بالقيام بهذا الدور انطلاقًا من المساجد ومن خلال استخدام الوسائط الإعلامية الحديثة، ومع تصاعد أعمال الانتفاضة بدأت السلطات الصهيونية التفكير فى وسيلة لإيقاف نشاط الشهيد، فقامت فى أغسطس ١٩٨٨م بمداهمة منزله وتفتيشه وهددته بالنفى إلى لبنان.

برنامج حماس:

تنطلق (حماس) من كونها حركة إسلامية تتخذ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة منهاجًا لها ودستوراً، وتعمل على تطبيق هذه البرامج من خلال عدة نشاطات، تتمثل فى حلقات تعليم القرآن والتربية فى المساجد، أو من خلال عدد من النشاطات الدعوية العامة عبر الندوات أو المؤتمرات أو المهرجانات أو المعارض الدعوية.

وتعتمد فى هذه البرامج على شريحة المثقفين والمتعلمين، حيث تعمل الجامعات الإسلامية من خلال (الكتلة الإسلامية)، على تخريج أفواج من المثقفين فى هذه الجانب.

وإضافةً إلى هذا الجانب التربوى الذى بدأه الشيخ "أحمد ياسين" منذ أواخر الستينيات هناك برامج أخرى هى :

١-البرامج الاجتماعية : وتتميز فى هذا الجانب عن باقى الحركات الفلسطينية؛ حيث تعمل على الاندماج بالمجتمع، وذلك من خلال المؤسسات الاجتماعية التى تقيمها، ويشرف عليها أبناؤها، لكن دون أن يكون بشكل مباشر، ومثال على ذلك لجان الزكاة، وبعض المشاريع والمصانع التى تتيح فرص عمل للشباب الفلسطينى، كما تعمل على توفير المساعدات المادية والعينية بشكل متواصل للعائلات الفقيرة وعائلات الأسرى والشهداء، عبر عدد من حملات الإغاثة.

٢- البرامج السياسية : وتختلف (حماس) فى هذه البرامج عن باقى الحركات الفلسطينية، فى كونها ترفض المشاركة فى السلطة أو الحكم ضمن الاتفاقيات التى توقَّع مع الجانب الصهيونى، والقيادة السياسية للحركة تعمل بمعزل عن القيادة العسكرية، باستثناء بعض الربط القاعدى للحركة ككل.

٣- البرامج الجهادية : وتتمثل هذه البرامج من خلال الجناح العسكرى للحركة (كتائب الشهيد عز الدين القسام)، التى تقوم بدور العمل العسكرى الجهادى، وتشكل الوسيلة الاستراتيجية لدى الحركة من أجل مواجهة المشروع الصهيونى، وهو- فى ظل غياب المشروع العربى والإسلامى الشامل للتحرير- سيبقى الضمانة الوحيدة لاستمرار الصراع وإشغال العدو الصهيونى عن التمدد خارج فلسطين.

وتوضح (حماس) هدفها من الأعمال العسكرية قائلة: "ليست موجهة ضد اليهود كأصحاب دين، وإنما هى موجهة ضد الاحتلال ووجوده وممارساته القمعية"، وحماس تحرص على تعاليم الإسلام السامية وقواعد حقوق الإنسان والقانون الدولى، فى مقاومتها المشروعة.

وتستهدف فى مقاومتها للاحتلال ضرب الأهداف العسكرية، وتحرص على تجنب سقوط مدنيين، وحتى فى بعض الحالات التى سقط فيها عدد من المدنيين فى أعمال المقاومة التى تمارسها الحركة، فإنها جاءت من قبيل الدفاع عن النفس والرد بالمثل على المذابح التى تمارس بحق المدنيين الفلسطينيين.

استمرار الدعوة والجهاد:

وبعد أن نجح الصهاينة وظهيرهم الخارجي في الالتفاف على نجاحات الانتفاضة الفلسطينية من خلال إبرام الاتفاقات السياسية والأمنية، أدخل الشهيد أبعاداً جديدة في مشروعه التربوي والجهادي؛ فمن ناحية عمل على ترسيخ مبدأ: أن الصراع على الوجود وليس على الحدود، ولعل هذا ما يفسر استمرار الانتفاضة إلى الآن، وبالرغم من قلة الإمكانات والحصار الشديد الذي تفرضه القوات الصهيونية على الشعب الفلسطيني، ورغم سياسة الإذلال والتجويع والاغتيال وتدمير المنازل والبنى التحتية للشعب الفلسطيني- فالانتفاضة من بدايتها ١٩٨٧م وإلى الآن ٢٠٠٤م- فإن الكيان الصهيوني لم ينجح في القضاء عليها، وبدأ التراجع في جيش الاحتلال بالإضراب عن تنفيذ الأوامر، مثل ضباط في القوات الخاصة وعدد غير قليل من الطيارين، وأضعاف هذا العدد أيضاً من الجنود.

ولم تكن هذه القدرة غير العادية على احتمال الضغوط الصهيونية؛ لتنجح إلا بعد أن استطاع الشهيد وإخوانه تكريس البعد الديني في الصراع من خلال التبشير بالنصر رغم مآسي الواقع، والتأكيد أن علو الحق في العزة والشهادة، فيقول في هذا الإطار: إن السر يكمن في الإرادة، وإيمان الإنسان بالمبدأ الذي يسير عليه؛ فالدنيوي يقول: لو أن الدنيا ذهبت منه فقد خسر كلَّ شيء، لكن الإنسان المؤمن الذي يؤمن أنه ذاهب إلى جنة عرضها السموات والأرض يريد أن ينتقل من دنيا فانية إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار عند رب العالمين؛ فهو ينتظر هذا اليوم، ويستبسل ويقاتل من أجل الفوز في هذا اليوم، ويثبت في الميدان حتى آخر رمق في حياته.

ويؤكد أيضاً: "أن الشعوب أقوى من الأنظمة؛ فالشعوب تتحرك في هذه الأيام على عكس ما ترى تلك الأنظمة وما يخطط له العدو؛ فسينتصر الإسلام، وسيهزم المشروع الأمريكي الصهيوني على فلسطين بإذن الله، خاصةً أن مبشرات النصر قائمة يرسمها شعبنا كل يوم بثباته وتضحياته ومقاومته التي فرضت موازين الردع والرعب مع هذا العدو الذي ظن أنه لا يقهر، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وتجدر الإفادة أن إضفاء البعد الديني لا يعني استغلال الدين في الصراع- مثلما تفعل الصهيونية- أو أن يشن المسلمون- ما يسميه الغربيون- الحرب المقدسة وإنما رد العدوان

الذى لا يستهدف فلسطين فقط وإنما الهوية الإسلامية أيضًا بما يؤكد أن الجهاد يعنى أمرين: مقاومة المشاريع الصهيونية والإمبريالية وإعادة المنطقة إلى هويتها الإسلامية.

ومن ناحية أخرى دعا إلى الحوار مع جميع الفصائل بما فيها السلطة الفلسطينية حيث كان دائمًا من المنادين بالوحدة الوطنية، وتحسين العلاقات مع السلطة، ونجح الشيخ «أحمد ياسين» فى تقريب وتوحيد فصائل المقاومة الفلسطينية؛ سواءٌ إسلامية أو وطنية، كما كان عقلاً حكيمًا واسع الأفق، فلم يرفض المبادرات المصرية لعقد هدنة مع الكيان الصهيونى، وأعلن قبول الهدنة؛ ليثبت أن تاريخ الكيان الصهيونى هو الخيانة ونقض العهود والمواثيق، وكان الكيان الصهيونى بالفعل - وفى كل مرة - هو الذى ينقض الهدنة باعتراف الجميع.

وأخيراً فالتساؤل المثار هو: هل تتوقف المقاومة بعد استشهاد الشيخ «أحمد ياسين»؟

والإجابة: إنه بغض النظر عن أسباب اغتيال شيخ قعيد فإن «أحمد ياسين» قد استطاع بالدعوة والتربية تأسيس تيار سياسى - اجتماعى واسع على الساحة الفلسطينية، تولدت منه حركة مقاومة أثبتت مرونة فى التعامل مع معطيات الصراع وقدرة فى ضرب الجسد الصهيونى من داخله، وبالتالى الإبقاء على الصراع ساخنا، وتؤكد عملية الاغتيال أن مصير الكيان الصهيونى فى أيدى حفنة من السياسيين والعسكريين المفلسين الذين لم يستطيعوا هزيمة الشعب الفلسطينى ويحاولون تغطية فشلهم بهذا التصعيد الذى سيؤدى بلا شك إلى متغيرات جديدة تصب فى صالح هذا الشعب المستضعف.

نهاية تليق بالشيخ:

نهاية تليق بالشيخ المجاهد، لأنها أعطت لحياته معناها بالكامل، وختامها الحاسم السريع.

لم يكن يليق له بعد مسيرة الجهاد الطويل أن يموت على فراشه كما قال مجاهد الرعيل الأول خالد بن الوليد، ولما استطاع لسان حاله أن يقول مع سيف الله «لا أقر الله أعين الجبناء».

رجل كسيح منذ صباه، ركبته الأمراض فى السنين الأخيرة، حتى أصبح يعانق الموت كل ساعة، ولم يعد لديه ما يقدمه لقضية شعبه، فقدم الثمن الغالى الذى لا يستطيع أن يقدمه سواه. كان من الممكن أن يموت فى أى لحظة كما يموت الألوف من الناس ويطويه النسيان، ولكن القدر أراد أن يعطيه الجائزة الكبرى. وأن يصنع منه أسطورة بطولية، ويحيله إلى طاقة هائلة تتدفق فى شرايين الشعب المجاهد، وشرايين العرب والمسلمين. لقد أراد له القدر أن يكون أنشودة يتغنى بها المجاهدون فى جبال فلسطين، وعلى امتداد الرقعة العربية الإسلامية لأجيال كثيرة.

لقد كان أحمد ياسين طرازاً فريدا بين قادة الثورات الوطنية، فقد نبت مع جذوره الشعب الوطنى، وقاسمه النكبات، وعاش معه فى المنافى والمخيمات التى فرضتها إسرائيل، وكان إيمانه عاصما له من اليأس أو الركض وراء السراب أو الأوهام، وقد أدرك قبل غيره حقيقة النوايا الإسرائيلية، وأن السلام الذى يتحدثون عنه ليس سوى الاستسلام الرخيص، ففضل تسمية الأشياء بأسمائها وعدم إضاعة الوقت، وقد جاءت نهايته مصداقاً لما آمن به ودعا قومه لإدراكه.

لقد أراد أن يقدم النصح لأمته والعالم فى حياته، لكن مناخ الخديعة والاستسلام كان أقوى من محاولاته، وكان لابد أن يقدم النصح مشفوعا بدمه ودم إخوانه.

دروس كثيرة قدمتها القذائف الجبانة التى أودت بحياة الشيخ المجاهد، أولها وأهمها أن من المستحيل إقامة سلام حقيقى مع إسرائيل لسبب بسيط. أنها كيان استعمارى قام على القتل والاغتصاب، ولا يمكن لها أن تستريح وهذا الماضى تلاحقه أشباحه، ويرسم لها ملامحها ويحدد لها طبيعتها.

إنها أشبه ما تكون بالوحش الضارى الذى يلتهم ما يقدم له وسيزيد به لمواصلة العدوان، ومن واجب العرب والمسلمين أن يضعوا هذا الدرس ركيزة لسياساتهم بعد هذا الضياع الطويل . . . أما الدرس الثانى فهو أن إسرائيل على ما هى عليه من التقدم الفنى والتفوق العسكرى تقف على أقدام من فخار، وقد كشفت الانتفاضة الفلسطينية نقاط الضعف فى كيانها، وها هى تباشير اليقظة تحرك العالم كله، وتخرجه من تأثير المخدر الصهيونى ليدرك مدى الجريمة التى ارتكبت ضد الشعب الفلسطينى، ونرى

مسيرات التضامن مع هذا الشعب تخترق شوراع العواصم العالمية، وتتحدى تهمة السامية الرخيصة التى ظلت الصهيونية تهزها فى وجه الأحرار، وهذه النتائج مهيأة للازدياد طالما بقيت الانتفاضة الفلسطينية، وتعمقت واتسع مجالها فى المحيط العربى والعالمى.

لقد أثبت الشيخ أحمد ياسين فى حياته ومماته أن القوة المسلحة لا تستطيع أن ترهب شعبًا يتمسك بحقوقه المشروعة، وإذا كانت إسرائيل تعتقد أن بوسعها أن تجعل المستعمرين أغلبية فى فلسطين عن طريق الهجرة والاستيطان، فإنها ستظل أقلية منبوذة تافهة فى المحيط العربى الإسلامى الواسع، ولا شك أن استشهاد الشيخ أحمد ياسين سيُغنى عن كل منطق فى دفع العرب نحو التضامن لحماية ديارهم أمام هذا الوحش الدموى.

إن إسرائيل تعتقد أن بوسعها قهر مقاومة الشعب الفلسطينى حتى يستسيغ الظلم، ويقبل بالدنية، لكن الواضح أن هذا الشعب مصمم على نوال حقه المشروع ومستعد لدفع الثمن الغالى ويجب أن يكون هذا التحدى هو شعار المرحلة المقبلة وليكن ما يكون.

وإذا كان زعماء إسرائيل يتسابقون على الظفر بأوسمة هذا الانتصار الرخيص على رجل مقعد، فلا شك أن المستقبل سيكشف لهم أن هذه الفعلة النكراء هى بداية لمرحلة جديدة يتبخر فيها سراب الأوهام، وتضع العرب والمسلمين صفا واحدا أمام الحقائق، وأن يتحملوا نتائجها بعزائم الرجال.

***

رجل بأمة أو أمة فى رجل

بقلم : الدكتور عبد العزيز الرنتيسى

ونحن نعيش فى هذه الأيام من أيام الجهاد والاستشهاد، ذكرى انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية حماس، آثرت أن أسلط الضوء على مؤسس هذه الحركة القائد الفذ المتميز الشيخ المجاهد أحمد ياسين، هذا الرجل الذى لم تزده الابتلاءات والمحن إلا عزيمة وإصرارا على مواصلة الطريق على وعورته، والمضى قدما فى طريق التضحية والعطاء حتى تحقيق الأهداف التى من أجلها تم تأسيس هذه الحركة الإسلامية المجاهدة.

لم يكن هدفى عند كتابة هذا المقال الغوص فى أعماق بحر هذا الرجل، لأننى لن أصل عندئذ إلى قرار، فبحر هذا الرجل عميق عميق جدا، ولذا فلن يحيط بمناقبه مقال، ولا كتاب، ولا حتى عشرات المجلدات وإن كثر تعدادها، وإنى لأرى أن التاريخ سيقف طويلا وهو يؤرخ لهذا القائد الفلسطينى المسلم المجاهد، ولذا آثرت أن أقتصر على تسليط الضوء على بعض المحطات من حياته تكشف بعضا من صفاته التى أشعر أننا اليوم فى أمس الحاجة إلى التخلق بها، وغرسها فى وجدان وضمائر الأجيال القادمة من أبناء الأمة الإسلامية، فلدى هذا القائد عزيمة لا تعرف التردد، وإرادة لا تعرف النكوص أو التراجع، وإقدام لا يعرف الجبن والخور، وقوة لا تعرف العجز.

قد كان الشيخ أحمد ياسين يمخر عباب ربيعه الخامس عشر عندما أصيب بكسر فى فقرات العنق على إثر مصارعة ودية بينه وبين أحد زملائه الشهيد عبد الله صيام، ورغم الإصابة الخطيرة التى حلت بالشاب أحمد ياسين إلا أنه أخفى أسباب الحادث عن عائلته حتى لا تحدث مشاكل عائلية بين عائلته وعائلة صيام قائلا حينه بأن الحادث كان بسبب قفزه فى الهواء وسقوطه على رأسه، ولقد أخبرنى بالسبب الحقيقى للحادث عام ١٩٩٠م عندما كنت أشاركه زنزانته أى بعد الإصابة بأربعين سنة، قائلا لى إنها المرة الأولى التى يتحدث فيها عن حقيقة ما جرى وأن عائلته حتى هذه اللحظة لا تعلم ذلك، وقد أدى هذا الحادث المؤلم إلى إصابة الشاب أحمد ياسين بشلل رباعى، فلا ساق له تتحرك ولا ذراع، ومن المعلوم أن الذين يصابون بمصيبة من هذا القبيل يركنون

إلى الضعف، ويستسلمون للعجز فلا ترى أحدهم إلا وقد أصبح على هامش الحياة كمًّا مهملا، لا يؤثر فى مجرياتها ولا يتأثر بها، فيغدو عالة على المجتمع، وعبئا ثقيلا على ذويه.

ولكن الأمر العجيب والملفت للنظر أن الشيخ أحمد ياسين قد سجل أول انتصار فى حياته عندما صنع من شلله حركة، ومن عجزه إرادة، ومن ضعفه قوة، فانتصرت الإرادة الروحية لدى الشيخ أحمد ياسين على ضعف الجسد الهامد، فواصل تعليمه وأصبح مدرسا، ثم ارتقى المنابر خطيبا وموجها ومربيا داعيا إلى الله على بصيرة، يعد الشباب المسلم لحمل أعباء الدعوة إلى الله، والتصدى لما يحاك من مؤامرات ضد الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية، مما أدى إلى اعتقاله على يد الحكومة المصرية فى ذلك الوقت، وبعد هزيمة عام ١٩٦٧م نهض الشيخ أحمد ياسين ليعيد إنشاء حركة الإخوان المسلمين فى قطاع غزة، ولقد نجح فى إقامة هذا البناء بصبر وثبات وإصرار ندر أن نرى له مثيلا فى عالمنا المعاصر، خاصة أن الأمة العربية والإسلامية كانت تغط فى نوم عميق، وتعيش حالة ضعف وانكسار وانهزام، بينما كان الشيخ يصل الليل بالنهار فى حركة دؤوبة، يحدوه أمل كبير فى إنقاذ الأمة مما أصابها.

وبعد النجاح الذى أحرزه فى إعادة بناء حركة الإخوان المسلمين فى فلسطين بدأ الشيخ يعد العدة لانتصار آخر يحرزه لصالح الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية، بل لصالح الأمة العربية والإسلامية، فكان هدفه الأول هو الانتصار على حالة الضعف والنهوض من جديد، يدفعه إيمان قوى أن الأمة قادرة على إحراز النصر إذا ما ملكت إرادة الخروج من دائرة الهزيمة، وكسر طوق التبعية لأعدائها الذين يتربصون بها الدوائر، فبدأ الإعداد لمعركة طويلة الأمد تخوضها الحركة الإسلامية فى مواجهة العدوان الصهيونى الشامل على فلسطين والأمة العربية والإسلامية، فقام الشيخ المجاهد بتأسيس جناح عسكرى للحركة الإسلامية، ولكن قدر الله أن يضرب هذا الجناح فى مهده مما أدى إلى اعتقال الشيخ أحمد ياسين من قبل العدو الصهيونى، ولقد عذب فى أقبية التحقيق الصهيونية عذابا شديدا على يد المحققين الصهاينة اليهود، وذلك عام ١٩٨٤م قبل انطلاقة الانتفاضة بثلاثة أعوام، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة عشر عاما، ثم أفرج عنه بفضل الله بعد أحد عشر شهرا فى صفقة التبادل عام ١٩٨٥م

التى عقدها المجاهد أحمد جبريل أمين عام الجبهة الشعبية القيادة العامة مع العدو الصهيونى، وخرج من المعتقل بعزيمة وإرادة وإصرار على مواصلة الجهاد.

ففى الوقت الذى فجر فيه الشيخ الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧م كان قد تم مسبقا تأسيس الجناح العسكرى لحركة حماس الذى أطلق عليه فيما بعد كتائب الشهيد عز الدين القسام، لتكون الحركة وجناحها العسكرى وانتفاضة الشعب الفلسطينى بمثابة إعلان حرب استنزاف ضد هذا العدو الغاشم، بهدف تحقيق توازن الردع فى ظل غياب توازن القوة.

فى عام ١٩٨٧م قام بتأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس، وفى نفس الوقت الإعلان عن بدء انتفاضة الشعب الفلسطينى ضد الظلم والعدوان والإذلال والقهر المتمثل بالاحتلال الصهيونى لفلسطين، وتدنيسه للمقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، ومذابحه التى طالت الأطفال والنساء والشيوخ بل والأجنة فى بطون الأمهات، وتدميره القرى والمدن، وهدمه للبيوت فوق رؤوس ساكنيها، واقتلاعه الأشجار المثمرة، وتجريفه الأراضى الزراعية، وتدميره حياة الشعب على كل الصعد، لقد أدرك الشيخ أن هذا العدو الصهيونى المفسد قد اعتمد سياسة الإرهاب لتحقيق أهدافه الصهيونية العدوانية، وأدرك أيضا أن هذا العدو المجرم لن يتوقف عن هذه السياسة إلا إذا كان الثمن الذى يدفعه بسبب جرائمه ثمنا باهظا.

فاعتقل الشيخ للمرة الثانية عام ١٩٨٩م وحكم الصهاينة عليه بالسجن مدى الحياة، وبعد ثمانى سنوات فى المعتقل تم الإفراج عن الشيخ بفضل الله عز وجل على إثر العملية الفاشلة التى قام بها الموساد فى الأردن، العملية الإرهابية التى استهدفت حياة الأخ المجاهد خالد مشعل رئيس المكتب السياسى لحركة حماس.

وخرج الشيخ من المعتقل ليعلن على مسامع العالم أجمع أن الجهاد لن يتوقف حتى تحرير كامل التراب الفلسطينى من البحر إلى النهر، وأن لا تفريط فى شبر من الوطن، ولا تنازل عن حق من حقوق الشعب الفلسطينى وعلى رأسها حق العودة للاجئين الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم منذ عام ١٩٤٨م بسبب الإرهاب الصهيونى، رافضا بكل قوة كل المبادرات والوثائق والاتفاقات التى تؤدى إلى المساومة على الوطن أو التنازل عن شبر منه لصالح قراصنة العصر من الصهاينة اليهود الذين تساندهم الصليبية الحاقدة.

وتواصل الحقد الصهيونى ضد الشيخ المجاهد حتى بلغ الأمر بالصهاينة أن حرضوا السلطة الفلسطينية على الشيخ فما لبثت أن فرضت الإقامة الجبرية عليه، ولم تتردد السلطة الفلسطينية فى الاستجابة لهذه الرغبة الصهيونية، ولكن الجماهير الفلسطينية حالت دون استمرار الإقامة الجبرية ليخرج الشيخ من جديد أمضى عزيمة وأشد إصرارا على مواصلة المسيرة الجهادية.

وتواصل الحقد الصهيونى وتمثل فى هذه المرة باستهداف حياة الشيخ، حيث قصف البيت الذى تواجد فيه الشيخ أثناء الغارة الإرهابية بقنبلة زنة ربع طن، ولكن الله سلم فخرج الشيخ سالما رغم الدمار الهائل الذى لحق بالبيت، وقد خرج الشيخ من هذه المحاولة أيضا أشد إصرارا على مواصلة المسيرة الجهادية، فلم تزده الشدائد إلا قوة وإصرارا، وتمسكا بالثوابت والحقوق الوطنية.. هذا هو أحمد ياسين رجل بأمة أو أمة فى رجل.

***

بيانات حول استشهاد الشيخ ياسين

بيان الإخوان المسلمين

يحتسب الإخوان المسلمون عند الله تعالى الأخ المجاهد والشيخ الشهيد أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ذلك الشهيد الذى أصبح بجهاده - ثم استشهاده - رمزا لقدرة الأمة المسلمة على الصمود، والاستمساك بثوابتها، وتحويل مسار التاريخ، والتوحد تحت رايات إسلامها، وعزة عقيدتها، ذلك الرجل الذى هتف فى شعبه: «حى على الجهاد»، وأعلنها مدوية: «إنه لجهاد: نصر أو استشهاد»، يقدم اليوم الدليل العملى على صدق ما قال، فلقد قدم روحه ودمه فى سبيل الله من أجل تحرير الوطن ومقاومة المحتل.. فبشراك بشراك يا شيخ المجاهدين.. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

إن الإخوان المسلمين وهم يستشعرون المسئولية تجاه دينهم وأمتهم، ويشاركون الشعوب العربية والإسلامية فى هذه المسئولية، يريدون أن يلفتوا الأنظار إلى ما يلى:

أولاً: أن الشهيد الشيخ أحمد ياسين ليس أول الشهداء ولن يكون آخرهم ما بقى احتلال يجثم على أرضنا.. فهو الآن عند ربه مع إخوانه من السابقين: مصعب وحمزة وسعد بن معاذ.. وحسن البنا.. ومع أبنائه وإخوانه شهداء فلسطين: يحيى عياش والشقاقى وأبو شنب وأبو على مصطفى والمقادمة وريم الرياشى وغيرهم من المجاهدين والمجاهدات.. نحسبهم كذلك ولا نزكيهم على الله... وإن دروس التاريخ قد علمتنا أن دماء الشهداء لا تضيع وأن الأمم تعيش بتضحيات أبنائها.

ثانيًا: أن المقاومة والجهاد هما السبيل الوحيد لتحرير أرض فلسطين، وأن الصهاينة لا عهد لهم ولا سلام معهم.. وإن ما حدث من استشهاد أمير الشهداء وقائد المجاهدين ليبرهن بكل وضوح على كذب دعاوى الصهاينة عن السلام، إنهم كما قال

الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢] وإن الحديث عن السلام معهم غدا الآن خديعة مرة، ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

ثالثًا: أن الشعوب العربية والإسلامية وقياداتها يجب عليها أن تعرف حقيقة ما يحاك لها وما يخططه الصهاينة والأمريكان للقضاء على هويتها وعلى مقاومتها، ليسهل لهم بذلك الهيمنة والسيطرة عليها، وإن ذلك العدوان الأثيم ليؤكد ضرورة دعم الجهاد والمقاومة ضد المعتدين فى أرض الأقصى الأسير بكل ألوان الدعم وصوره.

رابعًا: أن حكام العرب والمسلمين هم أيضا مستهدفون تماما بتمام كشعوبهم، فالجميع أمام آلة القتل والاغتيال الصهيونية فى كفة واحدة، وهذا يحتم عليهم أن يكونوا على قلب رجل واحد وأن يقفوا فى خندق واحد.

خامسًا: أن أمريكا بدعمها الدائم سياسيًا وعسكريًا للصهاينة تتحمل المسئولية الأولى عن الفوضى التى تعم المنطقة الآن؛ وهى بذلك تحفر تحت أقدامها، وأن أموال دافعى الضرائب الأمريكيين الآن تستخدم لإراقة دم الأبرياء فى كل مكان.

سادسًا: نطالب الدول العربية التى لها علاقات بالصهاينة أن يجمدوا هذه العلاقات فورا وأن يبادروا بطرد السفراء والممثلين الدبلوماسيين من بلادهم، وأن يعيدوا مراجعة مواقفهم ومعاهداتهم مع الصهاينة.

سابعًا: أن شعوب العالم الحر فى شرقه وغربه يجب أن تدين هذا التصرف البربرى غير المسبوق حيث خطط رئيس الحكومة الصهيونية للجريمة وأشرف بنفسه على تنفيذها من قبل قوات جيشه المدججة بالسلاح الأمريكى؟ فكيف يحدث ذلك ضد شخص يدافع عن حقه وأرضه ولم تتم إدانته طبقا لأى قانون؟ فأين القوانين والمنظمات الدولية؟ وأين منظمات حقوق الإنسان وأين الأمم المتحدة؟

ثامنًا: نؤكد أن أهل الإسلام لا يقبلون الضيم، ولا يتنازلون عن حقوقهم، وهم مستعدون دائما للجهاد وللتضحية فى سبيل ربهم، للحفاظ على أوطانهم وأعراضهم، وأن الحق سينتصر لا محالة بإذن الله ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ

﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] وليستبشر الإخوان فى فلسطين فى حركة حماس وفى كل مكان بأن الله معهم ولن يترهم أعمالهم . .

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

و ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

الإخوان المسلمون

القاهرة فى: الأول من صفر ١٤٢٥هـ - ٢٢ من مارس ٢٠٠٤م

***

رسالة من محمد مهدى عاكف

المرشد العام للإخوان المسلمين

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه . . وبعد،

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦].

فقدت أمتنا العربية والإسلامية ابنا بارا من أعز أبنائها، وقائدا فذا من خيرة قادتها، وعالمًا ربانيًا وعاملا مخلصًا، ومجاهدًا قل نظيره على مدار التاريخ . . هو أمير الشهداء الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية "حماس" فى فلسطين، فى جريمة بشعة ارتكبتها عصابات الصهاينة المحتلين، وأشرف على تنفيذها رئيس وزرائهم السفاح شارون حيث قصفت طائراته الأمريكية الصنع الشيخ الجليل المقعد الأشل وهو خارج من مسجده، بعد أن أدى صلاة الفجر، يوم غرة صفر ١٤٢٥هـ / ٢٢ من مارس ٢٠٠٤م، فأردته شهيدا ومعه جماعة من رفاقه وآله، فى عمل جبان ارتج له ضمير الأحرار فى العالم كله.

وإننا إذ ننعى شهداءنا الأبرار ومجاهدنا العظيم الشيخ ياسين، وإذ تتألم نفوسنا لفراقه فى وقت تحتاج أمتنا فيه حكمته ومصابرته وعطاءه، لندرك فى الوقت ذاته أن الشيخ ياسين لم يكن رمزًا لجماعته وإخوانه فحسب، ولم يكن مفخرة لأمته فقط، بل كان حجة على العالم بأسره، حين قدم للبشرية نموذجًا فريدا لإنسان استعلى على

حاجات نفسه، وإعاقة بدنه، وقسوة ظروفه، ليكون محركا لأمته وهو قعيد، مزلزلاً للظلم والظالمين وهو أشل، موقظا للضمير العالمى وبقية الخير فى دنيا الناس لنصرة المستضعفين والمضطهدين، ومقيمًا للحجة على هؤلاء المستضعفين فى الوقت نفسه أن لا يستسلموا لعوامل ضعفهم، وقهر أعدائهم . .

كان الشيخ الشهيد نموذجا للإيمان فى استعلائه وشموخه وعزه، ودليلا على قدرة الإسلام العظيم على صياغة النفوس وقوة الإرادة ومضاء العزم، واستنهاض الهمم، وتجاوز الصعاب، واستشراف النصر، وتغيير الواقع، وتحويل مسار التاريخ .

إننا إذ ننعاه نهنئه بتلك الشهادة على ذلك النحو الفريد، تلك الشهادة التى أمضى عمره يتمناها، ويسعى من أجلها، لا يفتر عن التذكير بفضلها، وبيان آثارها، وتربية أصحابه على الحرص عليها، والدعاء إلى الله تعالى بالظفر بها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب : ٢٣]

وهل من مقام أفضل من مقام الشهيد عند ربه مع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ وهل من سبيل إلى مغفرة الذنوب أسرع من الشهادة فى سبيل الله حيث يغفر للشهيد عند أول قطرة من دمه ؟ وهل من رفعة أعز من رفعة الشهيد حين يلبس حلة الكرامة يوم القيامة على رءوس الأشهاد ؟؟

ما أبقى عذرا لأحد:

نرجو أن تكون روح الشيخ الطاهرة قد تعانقت مع أرواح إخوانه السابقين حمزة ومصعب وسعد بن معاذ . . وروح شيخه وإمامه حسن البنا، وأرواح أصحابه وأبنائه الأبرار يحيى عياش وصلاح شحادة وإبراهيم المقادمة وريم الرياشى وغيرهم من شهداء هذه الأمة المباركة . . ربما كانت تلك الشهادة آخر ما تمتم به شيخنا من دعواته فى صلاته التى لقى الله بعدها . . فلا نامت أعين الجبناء . . وهل أبقى الشيخ ياسين عذرا لقاعد؟ وحجة لمستكن مستسلم يرضى بالذلة، ويقبل بالهوان ؟ وأى عذر تركه ذلك الشيخ المقعد على كرسيه وصواريخ العدو وطائراته تدك جسده النحيل الذى أضناه الألم وأرهقته السنون، أى عذر تركه لمن يمتلئون عافية، ويقتدرون سلطانًا وجاها؟

شرف القضية :

إن شهادة شيخنا الجليل لا تستمد جلالها فقط من مجيئها على ذلك النحو المروع الذى جاءت عليه، بل تستمد عظمتها أيضا من أنها جاءت والرجل يصابر عدوه فى أشرف ميدان، دفاعا عن دينه ومقدساته ووطنه وأهله وأمته، فلم يكن يومًا معتديًا أو متجاوزًا. . وإن وصمه المجرمون بالإرهاب والتحريض عليه، فإذا كان الدفاع عن الحق والوطن والحرية فى وجه من اغتصب ذلك كله إرهابا . . فماذا يكون فعل شارون وعصابته فى موازين العدل وسنن الحياة ؟؟

وتستمد تلك الشهادة عظمتها أيضا من أنها جاءت إثر جهاد مدروس الخطى، واضح القسمات، يستنكف أن تذهب أرواح المجاهدين الغالية فى انفعالات الغضب الجامح، أو ثورات النفس المضطرمة، دون إعداد وتربية وبصيرة، فقد ارتضى منذ شبابه الباكر أن يعمل وفق مبادئ الإخوان المسلمين ووسائل عملهم. . وحشد الناس من حول الحل الإسلامى للتغيير والنهضة من فوق منابر المساجد فى غزة بقوة حجته، وصدق لهجته، ثم رأس المجمع الإسلامى فى غزة ليقدم من خلال نشاطاته الاجتماعية الحلول المدروسة لقضايا مجتمعه وهموم قومه، ومضى يحشد الصفوف ويميط حجب الغفلة، ويقدم فى كل ذلك القدوة والأسوة، فما رده اعتلال صحته، وما عافته سجون العدو ومعتقلاته ومحاكماته العسكرية الجائرة. . ثم انتقل إلى طور التكوين الجهادى الصريح فأسس حركة المقاومة الإسلامية حماس سنة ١٩٨٧م ليكون ذلك نقلة نوعية للجهاد المبارك فى أرض الأقصى الأسير. . وليعلن فى وضوح أنه امتداد للحركة الإسلامية العالمية فنص البيان الأساسى لحماس على أنها «الذراع الضارب لحركة الإخوان المسلمين فى فلسطين المحتلة». .

وضوح رؤيته الجهادية:

لقد أعلن الشهيد مرارًا أن فلسطين وقف إسلامى، لا يجوز لأحد التفريط فى شبر منه، لأنه ليس لأحد الحق فى ذلك، وأن الجهاد هو السبيل لتحرير فلسطين، بعد أن تاهت الأمة عقودًا من الزمن فى سراديب المفاوضات العاجزة، والحلول الموهومة، والأمل الخداع بأن أوراق القضية وحلولها فى أيدى أمريكا أو غيرها من عواصم العالم ودوله. . وأنه من الممكن أن يسفر التعاطف الدولى المراوغ عن أمل حقيقى للوطن السليب إن

تخاذل عنه أهله . . . وقرر الشهيد العظيم أن تحرير فلسطين فرض عين على المسلمين لا يجوز التهاون بشأنه، وأن ساحة الوطن هى ساحة الجهاد التى ينبغى حشد كل القوى داخلها . . كما أعلن مراراً تحريم الدم الفلسطينى على كل فلسطينى، وأن الوحدة الوطنية بين أبناء فلسطين هى الدعامة الأولى لاستمرار الجهاد وحفظ مكتسباته . .

وقد أثمر جهاد الرجل وصحبه، ولم تضع تضحيات أبنائه ودماؤهم، رغم أن جهادهم وافق عجزاً عربيًا مهينًا، وتآمراً دوليًا ثقيل الوطأة، ودعمًا أمريكيًا للكيان الصهيونى غير محدود، وعلى كافة الأصعدة، وبعد سنوات من الجهاد أصبحت قضية فلسطين فى قلب الأحداث العالمية، قضية بلد يسعى إلى الحرية بالدم والجهد بعد أن سدت أمامه سبل الحلول السلمية الممكنة، وقضية شعب يقول للعالم : إن الأمة التى لا تجيد صناعة الموت لا تستحق الحياة . . ولم يبق وطن فى العالم يعانى الاحتلال العسكرى الصريح غير فلسطين، ثم أخيرا العراق . . وأصبح الجهاد هو السبيل فى وعى ذلك الشعب العظيم وتلك الأمة الممتحنة . . وتوارت محاولات الاستسلام المهين، والتسويات المذلة . .

ولم يكن ثمن ذلك الإنجاز رخيصا . . بل كان ألمًا ومعاناة وتجويعا وهدما للبيوت وقتلا وتشريداً ونفيًا ومصادرة وتشويها لنبل الجهاد وغاياته . . وقدم الشيخ ياسين الأسوة بنفسه . . فحوكم فى بلد تدعى الديمقراطية والحرية . . وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، ثم خمس عشرة سنة تزيد على ذلك ! ! وتوالى الشهداء من صحبه وبنيه أمام ناظريه فما رده ذلك عن قناعته بحتمية الجهاد وقرب النصر ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦].

وماذا بعد استشهاده ؟

لقد توحدت الأمة كلها فى مشاعرها الفياضة خلف الشيخ الشهيد، تودعه بقلوبها، وتعاهده على استمرار المسيرة . . إن الدم المهراق لن يذهب هدراً، وأعداؤنا يعلمون ذلك، وقد كان فى شهادته - كما كان فى حياته - عاملاً على وحدة القوى والجهود فى الوطن المحتل، وكانت جنازته المهيبة تعبيراً حراً عن وفاء ذلك الشعب المجاهد لشيوخه

وقادته ومناضليه، ومن خلفهم ملايين المسلمين والأحرار في العالم كله تدعم جهادهم وتتحرق شوقا لمشاركتهم . .

غير أن ذلك الهدير الشعبى الغاضب يفجر فى نفوسنا تساؤلات حارة متأملة لحكامنا وأولى الأمر فينا : ماذا عندكم ؟ وماذا أنتم فاعلون ؟ هل لديكم ما يشفى غليل شعوبكم ويطفئ جمرة الغضب ؟

هل نرتفع إلى مستوى الحدث الجليل فندرك عبثية الطنطنة بالحل السلمى والخيار الاستراتيجى الخانع مع عدو متغطرس وقيادة تعشق دماءنا ولا ترتوى؟

هل نعلو لتكون ردود أفعالنا على ما نحن بصدده متمايزة عن ردود أفعال عواصم الغرب الذى أدان واستنكر، ثم عاد إلى صمته المريب ؟ وهل من أمل أن تتوافق خيارات حكامنا مع خيارات شعوبنا التى باتت واثقة من أن الجهاد هو السبيل لرد العدوان ونيل الكرامة ؟ . . وهل من سبيل إلى وضع خطة مدروسة للخروج من نفق الخوف والاستسلام والتردد والضعف ؟ خطة تحترم عقيدة الأمة وهويتها ورغباتها، تعتمد على إمكاناتها الحقيقية المهدرة . . وتوقن أن الإصلاح المنشود لن يأتى إلا من داخل هذه الأمة، وأن تحرير الوطن السليب ومقدساته لن يأتى عبر موائد التفاوض السرى الذى تتبدى من خلاله عورات ضعفنا و سوءات عجزنا . .

إن الأمة تنتظر من الحكام والملوك والزعماء العرب فى قمتهم بتونس موقفًا حاسمًا من الكيان الصهيونى، ليس أقل من قطع العلاقات - كل العلاقات - معه وطرد سفرائهم من بلادنا، وتقديم شارون لمحاكمة دولية كمجرم حرب . . الأمة تنتظر قرارا ينشلها من وهدة التخلف والعجز ويحشد الطاقات والإمكانات والقدرات، علميًا وتقنيا واقتصاديا وعسكريا واستراتيجيا على مستوى العالم العربى والإسلامى لمواجهة التحديات الصعبة التى تواجه الجميع . . لقد صبرت الأمة طويلا وما عاد فى القوس منزع، وحرى بنا أن نعطيها الفرصة - وهى حقها - فى المشاركة فى صنع حاضرها وتقرير مصيرها. إن الحديث عن أوسلو ومدريد وخارطة الطريق بات مستفزا للمشاعر الغاضبة، باردا وسط الدم الحار المسوح لأهلنا وقادتنا كل يوم . . وإن أمريكا هى النصير الأول لعدونا، بل هى العدو الأقرب الذى تعصف بنا طائراته وصواريخه ودباباته التى سلح بها عصابات الصهاينة فى فلسطين، أو قوات جيشه هو فى العراق . . وهل

استشهد أحمد ياسين ورفاقه إلا بطائرات أمريكا ودعمها ؟ أليست إدارة بوش هى التى شحذت أسنان الصهاينة ضد شعبنا يوم أن وصمت الجهاد العادل فى فلسطين بأنه إرهاب دموى ؟ ويوم أن وصفت جماعة حماس وغيرها من جماعات المقاومة فى فلسطين بأنها جماعات إرهابية لأنها تتصدى للحليف الاستراتيجى لأمريكا؟ وهل كان استشهاد الشيخ أحمد ياسين إلا نتيجة لعجز الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية وتراجعها أمام المشروعين الصهيونى والأمريكى ؟

بقيت لنا كلمة :

إن استشهاد الشيخ أحمد ياسين لن يفت فى عضد المقاومة ضد المحتلين الغزاة فى فلسطين، بل سيزيدها اشتعالا وتوهجًا بإذن الله، وإن ملايين المسلمين فى العالم اليوم تهتف فى قرارة نفوسها بأنه لا سبيل إلا أن " نموت على ما مات عليه " ونحن إذ نشد على أيدى إخواننا فى أرض الأقصى من كافة الفصائل الفلسطينية المجاهدة، وعلى أيدى إخواننا فى حركة المقاومة الإسلامية حماس، لندعو جماهير أمتنا العربية والإسلامية إلى دعم ذلك الجهاد فى هذه المرحلة الفارقة من تاريخنا، لقد دنا النصر إن شاء الله، وأفرغ العدو آخر ما فى جعبته من كيد، وإن مع العسر يسرًا، كما ندعو تلك الملايين الحاشدة من الأحرار الذين هزتهم الجريمة المنكرة إلى مناصرة تلك القضية العادلة، وهم حين يناصرونها إنما يخضدون شوكة عدو قد توحش وطغى، فما عاد خطره - عند ذوى الألباب - بقاصر على أمتنا وحدها . . وإن سنة الله فى خلقه أن ينصر من نصره، وإننا على موعد من ربنا بالنصر ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أما أنت يا أمير الشهداء فنم قرير العين، ونعاهد الله ونعاهدك أن نظل أوفياء لهذه الدعوة ولشجرة الجهاد المباركة التى رويتها بدمك الطهور . .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

بيان صادر عن حركة المقاومة الإسلامية حماس

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

حركة المقاومة الإسلامية "حماس" تنعى لشعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية والإسلامية العالم المجاهد قائد جماعة الإخوان المسلمين فى فلسطين ومؤسس حركة المقاومة الإسلامية "حماس"

الإمام الربانى الشيخ/ أحمد إسماعيل ياسين وإخوانه الشهداء..

بعدما أدى شيخ الأمة صلاة الفجر يوم الاثنين غرة شهر صفر الخير فى مسجد المجمع الإسلامى بغزة الذى أسسه من أول يوم على تقوى الله وحب الجهاد فى سبيله، أقدم قتلة الأنبياء على اغتيال شيخ فلسطين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس الشيخ أحمد إسماعيل ياسين ومرافقيه:

الشهيد المجاهد/ أيوب أحمد عطا الله.

الشهيد المجاهد/ خليل عبد الله أبو جياب.

وثلة من المصلين الأبرار:

الشهيد/ مؤمن إبراهيم اليازورى (نجل الدكتور ابراهيم اليازورى أحد مؤسسى حركة حماس).

الشهيد/ خميس سامى مشتهى (صهر الشيخ أحمد ياسين).

الشهيد/ أمير أحمد عبد العال.

الشهيد/ ربيع عبد الحى عبد العال.

الشهيد/ راتب عبد الرحيم العالول.

يعتقد العدو الجبان أن اغتيال الشيخ سيكون اغتيالاً لحماس وللشعب والقضية وما علم هؤلاء الجبناء أن اغتيال الشيخ هو اغتيال للكيان الصهيونى وهو بداية النهاية لهذا المشروع المسخ بإذن الله.

ستمضى حماس حركة ربانية مجاهدة، وستواصل المسيرة التى بدأها شيخها المبارك، وعلى الأمة العربية والإسلامية أن تتحمل مسؤولياتها فى الدفاع عن أرض فلسطين وعن المسجد الأقصى المبارك، ونصرة شعبها المرابط.

طبت يا شيخنا أيها القائد الربانى فى حياتك ويوم استشهادك.

وإلى الله فى الخالدين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.. نحسبهم كذلك ولا نزكى على الله أحدا.

حركة المقاومة الإسلامية -حماس

الاثنين ١ صفر، ١٤٢٥هـ، الموافق ٢٢ مارس، ٢٠٠٤م

***

بيان صادر عن الكتلة الإسلامية فى فلسطين

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا شيخنا لمحزونون.. ولا نقول إلا ما يرضى ربنا:

يا جماهير أمتنا الإسلامية والعربية... يا جماهير طلابنا البواسل..

نقف اليوم أمام فاجعة كبيرة أمام وحشية الاحتلال وإجرامه الذى بلغ كل وصف بإقدامه على اغتيال الشيخ القائد الجليل أحمد ياسين، اليوم يتجلى العدوان الهمجى بأبشع صوره عندما يوجه النازيون صواريخهم من طائراتهم الحربية على شيخ قعيد على كرسيه المتحرك، لتؤكد مدى جبن هذا العدو المجرم، إننا فى الكتلة الإسلامية ونحن نفتقد الشيخ الجليل أحمد ياسين نؤكد التالى:

أولاً: ندعو جماهير أمتنا العربية والإسلامية للخروج عن صمتها وتسيير المسيرات الجماهيرية الحاشدة تضامنًا مع الشعب الفلسطينى المجاهد، والنهوض لتغير واقعها الأليم.

ثانيًا: ندعو طلابنا البواسل فى كافة الجامعات الفلسطينية والعربية والإسلامية إلى اعتبار هذا اليوم يوم إضراب شامل وتعليق الدراسة فى كافة الجامعات والمدارس والخروج بمسيرات طلابية حاشدة.

ثالثًا: نتوجه بخالص العزاء والتهنئة لجماعة الإخوان المسلمين وحركة المقاومة الإسلامية حماس وعلماء الأمة وقادتها، كما نتوجه بالعزاء والتهنئة لشعبنا الفلسطينى المجاهد وأمتنا العربية والإسلامية.

رابعًا: نؤكد أن استهداف الشيخ أحمد ياسين هو استخفاف بمشاعر ملايين العرب والمسلمين، وندعو الأمة أن تقف عند مسئوليتها فى رد اعتبارها وحفظ ماء وجهها بعد أن تبجحت إسرائيل باغتيال أحد قادة الأمة العظام.

خامسًا: نعاهد الله ثم جماهير أمتنا العربية والإسلامية أن نبقى سائرين على درب الشيخ الجليل أحمد ياسين وأن نبقى حاملين لنهجه وفكرة الذى زرعه فينا. رحم الله شيخنا الجليل.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الكتلة الإسلامية - فلسطين

١ صفر عام ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م

***

بيان عسكرى صادر عن كتائب الشهيد عز الدين القسام

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أيها القتلة الصهاينة، منحتم شيخنا الشهادة وسنمنحكم الموت الزؤام فى كل مدينة وشارع

يا جماهير أمتنا العربية والإسلامية المجاهدة... أبناء شعبنا الفلسطينى:

يستهدف اليوم النازيون الإرهابيون الصهاينة شيخنا القائد المؤسس فضيلة الشيخ المجاهد أحمد ياسين بعد أن أدى صلاة الفجر فى مسجد المجمع الإسلامى، إن ما أقدم عليه الصهاينة اليوم يمثل قمة الانهيار والفشل وهم يوجهون حمم صواريخهم الحاقدة على كرسى الشيخ القعيد، أحمد ياسين، فظنوا أنهم قد قتلوه وما علم الصهاينة أن ملايين المسلمين ستخرج لهم تتبر ما علو تتبيرا، اليوم سيخرج لهم ياسين من كل مدينة وفى كل شارع وزقاق ليمنحهم الموت الزؤام بعد أن منحوه الشهادة التى لم يوقفه الشلل الكامل عن البحث عنها، اليوم يصدر المجرم شارون قرارًا بقتل مئات الصهاينة فى كل

شارع وكل شبر يحتله الصهاينة، عهداً شيخنا أبا محمد أن نكمل المسير، ونلاحق الصهاينة فى كل مكان يختبئون فيه، أبا محمد أبناؤك الاستشهاديون قريبًا سيبلغونك ردنا، فاهنأ قائدنا ومعلمنا وشيخنا وأستاذنا ورمزنا وقرة عيوننا ومهجة قلوبنا، يا شيخنا لن تفتقدك فلسطين والأمة الإسلامية فقد زرعت فى كل بيت وكل شارع رجالا ربانيين أولى بأس شديد، حملوا فكرك وساروا على دربك.

إن كتائب الشهيد عز الدين القسام وهى تزف إلى العالم أجمع مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس، ومرشد جماعة الإخوان المسلمين فى فلسطين.

فضيلة الشيخ القائد أحمد إسماعيل ياسين (أبا محمد)، ومرافقيه، تؤكد التالى :

أولاً: أن من أصدر قراراً باغتيال الشيخ أحمد ياسين إنما أصدر قراراً بقتل مئات الصهاينة.

ثانيًا : أن الصهاينة لم يقدموا على فعلتهم هذه دون أخذ موافقة الإدارة الأمريكية الإرهابية وعليها أن تتحمل المسئولية عن هذه الجريمة.

ثالثًا: أن ردنا هو ما سيراه الصهاينة قريبًا لا ما يسمعونه، بإذن الله.

رابعًا: أن الرد على اغتيال الشيخ أحمد ياسين لن يكون على مستوى جميع فصائل الشعب الفلسطينى المجاهدة فحسب، بل إن المسلمين فى العالم الإسلامى أجمع سيكون لهم شرف المشاركة فى الرد على هذه الجريمة.

كتائب الشهيد عز الدين القسام

١ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م

***

بيان صادر عن حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

تنعى حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين إلى جماهير شعبنا وأمتنا الشيخ المجاهد القائد والرمز الإسلامى الكبير الشيخ أحمد ياسين، الذى استشهد صباح اليوم فى جريمة اغتيال صهيونية جديدة هو واثنين من مرافقيه الأبطال . .

إن هذه الجريمة النكراء التى تجاوزت كل الخطوط وفاقت كل تصور، لم تهدف إلى اغتيال الشيخ أحمد ياسين فقط، بل إنها تعبر عن اغتيال شعب بأكمله، واغتيال أمة بأسرها عندما يغتال رمز وعلم من أعلامها كالشيخ المجاهد أحمد ياسين. .

إننا فى حركة الجهاد الإسلامى إذ نعلن عن تضامننا مع إخواننا فى حركة المقاومة الإسلامية حماس فى هذا المصاب الجلل والتطور الخطير لندعو كافة مجاهدينا إلى إعلان حالة الاستنفار الشامل فى كل مكان والالتحام مع مجاهدى حركة المقاومة الإسلامية حماس وكل القوى وفصائل شعبنا الفلسطينى لنزلزل الأرض من تحت أقدام المجرمين الصهاينة. . ليكن يوم استشهاد القائد والرمز الكبير أحمد ياسين وكل أيامنا الفلسطينية بعد الآن أيامًا للغضب والثورة وتأجيجا لشعلة الجهاد والمقاومة. .

إذا كان شارون يظن أنه باغتياله الشيخ أحمد ياسين سيكسر إرادة المقاومة لدى حركة حماس أو قوى شعبنا الفلسطينى، فإننا نذكره باغتيال الشهيد القائد الدكتور فتحى الشقاقى مؤسس حركة الجهاد الإسلامى الذى روى بدمه الطاهر شجرة الجهاد فأصبحت ببركة استشهاده أكثر قوة وصلابة وحضوراً فى ساحة الجهاد والمقاومة. . وكذلك كل القادة من أبو جهاد خليل الوزير وأبو على مصطفى وصولاً إلى الشيخ أحمد ياسين الذى سينبت من دمه جيل جديد من المجاهدين والقادة يحملون الراية حتى النصر والتحرير بإذن الله.

وللقادة والزعماء العرب الذين يعملون سراً وعلانية سماسرة لهذا الكيان الصهيونى البشع نقول استيقظوا من سباتكم وتحركوا لنصرة شعبكم فى فلسطين، و إلا فإن التاريخ لن يرحمكم ولن يكون مصير كراسيكم على أيدى شعوبكم بمنأى عن مصير كرسى الشيخ أحمد ياسين الذى دمرته الصواريخ الأمريكية فى غزة اليوم. .

إننا نقول لقادة العدو إن الاغتيالات لن تكسرنا ولن تنال من عزمنا وإصرارنا على المضى بمسيرة الجهاد والاستشهاد وسيهزم دم شهدائنا المجرمين القتلة والخونة والعملاء.

الله أكبر والعزة للإسلام. .

حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين

١ صفر ١٤٢٥هـ الموافق لـ ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م

بيان عسكرى صادر عن سرايا القدس

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

سرايا القدس تعلن حالة النفير العام ردا على اغتيال الزعيم الفلسطينى الشيخ أحمد ياسين..

تزف سرايا القدس إلى شعبنا الفلسطينى وإلى أمتنا العربية و الإسلامية شهيدا وقائدا من قادة شعبنا وأمتنا العربية والإسلامية العظماء الذى قضى نحبه هو وستة من المواطنين فجر اليوم الاثنين الموافق ١ صفر ١٤٢٥ هـ ٢٢-٣-٢٠٠٤م فى غارة صهيونية جبانة على مدينة غزة: الزعيم الإسلامى الفلسطينى الشيخ أحمد إسماعيل ياسين.

ونحن نتقدم بالتهنئة والتبريك لجماهير شعبنا، نقول لا عزاء فى الشهداء الأبرار، ولا رثاء لمثل الشيخ المجاهد أحمد ياسين والشهداء الذين سقطوا معه. فهم الأحياء ونحن الأموات، هم الذين استعادوا روح الشعب حين فدوه بأرواحهم.

إن «سرايا القدس» وهى تزف الشهيد القائد والمفكر والداعية أحمد ياسين لتؤكد أنها قادرة على اختراق العدو الصهيونى وضرب عمقه الأمنى وتقسم أنها ستلقن العدو درسًا موجعًا بإذن الله وستدفعه ثمنًا باهظًا لكل جريمة أو محاولة يقترفها بحق شعبنا وقياداته وكوادره ومجاهديه، ونؤكد أن الدم الفلسطينى ليس رخيصًا، ومازال فى فلسطين رجال، ومازال فى فلسطين فرسان، ومازال فى فلسطين أبطال قادرين على الثأر لدم الشهداء، ونوجه نداءً عاجلا لمجاهدينا فى كل مكان بإعلان حالة النفير وضرب الكيان الصهيونى فى كل مكان تطاله أيدهم.

يا جماهير شعبنا الفلسطينى المرابط.. إن وصية الشهداء لنا جميعًا أن لا نرتد عن الجهاد والمقاومة، والكفاح المسلّح قبل أن ننجز التحرير ونحقق النصر بإذن الله، ونستعيد كامل التراب وكامل الحقوق. إنها معركة قاسية، معركة طويلة، فليكن الصبر سلاحنا والإيمان زادنا، وسنبلغ النصر بإذن الله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.. ولأهلهم.. لأمهاتهم، لآبائهم، لإخوانهم، لأحبابهم، لذويهم، لشعبهم، ولنا جميعًا، من بعدهم، الصبر والسلوان.. والنصر لنا ولشعبنا وأمتنا بإذن الله، والله أكبر والعزة للإسلام.

جهادنا مستمر وعملياتنا متواصلة بإذن الله.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

سرايا القدس ـ الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي

١ صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٢-٣-٢٠٠٤م

***

بيان صادر عن قيادة طلائع الجيش الشعبي
بيان صادر عن لجان المقاومة الشعبية في فلسطين
(ألوية الناصر صلاح الدين)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١].

الرد اللائق على استشهاد الشيخ أحمد ياسين هو إعلان السلطة براءتها من العهود مع الاحتلال وقطع كافة الاتصالات معه وإعلان المقاومة نهجا أمثل للتخلص من الاحتلال.

جماهير شعبنا المجاهد:

يتوالى نزيف الدم الطاهر ويتوالى سقوط الشهداء في ملحمة الأقصى العظيمة المقدسة. وتقف الكلمات باهتة شاحبة أمام تألق دماء الشهداء الذي تخرج منه رائحة المسك وعبق الكبرياء.

واليوم يرتفع إلى الله شهيداً شيخ فلسطين المجاهد ورمز مقاومتها وشموخها وعنوان الكبرياء للأمة العربية والإسلامية قاطبة الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة

«حماس» و قائد مسيرتها الذى لم يعرف الراحة أبدًا، وقضى كل عمره مجاهدًا من أجل فلسطين، ومدافعًا عن الإسلام وعن كرامة هذه الأمة التى فرط بها أولئك المقعدون المحبطون المهزومون. أكمل الشيخ درسه الكبير، درس الشهادة، بالتطبيق العملى، فكانت عظمة القول وقمة العطاء.

وإننا فى لجان المقاومة الشعبية فى فلسطين، وجناحها العسكرى ألوية الناصر صلاح الدين؛ نتقدم بالعزاء الحار لرفاق الخندق وأخوة العقيدة فى "حماس" ولجماهيرنا الفلسطينية ولأمتنا الإسلامية؛ باستشهاد الشيخ المجاهد الرمز أحمد ياسين، ومرافقيه الكرام البررة، سائلين المولى عز وجل أن يجمعهم فى مستقر رحمته مع أحبائهم الاستشهاديين ومع النبيين والصديقين وحسُن أولئك رفيقًا.

كما نتوجه لكل مقاتلينا بنداء النفير وضرورة الرد العاجل والمزلزل لأركان العدو، ردًا يليق بمقام شيخ المقاومة ورمز كفاح الشعب الفلسطينى. وليعلم الحقير الصغير شارون ومن ورائه حكومته المجرمة القاتلة؛ أنّ التطاول على العظماء عاقبته وخيمة، وأنّ الدم الفلسطينى أغلى مما تتصوّرون، وأنّ المقاومة مستمرة، بل وسيزداد عنفوانها بهذا المدد المقدس الذى ضحه الشيخ المجاهد أحمد ياسين بدمائه الطاهرة.

جماهيرنا العربية والإسلامية؛

لقد آن الأوان للتحرك، أحفاد قتلة الأنبياء: العدو الصهيونى بقيادة الإرهابى شارون ومن خلفه الإرهابى الأمريكى بوش؛ وباستهدافهم للشيخ أحمد ياسين يسخرون منكم ويستخفون بكم، اليوم آن الأوان ليعلم هؤلاء أنّ فيكم حياة. اضربوهم حيث تطالهم أيديكم، واطردوهم من دياركم، واطردوا معهم من يواليهم ويحبهم.

الجنة لك شيخنا المجاهد أحمد ياسين ولمرافقيك، وعهدًا أن نبقى الأوفياء لدمائك، وأن نستمر امتدادًا لإرادتك التى لا تقهر وعزمك الذى لا يلين.

والله أكبر، لتلتهب الأرض نارًا تحت أقدام الصهاينة.

الخزى والعار لدعاة الهزيمة والاستسلام.

لجان المقاومة الشعبية فى فلسطين
ألوية الناصر صلاح الدين
الاثنين ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م

بيان صادر عن جماعة الإخوان المسلمين العالمية
بشأن جريمة اغتيال الشيخ المجاهد أحمد ياسين
مؤسس حركة حماس الفلسطينية

يحتسب الإخوان المسلمون عند الله تعالى الأخ المجاهد والشيخ الشهيد أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ذلك الشهيد الذى أصبح بجهاده - ثم استشهاده - رمزا لقدرة الأمة المسلمة على الصمود، والاستمساك بثوابتها، وتحويل مسار التاريخ، والتوحد تحت رايات إسلامها، وعزة عقيدتها، ذلك الرجل الذى هتف فى شعبه : «حى على الجهاد»، وأعلنها مدوية : «إنه لجهاد: نصر أو استشهاد»، يقدم اليوم الدليل العملى على صدق ما قال، فلقد قدم روحه ودمه فى سبيل الله من أجل تحرير الوطن ومقاومة المحتل. . فبشراك بشراك يا شيخ المجاهدين . .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]

إن الإخوان المسلمين وهم يستشعرون المسئولية تجاه دينهم وأمتهم، ويشاركون الشعوب العربية والإسلامية فى هذه المسئولية، يريدون أن يلفتوا الأنظار إلى ما يلى :

أولاً: أن الشهيد الشيخ أحمد ياسين ليس أول الشهداء ولن يكون آخرهم ما بقى احتلال يجثم على أرضنا . . فهو الآن عند ربه مع إخوانه من السابقين : مصعب وحمزة وسعد بن معاذ . . وحسن البنا . . ومع أبنائه وإخوانه شهداء فلسطين : يحيى عياش والشقاقى وأبو شنب وأبو على مصطفى والمقادمة وريم الرياشى وغيرهم من المجاهدين والمجاهدات . . نحسبهم كذلك ولا نزكيهم على الله . . . وإن دروس التاريخ قد علمتنا أن دماء الشهداء لا تضيع وأن الأمم تعيش بتضحيات أبنائها .

ثانيًا: أن المقاومة والجهاد هما السبيل الوحيد لتحرير أرض فلسطين، وأن الصهاينة لا عهد لهم ولا سلام معهم . . وإن ما حدث من استشهاد أمير الشهداء وقائد المجاهدين ليبرهن بكل وضوح على كذب دعاوى الصهاينة عن السلام، إنهم كما قال

الله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة : ٨٢] وإن الحديث عن السلام معهم غدا الآن خديعة مرة، ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٠] .

ثالثًا: أن الشعوب العربية والإسلامية وقياداتها يجب عليها أن تعرف حقيقة ما يحاك لها وما يخططه الصهاينة والأمريكان للقضاء على هويتها وعلى مقاومتها، ليسهل لهم بذلك الهيمنة والسيطرة عليها، وإن ذلك العدوان الأثيم ليؤكد ضرورة دعم الجهاد والمقاومة ضد المعتدين فى أرض الأقصى الأسير بكل ألوان الدعم وصوره.

رابعًا: أن حكام العرب والمسلمين هم أيضًا مستهدفون تماما بتمام كشعوبهم، فالجميع أمام آلة القتل والاغتيال الصهيونية فى كفة واحدة، وهذا يحتم عليهم أن يكونوا على قلب رجل واحد وأن يقفوا فى خندق واحد.

خامسًا: أن أمريكا بدعمها الدائم سياسيًا وعسكريًا للصهاينة تتحمل المسئولية الأولى عن الفوضى التى تعم المنطقة الآن، وهى بذلك تحفر تحت أقدامها، وأن أموال دافعى الضرائب الأمريكيين الآن تستخدم لإراقة دم الأبرياء فى كل مكان.

سادسًا: نطالب الدول العربية التى لها علاقات بالصهاينة أن يجمدوا هذه العلاقات فورا وأن يبادروا بطرد السفراء والممثلين الدبلوماسيين من بلادهم، وأن يعيدوا مراجعة مواقفهم ومعاهداتهم مع الصهاينة.

سابعًا: أن شعوب العالم الحر فى شرقه وغربه يجب أن تدين هذا التصرف البربرى غير المسبوق حيث خطط رئيس الحكومة الصهيونية للجريمة وأشرف بنفسه على تنفيذها من قبل قوات جيشه المدججة بالسلاح الأمريكى ؟ فكيف يحدث ذلك ضد شخص يدافع عن حقه وأرضه ولم تتم إدانته طبقا لأى قانون ؟ فأين القوانين والمنظمات الدولية ؟ وأين منظمات حقوق الإنسان وأين الأمم المتحدة ؟

ثامنًا: نؤكد أن أهل الإسلام لا يقبلون الضيم، ولا يتنازلون عن حقوقهم، وهم مستعدون دائما للجهاد وللتضحية فى سبيل ربهم، للحفاظ على أوطانهم وأعراضهم، وأن الحق سينتصر لا محالة بإذن الله ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[المجادلة: ٢١] وليستبشر الإخوان فى فلسطين فى حركة حماس وفى كل مكان بأن الله معهم ولن يترهم أعمالهم.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

الإخوان المسلمون ....

القاهرة فى الأول من صفر ١٤٢٥هـ، ٢٢ من مارس ٢٠٠٤م

***

بيان من التجمع اليمنى للإصلاح حول اغتيال الشيخ ياسين

قال تعالى ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. . . .

تلقى التجمع اليمنى للإصلاح بألم بالغ وحزن عميق نبأ استشهاد الشيخ المجاهد أحمد ياسين من قبل قوات الاحتلال الصهيونى الغاشم فجر يومنا هذا أثناء خروجه من صلاة الفجر بالمسجد، ومجموعة من مرافقيه.

وإننا فى التجمع اليمنى للإصلاح، إذ نعزى الأمة العربية والإسلامية والشعب الفلسطينى وجماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس بفقد هذا المجاهد البطل الذى قضى عمره مدافعًا عن قضيته العادلة، فإننا نعلن إدانتنا واستنكارنا لهذا العمل الإجرامى ونحمل الكيان الصهيونى، ومن ورائه الإدارة الأمريكية وزر هذه الجريمة الكبرى والتبعات المترتبة عليها، وحان الوقت أن تقوم الأنظمة العربية بتحمل مسؤولياتها التاريخية فى قيادة الأمة والتعبير عن آمالها، بالوقوف بقوة أمام هذا الصلف الصهيونى الظالم بكل الوسائل الممكنة، ونهيب بالأمة العربية والإسلامية قيادات وأحزاب ومنظمات وشعوب إقامة الفعاليات للتعبير عن الغضب والألم العميق بهذا المصاب الجلل، والتضامن الجاد والصادق مع الشعب الفلسطينى البطل القابع فى سجنه الكبير خلف أسوار الجدار العنصرى العازل ونصرة قضيته العادلة التى يقدم فى سبيلها الشهداء والجرحى كل يوم.

رحم الله الشهيد أحمد ياسين وإخوانه رحمة الأبرار وأسكنهم فسيح جناته . .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

التجمع اليمنى للإصلاح صنعاء

١/ ٢/ ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م

***

بيان صادر عن حركة مجتمع السلم- المكتب التنفيذى الوطنى

على إثر الاغتيال الجبان الذى خطط له السفاح شارون والذى ذهب ضحيته الشيخ الرمز أحمد ياسين مؤسس حماس، وسقوط شهداء آخرين صبيحة اليوم ٢٢ مارس ٢٠٠٤، عقدت حركة مجتمع السلم جلسة طارئة لتدارس الوضع ورصد التداعيات والتطورات المتوقعة كرد فعل على هذه الجريمة النكراء المستهدفة لرموز الأمة وقممها الشماء.

إن حركة مجتمع السلم تعزى وتتقبل العزاء فى شهيد الأقصى الشيخ المجاهد أحمد ياسين آخر خط دفاع عن شرف الأمة وكرامتها فى أرض الإسراء والمعراج.

إن الشهداء هم نبراس الأمم المجاهدة عن حقها، المقاومة للطغيان والاستعمار، وإن استشهاد أحمد ياسين سيكون بحق الطاقة اللازمة لاستمرار المقاومة حتى يستعاد الحق الكامل للأمة العربية ويحرر الأقصى الشريف.

وبهذا المصاب الجلل تذكر الحركة أن الصراع مع إسرائيل هو صراع وجود أو عدم ما تزال تدعمه أمريكا وتشجعه وتوفر له المظلة الدولية والحماية العسكرية مستخفة بالأمة الإسلامية ومستهترة بأعراف وقوانين المجتمع الدولى كلها.

إن الأمة، ممثلة فى علمائها وقادتها وهيئاتها وشعوبها قد عبرت اليوم عن وقوفها فى طريق الشهادة، واستمرارها فى دعم المقاومة والجهاد ضد التبجح الإسرائيلى، جندتها شهادة الشيخ أحمد ياسين وهى مدعوة لأن تعبئ كل طاقاتها من أجل القضية الفلسطينية.

إن الشيخ أحمد ياسين لم يكن فردا أو تنظيما وليس شخصا ولكنه رمز لا تقتله طائرات F16 إنه رمز للقضية كلها قضية الحق المقدس وقضية الجهاد فى ظرف تخلى فيه

العالم الرسمى عن دعم الشعوب فى استرجاع حقها وتقرير مصيرها، واندرج فى منظومة ظالمة تخلط المقاومة والجهاد بالإرهاب.

إن حركة مجتمع السلم إذ تعزى الأمة الإسلامية عامة والشعب الجزائرى خاصة فإنها تدعو إلى وقفة حق شاملة مع قضية الشهيد أحمد ياسين:

١ - تدعو علماء الأمة الإسلامية وهيئاتها وتنظيماتها وشعوبها إلى كل ما من شأنه دعم المقامة الفلسطينية وفاء للشهيد أحمد ياسين ونصرة للقضية العادلة بشهادة أحرار العالم.

٢ - دعوة الدولة الجزائرية إلى إجراءات الاحتجاج والرفض الرسميين بما يتناسب مع الموقف التاريخى للجزائر تجاه القضية الفلسطينية «ظالمة أو مظلومة».

٣ - تدعو كافة القوى السياسية وتنظيمات المجتمع المدنى إلى التعبير بمختلف الأشكال عن رفضها لهذه التجاوزات والوقوف صفا لدعم القضية الفلسطينية كل من موقعه.

٤ - تنظم الحركة جلسات استقبال العزاء فى الشهيد أحمد ياسين عبر كل ولايات الوطن.

٥ - تنظم الحركة التأبينية الرسمية يوم الخميس القادم بوهران.

رئيس الحركة أبوجرة سلطانى

***

زغلول النجار: أوجه الإعجاز فى استشهاد ياسين

كشف الدكتور زغلول النجار عن أوجه الإعجاز فى استشهاد البطل أحمد ياسين، موضحا أن الله تعالى لبى أمنيته بالشهادة فى سبيل الله، فرغم أنه دخل المستشفى قبل أيام وتردد أن حالته كانت خطيرة، فإن الله قد رد إليه عافيته وحقق له أمنيته بنيل الشهادة.

وأكد الدكتور النجار لـ" إسلام أون لاين. نت" أن هذا الأمر نوع من " الكرامة" التى خص الله بها هذا الشهيد، مشيراً إلى أن العملية القذرة التى استهدفته كشفت عورات الأنظمة العربية الموالية لإسرائيل والتى لن تكون فى منأى مما حدث، ودعا قادة

العالم العربى والإسلامى لتدارك الأمر، مؤكدا أن الصلح مع اليهود مخالفة شرعية لا تجوز لأنهم مغتصبون لأرض عربية إسلامية ظلت كذلك لآلاف السنين والرسول صلى الله عليه وسلم قال فيما معناه: «إذا ديس شبر من أرض المسلمين فالجهاد فريضة على كل مسلم ومسلمة. . .» كما عليهم أن يدركوا أن المجاملة على الحق هى التى أوصلتنا إلى ما وصلنا إليه من ذل وهوان.

وطالب النجار الحكام العرب والمسلمين بمصارحة الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوربى بأن الدعوة التى اندفعوا وراءها لتأييد هذا الكيان هى دعوة باطلة لا أساس لها من الدين وعليهما "فك الارتباط" مع إسرائيل إذا أرادوا عيشا مطمئنا مع المسلمين فلا يمكن لعاقل أن يتخيل التحريفات المختلفة الموجودة فى العهد القديم والتى تدعى بحق لليهود فى هذه الأرض، وإذا لم نواجه العالم بمنهجية علمية صحيحة لتفنيد هذه المزاعم الباطلة فلا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى ماذا يمكن أن يكون مصير هذه المنطقة.

***

بيان صادر عن الحزب الإسلامى العراقى

فى يوم استشهاد الشيخ المجاهد أحمد ياسين. .

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

هذه الجريمة التى وقعت اليوم ليست الأولى التى يرتكبها الكيان الصهيونى ضد أهلنا فى فلسطين، فلقد قام هذا الكيان على الطغيان والاعتداء والدم ابتداءً بمجزرة قبية، مرورا بمجازر جنين وغزة وكل المدن الفلسطينية، وانتهاءً بجرائم تصفية قيادة المقاومة الفلسطينية الباسلة، وعلى رأسها جريمة اغتيال القائد الفذ والمجاهد العظيم والداعية الثبت الشيخ المقعد أحمد ياسين.

إنّ الكيان الصهيونى بهذه الجريمة النكراء قد أثبت بأنه كيان عصابات وليس كيان دولة محترمة تتمسك بقرارات الأمم المتحدة، إنّ هذه الجريمة ستوحد الشعب

الفلسطينى كله على طريق المقاومة ورفض العدوان، وتقديم مزيد من الشهداء فى سبيل الأقصى الأسير، وفى سبيل الشيوخ والنساء والأطفال حتى يعيشوا جميعًا فى ظل الحرية بعد القضاء على الإرهاب الشارونى البغيض.

إنّ الإرهابى المجرم الذى قاد بنفسه عملية الاعتداء الآثمة اليوم هو الذى قاد مذبحة صبرا وشاتيلا، إنّ الدول المتحضرة اليوم مدعوة لتغيير سياساتها تجاه هذا الكيان العدوانى المتغطرس، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وإنّ لمن واجبها كدولة قائدة فى هذا العالم وهى تدعى محاربة الإرهاب؛ أن تعيد النظر اليوم فى هذا الإرهاب الصهيونى والإرهاب الشارونى، فتنحاز إلى العدل والإنصاف لشعب أعزل يسحق بالطائرات والصواريخ والأسلحة الفتاكة، وتهدم عليه البيوت والعمارات يوميًا.

إنّ الحزب الإسلامى العراقى والشعب العراقى بأسره؛ يدعو الشعب الفلسطينى ومن ورائه الشعوب الإسلامية كلها؛ إلى الوحدة الكاملة وتقرير سياسة المقاومة النهائية من أجل انتصار الحق فى فلسطين ودفع العدوان والخطر الصهيونى الكاسح على مستقبل الأمة.

فهنيئًا للشهيد العظيم الذى علم أطفال الحجارة الشهادة فى سبيل المقاومة الشريفة.. والشهادة. فقد ذاق اليوم طعم الشهادة، وسيتحول بإذن الله إلى رمز دائم تقتدى به الأجيال الصاعدة كما اقتدت بالشهداء السابقين أمثال عز الدين القسام وعبد القادر الحسينى وإخوانهم الآخرين.

الحياة والعزة لشعبنا الصابر فى فلسطين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحزب الإسلامى العراقى- المكتب السياسى

***

بيان المؤتمر القومى العربى، والمؤتمر القومى- الإسلامى ومؤتمر الأحزاب العربية

جاء استشهاد الرمز الجهادى الكبير والقائد الفلسطينى والعربى والإسلامى التاريخى الشيخ أحمد ياسين رحمه الله ليتوِّج مسيرة حافلة بالعطاء الفكرى والتعبوى والكفاحى من أجل فلسطين وقضايا الأمة.

وإذا كان الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، وأمثاله من المجاهدين يدركون أنّ الشهادة في سبيل الله حق وشرف؛ فإنّ اغتياله الإجرامي إثر تأديته صلاة الفجر في بيت من بيوت الله؛ له دلالة تتجاوز الأهداف الصهيونية التقليدية من العمليات المماثلة، لتصل إلى حد التطاول على قيم ومقدسات وحرمات في إطار الحرب المتصاعدة ضد هوية الأمة وعقيدتها ومخزونها الروحي والحضاري.

وما كانت حكومة العدو الصهيوني لتجرؤ على ارتكاب مثل هذا العمل الإرهابي بامتياز لولا الحال المؤلمة التي تمر بها أمتنا العربية والإسلامية من ضعف ووهن وتخاذل وتواطؤ، تسمح لأعدائها أن يوغلوا في جرائمهم ومجازرهم دون الخشية من أيّ رد فعل جدي، أو موقف حاسم أو تحرك عملي.

كما أنّ هذا العمل الإرهابي الموصوف، بكل دلالاته وأبعاده؛ ما كان ممكنًا له أن يتم لولا وجود ضوء أخضر أمريكي يؤكد من جديد أنّ سياسة واشنطن في هذه المنطقة ليست سوى الوجه الآخر لسياسة تل أبيب، وأنّ مهمة الإدارة الأمريكية باتت محصورة في تغطية جرائم العدوان الصهيوني بعد وقوعها وفي التشجيع على ارتكابها قبل حصولها.

وهذه الجريمة الإرهابية الكبرى، بكل المقاييس والمعايير؛ ما كان لها أن تقع لولا شعور منفذيها الصهاينة أنّ دولاً عديدة، في الغرب كما في الشرق؛ قد انصاعت للابتزاز الصهيوني، ووقعت في الشرك الأمريكي الذي أراد أن يصف المقاومة المشروعة ضد الاحتلال إرهابًا، والإرهاب الحقيقي الصهيوني؛ دفاعًا عن النفس.

إنّ جريمة اغتيال الشيخ أحمد ياسين هي محطة فاصلة وحاسمة في تاريخ صراعنا مع العدو، فهو يريدها مدخلاً لكسر إرادة الشعب الفلسطيني وضرب معنوياته الأسطورية ومعبرًا لتفتيت وحدته الراسخة وإرهاب قادته المجاهدين، فلتحولها القوى الحية في الأمة إلى مناسبة لشحذ الهمم، ورص الصفوف، وتعميق التواصل مع المقاومة والانتفاضة، وتعزيز النضال ضد الحلف

الاستعمارى الأمريكى، والتأكيد على وحدة الشعب الفلسطينى حول نهج الجهاد والمقاومة.

والجماهير الفلسطينية، بكل انتماءاتها ومشاربها، التى خرجت منذ اللحظات الأولى لانتشار خبر الجريمة النكراء؛ لتودع رمزًا كبيرًا من رموز كفاحها، وقائدًا مميزًا من قادتها الذين جمعوا بين الشجاعة والحكمة، بين الصلابة فى مواجهة العدو وبين التواصل والمودة والرحمة بين الأخوة؛ إنما تؤكد عمق الوحدة الكفاحية بين أبناء شعب فلسطين التى ينبغى أن تصبح نموذجًا يُحتذى على مستوى الأمة.

إنّ المؤتمر القومى العربى، والمؤتمر القومى - الإسلامى، والمؤتمر العام للأحزاب العربية، إذ يبارك للشعب العربى الفلسطينى عمومًا، وللأخوة فى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» خصوصًا، باستشهاد القائد الكبير والرمز المضىء الشهيد الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، وإخوانه الشهداء؛ يدعو القوى الحية فى الأمة العربية والإسلامية، وفى العالم كله؛ إلى إطلاق أوسع حركة تضامن شعبية عربية وإسلامية وعالمية مع مقاومتنا المجاهدة فى فلسطين، تعيد التوازن المفقود بين قوة الأعداء المتغطرسة وقوى الحرية والإيمان فى الأمة والعالم، وهى ما زالت معطلة أو مغيبة أو مقموعة.

كما أنّ المؤتمرات الثلاث، التى ينضوى فى عضويتها الغالبية الساحقة من رجالات الأمة وأحزابها وفعالياتها السياسية والثقافية والإعلامية؛ تدعو القمة العربية فى تونس إلى تحمل مسؤولياتها كاملة تجاه شعب فلسطين ومقاومته وانتفاضته، وفى مقدمها قطع كل علاقة قائمة مع العدو الصهيونى، بل أن تكسر الحلقة المفرغة من الخوف والعجز والتخاذل والتواطؤ التى يدور فيها واقعنا العربى الأليم.

رحم الله الشهيد الكبير الشيخ المجاهد أحمد ياسين وإخوانه وكل شهداء فلسطين والأمة. وإنا على العهد باقون.

المؤتمر القومى العربى، المؤتمر القومى

الإسلامى، مؤتمر الأحزاب العربية

التاريخ: ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م

بيان صادر عن مجموعة من المواقع الإسلامية

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. . . نزف وننعى الأمة الإسلامية بمقتل شيخ فلسطين الشهيد بإذن الله - أحمد إسماعيل ياسين الذى ارتقى إلى العلا إثر قصف صهيونى استهدفه بُعيد صلاة الفجر صباح اليوم الاثنين الأول من صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م.

فما أشبه اليوم بالبارحة، أمس المجاهد الشيخ عبد الله عزام مع ولديه فى صلاة الجمعة، واليوم المجاهد الشيخ أحمد ياسين مع ولديه بعد صلاة الفجر، نسأل الله أن يتقبلهم فى الشهداء وأن يجمعهم مع الأنبياء والصديقين والأولياء وحسن أولئك رفيقا.

نعم إن الأمة فقدت رجلا من أعز الرجال. . . فقدت رمزًا من رموز الجهاد والمقاومة. . فقدت رجلاً قوى الإرادة رجلاً يحب دينه وأمته. . . رجلاً يذكرنا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه. . . ولكن رغم هذا فلن يضر الأمة والمجاهدين فقدان أحد أبطالها وقادتها. . لأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وإذا فقدنا اليوم الشيخ أحمد ياسين فهناك ألف أحمد ياسين وألف عبد الله عزام.

وما نقول لهما إلا بهذه الكلمات:

ربح البيع يا أبطال الأمة.

ونقول لشباب الأمة:

حى على الجهاد

الله أكبر ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون.

***

بعض من علماء وقادة الأمة
الإسلامية والعربية يوقعون بتعازيهم

الشيخ أحمد ياسين فى ذمة الله...

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. . .

فى فجر يوم الاثنين، غرة صفر ١٤٢٥ هـ، لقى شيخ المجاهدين الفلسطينيين الشيخ أحمد ياسين ربه، وهو يغادر المسجد على إثر أدائه صلاة الفجر على كرسيه المتحرك حيث تعرض هو وأبناؤه وعدد من المصلين لهجوم بالصواريخ الأمريكية مقذوفة من أباتشى أمريكية تحميها طائرات (ف١٦) أمريكية، فتطايرت جثة الشيخ الجليل وكرسيه وحوالى عشرة ممن كانوا معه، أشلاء ممزقة، إضافة إلى عشرات من الجرحى منهم ابنا الشيخ.

وإزاء هذه الجريمة النكراء الجديدة التى استهدفت شيخا مقعدا يؤدى فريضة دينية هى رمز السلام، وجمعا من المصلين، فإن الموقعين على هذا البيان من العلماء وقادة الحركات الإسلامية والمفكرين والدعاة لا يملكون إلا أن يوجهوا هذا النداء للأمة العربية والإسلامية ولشعوب وأحرار العالم. . .

١ ـ نحن لا نعزى شعب فلسطين فى قائد الانتفاضة والمقاومة، فلقد لقى أغلى ما يتمناه مسلم فى مثل إيمانه الشامخ، وهو الذى تربى فى مدرسة من شعاراتها الأساسية (والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا) ترجمة لقيمة الشهادة فى الإسلام: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] . . نحن نهنئه وأسرته المجاهدة وتلاميذه وكل شعب فلسطين، أن أسس حركة زفت إلى الفردوس الأعلى -إن شاء الله- آلاف الشهداء وفتحت فى جدار اليأس والخنوع والاستسلام العربى والدولى لموازين القوة، طريقا للحرية والعزة، فكان الشيخ فى حياته وفى رحيله قدوة وقائدا للمجاهدين، لم يعقه بدنه المنهك أن يتبوأ أرفع مستويات البطولة والقيادة والفداء، مما هو درس لكل ضعيف، ولشعوبنا المستضعفة: أنه مع الإيمان والعزم والتوكل يمكن لمقعد أن يقاوم بل ألا يكتفى بالمقاومة وحسب وإنما أن يربى شعبا على المقاومة ووحدة الصف وإدخال الرعب على أعتى القوى المادية الشيطانية حتى لم يبق أمام المجرم شارون وهو يتأهب للرحيل مهزوما عن غزة إلا أن يوارى حقده وجبنه بإضافة هذه الجريمة التى لن تؤخر مسيرة أطلقها أحمد ياسين على طريق أسلاف له ورفقاء عظام مضوا شرفاء شهداء.

٢ ـ أيها المؤمنون أيها العرب أيها الأحرار إن ما أقدمت عليه سلطة الاحتلال الصهيونى من اقتراف هذه المجزرة لم يكن سوى حلقة من سلسلة جرائم ضد الإنسانية دأبت عليها سلطة الاحتلال منذ أزيد من نصف قرن لتهجير شعب فلسطين من أرضه

ولكسر إرادته وزرع الفتن بين أبنائه والإمعان فى التنكيل والاغتيال والاقتحام والحصار ونسف المنازل وتجريف المزارع لإهلاك الحرث والنسل، وذلك على مرأى ومسمع من العالم بل وتشجيع من بعض الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة. وجاء اغتيال شيخ الانتفاضة تتويجا لتلك الجرائم، وما كان ذلك ليحدث ويتمادى ويتفاقم لولا ضوء أخضر أمريكى وتخاذل دول عربية وإسلامية بلغ حد التواطؤ مع الكيان الصهيونى وإقامة علاقات علانية وسرية معه. وعلى الضد من ذلك التضييق على شعب فلسطين وخنق مقاومته خضوعا للضغوط الأمريكية، بما يحمّل هذه الدول قسطا وافرا من تبعة هذه الجريمة إلى جانب الولايات المتحدة والدول المتواطئة.

٣ـ نحن نشد على يد شعب فلسطين العظيم حراس الأقصى وهم على الخط الأول فى الدفاع عن الأرض والعرض، عن الدين والقيم الإنسانية، التى تنتهك على أيدى بعض الدول العظمى بزعامة أمريكا وحلفائها فى المنطقة، ندعوهم إلى مزيد من الثبات والصمود ووحدة الصف الوطنى وتصعيد المقاومة، فالعدو يوشك أن يلوذ بالفرار أمام بأس المجاهدين، كما فرّ سابقا من لبنان تحت جنح الظلام.

٤ـ ندعو الشعوب -فهى أملنا بعد الله عز وجل عربا ومسلمين ومسيحيين، وسائر أحرار العالم- إلى وقفة عز وشرف من أجل بذل كل صنوف الدعم المادى والمعنوى لشعب فلسطين البطل وهو يقارع فى بسالة، الهمجية النازية الصهيونية المدعومة من الإمبريالية الأمريكية. إن مقاومة الكيان الصهيونى باعتباره قاعدة متقدمة للإمبريالية والتوحش المعاصر، وخطرا على المنطقة والعالم، سيمثل منطلقا عظيما لتحرير العالم كله من الظلم والهمجية، وفى هذا الصدد نهيب بكل الأحرار والشرفاء فى العالم أن يعبروا عن تضامنهم بكل السبل المتاحة مع شعب فلسطين مستنكرين هذه الجريمة الشنعاء التى أودت بحياة قائد المقاومة والانتفاضة وذلك عبر المسيرات والاعتصامات والبيانات وحشد كل الطاقات لدعم المقاومة الباسلة حتى يستيقن مجرم الحرب شارون ومن وراءه أنه لا يقاتل شعبا معزولا وإنما هو يحارب كل العرب والمسلمين وأحرار العالم.

بوركت أيها الشيخ المقعد يا من علمت المستضعفين كيف ينتصرون على من أسكرتهم نشوة القوة المادية والسلاح المتفوق، ولم يحسبوا أن القوة قوة الروح

غافلين عن أن القوة هى قوة الروح والعزم والتوكل كما هم غافلون عن وعد الله.
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ [غافر: ٥١ - ٥٣]

تحريرا فى ١ صفر ١٤٢٥ هـ، ٢٢ مارس ٢٠٠٤ م

قائمة الموقعين:

١ - الأستاذ محمد مهدى عاكف المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين - مصر

٢ - الدكتور يوسف القرضاوى رئيس قسم بحوث السنة بجامعة قطر - قطر

٣ - حسين أحمد قاضى أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان - باكستان

٤ - حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله بلبنان - لبنان

٥ - مطيع الرحمن نظامى أمير الجماعة الإسلامية ببنجلاديش - بنجلاديش

٦ - عصام العطار كاتب إسلامى - ألمانيا

٧ - عبد السلام ياسين المرشد العام لجماعة العدل والإحسان - المغرب

٨ - محمد على تسخيرى رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية - إيران

٩ - عبد الله على المطوع رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعى، الكويت - الكويت

١٠ - عبد الله بن حسين الأحمر رئيس الهيئة العليا للتجمع اليمنى للإصلاح - اليمن

١١ - الدكتور حسن هويدى نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين - سوريا

١٢ - الشيخ فيصل مولوى أمين عام الجماعة الإسلامية بلبنان - لبنان

١٣ - الأستاذ عبد المجيد الذنيبات المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين فى الأردن

١٤ - الأستاذ الصادق عبد الماجد المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين بالسودان

١٥ - الأستاذ على صدر الدين البيانونى المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين بسوريا - سوريا

١٦ - الأستاذ ياسين عبد العزيز نائب رئيس الهيئة العليا للتجمع اليمنى للإصلاح - اليمن

١٧ - د. حسن عبد الله الترابى الأمين العام للمؤتمر الشعبى -السودان.

١٨ - الأستاذ راشد الغنوشى رئيس حركة النهضة الإسلامية بتونس - تونس

١٩ - الأستاذ نجم الدين أربكان رئيس وزراء تركيا السابق - تركيا.

٢٠ - الشيخ عبد المجيد الزندانى رئيس مجلس الشورى للتجمع اليمنى للإصلاح - اليمن

٢١ - الدكتور أسامة التكريتى رئيس الحزب الإسلامى - العراق.

٢٢ - الدكتور محسن عبد الحميد أمين الحزب الإسلامى - العراق

٢٣ - الأستاذ محمد صلاح الدين أمين الحزب الإسلامى الكردستانى - العراق

٢٤ - الدكتور رمضان عبد الله شلح الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامى - فلسطين

٢٥ - الأستاذ أبو جرة سلطانى رئيس حركة مجتمع السلم - الجزائر

٢٦ - أحمد طالب الإبراهيمى رئيس حركة الوفاء والعدل - الجزائر

٢٧ - توفيق الشاوى مفكر إسلامى - مصر

٢٨ - الأستاذ فتحى يكن مفكر إسلامى - لبنان

٢٩ - الأستاذ منير شفيق مفكر إسلامى - فلسطين

٣٠ - الأستاذ هادى خسرو شاهى عالم دين - إيران

٣١ - الأستاذ خالد مشعل رئيس المكتب السياسى لحركة حماس - فلسطين

٣٢ - الدكتور عبد المجيد عبد السلام الإخوان المسلمون - ليبيا

٣٣ - الشيخ عبد الله نورى رئيس حركة النهضة - طاجيكستان

٣٤ - الأستاذ أحمد الريسونى رئيس حركة التوحيد والإصلاح - المغرب

٣٥ - الأستاذ عبد الرشيد ترابى أمير الجماعة الإسلامية فى كشمير الحرة - باكستان

٣٦ - الأستاذ محمد هداية نور وحيد رئيس حزب العدالة - إندونيسيا

٣٧ - الأستاذ عبد الكريم الخطيب رئيس حزب العدالة والتنمية - المغرب

٣٨ - الأستاذ أحمد عبد الرحمن رئيس حركة الشباب الماليزى - ماليزيا

٣٩ – الأستاذ عبد الهادى أوانج رئيس الحزب الإسلامى – ماليزيا

٤٠ – الدكتور محمد حبيب نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين – مصر

٤٢ – المهندس محمد خيرت الشاطر نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين – مصر

٤٢ – الشيخ عباسى مدنى رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ – الجزائر

٤٣ – الشيخ حامد البيتاوى رئيس جمعية علماء فلسطين – فلسطين

٤٤ – الشيخ محمد الحسن ولد الدو عالم دين إسلامى – موريتانيا

٤٥ – الأستاذ محمد جميل بن منصور عالم دين إسلامى – موريتانيا

٤٦ – الأستاذ رشيد حاج أمير الجماعة الإسلامية بسريلانكا – سريلانكا

٤٧ – الشيخ سيد عمر أمين عام حزب النهضة – طاجكستان

٤٨ – الشيخ حمزة منصور أمين عام جبهة العمل الإسلامى – الأردن

٤٩ – البروفيسور خورشيد أحمد نائب أمير الجماعة الإسلامية بباكستان – باكستان

٥٠ – الشيخ أمين بام أمين عام جمعية العلماء –جنوب إفريقيا

٥١ – سعيد نعمانى نائب رئيس رابطة الثقافة الإسلامية – إيران

٥٢ – الأستاذ سالم سقاف الجفرى مدير معهد الخيرات للبحوث الفقهية والقانونية – إندونيسيا

٥٣ – الأستاذ عبد رب الرسول سياف أمير الاتحاد الإسلامى – أفغانستان

٥٤ – الأستاذ حمد إبراهيم الصليفيح أستاذ جامعى – السعودية

٥٥ – الأستاذ أحمد الراوى رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية – اليمن

٥٦ – الأستاذ إبراهيم جبريل رئيس مجلس القضاء الأعلى جنوب – إفريقيا

٥٧ – الأستاذ عثمان إبراهيم محاضر بجامعة مقديشيو – الصومال

٥٨ – الدكتور بشير نافع موسى أستاذ جامعى – فلسطين

٥٩ – الأستاذ عبد البارى زمزمى عالم دين إسلامى – المغرب

٦٠ - الأستاذ سعيد الشهابى رئيس تحرير مجلة العالم - البحرين

٦١ - الدكتور على محى الدين القرة داغى أستاذ بجامعة قطر - العراق

٦٢ - الأستاذ مجدى أحمد حسين عضو المكتب السياسى بحزب العمل - مصر

٦٣ - الشيخ محمد حسان من علماء الهند - الهند

٦٤ - الشيخ نظيم خليلوويج عالم دين إسلامى - البوسنة

٦٥ - الأستاذ هاشم شريف باحث إسلامى - جزر القمر

***

بيان صادر عن اتحاد الأطباء العرب

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

[آل عمران: ١٦٩].

أكبر جريمة ضد شيخ الانتفاضة..

تابع اتحاد الأطباء العرب ببالغ الحزن والأسف الجريمة النكراء باغتيال القائد البطل والزعيم الإسلامى والعربى والفلسطينى الشيخ أحمد ياسين رمز الجهاد والنضال ورمز المقاومة الذى اغتالته عصابات الإجرام وسفك الدماء فى تل أبيب فلقى ربه راضيا مرضيا هو وتسعة من رفاقه ومرافقيه عقب صلاة الفجر..

إن هذه الجريمة الجبانة التى ارتكبتها هذه العصابة الصهيونية بآلتها العسكرية وبالطائرات والصواريخ الأمريكية ضد رجل قعيد مصاب بالشلل وعاجز عن الحركة لتفضح مجددا الديموقراطية الأمريكية وتفضح هذا الشريك المشارك الأمريكى وتفضح العجز والتخاذل العربى كذلك تفضح عجز المؤسسات الدولية المنحازة وعلى رأسها مجلس الأمن.

إن اتحاد الأطباء العرب لن يستنكر هذه الجريمة النكراء، فلقد تجاوزنا جميعا مرحلة الاستنكار والشجب، وإنما نطالب الحكومات والشعوب العربية والإسلامية بتسليح الشعب الفلسطينى لكى يدافع عن نفسه ضد عمليات الإبادة التى يتعرض لها هذا

الشعب وقياداته ورموزه فالأمة كلها مدعوة لتقديم كافة أشكال الدعم العسكرى والمادى والمعنوى.

إن الاتحاد يطالب بإغلاق كل السفارات والمكاتب الصهيونية داخل الأقطار العربية ووقف كل أشكال التطبيع وإعداد الشعوب للمواجهة التى يفرضها علينا هذا الكيان المحتل الغاصب.

والاتحاد يعلن الإضراب العام الرمزى لكل الأطباء العرب لمدة ساعة بعد غد الأربعاء ٢٤ / ٣ / ٢٠٠٤ من الساعة ١٢ ظهراً وحتى الساعة الواحدة ماعدا أقسام الطوارئ والحالات الحرجة.

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

الأمين العام لاتحاد الأطباء العرب

د. عبد المنعم أبو الفتوح

***

الاخوة الكرام فى حركة المقاومة الإسلامية «حماس»

أحسن الله عزاءنا وعزاءكم فى فقيدنا وفقيد الأمة الإسلامية الزعيم والقائد البطل الشيخ أحمد ياسين الذى اغتالته عصابات الإجرام من الصهاينة فلقى ربه راضيا مرضيا مستبشرا هو ورفاقه وإخوانه.

فنسأل الله أن يتقبل فقيدنا وإخوانه فى الشهداء وأن يلحقنا بهم فى الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

كما نسأل الله أن يمنحنا وأهله الصبر والسلوان وأن يأجرنا فى مصيبتنا ويخلفنا فيها خيراً.

وإنا لله وإنا إليه راجعون..

الأمين العام لاتحاد الأطباء العرب

د. عبد المنعم أبو الفتوح

القاهرة: ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤م

بيان صادر عن جماعة العدل والإحسان - فرع طنجة

بيان إلى الرأى العام بشأن جريمة اغتيال أمير المجاهدين : الشيخ أحمد ياسين . . .

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . . .

فى فجر اليوم الذى خلد ذكرى السلام المشؤوم، هب عشاقُ الدم وقتَلةُ السلام لإضافة فظاعة جديدة إلى سجلهم الدموى باغتيال شيخ المقاومة والصمود، الشهيد البطل أمير المجاهدين أحمد ياسين، الذى تواطأت مشاعر العالم على توشيحه بآخر ما تبقى له فى قواميس البطولة من نياشين وأوسمة؛ وسام الشهادة فى سبيل الله والأرض والمستضعفين.

إن تجريد العدو الصهيونى -بزعامة السفاح الدموى شارون- لكوكبة من الطائرات فى تنفيذه للعملية القذرة، مستهدفا شيخا مسنا لا يملك إلا يقينا بالله صادقا، وقلبا بالقضية خافقا، ولسانا بالحق ناطقا، يكشف بجلاء جبن العدو المغتصب، ويؤكد من جديد أن قطار التحرير لا يمكن أن يعانق خط الظفر والوصول إلا على سكة المقاومة التى أوجعت الصهاينة فى فلسطين، وأجلتهم من جنوب لبنان رغم قلة العدة والعدد.

إن هذه العملية الإجرامية التى راح ضحيتها شيخنا البطل أحمد ياسين تأتى لتعيد أمر فلسطين إلى نصابه ومقامه، ولتنتزع من يد "الواقعيين"!؟ آخر أوراق المراهنة على السلام مع أعداء السلام.

إننا إذ نستخف بهذا الصنيع الجبان، لنوقن جازمين بأن أمتنا الولود حبلى بألف ألف ياسين، وبأن العدو الصهيونى لن يجد من أهدافه إلا نقيض طلبه وخلاف قصده، ونؤكد ما يأتى :

١- شجبنا الشديد لهذا العمل الإرهابى الوحشى الذى لن يزيد أهلنا فى فلسطين إلا مزيدا من الصمود والالتحام حول خيار المقاومة.

٢ - تنديدنا بتواطؤ الإدارة الأمريكية وتحريضها المكشوف على سفك الدماء البريئة فى الأرض المباركة.

٣ـ دعوتنا جميع المسلمين إلى مقاومة كل أشكال الإفساد الصهيونى الإعلامية والثقافية التى تسعى إلى تنويم أبناء الأمة وتجبينهم وتأبيد تخلفهم، والتأسى بشيخنا الشهيد حين قال: «أملى أن يرضى الله عنى».

٤ ـ مناشدتنا لكافة القوى الحية أن تسارع إلى التعبير عن رفض هذا العدوان بكافة الأشكال المشروعة؛ فلا حياد فى زمن الإفساد.

٥ ـ مطالبتنا للمجلس العلمى بطنجة أن يعمد إلى توجيه الخطباء للحديث عن الإرهاب الصهيونى، وأداء صلاة الغائب عقب صلاة الجمعة.

طنجة، فى: الاثنين ٣٠ محرم ١٤٢٥هـ ـ ٢٢ مارس ٢٠٠٤م

***

بيان حزب العمل حول استشهاد المجاهد أحمد ياسين

﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤-٦].

لا نعرف من نعزى ومن يتقبل العزاء فالمصاب مصابنا جميعا، والمصاب مصاب الأمة، ونسأل هل نعزى أنفسنا أم نهنئها؟ فلنهنئها.. فقد كانت الشهادة هى ورد من أوراد الشهيد يذكره بعد كل صلاة بل كانت الشهادة هى همه الأول، طلبها وها هو قد نالها، وعزاؤنا فيك أيها المجاهد الشهيد أنك تركت جيلا من المجاهدين لا يعرف للخنوع طريقا.

إن حزب العمل بالغربية يستنكر هذا العمل الإجرامى الشارونى البوشى ويطالب الأمة العربية والإسلامية بكافة تياراتها السياسية والمذهبية بالوقوف صفا واحدا ضد هذا الإجرام الشارونى، ومؤيدا ومساندا كل الفصائل الاستشهادية على أرض فلسطين الحبيبة، كما يستنكر حزب العمل أيضا كافة أشكال التطبيع والاتصالات التى تتم مع العدو الصهيونى من قبل الحكومة المصرية والحكومات العربية مؤكدين ضرورة إلغاء كافة المعاهدات مع هذا العدو المجرم ونخص بالذكر اتفاقية العار والشنار(اتفاقية كامب ديفيد الاستسلامية) وإننا إذ نؤكد فى حزب العمل ضرورة طرد السفير الصهيونى من

أرض النيل بعد أن دنسها كثير من سفراء الصهاينة، كما نناشد القيادة السياسية عدم عودة السفير المصرى إلى العدو الصهيونى، واعتبار ما يسمى بدولة إسرائيل دولة إرهابية وكذلك اعتبار الإرهابى شارون لعنه الله مجرم حرب والمطالبة بمحاكمته. كما نناشد القادة العرب فى مؤتمرهم القادم فى تونس بسحب كافة المبادرات التى قدموها للعدو الصهيونى وخاصة مبادرة الأمير عبد الله ومطالبة كافة الجيوش العربية بإعلان حالة الاستنفار القصوى للتصدى لأى تهور يقوم به السفاح شارون.

أمانة حزب العمل

الاثنين غرة صفر ١٤٢٥هـ

***

بيان صادر عن المبادرة الطلابية

لمناهضة الاختراق الصهيونى - موريتانيا

أقدمت فجر اليوم قوات الاحتلال الصهيونى الأخرس على اغتيال الشيخ البطل المجاهد أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بينما كان عائدا من صلاة الصبح.

مصاب جلل وجريمة بكل المقاييس واعتداء سافر على الأمة ولكن فى هذا الزمن الصهيونى لاجريمة سوى أن تكون مسلما تدافع عن وطنك وأمتك ضد «الحاكم العميل» أو «الأجنبى الدخيل» وأما تدمير البيوت وقتل الأبرياء وتشريد المستضعفين وانتهاك الحرمات فهى حلال على بنى إسرائيل أحفاد القردة والخنازير.

باغتيال الشيخ أحمد ياسين.. اغتيل الرمز والكرامة.. اغتيل ذلك الشيخ الذى أبى إلا أن يواصل طريق الشهامة رغم المرض والشلل.. رغم المعتقلات والسجون.. رغم انعدام الرفيق وقلة الزاد.

لكنهم إن يقتلوا الشيخ أحمد ياسين فلن يقتلوا المقاومة والاستشهاد... فرؤوس الجميع مازالت شامخة وقلوبهم تنبض. إن هذه ساعة تحد ومواجهة وأن الله كتب لهم العزة.. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ونحن فى المبادرة الطلابية لمناهضة الاختراق الصهيونى إذ نعلن إدانتنا واستنكارنا لهذه الخطوة الجبانة لنؤكد عزمنا المواصلة فى نصرة إخوتنا فى فلسطين رغم أنف جميع المطبعين فى موريتانيا.

كما نؤكد إصرارنا وسعينا إلى :

* قطع جميع العلاقات المشينة مع الكيان الصهيونى الغاصب.
* منع جميع حاملى جواز السفر الأمريكى من الدخول أو المرور عبر التراب الوطنى.
* استدعاء السفير الأمريكى من طرف السلطات الموريتانية ومطالبته بإرغام حفدة القردة والخنازير على مغادرة الأراضى المحتلة.
* مطالبتنا منظمة المؤتمر الإسلامى بمقاضاة مجرمى الحرب الصهاينة وبصورة خاصة السفاح «شارون»، وأذنابه الذين نفذوا عملية اغتيال الشيخ الشهيد أحمد ياسين.
* كما نشدد على ضرورة تفعيل المقاطعة الاقتصادية على جميع بضائع الكيان الصهيونى وداعميه.

وليسقط الخونة والجبناء من تجار الضمير والوطن.

المبادرة الطلابية لمناهضة الاختراق الصهيونى

الشهيد البطل الدكتور/ عبد العزيز الرنتيسى

٢٠٠٤/٤/١٧م



وبينما الأمة تعيش مأتم القائد البطل الشيخ أحمد ياسين، وبينما الحسرة لا تزال تملأ القلوب، وتدمى النفوس، وبينما الدمع المتحجر فى المآقى على حاله، إذا بنا على غير ميعاد نفجع فى خليفته القائد الشهم الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى الذى اغتالته بحق ثلاث جهات، أولاها: العملاء والخونة الذين باعوا نفوسهم لشياطين الصهيونية، والمستعمر دائمًا لا يستطيع أن يعيش بدون أولئك العملاء الذين يدلونه على العورات، ويقودونه إلى سحق القادة الشرفاء، وإلا فقل لى بحق الله عليك: ما الذى يدل الصهاينة على من خرج يصلى، أو نزل إلى الشارع لقضاء حاجة، أو.. أو؟.

لعل أول هؤلاء العملاء هم الذين سموا بالسلطة الفلسطينية، أو قل «النكبة الفلسطينية» الذين أتى بهم اليهود وأذنابهم، والذين تربى فى أحضانهم من جنَّدتهم الصهيونية، ومنحتهم الحصانة والحماية والرعاية والأموال والأمانى، ويعملون جاهدين على تصفية القضية الفلسطينية، والجهاد الفلسطينى، وبيع المقدسات ولو على أشلاء الأمة ودمائها ومقدراتها.

وهؤلاء هم الذين عناهم الشهيد البطل عبدالعزيز الرنتيسى عند استشهاد الشيخ ياسين بقوله: «لم يعد سرًا أن هناك مخططات تصفوية للقضية الفلسطينية والوجود الفلسطينى، وهناك للأسف الشديد من يسيل لعابه كى يُعطى دورًا فى تصفية القضية ليحقق حضورًا لنفسه فى بيئة ترفضه، وهذا الصنف من أبناء الأمة موجود على طول وعرض الخريطة الفلسطينية والعربية والإسلامية، وإن أحداثًا من هذا الحجم الثقيل كفيلة بأن تزيد من عُزلة وإقصاء هؤلاء المنافقين، وبالتالى تقليص أخطارهم، وإضعاف قدراتهم على التصدى للمجاهدين، والتآمر على الأمة، وهؤلاء المنافقون كانوا يدًا

على أمتهم لصالح الصهاينة والأعداء، وجرائمهم كانت ولا تزال من الوزن الثقيل، وذلك كفيل بوضعهم فى دائرة الاتهام وإضعاف دورهم الهدام، وهذا ينعكس سلبًا بالتالى على قدرة العدو على المواجهة معه وعلى تنفيذ مخططاته، وما أظن أن دماء الشيخ ياسين الطاهرة إلا قد وحَّدت الصف الفلسطينى على اختلاف شيعه السياسية على خيار المقاومة الوحيد».

هذا ما كتبه الرنتيسى قبل استشهاده.

ثانيتها: تلك السلطات التى ضاعت وتاهت وأهلكت حتى استنسر البغاث فى أرضنا، وتعملقت الجرذان فى ساحتنا، فالسلطات التى قطعت الألسن، وقتلت الطاقات، وبددت المقدرات، وتبخترت فى أزياء الطواويس، واستنامت حتى أصبحت (إسرائيل) دولة عظمى، وجيَّشت العالم حولها، وسخَّرت أعظم الدول لخدمة سياستها، وأصبح البعض لا يملك إلا العمالة والخضوع، وتركنا مصير الأمة فى مهب الريح، تُذبح وتُستباح، ولا نصير ولا مُجير، وتركنا المدافعين والمجاهدين فى سبيل دفع الضر وحماية العرض يُحرقون بالطائرات، ويدمَّرون بالصواريخ وهم عُزَّل ولا مُغيث. وقد خاطبهم الدكتور الرنتيسى فى مقال بعنوان «صرخة» فقال:

ماذا ينتظر قادة العرب؟.. سؤال يتردد فى كل مكان وفى كل وقت وحين، تقرؤه فى العيون الحائرة، والقلوب الملهوفة، وفى العَبرات والآهات، وفى الدماء المراقة، والأشلاء المتطايرة، بل فيما يعتمل من غل فى الصدور، وفيما نراه منقوشًا على صفحات القبور، ولكنه يبقى سؤالاً بلا جواب!!

فإذا لم تحركهم لنجدتنا دماء أطفالنا، وأشلاء رجالنا، ونسائنا، ودموع وآهات الثكالى، واليتامى المعذَّبين من أبنائنا وشعبنا المجاهد، فمتى يتحركون؟ وإذا لم تحركهم نخوة المعتصم لأنين المسجد الأقصى مسرى الرسول ﷺ وهو يشكو ذل الاحتلال، وتدنيس اليهود لباحاته ومآذنه وقبابه وحرقهم لمحرابه، واستغاثته لزلزلتهم لقواعده وأركانه، واستعدادهم لهدمه لبناء هيكلهم المزعوم على أنقاضه، إن لم يثوروا لكل ذلك فمتى يثورون؟

إذا لم تخرجهم عن صمتهم طائرات الأباتشى، والـ«إف ١٦» الأمريكية، التى تُرَوِّع ليلنا، وتهدم بيوتنا، وتشرد أسرنا، وتلاحق القيادات السياسية والعسكرية فمتى يتحركون؟

يا قادة العرب، لن أناشدكم ما لا طاقة لكم به، فأنا أذكى من أن أفعل ذلك، ولكن باستطاعتكم إيقاف العدو بشىء من الرجولة وبعض من المواقف التى يمكن أن تهدد أسواقه، فثروتنا المنهوبة، وأرصدتنا فى البنوك الأمريكية، وأسواقنا المفتوحة أمام بضائعه، كل ذلك يتحول إلى آلة حرب لتدميرنا.

يا قادة العرب: شعوبكم تتحرق شوقًا لنجدتنا ونصرتنا، وتتلمظ على جمر النار لحرمانها من نصرة المسرى الكريم، وتتوق للجهاد فى سبيل الله دفاعًا عن كرامة الأمة التى مرغها الصهاينة فى التراب، فلماذا تسلطون عليهم الكلاب الصهيونية والأمريكية؟ ولماذا تجلدون ظهورهم بالهراوة البريطانية، فإن كنتم قد تخليتم عن نصرتنا، فإنه يسعكم أن تغضوا الطرف عمن يريد نصرتنا».

هكذا كان الرنتيسى يخاطب السلطات التى أعطتها الشعوب القيادة لتحفظ كرامة الأمة، وتدافع عن بيضتها، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

والجهة الثالثة: هم اليهود ومن وراءهم من أعداء الإسلام، تلك الوحوش البشرية التى نبهنا القرآن الكريم إلى عداوتهم وشدة كراهيتهم للمسلمين، ولكننا تخاذلنا وفرطنا حتى تمكنوا منا، وهم المفسدون فى الأرض، القاتلون للأنبياء والمرسلين، ولهذا جعل الله إذلالهم وردعهم إحدى سننه التى لا تتبدل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وأعمال اليهود اليوم لا تترك لهم حبيبًا أو نصيراً، وكذلك من والاهم وناصرهم وسار فى ركابهم.

واليوم وفى خضم هذه الحوادث الجسام، لابد أن تستدعى الشعوب الإسلامية والأمة العربية لتقوم بالدور المطلوب، لتنتصر على ضعفها ووهنها، وتردع المخرِّبين

والعملاء، وتُرى الصهيونية ومن وراءها أن دماء الشهداء قد أنبتت العزائم والأبطال الذين إذا استشهد قائد منهم قام قائد، قؤول إذا قال الرجال فعول.

وبعد. . . فسلام عليك يا رنتيسى أنت وشيخك فى الأولين والآخرين إلى يوم الدين، وإن شعوب الأمة على دربكم لسائرون حتى النصر إن شاء الله، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

الرنتيسى فى سطور:

ولد عبد العزيز على عبد الحفيظ الرنتيسى فى ٢٣/ ١٠/ ١٩٤٧ فى قرية يبنا (بين عسقلان و يافا) . لجأت أسرته بعد حرب ١٩٤٨ إلى قطاع غزة و استقرت فى مخيم خانيونس للاجئين و كان عمره وقتها ستة شهور ، نشأ الرنتيسى بين تسعة إخوة وأختين.

تعليمه:

التحق و هو فى السادسة من عمره بمدرسة تابعة لوكالة غوث و تشغيل اللاجئين الفلسطينيين و اضطر للعمل أيضًا و هو فى هذا العمر ليسهم فى إعالة أسرته الكبيرة التى كانت تمرّ بظروف صعبة . وأنهى دراسته الثانوية عام ١٩٦٥، وتخرّج فى كلية الطب بجامعة الإسكندرية عام ١٩٧٢ ، و نال منها لاحقًا درجة الماجستير فى طب الأطفال ، ثم عمل طبيبًا مقيمًا فى مستشفى ناصر (المركز الطبى الرئيسى فى خان يونس) عام ١٩٧٦ .

حياته ونشاطه السياسى:

- متزوّج و أب لستة أطفال (ولدان و أربع بنات) .
- شغل الدكتور الرنتيسى عدة مواقع فى العمل العام منها : عضوية هيئة إدارية فى المجمع الإسلامى و الجمعية الطبية العربية بقطاع غزة و الهلال الأحمر الفلسطينى.
- عمل فى الجامعة الإسلامية فى غزة منذ افتتاحها عام ١٩٧٨ محاضراً يدرّس مساقات فى العلوم و علم الوراثة و علم الطفيليات.

- اعتقل عام ١٩٨٣ بسبب رفضه دفع الضرائب لسلطات الاحتلال، و فى ٥/ ١/ ١٩٨٨ اعتقل مرة أخرى لمدة ٢١ يومًا.

- كان أحد مؤسسى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى غزة عام ١٩٨٧، و كان أول من اعتقل من قادة الحركة بعد إشعال حركته الانتفاضة الفلسطينية الأولى فى التاسع من ديسمبر ١٩٨٧، ففى ١٥/ ١/ ١٩٨٨ جرى اعتقاله لمدة ٢١ يومًا بعد عراك بالأيدى بينه و بين جنود الاحتلال الذين أرادوا اقتحام غرفة نومه فاشتبك معهم لصدّهم عن الغرفة، فاعتقلوه دون أن يتمكّنوا من دخول الغرفة.

و بعد شهر من الإفراج عنه تم اعتقاله بتاريخ ٤/ ٣/ ١٩٨٨ حيث ظلّ محتجزًا فى سجون الاحتلال لمدة عامين و نصف العام حيث وجّهت له تهمة المشاركة فى تأسيس وقيادة حماس و صياغة المنشور الأول للانتفاضة بينما لم يعترف فى التحقيق بشىء من ذلك فحوكم على قانون «تامير»، ليطلق سراحه فى ٤/ ٩/ ١٩٩٠، ثم عاود الاحتلال اعتقاله بعد مائة يومٍ فقط بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٩٠ حيث اعتقل إداريًا لمدة عامٍ كامل.

- و فى ١٧/ ١٢/ ١٩٩٢ أبعد مع ٤١٦ مجاهدًا من نشطاء و كوادر حركتى حماس و الجهاد الإسلامى إلى جنوب لبنان، حيث برز كناطق رسمى باسم المبعدين الذين رابطوا فى مخيم العودة فى منطقة مرج الزهور لإرغام سلطات الاحتلال على إعادتهم و تعبيرًا عن رفضهم قرار الإبعاد الصهيونى، و قد نجحوا فى كسر قرار الإبعاد و العودة إلى الوطن و إغلاق باب الإبعاد إلى يومنا هذا.

- اعتقلته قوات الاحتلال الصهيونى فور عودته من مرج الزهور و أصدرت محكمة صهيونية عسكرية حكمًا عليه بالسجن حيث ظلّ محتجزًا حتى أواسط عام ١٩٩٧، وخرج من المعتقل ليباشر دوره فى قيادة حماس التى كانت قد تلقّت ضربة مؤلمة من السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٦، و أخذ يدافع بقوة عن ثوابت الشعب الفلسطينى و عن مواقف الحركة الخالدة، و يشجّع على النهوض من جديد، و لم يرقْ ذلك للسلطة الفلسطينية التى قامت باعتقاله بعد أقل من عام من خروجه من سجون الاحتلال و ذلك بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٩٩٨ و ذلك بضغط من الاحتلال كما أقرّ له بذلك بعض المسؤولين الأمنيين فى السلطة الفلسطينية و أفرجَ عنه بعد ١٥ شهرًا بسبب وفاة والدته و هو فى

المعتقلات الفلسطينية ثم أعيد للاعتقال بعدها ثلاث مرات ليفرَج عنه بعد أن خاض إضرابًا عن الطعام و بعد أن قُصف المعتقل من قبل طائرات العدو الصهيونى و هو فى غرفة مغلقة فى السجن المركزى فى الوقت الذى تم فيه إخلاء السجن من الضباط وعناصر الأمن خشية على حياتهم، لينهى بذلك ما مجموعه ٢٧ شهراً فى سجون السلطة الفلسطينية.

- حاولت السلطة اعتقاله مرتين بعد ذلك ولكنها فشلت بسبب حماية الجماهير الفلسطينية لمنزله.

- الدكتور الرنتيسى تمكّن من إتمام حفظ كتاب الله فى المعتقل و ذلك عام ١٩٩٠ بينما كان فى زنزانة واحدة مع الشيخ المجاهد أحمد ياسين، وله قصائد شعرية تعبّر عن انغراس الوطن و الشعب الفلسطينى فى أعماق فؤاده، وهو كاتب مقالة سياسية تنشرها له عشرات الصحف.

و لقد أمضى معظم أيام اعتقاله فى سجون الاحتلال و كلّ أيام اعتقاله فى سجون السلطة فى عزل انفرادى . . .

و الدكتور الرنتيسى يؤمن أن فلسطين لن تتحرّر إلا بالجهاد فى سبيل الله.

الرنتيسى .. قائدا لحركة حماس:

اختارت حركة المقاومة الاسلامية حماس عبد العزيز الرنتيسى قائدا للحركة فى مدينة غزة خلفا للشيخ أحمد ياسين على اعتبار أنه النائب للقائد العام للحركة الشيخ أحمد ياسين وحل تلقائيا مكانه لحين إجراء انتخابات جديدة.

فى الحركة:

وكانت حركة حماس قد أجرت انتخابات قبل عام ونصف العام اختارت فيها الشيخ ياسين قائدا عاما للحركة والرنتيسى نائبا، وقد تمت مبايعة الرنتيسى داخل خيمة العزاء فى استاد اليرموك بمدينة غزة ليصبح قائدا عاما للحركة لحين إجراء انتخابات جديدة، وفى وقت قياسى تم اختيار الدكتور المجاهد عبد العزيز الرنتيسى زعيما سياسيا لحركة المقاومة الإسلامية حماس.

ولاشك أن التركة ثقيلة والعبء كبير على القائد الجديد والذى عليه أن يتولى قيادة أكبر جماعات المقاومة الإسلامية الفلسطينية إثر استشهاد الرمز والبطل الشهيد أحمد ياسين.

وكان الشيخ أحمد ياسين قد استشهد يوم الاثنين على يد قوات الاحتلال الإسرائيلى.

من مذكرات الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى:

كيف تحدّيت الضابط الصهيونى . . .

من مذكرات الشهيد القائد د. عبد العزيز الرنتيسى كتبها حول ذكريات الأسر . . . يقول:

فى عام ١٩٩١ كنت فى معتقل النقب أقضى حكمًا إداريًا لمدّة عام، وكان المعتقلون منذ افتتاح هذا المعتقل عام ١٩٨٨ حتى الوقت محرومين من زيارات ذويهم، ومع إلحاح المعتقلين واحتجاجاتهم المتكرّرة بدت هناك استعدادات لدى إدارة المعتقل للسماح للأهل بالزيارة، وقام مدير عام المعتقل وهو صاحب رتبة عسكرية رفيعة ويُدعى «شلتتيل» بطلب عقد لقاء مع ممثّلى المعتقلين، ولقد اجتمع ممثلون عن مختلف الفصائل فى خيمة من خيام المعتقل لتدارس الأمر قبل انعقاد اللقاء مع الإدارة، وأحبَّ المعتقلون أن أرافقهم وقد فعلت. وأثناء لقائنا فى الخيمة سمعت بعض الشباب يحذر من «شلتتيل» ويضخّم من شأنه ويخشى من غضبه، فشعرت أن له هيبة فى نفوس بعض الشباب، وهذا لم يرق لى ولكنى لم أعقب بشىء، ثمّ جاءت حافلة فى يوم اللقاء لتقلنا إلى ديوان «شلتتيل»، وأخذت وأنا فى الحافلة أفكّر فى استعلاء هذا الرجل وهيبته فى نفوس الشباب وكيفيّة انتزاع هذه الهيبة من نفوسهم، ولقد وطّنت نفسى على فعل شىء ما ولكنى لا أعلمه، ولكن كان لدى استعداد تام أن أتصدى له إذا تصرّف بطريقة لا تليق. ووصلت الحافلة ودخلنا ديوانه، فكان عن يميننا داخل القاعة منصّة مرتفعة حوالى ٣٠ سم عن باقى الغرفة، وعليها عدد من الكراسى، وعن شمالنا كانت هناك عدّة صفوف من الكراسى معدّة لنا، فجاء رؤساء الأقسام المختلفة وجميعهم من الحاصلين على رتب عسكرية فى جيش الاحتلال، ومن بينهم مسؤول

أحد الأقسام وكان فى الماضى نائبًا للحاكم العسكرى لمدينة خانيونس وكان يعرفنى مسبقًا، وكان نائب «شلتئيل» أيضًا يجلس على المنصّة مع رؤساء الأقسام. وجلس المعتقلون الممثّلون لكافّة الفصائل على الكراسى المعدّة لهم وجهًا لوجه مع رؤساء الأقسام، تفصلنا عنهم مسافة لا تزيد على مترين، ولقد جلست فى الصفّ الأوّل فى الكرسى الأقرب إلى باب الديوان. ثمّ بعد وقت قليل دخل «شلتئيل» وكان رجلاً طويل القامة ضخم الجثّة، فالتفتَ بطريقة عسكرية إلى المنصّة وأشار بيده يدعوهم إلى القيام له فقاموا، ثم التفت إلينا بطريقة عسكرية وأشار بيده فوقف الشباب وبقيت جالسًا، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأوّل بينى وبينه، فاقترب منى وقال لماذا لا تقف، فقلت له أنا لا أقف إلا لله وأنت لست إلهًا ولكنك مجرد إنسان وأنا لا أقف للبشر، فقال يجب عليك أن تقف، فأقسمت بالله يمينًا مغلظًا ألا أقف، فأصبح فى حالة من الحرج الشديد ولم يدرِ ما يفعل. حاول العقيد سامى أبو سمهدانة أحد قادة فتح فى المعتقل التدخّل وأخبرَه أننى إذا قررت لا أتراجع، فرفض الاستماع إليه وأصرّ على موقفه، ولكنى أبَيت بشدّة، فقال نائبه يا دكتور هنا يوجد بروتوكول يجب أن يُحترم، فقلت له دينى أولى بالاحترام ولا يجيز لى الإسلام أن أقف تعظيمًا لمخلوق، فقال وما الحلّ؟ قلت إما أن أبقى جالسًا أو أعود إلى خيمتى، فقال «شلتئيل» عد إذن إلى خيمتك، فخرجت من الديوان ولم يخرج معى إلا الأخ المهندس إبراهيم رضوان والأخ عبد العزيز الخالدى، وكلاهما من حماس. وبعد أيام قلائل كان قد مضى على اعتقالى تسعة أشهر ولم يتبق إلا ثلاثة أشهر فقط للإفراج عنى، فإذا بهم يستدعوننى ويطلبون منى أن أجمع متاعى وهذا يعنى فى مفهوم المعتقلات ترحيل ولكن لا ندرى إلى أين، وكانت تنتظرنى حافلة، فما إن ارتقيتها حتى وجدت كلا الأخوين فيها وقد أُحضروا من أقسامهم فأدركت أنها عقوبة ولا يوجد عقوبات سوى الزنازين. وانطلقت بنا الحافلة إلى «معتقل سبعة» حيث يوجد خمسون زنزانة، وما إن وصلنا حتى تسلّمَنا مسؤول الزنازين ويُدعى «نير»، الذى أخبرنا وهو ممتعض بأنّنا معاقبون بوضعنا فى زنازين انفرادية لمدّة ثلاثة أشهر، وتبيّن لنا فيما بعد أن سبب امتعاضه اعتباره أن العقوبة كانت لأسباب شخصية، أى أنه لم يرق له أن ينتقم «شلتئيل» لنفسه بهذه الطريقة، خاصّة أن أقصى عقوبة من العقوبات اليومية الروتينية لا تصل إلى سبعة أيام، ولذلك

لم يكن سيئًا فى استقبالنا كما يفعل عادة، وربّما أن السنّ والدرجة العلميّة لعبت دوراً فى التأثير عليه.

وأخذنا إلى الزنازين المخصّصة لنا كل فى زنزانته وحيداً، وكنّا نخرج يوميًا لمدّة ساعة ما عدا يوم السبت فى ساحة محاطة بالأسلاك الشائكة حيث الدورة والحمّامات، لأن الزنازين لم تكن بها دورة مياه ولا حمّام. وبدأنا رحلتنا مع القرآن، أما أنا فأراجعه بعد أن منّ الله علىّ بإكمال حفظه من قبل عام ١٩٩٠ حيث كنت والشيخ أحمد ياسين فى زنزانة واحدة فى معتقل «كفاريونه»، وأما المهندس إبراهيم فبدأ بحفظ القرآن فى الزنزانة وكان رجلاً ذكيًا جداً ويجيد العبريّة بطلاقة، وقد تمكّن من حفظ القرآن قبل انقضاء الثلاثة الأشهر والحمد لله رب العالمين.

أعداء الله لا يقيمون حرمة لدماء المسلمين ولا لعقيدتهم.. فمرحى للمقاومة

إنها ليست المرة الأولى فى تاريخ البشرية التى يقف فيها المفسدون موقف السفاهة فيرجمون الصالحين بالفساد، وذلك على قاعدة المثل العربى القائل «رمتنى بدائها وانسلت»، فقد سبق فرعون الصهاينة من اليهود فى هذا المضمار عندما قال لنبى الله موسى عليه السلام ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦]، فى الوقت الذى أكد فيه رب العزة سبحانه أن فرعون لم يكن إلا أحد رموز الفساد ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

واليوم يطل علينا صهيونى قاتل من الذين ولغوا فى دماء المسلمين، وشاركوا بأنفسهم فى مذابح لا حصر لها، وكل همهم أولا إشباع غريزتهم التلمودية الوحشية الدموية، وثانيا تشريد شعب بكامله بهدف اغتصاب وطنه، وطمس هويته، ومحو تاريخه، وإقامة دولة يهودية عنصرية تلمودية متوحشة على أرضه، يخرج اليوم علينا هذا الصهيونى الصغير الذى يعمل وزيرا ضمن عصابة شارون الإرهابية، وأحد أذرع عصابة «موليدت»، تلك العصابة التى أسسها العنصرى المتوحش والمتعطش لسفك دماء المسلمين الهالك «رحبعام زئيفى»، فبأى شىء خرج علينا هذا القاتل الصهيونى

«بنى ألون»، لقد طلب من المبشرين المسيحيين الأميركيين فى لقاء معهم العمل على تنصير المسلمين فقال لهم: «عليكم بالتنقل من مسجد إلى مسجد، لجلب النور إلى المسلمين !!، والتوضيح لهؤلاء القتلة المسلمين أنهم نسوا تحريم الله للقتل». وطلب منهم: «حوّلوا المسلمين إلى مسيحيين مؤمنين وأناس أخيار!!». قائلا لهم» إن التبشير المسيحى فى صفوف اليهود أمر محظور»، كان الأولى بهذا القاتل أن يبحث عن الإسلام كى ينقذ نفسه من فساد معتقده، فيتخلص من أحقاده السوداء وهذا ما نرجوه له، ولكن لا ندرى لعل الله ختم على قلبه فلم تعد عيناه التى طمست عليها غشاوة الحقد على الإسلام أن ترى نوره الساطع.

ولولا المقاومة الفلسطينية الباسلة لما نفث هذا الأفعى الصغير سمومه بهذه الطريقة التى تنم عن حقد متغلغل فى قلبه المريد على الإسلام منهجا وعقيدة وقيما، إن الضربات الموجعة التى تسددها المقاومة الفلسطينية لهؤلاء القتلة الصهاينة هى التى كان لها الفضل فى كشف حقيقة ما يعتمل فى صدورهم من غل على الإسلام، فهذا القاتل الذى ينفث اليوم سمومه ينتمى لعصابة إرهابية صهيونية «موليدت» هدفها الأول والأخير اقتلاع الفلسطينيين من وطنهم، ولقد ارتكبت من أجل تحقيق ذلك جرائم يندى لها جبين البشرية، فكم من مذبحة نفذتها تلك العصابة الجبانة فسفكت دماء العزل من الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء من أبناء شعبنا الفلسطينى المسلم.

ولولا المقاومة الفلسطينية الباسلة لما أفاق الأوروبيون على جرائم الكيان الصهيونى المسخ، مما دفع الشعوب الأوربية التى طمست على عقولها طويلا الدعاية الصهيونية الكاذبة إلى تصحيح نظرتها لترى هذا الكيان بوجهه الحقيقى المقيت، حيث اتضح فى استطلاعات الرأى لدى أوروبا أنهم يضعون هذا الكيان الزائل بإذن الله تعالى فى مقدمة دول العالم التى تهدد السلام الدولى، فنجحت المقاومة بفضل الله فى إساءة الوجه الصهيونى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾ [الإسراء: ٧].

كما أن المقاومة الفلسطينية كان لها الفضل فى نقل الصراع إلى داخل الساحة الصهيونية، فمن خلاف حول السور وجدواه وتكلفته وآثاره السلبية على الساحة

الدولية، إلى خلاف حول عمليات الاغتيال التى لم تجلب لهم سوى الموت الزؤام، إلى خلاف حول جدوى بناء المغتصبات والتكاليف الباهظة التى تنفق لتوفير الأمن لها فى ظل المقاومة الفلسطينية الباسلة، حتى أصبحنا نسمع قائد الإرهاب فى العالم، والمنظّر الأول للاستيطان فى فلسطين شارون وهو يدعو إلى إخلاء المغتصبات من قطاع غزة، وسواء كانت هذه الدعوة حقيقية أم تكتيكية، أو كانت محاولة منه للاحتفاظ بمكاسب فى الضفة الغربية على حساب وجوده فى غزة، فهى فى النهاية لم تكن لتحدث لولا المقاومة الفلسطينية الباسلة، فلولا قذائف الهاون وصواريخ القسام التى سخر منها دعاة الهزيمة طويلا لما فكر شارون ولو للحظة واحدة بإخلاء المغتصبات فى قطاع غزة، لأن شارون يدرك أن الفرار من غزة وإخلاء مغتصباتها سيعقبه لا محالة فرار من الضفة الغربية عاجل أم آجل، والحبل على الجرار كما يقولون.

ولولا المقاومة اللبنانية الباسلة لما أخرج الصهاينة من جنوب لبنان، ولما خرج الأسرى و المعتقلون من معتقلات الاحتلال، فقد حققت المقاومة فى لبنان ما عجزت عن تحقيقه المفاوضات مع الكيان الصهيونى، تلك المفاوضات التى شكلت إهدارا للحق والكرامة والمال والوقت والجهد الفلسطينى، كما شكلت فرصة للاحتلال كى يرسخ أقدامه فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ويعمل على تهويد المقدسات، وبناء المغتصبات، وشق الطرق الالتفافية، وعزل الفلسطينيين فى كانتونات متباعدة متناثرة.

ولولا المقاومة الباسلة فى العراق لما وقع بوش فى الحرج الشديد، ولو اقتصر الأمر فى العراق على صور الترحيب المزيفة بالغزو الأمريكى كما كان يتمنى بوش والصهاينة فى البيت الأبيض لما وجدنا هذه الضجة الكبرى فى الولايات المتحدة الأمريكية حول الدوافع الحقيقية لغزو العراق، ولما سمعنا عما يجرى من محاسبة لبوش، ولما بلغت شعبيته من التدنى فى الشارع الأمريكى ما بلغت اليوم، فليست القيم والأخلاق هى التى دفعت الشعب الأمريكى لمحاسبة بوش، لأن الذين هتفوا للحرب وصفقوا لبوش كانوا على يقين أن العراق لا يهدد أمن أمريكا، وكانوا واثقين من صحة تقارير فريق التفتيش الدولى عن خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل، ولكن المقاومة الباسلة فى العراق التى أرعبت الأمريكان وأذهلتهم، وجعلتهم فى وضع لا يحسدون عليه وهم

يشيعون قتلاهم بالمئات، وتكتظ مستشفياتهم بآلاف الجرحى، هى التى أيقظت الضمير الأمريكى من سكرته، وقد شعروا بالمهانة والإذلال، خاصة أن الاستمتاع بغرور الاستعلاء ونشوة التفوق العسكرى كان الدافع من وراء تأييد الشعب الأمريكى للفريق الصهيونى المتربع على عرش البيت الأبيض فى غزوه للعراق، إنه جنون العظمة، إنها العنصرية المقيتة التى خلقت شعورا بالتفوق العرقى لدى الإنسان الأمريكى، إنها عقلية «الكاو بوى»، ولذا لم نر الشارع الأمريكى قد تحرك احتجاجا على الدمار الهائل الذى أحدثته آلة التخريب والإفساد فى العراق، لم نسمع عن احتجاج الشارع الأمريكى وثورته غضبا للدماء العراقية المسلمة الطاهرة التى سفكت على يد قواتهم المتوحشة، ولكنه تحرك فقط عندما انهار الجندى الأمريكى وخارت قواه وتحطمت معنوياته أمام المقاوم العراقى المقدام.

من هنا نهتف: مرحى للمقاومة، فهى السبيل الوحيد أمام الشعوب المقهورة المعتدى عليها من قبل أشرار العالم ومفسديه، الذين لا يقيمون وزنا ولا حرمة لعقيدة المسلمين ولا لدمائهم.

شاس بن قيس عد إلى قبرك ..

سموم الفتنة والوقيعة اليهودية

لم يعد سرا أن المخطط الصهيونى الذى يحظى بالأهمية القصوى فى هذه الآونة لدى الكيان الصهيونى، والذى يوضع على سلم أولويات العقلية الصهيونية الإفسادية، هو السعى الحثيث من أجل خلق فتنة فى الشارع الفلسطينى، فما يجرى الآن على المستوى السياسى والإعلامى الموجه لدى العدو الصهيونى يدل على أن الهدف الذى وضعه العدو نصب عينه هو إشعال فتيل الحرب الأهلية كى يرى الدم الفلسطينى يسفك بأيد فلسطينية، فما أشبه اليوم بالبارحة عندما مر شاس بن قيس اليهودى - وكان شيخا قد غبر فى الجاهلية، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج فى مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم، وألفتهم، وصلاح ذات بينهم،

فقال: قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شابا من اليهود كان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم بعاث وما كان فيه، وكان بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا وغضب الفريقان جميعا وقالوا موعدكم الظاهرة، فخرجوا إليها فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: **«يا معشر المسلمين، أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا الله الله»** فعرف القوم أنه كيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا.

وها هى صحافة العدو الصهيونى فى كل يوم تبعث شاس بن قيس من قبره، فلا يخلو يوم من عناوين تحريضية، بهدف تأجيج نار الفتنة بين السلطة وحركة حماس، وكذلك بين حركة حماس وباقى الفصائل الفلسطينية الوطنية منها والإسلامية، وحتى بين عناصر السلطة بعضها مع بعض.

فإليكم ما كتبته صحيفة هآرتس «وتسعى الإدارة الأمريكية إلى منع سيطرة حماس على قطاع غزة، فى أعقاب الإخلاء الإسرائيلى»، واضح تماما أن هذا الخبر موجه إلى السلطة الفلسطينية لتحريضها على حركة حماس، وكأن حماس تعد العدة للقيام بانقلاب على السلطة الفلسطينية لانتزاع مقاليد السلطة من يدها.

ثم انظر فيما كتبته يديعوت «هكذا يقول تقرير سرى وضعته وزارة الخارجية لتحليل ميزان القوى بين حماس والسلطة الفلسطينية. وورد فى التقرير أن مكانة حماس وجرأتها تتعززان عقب امتناع السلطة عن المواجهة معها» هذا بالتأكيد مكمل لما جاء فى صحيفة هآرتس وشارح له، فهى دعوة صريحة للسلطة كى تنقض على حماس، فكأنهم يريدون القول إن امتناع السلطة عن مواجهة حماس سيؤدى إلى سيطرة حماس على قطاع غزة لتصبح السلطة الفلسطينية على الرصيف، فأى تحريض أوضح من ذلك.

ثم انظر فيما سممت به صحيفة هآرتس صفحاتها من جديد وهى تقول «حماس تعرض إعلان الانسحاب الإسرائيلى من غزة كانتصار عسكرى وسياسى لها، وليس للسلطة أو للمنظمات الملحقة بفتح. الجهاد الإسلامى دفعته حماس إلى الزاوية. وكى تتمكن السلطة من أن تتلقى فى أيديها الآن السيطرة على غزة، فإنه يتعين عليها أن تدير صراعا هائلا مع حماس»، يا لسوء ما يحتمل فى قلوب الصهاينة الأشرار، لا أقول على حماس فقط ولكن على كل الفلسطينيين فهم يريدون صراعا هائلا، ثم تأمل التحريض الواضح لباقى الفصائل الفلسطينية كى تدرك نفسها فتدخل فى صراع مع حماس قبل فوات الأوان، قبل أن تنفرد حماس بالغنيمة وحدها، فيضيع الجهاد الإسلامى وتضيع فتح، مع أن حماس لم تزل تشيد بالمقاومة الفلسطينية بكل عناصرها، وترجع لها الفضل بعد الله عز وجل فيما يزمع العدو الصهيونى أن يقوم به من هروب من جحيم قطاع غزة.

وتعود معاريف لتنفث سمومها فتقول «فالمنطق البسيط يقول إن انسحابا من طرف واحد من غزة، دون اتفاق، هو انتصار كبير لحماس» ثم تضيف «فى الإدارة الأمريكية يتوقعون بأن تتخذ إسرائيل خطوات بتعزيز السلطة الفلسطينية، وذلك كى لا تسيطر حماس على القطاع ويخشى الأمريكيون الآن – وهذه الخشية تجد تعبيرها فى أحد المقالات الأخيرة للصحافى ذى النفوذ الكبير توم فريدمان – إذ بعد الخروج من العراق ستقوم هناك دولة شيعية، فيما أنه بعد خروج الجيش الإسرائيلى من قطاع غزة ستقوم هناك دولة حماس».

ولا يفوت الصهاينة القيام بمحاولة تحريض العمال الفلسطينيين على حركة حماس فتعمد العصابات الصهيونية إلى توزيع منشورات عليهم امتلأت بالأحقاد والسموم والأكاذيب التى تنال من الحركة، ولقد جاء فى إحداها ما يلى: « فى الأيام الأخيرة أقنعت العناصر الإرهابية صبيًا فى الثالثة عشرة من عمره (منتصر خالد دهمان أبو سلطان) من مخيم الشاطئ يتيم الأب، بأن يقوم بعملية تخريبية فى معبر إيرز حتى يغلق المعبر ويمس بآلاف الفلسطينيين الذين يعملون فى إسرائيل وفى المنطقة الصناعية إيرز. الاستعمال الساخر الذى تقوم به حماس بالأولاد والنساء للقيام بعمليات

تخريبية، إنه بمثابة وصول المنظمات الإرهابية إلى الحضيض. وإننا نسأل إلى أين؟»، يقولون ذلك وهم يدركون أن أحدا لن يصدقهم فى زعمهم هذا، فتاريخ حماس الجهادى لم يشهد أنها أرسلت يوما طفلا لتنفيذ عملية ضد العدو، بل على النقيض من ذلك وزعت حماس بيانا يناشد الأطفال عدم استعجال دورهم فى المقاومة، كما أن الطفل المذكور لا ينتمى لأى من الفصائل الفلسطينية.

ولقد تزامنت عملية توزيع تلك المنشورات على العمال الفلسطينيين مع قيام العملاء بتوزيع بيانات بتوقيع «فلسطينيون مسلمون حيارى» وهى على شاكلة ما وزع الصهاينة قد امتلأت أيضا بالأكاذيب والأحقاد على حركة حماس، وقد تعرضت بالإساءة إلى العملية البطولية التى نفذتها الشهيدة ريم الرياشى تماما كما فعلت البيانات التى قام العدو الصهيونى بتوزيعها على العمال.

وفى الوقت الذى نثق فيه بأن الشعب الفلسطينى والقوى الوطنية والإسلامية والسلطة الفلسطينية جميعهم يدركون الأهداف الخبيثة من وراء هذه المحاولات الصهيونية «الشاسية»، نثق أيضا أن الكل الفلسطينى على وعى تام بأن السلاح الأمضى فى يد الشعب الفلسطينى وقواه المقاومة هو وحدة الصف الفلسطينى، وأن الوسيلة الأمثل لتعزيز هذه الوحدة هى الحوار وليس الاقتتال، فإذا فر العدو الصهيونى من قطاع غزة هاربا فلا أشك أن الصف الفلسطينى سيكون متماسكا وموحدا لحماية الإنجاز الكبير الذى أحرزته المقاومة الفلسطينية بكافة فصائلها العاملة فى خندق المواجهة، فلن يبخس أحد أحدا، وإن السواعد التى توحدت حول الزناد ستكون أشد لحمة عند إحراز بواكير النصر، ونقول لشاس بن قيس: عد إلى قبرك فلن تفلح أبدا فنحن شعب واحد.

ونحن نعيش فى هذه الأيام من أيام الجهاد والاستشهاد ذكرى انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية حماس، آثرت أن أسلط الضوء على مؤسس هذه الحركة القائد الفذ المتميز الشيخ المجاهد أحمد ياسين، هذا الرجل الذى لم تزده الابتلاءات والمحن إلا عزيمة وإصرارا على مواصلة الطريق على وعورته، والمضى قدما فى طريق التضحية والعطاء حتى تحقيق الأهداف التى من أجلها تم تأسيس هذه الحركة الإسلامية المجاهدة.

لم يكن هدفى عند كتابة هذا المقال الغوص فى أعماق بحر هذا الرجل، لأننى لن أصل عندئذ إلى قرار، فبحر هذا الرجل عميق عميق جدا، ولذا فلن يحيط بمناقبه مقال، ولا كتاب، ولا حتى عشرات المجلدات وإن كثر تعدادها، وإنى لأرى أن التاريخ سيقف طويلا وهو يؤرخ لهذا القائد الفلسطينى المسلم المجاهد، ولذا آثرت أن أقتصر على تسليط الضوء على بعض المحطات من حياته تكشف بعضا من صفاته التى أشعر أننا اليوم فى أمس الحاجة إلى التخلق بها، وغرسها فى وجدان وضمائر الأجيال القادمة من أبناء الأمة الإسلامية، فلدى هذا القائد عزيمة لا تعرف التردد، وإرادة لا تعرف النكوص أو التراجع، وإقدام لا يعرف الجبن والخور، وقوة لا تعرف العجز.

فقد كان الشيخ أحمد ياسين يمخر عباب ربيعه الخامس عشر عندما أصيب بكسر فى فقرات العنق على إثر مصارعة ودية بينه وبين أحد زملائه الشهيد عبدالله صيام، ورغم الإصابة الخطيرة التى حلت بالشاب أحمد ياسين إلا أنه أخفى أسباب الحادث عن عائلته حتى لا تحدث مشاكل عائلية بين عائلته وعائلة صيام قائلا حينه بأن الحادث كان بسبب قفزه فى الهواء وسقوطه على رأسه، ولقد أخبرنى بالسبب الحقيقى للحادث عام ١٩٩٠م عندما كنت أشاركه زنزانته أى بعد الإصابة بأربعين سنة، قائلا لى: إنها المرة الأولى التى يتحدث فيها عن حقيقة ما جرى وأن عائلته حتى هذه اللحظة لا تعلم ذلك، وقد أدى هذا الحادث المؤلم إلى إصابة الشاب أحمد ياسين بشلل رباعى، فلا ساق له تتحرك ولا ذراع، ومن المعلوم أن الذين يصابون بمصيبة من هذا القبيل يركنون إلى الضعف، ويستسلمون للعجز، فلا ترى أحدهم إلا وقد أصبح على هامش الحياة كما مهملا، لا يؤثر فى مجرياتها ولا يتأثر بها، فيغدو عالة على المجتمع، وعبئا ثقيلا على ذويه.

ولكن الأمر العجيب والملفت للنظر أن الشيخ أحمد ياسين قد سجل أول انتصار فى حياته عندما صنع من شلله حركة، ومن عجزه إرادة، ومن ضعفه قوة، فانتصرت الإرادة الروحية لدى الشيخ أحمد ياسين على ضعف الجسد الهامد، فواصل تعليمه وأصبح مدرسا، ثم ارتقى المنابر خطيبا وموجها ومربيا داعيا إلى الله على بصيرة، يعد الشباب المسلم لحمل أعباء الدعوة إلى الله، والتصدى لما يحاك من مؤامرات ضد

الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية، مما أدى إلى اعتقاله على يد الحكومة المصرية فى ذلك الوقت، وبعد هزيمة عام ١٩٦٧م نهض الشيخ أحمد ياسين ليعيد إنشاء حركة الإخوان المسلمين فى قطاع غزة، ولقد نجح فى إقامة هذا البناء بصبر وثبات وإصرار ندر أن نرى له مثيلا فى عالمنا المعاصر، خاصة أن الأمة العربية والإسلامية كانت تغط فى نوم عميق، وتعيش حالة ضعف وانكسار وانهزام، بينما كان الشيخ يصل الليل بالنهار فى حركة دؤوبة، يحدوه أمل كبير فى إنقاذ الأمة مما أصابها.

وبعد النجاح الذى أحرزه فى إعادة بناء حركة الإخوان المسلمين فى فلسطين بدأ الشيخ يعد العدة لانتصار آخر يحرزه لصالح الشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية، بل لصالح الأمة العربية والإسلامية، فكان هدفه الأول هو الانتصار على حالة الضعف والنهوض من جديد، يدفعه إيمان قوى أن الأمة قادرة على إحراز النصر إذا ما ملكت إرادة الخروج من دائرة الهزيمة، وكسر طوق التبعية لأعدائها الذين يتربصون بها الدوائر، فبدأ الإعداد لمعركة طويلة الأمد تخوضها الحركة الإسلامية فى مواجهة العدوان الصهيونى الشامل على فلسطين والأمة العربية والإسلامية، فقام الشيخ المجاهد بتأسيس جناح عسكرى للحركة الإسلامية، ولكن قدر الله أن يضرب هذا الجناح فى مهده مما أدى إلى اعتقال الشيخ أحمد ياسين من قبل العدو الصهيونى، ولقد عذب فى أقبية التحقيق الصهيونية عذابا شديدا على يد المحققين الصهاينة اليهود، وذلك عام ١٩٨٤م قبل انطلاقة الانتفاضة بثلاثة أعوام، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة عشر عاما، ثم أفرج عنه بفضل الله بعد أحد عشر شهرا فى صفقة التبادل عام ١٩٨٥م التى عقدها المجاهد أحمد جبريل أمين عام الجبهة الشعبية القيادة العامة مع العدو الصهيونى، وخرج من المعتقل بعزيمة وإرادة وإصرار على مواصلة الجهاد.

ففى الوقت الذى فجر فيه الشيخ الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧م كان قد تم مسبقا تأسيس الجناح العسكرى لحركة حماس الذى أطلق عليه فيما بعد كتائب الشهيد عز الدين القسام، لتكون الحركة وجناحها العسكرى وانتفاضة الشعب الفلسطينى بمثابة إعلان حرب استنزاف ضد هذا العدو الغاشم، بهدف تحقيق توازن الردع فى ظل غياب توازن القوة.

وفى عام ١٩٨٧م قام بتأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس، وفى نفس الوقت الإعلان عن بدء انتفاضة الشعب الفلسطينى ضد الظلم والعدوان والإذلال والقهر المتمثل بالاحتلال الصهيونى لفلسطين، وتدنيسه للمقدسات الإسلامية وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، ومذابحه التى طالت الأطفال والنساء والشيوخ بل والأجنة فى بطون الأمهات، وتدميره القرى والمدن، وهدمه للبيوت فوق رؤوس ساكنيها، واقتلاعه الأشجار المثمرة، وتجريفه الأراضى الزراعية، وتدميره حياة الشعب على كل الصعد، لقد أدرك الشيخ أن هذا العدو الصهيونى المفسد قد اعتمد سياسة الإرهاب لتحقيق أهدافه الصهيونية العدوانية، وأدرك أيضا أن هذا العدو المجرم لن يتوقف عن هذه السياسة إلا إذا كان الثمن الذى يدفعه بسبب جرائمه ثمنا باهظا.

فاعتقل الشيخ للمرة الثانية عام ١٩٨٩م وحكم الصهاينة عليه بالسجن مدى الحياة، وبعد ثمانى سنوات فى المعتقل تم الإفراج عن الشيخ بفضل الله عز وجل على إثر العملية الفاشلة التى قام بها الموساد فى الأردن، العملية الإرهابية التى استهدفت حياة الأخ المجاهد خالد مشعل رئيس المكتب السياسى لحركة حماس.

وخرج الشيخ من المعتقل ليعلن على مسامع العالم أجمع أن الجهاد لن يتوقف حتى تحرير كامل التراب الفلسطينى من البحر إلى النهر، وأن لا تفريط فى شبر من الوطن، ولا تنازل عن حق من حقوق الشعب الفلسطينى وعلى رأسها حق العودة للاجئين الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم منذ عام ١٩٤٨م بسبب الإرهاب الصهيونى، رافضا بكل قوة كل المبادرات والوثائق والاتفاقات التى تؤدى إلى المساومة على الوطن أو التنازل عن شبر منه لصالح قراصنة العصر من الصهاينة اليهود الذين تساندهم الصليبية الحاقدة.

وتواصل الحقد الصهيونى ضد الشيخ المجاهد حتى بلغ الأمر بالصهاينة أن حرضوا السلطة الفلسطينية على الشيخ فما لبثت أن فرضت الإقامة الجبرية عليه، ولم تتردد السلطة الفلسطينية فى الاستجابة لهذه الرغبة الصهيونية، ولكن الجماهير الفلسطينية حالت دون استمرار الإقامة الجبرية ليخرج الشيخ من جديد أمضى عزيمة وأشد إصرارا على مواصلة المسيرة الجهادية.

وتواصل الحقد الصهيوني وتمثل في هذه المرة باستهداف حياة الشيخ، حيث قصف البيت الذي تواجد فيه الشيخ أثناء الغارة الإرهابية بقنبلة زنة ربع طن، ولكن الله سلم فخرج الشيخ سالما رغم الدمار الهائل الذي لحق بالبيت، وقد خرج الشيخ من هذه المحاولة أيضا أشد إصرارا على مواصلة المسيرة الجهادية، فلم تزده الشدائد إلا قوة وإصرارا، وتمسكا بالثوابت والحقوق الوطنية.

هذا هو أحمد ياسين رجل بأمة أو أمة في رجل.

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣]...

وكان هذا لقاء له مع شبكة (الفرسان) الالكترونية، تحدث فيه عن عدة جوانب منها الشخصي والثقافي والإعلامي والأدبي والحركي والسياسي.

نبدأ بالجانب الشخصي والثقافي:

د. الرنتيسي: عندما أنهيت دراستي وعدت إلى قطاع غزة عام ١٩٧٢ مع ثلة من الزملاء كتبنا رغباتنا في نماذج تم تقديمها لمديرية الصحة وكانت رغبتي التخصص في جراحة العيون ولقد دونت ذلك في كتاب طلب الوظيفة، ولكن قدر الله فاختير أحد الزملاء لجراحة العيون بينما وجدت أن اسمي قد أرسل إلى مستشفى الشفاء وهو مستشفى عام ولا يوجد فيه جراحة العيون بالطبع، وهناك تم تقديم طلب جديد لإبداء الرغبات، فكانت رغبتي إما جراحة عامة أو جراحة الأطفال، ففوجئت أنهم قد أرسلوا اسمي إلى قسم الأطفال ولم تلب رغبتي للمرة الثانية، فانتابني شيء من الغضب لأنني شعرت بالظلم، وأدركت أن الأمور تجري وفق الأهواء والمحسوبية والواسطة فرضيت بما اختاره الله لي وأنا أشعر بالمرارة والألم وذهبت إلى قسم الأطفال، ولذا أستطيع القول: إن الاختيار تم بالإكراه وليس بناءً على رغبتي الشخصية.

شبكة الفرسان: هل تستطيع التوفيق بين مهنتك كطبيب وبين اهتماماتك الأخرى مثل الشؤون السياسية والجهادية والحركية وغيرها في هذا الوقت بالذات؟

د. الرنتيسي: لقد كنت أعمل في مهنة الطب حتى بداية الانتفاضة الأولى حيث بدأت رحلتي مع المعتقلات، فقد أمضيت في المعتقلات ما يزيد على عشر سنوات،

وعندما خرجت منها وجدت أنه لم يعد هناك مجالا للعمل فى مهنة الطب، فتفرغت للعمل الجهادى والسياسى فى الوقت الذى كنت أمارس فيه عملى كمحاضر فى الجامعة الإسلامية بغزة فى كلية التمريض.

شبكة الفرسان: الشيخ أحمد ياسين حفظه الله، ماذا يمثل بالنسبة لك هذا الرجل؟

د. الرنتيسى: هو القدوة والقائد والأب والمعلم، فيه من الخصال ما لا يمكن أن ترى لها مثيلا فى غيره، فهو القائد المقعد ولم يحدثنا التاريخ عن قائد لحركة جهادية بينما كان يعانى من شلل رباعى، وهو صاحب ذاكرة قوية تكاد لا تعرف النسيان، وقد أخبرنى ذات مرة ونحن فى زنزانة واحدة أنه لا يعرف كيف ينسى الناس، كما أننى أشهد أنه أصبر من عرفت ومن أراد أن يعرف معنى الصبر الجميل فعليه أن يصاحب هذا الرجل، فهو على ما أصابه من بلاء لا يشكو أبدا بثه وحزنه إلا لله سبحانه، وهو الرجل المبدع صاحب الحكمة حتى إذا ادلهم الخطب وحزبنا أمر ما وجدنا الرأى السديد عند الشيخ أحمد ياسين، ومن عجيب خصاله أنه أنشط من عرفت، يعمل بطاقة عشرة من الرجال ولا يشعر بالملل ولا بالتعب، وهو الرجل القرآنى، رجل يحمل القرآن فى حنايا صدره وقد حفظه عن ظهر قلب فى زنزانته فى المعتقل بينما كنت رفيقه فى زنزانته، لقد قلت فى مقال خصصته له بأنه رجل بأمة أو أمة فى رجل.

شبكة الفرسان: بتوفيق من الله تمكنت من إتمام حفظ القرآن الكريم (وهذه نعمة من الله)وأنت فى المعتقل، كيف ترى نفسك بعد حفظه؟

د. الرنتيسى: أفضل نعم الله على الإنسان أن يمكنه الله من حفظ كتابه، فحفظة كتاب الله يرون فيه جديدا فى كل تلاوة يتلونها، فهو يتجدد فى قلوبهم بحلاوته ومعانيه وأسراره، قد تتذوق فيه شيئا جميلا فى كل تلاوة جديدة لم تكن قد تذوقته من قبل، كما أن حفظ القرآن يقرب المسلم من ربه ويجعله يعيش الآخرة وكأنه يراها رأى العين، وهو سياج يحفظ صاحبه من الزلل إلى درجة عالية، كما أنه يبعث الهمة فى صاحبه، فلا عجب أن ترى حفظة كتاب الله ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

شبكة الفرسان: مسقط رأسك فى قرية يبنا وهى بين عسقلان ويافا، هل يمكنك أن تحدثنا عن هذه القرية وماذا تمثل بالنسبة لك هذه القرية؟

د. الرنتيسى: لقد أُخرجت من قريتى يبنا وأنا ابن ستة أشهر، ولكن حبها ترعرع فى قلبى كلما ترعرعت، فكم كنت أتوق إليها رغم أننى لم أرها بعين الإدراك حين أخرجت منها، ولقد زرتها عدة مرات بعيد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة وذلك قبل الانتفاضة الأولى، وكنت فى كل مرة أزورها أذهب إلى بيتى الذى ولدت فيه وهو بيت من طابقين يقع وسط أشجار البرتقال، تغتصبه أسرة يهودية قدمت من اليمن، إنه بيت جميل كان يسكننى ولا أسكنه، يقع فى وسط القرية وعلى مقربة منه مدرسة البلدة والتى كان يؤمها التلاميذ من القرى المجاورة، وأيضا على مقربة من البيت يوجد مقام لأحد الصالحين يطلقون عليه فى القرية مقام أبى هريرة، عندما زرت البيت فوجئت أن هناك لا تزال بعض أشجار البرتقال التى غرسها والدى بيده رحمه الله، يتخلل القرية الطريق العام القديم الذى يصل شمال فلسطين بجنوبها، بينما الطريق الجديد يمر ملامسا حدودها الغربية ولا تزال فى القرية آثار البيوت المدمرة وكذلك المسجد وقد أصابه الدمار ولم يبق إلا بقية من مئذنته، وقريبا من المسجد تقع مقبرة القرية حيث يرقد فيها أجداث الأجداد، ومن جانبى لم أزل أرقب اليوم الذى أعود فيه إلى قريتى وبيتى، وأناعلى ثقة بأننا سنعود إليها ولكن لا أدرى إن كنت سأكحل عينى برؤيتها وقد علا مئذنتها هتاف الله أكبر، أم أنها ستنهض عزيزة وقد احتوش الثرى جسدى.

شبكة الفرسان: وأنت فى السنة السادسة الابتدائية اضطررت للعمل لتساهم فى إعالة أسرتك الكبيرة، هل يمكنك أن تحدثنا عن هذه المرحلة من عمرك؟ وعن حياتك فى مخيم خان يونس للاجئين (بإيجاز إن أمكن)؟

د. الرنتيسى: لم يكن هناك دخل للأسرة الكبيرة إلا ما نتلقاه من تموين من وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة، مما اضطررت معه أنا وإخوتى أن نبحث عن عمل وإن كان يسيرا وكان العمل أحيانا لا يتناسب مع العمر والقدرة، فقد كنت أعمل فى البيع؛ أبيع فاكهة متواضعة تسمى «الجميز» لأعود فى نهاية اليوم فى معظم الأحيان بقرش واحد أو نصف القرش من ذلك، ثم عندما كبرت قليلا عملت

فى رى الشجر فى البيارات، كما عملت فى البناء؛ أنقل الحجارة وغير ذلك، ثم عندما أصبحت فى المرحلة الإعدادية كنت أذهب إلى مدينة «العريش» فى سيناء لأحضر من هناك الصابون وبعض المواد الأخرى بكميات قليلة كانت تحقق قليلا من الربح، وهناك مجالات عديدة أخرى عملت بها ولم تكن فى مجملها تتناسب مع حداثة سنى.

شبكة الفرسان: ما هى المواد التى كنت تقوم بتدريسها فى الجامعة الإسلامية بغزة؟ وكيف هى معاملتك مع الطلبة؟

د. الرنتيسى: لقد قمت فى الجامعة الإسلامية بتدريس مادة الكيمياء الحيوية وكذلك مادة الإسعافات الأولية، والروح التى كانت تسود بينى وبين طلابى هى روح الأخوة، وكانوا يشعرون بهذه الروح ويتعاملون معى كصديق لهم، وكثيرا ما كنت أداعبهم، وكذلك أذكرهم بالله وبالدور المنوط بهم فى هذه الحياة الدنيا خاصة أن الوطن محتل وأنهم يشكلون العمود الفقرى للشعب الفلسطينى، كما يشكلون أمل الأمة وعدتها وهم فى سن الشباب.

شبكة الفرسان: طيب.. فى الوقت الراهن كيف تتابع محاضراتك؟

د. الرنتيسى: بعد استهدافى بمحاولة الاغتيال الفاشلة لم يعد من السهل على أن أتابع محاضراتى فى الجامعة فى ظل الإجراءات الأمنية المشددة التى نتخذها اليوم، وذلك عملا بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] ولذلك فقد توقفت عن مواصلة التدريس فى الجامعة إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

شبكة الفرسان: قضيت سنوات وشهور فى معتقلات العدو الصهيونى والسلطة الوطنية، ما هى إيجابيات وسلبيات هذه الفترة التى قضيتها فى السجون؟ وهل أثرت على تفكيرك وأسلوبك فى الحياة؟

د. الرنتيسى: ما من شك أن فى الاعتقال الكثير من الإيجابيات، وعلى رأس هذه الإيجابيات أن الاعتقال يهيئ الإنسان لتحمل الأعباء الجسام فى المستقبل، وهكذا تم إعداد سيدنا يوسف عليه السلام للمهمة الأكبر إذ قال الله سبحانه وتعالى بعد خروج سيدنا يوسف من المعتقل ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٦] والاعتقال

مدرسة الصبر، كما أن المعتقل يجد وقتا كافيا للعلم والثقافة، وأيضا الاعتقال فرصة جيدة للتواصل مع الشباب، وعلى رأس الإيجابيات أننى تمكنت من حفظ كتاب الله عز وجل، وأما السلبيات فتنحصر فى أن الإنسان فى المعتقل يفقد القدرة على الحركة الواسعة التى تعود بالنفع على القضية والشعب والأهل، وإذا كان من أثر على تفكيرى بعد الاعتقال فأستطيع القول إن تعلقى بالدنيا قد فتر كثيرا، فلا غرابة أن ترى معظم الشباب الذين استشهدوا كانوا قد أمضوا فترات من حياتهم فى المعتقلات.

نأتى للجانب الإعلامى والأدبى أو الثقافى:

شبكة الفرسان: لديك موقع على شبكة الإنترنت، ما أهداف الموقع؟ وكم عدد زواره يوميا؟ حدثنا عنه وعن تواصلك مع الزوار.

د. الرنتيسى: أهم أهداف الموقع تتمثل فى طرح الموقف الإسلامى من القضية الفلسطينية، ووضع المتابع للموقع أمام آخر المستجدات، ونقل أفضل ما يكتب عن القضية الفلسطينية من مقالات وأشعار للمتابعين للموقع، أيضا طرح الموقف الإسلامى من القضايا التى تهم الأمة العربية والإسلامية، وفضح أعداء الله وما يدبرون لهذه الأمة من كيد، أما عدد زواره فيزور الموقع قرابة الألف يوميا وأحيانا أكثر من هذا العدد بكثير، هناك صفحة لاستقبال رسائل الزوار وهؤلاء تنشر رسائلهم على الموقع، كما أن هناك عنوانًا بريديًا أستقبل من خلاله العديد من الرسائل التى أطالعها وأقوم بالرد عليها، وعادة أتلقى ردودا على الردود يعبر فيها أصحابها عن سعادتهم قائلين بأنهم لم يكونوا يتوقعون هذه السرعة فى الرد، وأحيانا بسبب الظروف الأمنية الصعبة أتأخر فى الرد على رسائل الزوار وعندما أتمكن من الرد عليهم أعتذر لهم لما حدث من تأخر فى الرد.

شبكة الفرسان: هل أنت بنفسك تقوم بتحديث الموقع؟

د. الرنتيسى: فى معظم الأحيان نعم أقوم بنفسى بتحديث الموقع، ولكن فى الظروف الأمنية الصعبة يقوم بعض الشباب بهذا الأمر.

شبكة الفرسان: نريد أن نعرف وجهة نظرك فى كيف يمكن لأبناء أمتنا الإسلامية الاستفادة من شبكة الإنترنت؟

د. الرنتيسى: الواقع أن شبكة الإنترنت هى عبارة عن باب معرفى واسع ييسر وصول المعلومة إلى القراء، كما أن الإنترنت يشكل فرصة أمام الشباب للوصول إلى المعلومات الصحيحة عبر المواقع الموثوقة وما أكثرها، كما أن الإنترنت يشكل فرصة طيبة للتواصل بين أبناء الأمة الواحدة والعقيدة الواحدة وتبادل الأفكار والمعلومات، كما أن هناك مواقع عديدة غنية بالمعلومات الدينية التى تشبع حاجات الشباب المسلم المتعطش لهذه المعلومات وهو يعود عودا حميدا إلى عقيدته وأصوله وهويته.

شبكة الفرسان: هناك من يقول إن شبكة الإنترنت هى بمثابة الإعلام البديل فى المستقبل القريب، ما تعليقك؟

د. الرنتيسى: هذا الأمر متوقع خاصة أن نسبة عالية من أبناء الأمة لا يجدون اليوم حاجتهم عبر الوسائل الإعلامية الأخرى التى أغلقت أبوابها فى وجه الإسلاميين، ولكن شبكة الإنترنت تفتح الباب واسعا أمام المحرومين من المسلمين أن يجدوا متنفسا لألمهم فيها، ففى الوقت الذى يجد الشباب موقعا على شبكة الإنترنت لحركة حماس وكتائب القسام فلن يجدوا لهما محطة بث تلفزيونى لأن الباب موصد فى وجه الحركة.

شبكة الفرسان: أنت كاتب مقالات متميز ولله الحمد مقالاتك منشورة فى عدة مواقع وصحف، هل يمكننا أن نعرف ما هى الأجواء الملائمة لك لكتابة المقالات؟ وخاصة أن مقالاتك مواكبة للأحداث.

د. الرنتيسى: أفضل الأجواء للكتابة الوحدة والهدوء، وأفضل المحفزات الأحداث التى تبعث فى النفس السرور أحيانا وأحيانا أخرى تبعث الألم خاصة تلك التى تمس القضية الفلسطينية وقضايا أمتنا العربية، ومن هنا فإن المقالات عادة تأتى مواكبة للأحداث.

نأتى للجانب السياسى والحركى:

شبكة الفرسان: الإخوان المسلمون هى التى انبثقت منها حركة المقاومة الإسلامية حماس عام ١٩٨٧. وفى الحقيقة نعانى من التباس هل ممكن أن توضح لنا ما هى العلاقة بين الحركة وبين جماعة الإخوان؟ حدثنا عن فكر ومنهج الحركة مقارنة بالإخوان المسلمين.

د. الرنتيسى: حركة المقاومة الإسلامية حماس هى حركة الإخوان المسلمين فى فلسطين، فى عام١٩٨٧م عندما قررت قيادة الإخوان المسلمين وكنت أحد عناصر القيادة أن نشعل الانتفاضة فى فلسطين اخترنا اسما للحركة الميدانية التى تمثل فعاليات الانتفاضة فى الشارع الفلسطينى التى تقوم بها حركة الإخوان المسلمين فوقع اختيارنا لهذا العنوان «حركة المقاومة الإسلامية»، فأعضاء حركة المقاومة الإسلامية حماس عندما يعطون البيعة يعطونها لحركة الإخوان المسلمين.

شبكة الفرسان: متى يكون الإرهاب محمودا ؟ ومتى يكون مذموما؟

د. الرنتيسى: الإرهاب كمصطلح متعارف عليه الآن فى العالم أصبح أمرا مذموما، لأنه لم يعد اسم المصدر للفعل أرهب، ولو أنه بقى فى هذا الإطار لأصبح محمودا إذا كان إرهابا للمعتدين والطغاة والظلمة، كما جاء فى كتاب الله سبحانه ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ولأصبح مذموما إذا كان إرهابا للشعوب الآمنة المطمئنة وعدوانا عليها، وإرهابا للمستضعفين فى الأرض، فإن ما يقوم به العدو الصهيونى من احتلال وعدوان على الشعب الفلسطينى هو الإرهاب بعينه وفق المصطلح الدولى، وما يقوم به الشعب الفلسطينى من إرهاب للمحتلين هى المقاومة المشروعة للاحتلال وفق كتاب الله، فإن أطلقوا على هذه المقاومة الفلسطينية مصطلح الإرهاب فهو عندئذ إرهاب محمود كما يقول الشاعر:

لا عدل إلا إن تعادلت القوى وتصادم الإرهاب بالإرهاب

ولفظ الإرهاب فى هذا البيت المعبر عن المقاومة يأتى من باب المشاكلة اللفظية.

شبكة الفرسان: كيف تؤثر عليكم الحرب الإعلامية عندما يصفون الأبطال الأشاوس بالإرهاب؟ وكيف تحاربون هذه الحرب الإعلامية ضد جهادكم المقدس؟

د. الرنتيسى: لم يعد لهذا المصطلح أية قيمة لأنه لا يعكس الصورة الحقيقية للإرهاب المقصود من هذا المصطلح، ولذا لم يعد له أى تأثير على الشعوب حتى الشعوب الغربية لأن الشعوب العربية والإسلامية تدرك حقيقة العداء الصليبى والصهيونى للأمة العربية

والإسلامية، وبالتالى لا تحترم هذه المصطلحات ولا تحترم من يقف وراءها، فكما تعلمون فإن استطلاعات الرأى فى أوربا قد أثبتت أن الشعوب الأوربية تدرك تماما طبيعة هذا العدو الصهيونى عندما أكدت الأغلبية أن هذا الكيان الصهيونى يشكل الخطر الأكبر على الأمن فى الكرة الأرضية.

شبكة الفرسان: ألا ترى أن هناك خلطًا وتناقضًا بين ما تريده الحكومة الفلسطينية عبر إعطاء التنازلات للعصابة الصهيونية العنصرية وبين مطالب حركات الجهاد والمقاومة الفلسطينية الباسلة؟

د. الرنتيسى: التناقض كبير بين الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى التى تتبناها وتتمسك بها حركة المقاومة الإسلامية فى فلسطين وبين ما تمارسه السلطة الفلسطينية من انحدار سياسى خطير أدى إلى التنازل عن معظم الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى، بل إن هناك تناقضا بين الأسس والقواعد والثوابت التى قامت عليها منظمة التحرير الفلسطينية عندما أنشئت، والمواقف المتردية الانهزامية التى تتبناها منظمة التحرير الفلسطينية اليوم ممثلة فى السلطة.

شبكة الفرسان: ما هى النقاط الرئيسية التى يتمسك بها الفلسطينيون شعبا وحكومة وحركات مقاومة فى صالح القضية الفلسطينية؟

د. الرنتيسى: عدم التنازل عن شبر من فلسطين من البحر إلى النهر وإن كنا لا نستطيع أن نحررها اليوم، عدم التنازل عن حق العودة والتعويض للفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم، عدم التنازل عن المقدسات، قيام دولة فلسطينية كاملة السيادة دون التنازل بالمقابل عن باقى الوطن. هذه النقاط التى تتمسك بها الحركة الإسلامية فى فلسطين، وهذه تمثل الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطينى، ولكن النقاط التى تتمسك بها السلطة غير واضحة لأن السلطة تغير مواقفها باستمرار لتتأقلم مع ما يريده العدو الصهيونى، وكلنا سمعنا بوثيقة جنيف التى أجهزت على ما تبقى من حقوق وطنية.

شبكة الفرسان: قتل المدنى الإسرائيلى بل والجندى الإسرائيلى عملية إرهابية ممنوعة لا تسكت عنها العصابة الصهيونية وتقوم حكومة فلسطين أحيانا باستنكارها وإدانتها،

فمن للضحايا الفلسطينيين من أطفال ونساء وشيوخ، وبعبارة أخرى كيف يتعامل الإعلام العربى مع القتيل المدنى للصهاينة والشهيد المدنى للعربى الفلسطينى؟

د. الرنتيسي: إذا كانت كلمة مدنى تعبر عمن لا يحمل السلاح فهناك مدنيون صهاينة لا ننكر ذلك، ولكن الذى ننكره أنهم مدنيـون أبرياء، لا لشىء إلا لأنهم شـركـاء فى احتلال الوطن وطرد الشعب الفلسطينى من أرضه وإقامتهم فيها بالقوة دون إذن من أهلها، وأنه لا يمكن إخراجهم من فلسطين وإعادة أهلها إليها إلا بقتالهم وطردهم منها بالقوة، فإدانة العمليات التى تستهدف المحتلين فى واقع الأمر تعبر عن ضعف من أطلق الإدانة ولا تعبر عن حقيقته، وإنه لمن المؤسف أن يتعامل الإعلام العربى مع قتلى المحتلين على أنهم مدنيون وفى نفس الوقت لا يسلط الضوء بقوة على جرائم الاحتلال التى تستهدف الأطفال والنساء والشيوخ والشباب من أبناء فلسطين وتدمر الحياة الفلسطينية بتدمير الحجر والشجر.

شبكة الفرسان: ما هى نظرة حماس الباسلة فيما يجرى من محاولات لإجراء السلام عبر خارطة الطريق؟

د. الرنتيسي: خارطة الطريق لا يمكن أن تقود إلى سلام، فأول بنود هذه الخارطة البنود المتعلقة بضرب المقاومة الفلسطينية وتصفيتها لصالح الاحتلال، أو قل إشعال حرب أهلية داخل الشارع الفلسطينى، وأنا أعتقد أن الحرب الأهلية الفلسطينية هى الهدف الأول والأخير من وراء خارطة الطريق، ومن ظن غير ذلك أو من اعتقد أن هناك أهدافا سلمية من وراء هذه الخارطة فهو غارق فى الوهم، فهى غير قابلة للتطبيق وإن قدر لها أن تطبق فستقتصر على تدمير الشعب الفلسطينى وانتفاضته الباسلة. فطريق السلام معروفة لمن أراد أن يسلكه ويتمثل فى إعطاء الشعب الفلسطينى حقوقه المشروعة، ووضع حد لمأساته التى بدأت عام ١٩٤٨ ولا زالت مستمرة إلى يومنا هذا.

شبكة الفرسان: على الرغم من الدور الخطير الذى يلعبه الجواسيس خاصة الذى يعملون ضمن مواقع قيادية فى الشعب الفلسطينى إلا أننا نلاحظ أن حركة حماس تكف يديها عنهم فكيف يمكنكم تفسير هذا الموقف لأصدقائكم وأعدائكم؟

د. الرنتيسي: كما تعلم لدينا فى فلسطين حكومة قائمة، ومتابعة الجواسيس وملاحقتهم ينبغى أن تكون من أولى واجبات هذه الحكومة، فإذا قامت حركة حماس بهذا الدور ستعتبر الحكومة الفلسطينية أن حماس تطرح نفسها بديلا عن هذه الحكومة، أو أن حماس تعمل على تشكيل حكومة موازية، أو أن حماس تأخذ القانون بيدها، وكل ذلك من شأنه أن يؤدى إلى توتر فى الشارع الفلسطينى، وقد يتخذ ذريعة للقيام بالدور الذى تريده أمريكا ويريده العدو الصهيونى من السلطة الفلسطينية والمتمثل بضرب الحركة الإسلامية، من هنا تقتصر حركة حماس فى هذه المرحلة على رصدهم ومتابعتهم.

شبكة الفرسان: كيف تفسرون مطالبة العصابة الصهيونية بأن ينخرط العرب الفلسطينيين الذين يعيشون داخل ما يسمى بإسرائيل فى الخدمة العسكرية كتعبير عن انتمائهم لدولة إسرائيل الهشة والمزعومة؟

د. الرنتيسي: هذه المطالبة هى مقدمة لممارسة التضييق على الفلسطينيين الذين حافظوا على هويتهم وانتمائهم ومقدمة لخلق الذرائع من أجل حرمانهم مما تبقى من حقوقهم المدنية، والصهاينة يدركون انتماء أهلنا فى فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨، ولكنهم لا يريدون احترام هذا الانتماء فى الوقت الذى يجيزون فيه لأنفسهم الدفاع عن اليهود فى جميع أرجاء المعمورة، وما تبنيهم لليهود الإيرانيين الذين اتهموا بالتجسس ضد دولتهم إيران عنا ببعيد.

شبكة الفرسان: ما هى الأمور التى ترى أن الشعب الفلسطينى فى أمس الحاجة إليها فى هذا الوقت الراهن؟

د. الرنتيسي: الشعب الفلسطينى الآن فى أمس الحاجة أن يرى دعما حقيقيا وبكل الوسائل من قبل الشعوب العربية والإسلامية، لأن الشعب الفلسطينى اليوم يقف فى الخندق المتقدم دفاعا عن كرامة الأمة ومن حقه على هذه الأمة أن تشكل رافعة لجهاده حتى يواصل صموده فى وجه هذا العدوان الصهيونى الغاشم الذى لا يوجد له مثيل فى التاريخ سواء فى شدة بطشه أو فى لاأخلاقيته.

شبكة الفرسان: ما هى طلباتكم للمواقع العربية والإسلامية عبر شبكة الإنترنت لتخدم قضية المسلمين الكبرى قضية فلسطين الجريحة؟

د. الرنتيسى: نطالبهم بإبراز جرائم العدو الصهيونى ضد الشعب الفلسطينى أمام العالم، وأن يقوموا بتحريض الأمة للقيام بدورها فى مواجهة هذا العدوان ومساندة جهاد شعب فلسطين، وأن يسلطوا الأضواء على عدالة القضية الفلسطينية، وعلى تاريخ فلسطين، وجذور المأساة الفلسطينية.

شبكة الفرسان: ما هو موقف حركة المقاومة الإسلامية حماس من الحرب الصليبية التى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ضد المسلمين فى شتى أنحاء العالم وما هو دور الحركة فى صد هذا العدوان؟

د. الرنتيسى: الواقع أن هذه الحرب المجنونة التى يقودها الغرب الحاقد هى حرب موجهة أولا وأخيرا ضد الإسلام فكرا وحضارة وعقيدة وقيما، وحركة المقاومة الإسلامية حماس هى فى المقام الأول حركة إسلامية ومن هنا فإنها تهتم بقضايا المسلمين فى كل مكان، فما يجرى من العدوان الأمريكى على أهلنا فى العراق تتأثر له كثيرا حركة حماس، كما أن المقاومة الإسلامية الباسلة فى العراق لها تأثيرها الإيجابى على القضية الفلسطينية وعلى حركة المقاومة الإسلامية.

شبكة الفرسان: لماذا عارضتم الهجوم على المستوطنين الصليبيين فى مجمع المحيا بأرض الجزيرة العربية، وأدنتم اغتيال محمد باقر الحكيم على الرغم من موقف حماس المعلن بعدم التدخل فى شئون الدول الأخرى؟

د. الرنتيسى: هذا ليس من باب التدخل فى شؤون الدول الأخرى، ولكننا نقول كلمتنا التى نؤمن أنها تصب فى مصلحة المسلمين، الذين قتلوا فى مجمع المحيا هم من المسلمين، ولقد اعتقد العديد من المحللين والمراقبين فى حينه أن هناك أياد خفية تقف وراء هذه العملية، أما بالنسبة لاغتيال باقر الحكيم فلا ندرى من يقف من وراء هذه العملية، ونشك أن تكون المقاومة العراقية، وأخشى ما نخشاه أن تضرب مثل هذه العمليات وحدة الشارع العراقى، ولن يكون ذلك فى مصلحة المقاومة العراقية.

شبكة الفرسان: هل من كلمة توجهها إلى شباب الأمة الإسلامية ؟

د. الرنتيسى: إن أمر الأمة اليوم يشهد حالة من التراجع لا أكون مبالغا إن قلت إنها من أسوأ المراحل التى مرت بها الأمة، فقد فقدت الأمة استقلاليتها بعد أن فقدت هويتها الإسلامية، ولقد تكالبت عليها الأمم لتسلبها ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وجاء دور الشباب المسلم لإنقاذ الأمة وانتشالها من الحضيض الذى وصلت إليه، فالشباب هم عماد الأمة، إذا استقاموا استقامت، وإذا نهضوا نهضت، بهم تنتصر، وبهم يعلو شأنها بين الأمم، فلا يصلح حال الأمة إلا إذا صلح حال شبابها، ولن يصلح حال شبابها إلا بالإسلام، فاتقوا الله يا شباب الإسلام فى أمتكم، وتمسكوا بعقيدتكم، واذكروا قول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، واعلموا أن الإسلام سينتصر لا محالة، فإن لم ينتصر بكم فسينتصر بغيركم، واعلموا أن الجهاد فى سبيل الله هو سنام الإسلام، فعليكم بالجهاد لتحرروا أرضكم ومقدساتكم وتوفروا الأمن لأبناء المسلمين، وتحفظوا دماءهم، ولتعيدوا للأمة مجدها.

شبكة الفرسان: هل من كلمة توجهها إلى أسرة موقع شبكة الفرسان الإسلامية؟ وهل لديك ملاحظات ونصائح واقتراحات للموقع ؟

د. الرنتيسى: إننا فى معركة طاحنة مع أعداء الإسلام من الصهاينة والصليبيين ولقد جند العدو لكسب المعركة كل أدواته وعلى رأسها الإعلام وعلينا أن نجند له فى هذه المعركة كل ما نملك من قوة، فأنتم إذن على ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قبلكم، إننا فخورون بكم وبما تبذلون من جهد، وأمتكم فخورة بكم، أسأل الله أن يوفقكم لكل خير وأن يبارك خطواتكم وأن يجرى خير هذه الأمة على أيديكم.

شبكة الفرسان: مع أن الحديث معك له حلاوة واستفادة هل هناك سؤال لم نسأله؟

د. الرنتيسى: لقد شملت أسئلتكم كل ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن فبارك الله فيكم.

زوجة الرنتيسي: أبنائي على درب أبيهم سائرون:

أكدت المجاهدة (أم محمد) زوجة الشهيد الدكتور «عبدالعزيز الرنتيسي» أنها سوف تتقبل التهاني وليس التعازي، مؤكدةً أن زوجها طوال حياته كان على مسيرة الجهاد يطلب الشهادة، ويطلب مرضاة الله وقد وصل إليها ونالها.

وأضافت في تصريحات لقناة العربية أثناء تشييع جثمان الشهيد «لقد كان «الرنتيسي» يطلب الشهادة دائمًا، وما دمنا نعلم أن لكل أجل كتاب فالشهادة اصطفاء من الله، وبالتالي لا يسعني إلا أن أقول له هنيئًا لك الشهادة ياً «أبومحمد»، وأسأل الله أن يجمعنا في النعيم».

أما بالنسبة لما يخص حالة أبنائها بعد استشهاد والدهم، قالت الزوجة المحتسبة: «أبنائي يعرفون الطريق الذي يسير عليه أبوهم، وهم يجددون العهد، وعلى دربه سائرون».

وكان عشرات الآلاف من الرجال والنساء قد شاركوا في تشييع جنازة الشهيد الدكتور «عبدالعزيز الرنتيسي» وإخوانه الشهداء بعد ظهر اليوم الأحد ١٨/ ٤/ ٢٠٠٤م، وتوعدوا بالرد السريع على هذه الجريمة الصهيونية.

نجل الرنتيسي يروي اللحظات الأخيرة في حياة والده:

روى النجل الأكبر للشهيد عبدالعزيز الرنتيسي تفاصيل اللحظات الأخيرة في حياة قائد حركة (حماس) في غزة قُبيل اغتياله، وكشف «محمد الرنتيسي» أن والده كان يجهِّز لتزويج ابنه الثاني «أحمد»، بعد أن حصل على مدخراته من الجامعة الإسلامية التي كان يحاضر فيها، وسدَّد جميع ديونه، ونقلت صحيفة(الخليج) الإماراتية عن محمد أن والده قضى عشية اغتياله الليل، وهو يتحدث إلى العائلة المشتاقة إليه ولا تراه إلا قليلاً.

وأضاف: لم تكن حياة الرنتيسي عادية بكل ما تحمل الكلمة من معان؛ ولكنها كانت حياة قائد عليه واجبات حركة بأكملها، وفي الوقت نفسه عليه أنَّ يتصرَّف كمُطارَد يتنقل من منزلٍ إلى آخر بطرقٍ خفيَّة ومستعصية حتى آخر لحظة من حياته.

وقال: إن والده- ومنذ مبايعته خليفةً للشيخ أحمد ياسين- امتنع عن الذهاب إلى بيته في حيّ الشيخ رضوان بمدينة غزة، وكان يعيش في مقارّ سرية، آخذًا أعلى درجات الحيطة والحذر، ولا يتنقّل إلا نادرًا؛ ولكنه عاد أخيرًا فجر السبت السابع عشر من أبريل بعدما علم أن أخاه صلاح قدم من خان يونس لرؤيته والسلام عليه، كما وصلت ابنته إيناس كي تطمئن على أبيها، وتقضي ساعات معه، وقرّر أن يقضي عدة أيام مع أبنائه وزوجته دون أن يخرج، خاصةً أنه عندما كان يزورنا قبل ذلك يأتي منتصف الليل ويغادر الفجر، لا سيما بعد فشل محاولة اغتياله في يونيو ٢٠٠٣م، واغتيال الشيخ ياسين في شهر مارس لعام ٢٠٠٤.

وقال محمد الرنتيسي: إنه جلس يتحدَّث عن زواج أخي «أحمد»، الذي أصيب خلال محاولة الاغتيال الأولى، وذلك بعد أن حصل على مدخراته من الجامعة الإسلامية، وسدَّد ما عليه من ديون، واقتطع مبلغًا من المال لزواج أحمد (٢١ عامًا)، وقال لنا: الآن أقابل ربي نظيفًا لا لي ولا عليّ.

وأضاف نجل الشهيد: استيقظ أبي واغتسل وتعطَّر وأخذ ينشد على غير عادته نشيدًا إسلاميًا مطلعه: «أن تدخلني ربي الجنة.. هذا أقصى ما أتمنَّى»، وأضاف: التفت إلى والدتي، وقال لها: «إنها أفضل الكلمات التي أحبُّها في حياتي»، وحينها شعرتِ بالقلق.

وأشار إلى أن مرافقه «أكرم منسي نصار» (٣٥ عامًا) لم يتَّصل به منذ مدة طويلة تصل إلى أسبوعين، وإنما كان ينسق بعض تحركاته وفق شفرة معينة لبعض التنقلات؛ ولكنه وصل إلى منزلنا عصر ذلك اليوم وتحدَّث مع والدي قليلاً، واتفقا على الخروج، رغم أنه كان ينوي البقاء فترةً أطول، فطلبنا منه عدم الخروج؛ ولكنَّه أصرَّ على ذلك!!

وواصل قائلاً: قبل أذان العشاء بقليل خرج والدي برفقة أخي «أحمد»، الذي كان يقود سيارةً من نوع (سوبارو) ذات نوافذ معتمة كما هو متفق عليه من منزلهم متنكرًا بلباس معيَّن، وأوصله إلى مكان محدد في مدينة غزة متفق عليه سابقًا، وبعد دقائق وصلت إلى المكان سيارة (سوبارو) أخرى يستقلها «أكرم نصار» ويقودها «أحمد الغرة» الذي يعمل بشكل سرّي ضمن صفوف كتائب (القسام)، وبهدوء انتقل الرنتيسي من

سيارة نجله إلى السيارة الأخرى التى انطلقت به مسرعةً إلى هدفٍ لم يحدَّد؛ لكن صاروخين من طائرات (الأباتشى) الصهيونية كانا أسرع من الجميع.

وقال محمد: عندما سمعتُ صوت القصف اتصلت سريعًا بأخى أحمد لأطمئن ورد علىَّ، وهنا اطمأننت قليلاً؛ ولكن يبدو أن أحمد كان يدرك ما حدث، وانتظر حتى يتأكد من الأمر؛ حيث عاد إلى المكان وشاهد السيارة المشتعلة تحولت إلى ركام وأيقنَ بما جرى، وأضاف محمد: أسرعت إلى مكان القصف، وعندما شاهدت السيارة علمت أن والدى بين الشهداء، رغم ما حاوله البعض من التخفيف بالقول إنه أصيب، أما أمى فقد استقبلت النبأ بكل قوة وعزيمة، وأخذت بالتسبيح والتهليل، وأجهشت شقيقتى بالبكاء.. كنا متماسكين.. هذا قدرنا ونحن راضون بقضاء الله».

وتعكس اللحظات الأخيرة من حياة الشهيد القائد حرصه على اتخاذ إجراءات وتدابير أمنية عالية فى تحركاته، ولم يستخدم الاتصالات الهاتفية أو اللاسلكية، لكن ما يتمتَّع به الاحتلال من تكنولوجيا وعملاء ورصد على مدار الساعة.. يجعل من الصعوبة بمكان الإفلات من المصير.

وقال محمد إن الصورة التى فى أذهان الناس عن والدى هو الثورى الشديد، لكنه داخل الأسرة صاحب الحنان الكبير والقلب الرؤوف الهادئ، وكان يحب الأطفال، وأضاف: لم يترك أبى قصوراً ولا شركات ولا حسابات فى البنوك، بل ما تركه قائمة تفصيلية بما له وما عليه من أموال على المستوى الشخصى ومستوى حركة حماس.

***

الشهيد / عبد الفتاح عبده إسماعيل



أشهد أننى لم أفهم قدر الشهيد عبد الفتاح إسماعيل إلا بعد أن نفذ حكم الإعدام فيه . . . وأستطيع أن أشهد شهادة يحاسبنى الله عليها أن الشهيد عبد الفتاح إسماعيل كان من أصلب الإخوان المسلمين الذين دخلوا السجن الحربى إرادة، إن لم يكن أصلبهم على الإطلاق . . . وأكثرهم شجاعة فى مواجهة طغاة السجن الحربى بالصدع بكلمة الحق وكان يريهم من نفسه ما يملأ قلوبهم حسرة وغيظًا . . . وأذكر مرة دخل حمزة البسيونى السجن فى الصباح وهو يركب حصانًا أحمر . . وبعد أن خرج الطابور الكبير وكنت أسير مع طابور «العواجيز» وهو طابور أخف من الطابور السريع ؛ يضم أصحاب العاهات . والأمراض وكبار السن ولا يسير فيه إلا من صرح له الطبيب بذلك، وبدأ طابور «العواجيز» فى الخروج فوقف حمزة البسيونى يستعرض الطابور بنفسية الساخر المتشفى وأراد أن يسخر من الشيخ عبد الفتاح فسأله :

- كويس كده يا شيخ عبد الفتاح ؟!

فابتسم الشيخ عبد الفتاح وأشرق وجهه بنور ابتسامته وقال :

- الحمد لله على كل اللى يجيبه ربنا . . !! إحنا راضيين بكل اللى يجيبه ربنا!! .

كان الشيخ عبد الفتاح عبده إسماعيل يرنو بقلبه إلى «الشهادة» ويتمناها من أعماق فؤاده ولقد كان بينه وبين الشهيد محمد عواد عهد على الاستشهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله وكان الشهيد عبد الفتاح يغبط محمد عواد على فوزه بالاستشهاد تحت ضربات التعذيب الرهيبة التى حققت له أمنية طالما تمناها . .

كان «الموت» فى سبيل الله أمنية الحاج عبد الفتاح فى الوقت الذى نظر إليه أعداء الحق أنه أقسى ما يمكن أن يفعلوه بجند الحق . . .

لقد تعرض الشيخ عبد الفتاح لعمليات تعذيب رهيبة ولكن الرجل لم يفقد شجاعته حتى فى لحظات التعذيب فقد كان من بين وسائل التعذيب التى تعرض الشهيد عبدالفتاح الكلاب المتوحشة التى أطلقوها عليه لتمزق جسده. . . فلم يستسلم لنهش الكلاب ولم يفزع منها. . . ولكنه أطبق بيديه على عنق أحدها حتى خنقه!!.

وتقول الحاجة زينب الغزالى عنه :

«كان الشهيد عبد الفتاح إسماعيل من أخلص المريدين لحسن البنا والمقربين إلى قلبه. . وبرهنت الأحداث أنه كان جديراً بهذا القرب وهذه الرعاية من الشهيد حسن البنا، فبعد خروجه من السجن فى سنة ١٩٥٦ كان مصممًا تصميمًا لا يداخله شك أو ضعف أو تردد على إعادة الإخوان المسلمين إلى ما كانت عليه لتؤدى واجبها نحو الله سبحانه. . لقد فعل ما يرضى ضميره بإعادة تنظيم الدعوة وإعادة وحدة صفها بالتربية والتكوين والإعداد الفكرى. . .

وجاءت مذبحة السجن الحربى ووقف عبد الفتاح إسماعيل كالطود الراسخ ثابتًا على عقيدته مدافعًا عنها لا تخيفه السياط ولا ترعده الكلاب التى كانت تحبس معه بالأيام محرومة من الطعام لتفتك به. . لقد رأيته عدة مرات فى مكتب شمس بدران ممزق الوجه والكتفين وممزق الأقدام. . . مكسور الذراع مكسور الساق. . . رأيته مرة وكان قد فقد بصره. .

كان رجلاً بحق يمثل جماعة. . . عمل على جمع وحدتها وتنظيم صفها فنجح أيما نجاح وفاز عبد الفتاح عبده إسماعيل «بالشهادة» وهى أرفع نيشان وأسمى ما يتقلده إنسان. . . إنها قلادة الشرف من رب السموات».

كان الشهيد عبد الفتاح هو «دينامو» تنظيم سنة ١٩٦٥ وكان له الفضل الكبير فى توحيد الإخوان من الإسكندرية حتى أقاصى الصعيد وكان يضرب به المثل فى القدرة على الحركة حتى قيل إنه كان يصلى الأوقات الخمسة فى خمس محافظات!!.

وكان له الفضل فى توصيل الإخوان بالشهيد سيد قطب وقبوله قيادة التنظيم. .

وكان الشيخ عبد الفتاح عابداً. . . يقوم من الليل يصلى حتى ظن كثير من الإخوان أنه لا ينام ،وقد رغب الكثيرون فى السكنى معه، وكان من أحرص الإخوان على تنفيذ

السنة فقد أطلق لحيته أو طالت لحيته بحكم تركها بدون حلاقة فترات طويلة فكانت شعورنا تطول اللحية والشارب وشعر الرأس . . .

ولكن الشهيد عبد الفتاح . . كان يحف شاربه بنتف شعر الشارب رغم ما فى ذلك من ألم .

وكان الشيخ عبد الفتاح مهيبًا لا أذكر أنه قد تعرض لإهانات الحراس رغم كثرتها بالنسبة للإخوان ، وأذكر أن الأخ محمد رحمى وُجِدَ فى زنزانة الشيخ عبد الفتاح بعد صلاة الفجر وبعد الانتهاء من عملية «دورة المياة» وضبطه أحد العساكر وعلم بذلك صفوت الروبى ويبدو أن الشيخ عبد الفتاح كان مرصودًا حتى أنه أسكن معه أحد أفراد القضية ممن يمكن أن يستفاد منهم فى معرفة حياة الشيخ عبد الفتاح وكان جزاء الأخ محمد رحمى «علقة» ساخنة على قدميه مزق فيها صفوت الروبى قدما الأخ رحمى حتى أنه كان الشخص الوحيد الذى لم يستطع حضور محاكمة القضية إلا بعد أيام طويلة ولكن الشيخ عبد الفتاح لم ينله أى سوء .

وتروى الحاجة زينب الغزالى عن الشيخ عبد الفتاح فتقول :

- فى يوم من الأيام كنت على موعد مع الشيخ عبد الفتاح عبده إسماعيل . . . فحضر إلى بيتى فى الساعة السابعة صباحًا وأخبرنى زوجى أن الشيخ فى حجرة الصالون فذهبت إليه فوجدته نائمًا من الإجهاد على أحد المقاعد فأخذت بطانية وغطيته به وقلت لمديرة البيت : عندما يصحو الأخ عبد الفتاح جهزى له الإفطار . .

ولما استيقظ وقدم له الإفطار قال لها إن لديه موعدًا ولابد أن يرانى بسرعة ! ! .

فجاءت وأخبرتنى فلما طلبت منه أن يتناول إفطاره قال :

- أنا على موعد فى مسجد الملك بعد ربع ساعة وأعطانى مبلغ ٣٠٠جنيه أمانة . . وكان قد مضى عليه ٢٤ ساعة لم ينم ولم يأكل فطلبت إلى خالتى أم عبده (مديرة البيت) أن تضرب له كوبًا من الزبادى وعسل النحل فشربه وأعطيته جنيهًا وقلت له :

- اركب تاكسى حتى تلحق موعدك فقال :

- هل هذا الجنيه من الثلثمائة ؟ .

فقلت :

- لا . . هذا من جيبى الخاص لتركب تاكسى .

فقال لى :

-أضيفيه للمبلغ الذى هو لحساب الإخوان . . أما نحن فلن نركب (تاكسى) . . . والذين ركبوا العربات واستعملوا التاكسيات استرخوا ولم يعودوا يصلحون للعمل . . قلت :

- مستحيل أن تدرك موعدك بغير تاكسى !! .

فقال :

- الذين ينتظرونى هم من جند الله وسينتظروننى حتى أصل إليهم .

فقلت :

أنا أركب العربة ولم أسترخ ولم أقعد عن العمل بل ترانى مصرة على أن أستمر أعمل لدعوتى !! .

فقال :

ـ هذا ابتلاء نجحت أنت فيه وربما لا أنجح أنا فيه . . .

وخرج ليدرك موعده . . هذا هو عبد الفتاح إسماعيل كما عرفته، يعمل ٢٤ ساعة متواصلة لا يحس بالجوع ولا بالتعب ولا يرضى أن يحصل على أجرة تاكسى لمشوار فى سبيل دعوة الله . . وكان غريبًا ألا يقتل عبد الفتاح عبده إسماعيل باليد العميلة لأعداء الإسلام لأنه كان لبنة صالحة فى صرح الدعوة الإسلامية !! ولم يفقد الشهيد عبد الفتاح عبده إسماعيل شجاعته فى أخطر لحظات عمره . . . وقف يستمع إلى الحكم الذى أعلنه الدجوى وإن كنا على يقين أن الدجوى لم يكن إلا ببغاء وربما أسياده أيضًا كانوا مثله !! .

عندما نطق الدجوى بالحكم . . . صاح الشهيد عبد الفتاح عبده إسماعيل :

- الله أكبر . . . فزت ورب الكعبة ! ! وقيل إنه لم يفقد هذه الشجاعة حتى فى لحظات التنفيذ ولكنه تقدم ثابتًا شامخًا محتسبًا . . يدعو الله أن يجعل دماءه لعنة على قاتليه ! ! .

ولحق الشهيد عبد الفتاح عبده إسماعيل بالشهيد محمد عواد وصدق عهده مع الله فصدقه الله، فهنيئًا لهما الشهادة التى نسأل الله لهما ولجميع إخواننا أن يحشرهم الله مع النبيين والصديقين ! ! .

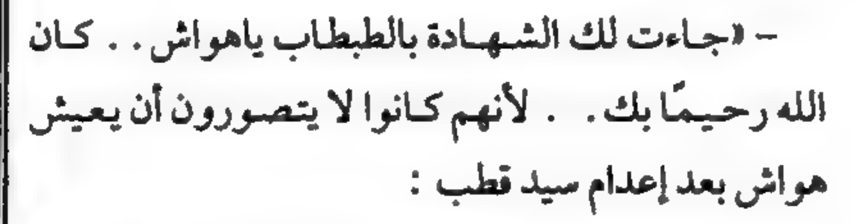
هذا وقد استشهد هو ورفاقه فى ٢٩/ ٨/ ١٩٦٦ [1].

***

(١) انظر : مذابح الإخوان فى سجون ناصر، جابر رزق.

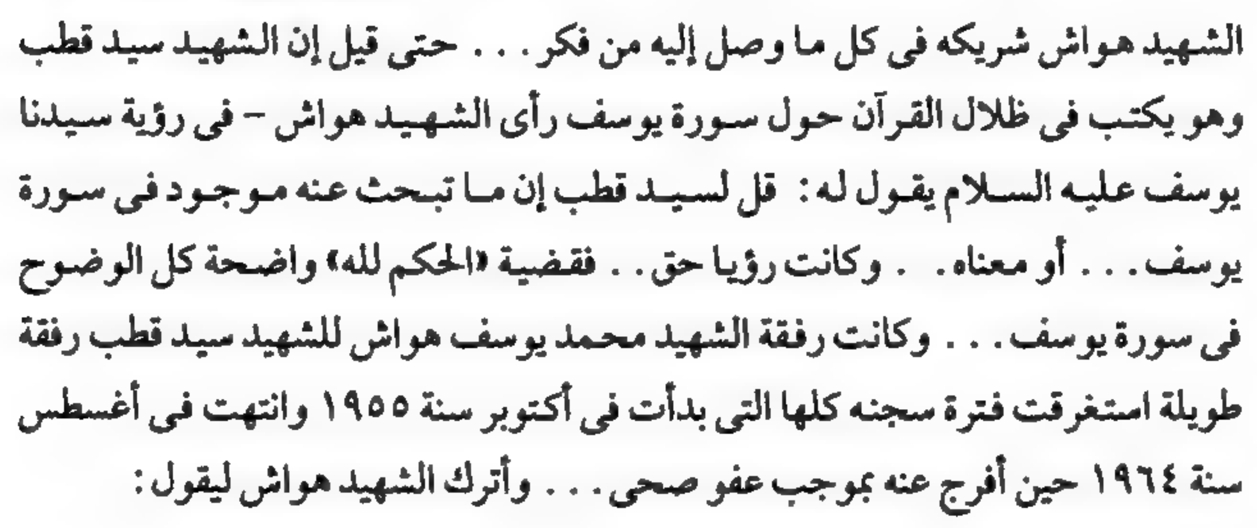
الشهيد محمد يوسف هواش

عندما صدر الحكم بالإعدام على الشهيد محمد يوسف هواش قال بعض إخوان السجون الذين عايشوا هواش وسيد قطب :



- «جاءت لك الشهادة بالطبطاب ياهواش . . كان الله رحيمًا بك . . لأنهم كانوا لا يتصورون أن يعيش هواش بعد إعدام سيد قطب :

- ماذا تعنى هذه الكلمات؟! أول ما تعنيه أن هناك قصة حب فى الله تربط بين الشهيدين سيد قطب، ومحمد يوسف هواش. . . حتى أن الشهيد سيد قطب كان يعتبر الشهيد هواش شريكه فى كل ما وصل إليه من فكر . . . حتى قيل إن الشهيد سيد قطب وهو يكتب فى ظلال القرآن حول سورة يوسف رأى الشهيد هواش - فى رؤية سيدنا يوسف عليه السلام يقول له : قل لسيد قطب إن ما تبحث عنه موجود فى سورة يوسف . . . أو معناه . . وكانت رؤيا حق . . فقضية «الحكم لله» واضحة كل الوضوح فى سورة يوسف . . . وكانت رفقة الشهيد محمد يوسف هواش للشهيد سيد قطب رفقة طويلة استغرقت فترة سجنه كلها التى بدأت فى أكتوبر سنة ١٩٥٥ وانتهت فى أغسطس سنة ١٩٦٤ حين أفرج عنه بموجب عفو صحى . . . وأترك الشهيد هواش ليقول :



- أنا بدأت نشاطى فى جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ حيث انضممت لشعبة طنطا وكنت وقتها طالبًا فى مدرسة طنطا الصناعية، ثم أصبحت وكيل شعبة مصر القديمة وكنت عضواً فى فصيلة جنوب القاهرة وكان رئيس الفصيلة كمال السنانيرى عليه رحمة الله . . وقبض علىَّ فى أغسطس سنة ١٩٥٥ لأنى هربت، وقدمت للمحاكمة أمام محكمة الشعب فى أكتوبر ١٩٥٥ وحكم علىَّ بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة ونفذت العقوبة بليمان طرة وقعدت المدة كلها فى مصحة طرة لأنى مريض بالصدر من سنة ١٩٤٧ وخرجت من مصحة السجن فى أغسطس سنة ١٩٦٤ بموجب عفو

صحى وكان معى فى مصحة طرة سيد قطب وكان محكومًا عليه أيضًا بالسجن ١٥ سنة، وفى حوالى ١٩٥٩ جلس سيد قطب يكلمنى وقال لى بعد ما قرأت القرآن لأنه كان يقرأه ونحن فى السجن قال:

-إنه اتضح له أن مسألة الحكم فى الإسلام مسألة عقيدة، بمعنى أن الإسلام هو: أن تكون الحاكمية لله وحده وأنه ليس هناك فى موضوع الحكم إلا وصفان: إما حكم إسلامى وهو الحكم الذى تكون فيه الحاكمية لله وحده...، وحكم جاهلى وهو كل حكم لا تكون فيه الحاكمية لله وحده، وأن مسألة الحكم تدخل فى صميم خصوصيات الربوبية والألوهية وأن الدين من معناه «نظام الحكم» بدليل قول الله تعالى﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ [يوسف: ٧٦] أى فى شريعة الملك. وبما أن الإسلام هو أن يكون الدين خالصًا لله تعالى فيجب أن يكون نظام الحكم خالصًا لله تعالى ليكون حكمًا إسلاميًا» وقال: «إن الإخوان لازم يتربوا على هذه الفكرة...» وعندما سأل المحقق الشهيد محمد يوسف هواش:

- ما صلتك بسيد قطب ؟!.

قال السيد هواش :

- أنا كنت أشوفه بيجى المركز العام للإخوان المسلمين يلقى محاضرات إنما لم أتعرف عليه إلا فى السجن واحنا الاثنين أمضينا مدة العقوبة من سنة ١٩٥٥ إلى أن أفرج عنا فى سنة ١٩٦٤.

س : ما هى الفكرة التى خرج بها سيد قطب عن «الحاكمية لله» ؟!.

جـ: هو قال إن موضوع الحكم حاجة من اثنين: إما حكم إسلامى وهو الحكم الذى تكون فيه الحاكمية لله وحده أى يكون مصدر التشريع فيه الشريعة الإسلامية فقط والحكم بكتاب الله، أو حكم جاهلى وهو كل حكم يحكم بغير كتاب الله.. وأن علينا أن نوضح هذه الفكرة للمسلمين عمومًا والدعوة إلى إقامة حكم إسلامى.

س: وما هو السبيل إلى إقامة المجتمع المسلم ؟!.

جـ: بالدعوة.. أى بدعوة الناس وتفهيمهم لهذه الحقيقة والاستدلال عليها من كتاب الله وسنة الرسول ونظل ندعو حتى يكون الفرد قد أدى واجبه نحو الله وينجو من عقوبته.

س: وما الحل فى حالة عدم اقتناع الأفراد والمسئولين عن الحكم فى البلاد فى إقامة هذا المجتمع الإسلامى ؟.

جـ: احنا مش مكلفين بالنتيجة احنا مكلفين بالواجب فقط وهو الدعوة وتكرارها.

س: وما الحل إذا لم يقتنع القائمون على الحكم فى البلاد بهذه النظرية؟!

جـ: الحكام مش دايمين وعمومًا مفيش تفكير فى الحاجة دى دلوقتى وواجب علينا فى الظرف الحاضر هو مجرد الدعوة وبعد كده نفكر ونشوف إيه الواجب اللى نعمله بعد كده.

س: ما هو الواجب الذى يمكن عمله بعد ذلك ؟!.

جـ: المسألة متروكة للظروف لأن كل ظرف يولد التفكير المناسب له.

س: أليس المفهوم من كل ذلك أن الدعوة التى تنادون بها لإقامة مجتمع مسلم لا يمكن أن تقوم إلا بقلب نظام الحكم بالقوة واستعمال العنف؟!.

جـ: المسألة متروكة لحجم الجماعة التى تقتنع بالفكرة وبالظروف وجايز الحكام يقتنعون بذلك وجايز الموضوع لا يحتاج إلى قوة إنما إذا تحتمت القوة لإقامة المجتمع الإسلامى فلا مناص وقتها من استعمال القوة إلا إذا كان هناك طريقة أخرى لذلك وجايز هذا الجيل ينتهى وتكون المرحلة الأولى لا تزال مجرد دعوة واحنا عندنا قدوة بالرسول عليه الصلاة والسلام فى أنه كان يفكر فى واجب اللحظة ولم يفكر فى المستقبل وقعد ١٣ سنة يدعو للإسلام فقط وكان منهجه عدم التفكير فى المستقبل وترك الأمر للمستقبل هو الذى يحدد طريقة العمل وانتهى به الأمر للقتال ولكن يمكن ظروفنا احنا تنتهى بنا إلى غير ذلك!!.

كان الشهيد هواش هو التجسيد الحى المتحرك للفكر الذى وصل إليه مع الشهيد سيد قطب. . . بين الإخوان داخل السجن الحربى. . . وكان حريصًا أن يبلغ هذا الفكر للجميع سواء كانوا محققين. . أو قضاة فى المحكمة أو إخوان فى السجن. .

عندما سأل الدجوى الإخوان فى القضية الأولى السؤال التقليدى:

ـ هل لك اعتراض على هيئة المحكمة ؟!.

أجاب الشهيد سيد قطب :

- «لا اعتراض على أشخاص المحكمة» . .

والتزم إخوان القضية الأولى نفس الإجابة إلا الشهيد محمد يوسف هواش . . . وقف وقال :

- إننى كمسلم ومن وحى عقيدتى أرفض أن أتحاكم أو أحاكم إلى محكمة لا تحكم بما أنزل الله . . .

وهذه هى عقيدتى. ...

كان محمد يوسف هواش أحد الثمار الناضجة لدعوة الإخوان المسلمين التى أطلق صيحتها الإمام الشهيد حسن البنا . . . كان الرجل نموذجًا فذًا للأخ المسلم المجاهد . . الواعى بالظروف التى تحيط بالدعوة . . . لقد أدرك فى السجن الحربى أن النهاية تلوح فى الأفق فأراد أن يقول كلمته قبل أن يمضى إلى ربه . .

لقد تحدث كثيراً للإخوان ولغير الإخوان، لقد عاش مع الإخوان ونفث فيهم من روحه ما ألهب قلوبهم . . . لقد كان القدوة والمثل الحى لهم طوال فترة تواجده داخل السجن الكبير .

وكان فى التحقيق معه صابراً . . ثابتًا شجاعًا . . . صريحًا . . . واضحًا . . . فى توصيل ما هداه الله إليه من الحق، لا يجد فرصة يبلغ فيها كلمة الحق إلا انتهزها لا يخاف . . ولا يلين . . ولا يرهب . . .

لقد كانت طوابير التعذيب الجماعى التى بدأها زبانية السجن الحربى بعد انتهاء التحقيقات فرصة لأن يبلغ هواش إخوانه ما وصل إليه فهمه لدعوته ومنهج حركتها . . . ولم يعقه مرضه ولم يمنعه إرهاب الحراس الذين كانوا يسوموننا سوء العذاب إذا رأوا واحداً تتحرك شفتاه ! ! . . كان الشهيد هواش ينظر إلى الأرض فتختفى شفتاه فى شعر شاربه وذقنه ويتحدث لاثنين من الإخوان واحد عن يمينه وواحد عن يساره . . كان هواش يحس بثقل الأمانة الملقاة على عاتقه وكان يريد أن يحملها إلى أكبر عدد من الإخوان الشبان . . كان يتحدث كثيراً . . . كثيراً وكم من المرات ضبط وهو يتكلم وأوذى كثيراً بسبب ذلك وكان الإخوان يشفقون عليه لأن يديه ورجليه

كانت ممزقة من التعذيب أثناء التحقيق حتى أنه لم يستطع أن يكتب التقرير الذى سجلت فيه اعترافاته بخط يديه فقد جاء فى آخر تلخيص البيان لإقراره هذه الملاحظة «حرر بإملائى . . محمد يوسف هواش» . . .

ويقول ممثل النيابة الذى يحقق معه:

«استدعينا المتهم وعرضنا عليه الإقرار المقدم لنا فقرر أنه ليس بخطه وإنما هو بإملائه لشخص آخر حيث إن أعصاب يده اليمنى كانت مشدودة ولم يستطع الكتابة وقت كتابة هذا الإقرار وذلك نتيجة ضربه على يده وأنه لم تحدث به إصابات ولكنه لم يمكنه الكتابة بها وأضاف أنهَ وَقَّع فقط على كل ورقة من ورقات الإقرار المذكور» انتهت ملاحظة النيابة وعندما سأله ممثل النيابة :

س : هل حدثت بك إصابات ؟ !.

جـ: أنا مفيش فىّ إصابات ظاهرة دلوقتى ووقتها إيدى كانت وارمة وكانت أعصاب يدى مشدودة وما أقدرش أكتب بها وهى فى تحسن دلوقتى . . .

هذا أقصى ما كان يستطيع أن يشير به الشهيد هواش إلى التعذيب الذى وقع عليه ولن تجد مثل هذه الملاحظة التى تشير إلى التعذيب إلا عند النادر فى تحقيقات الإخوان لأن الأخ الذى يتحدث عن التعذيب كان يعلم ماذا يمكن أن يحدث له . . . ولكن الشهيد هواش لم تمنعه آلامه . . . ولم يمنعه احتمال تعذيبه على جراحه – التى لم تندمل بعد من أن يقول إنه عذب ، وكذب من النيابة أن الشهيد هواش لم تكن به إصابات ظاهرة ، لقد كانت رجلاه ممزقة بصورة بشعة حتى بعد أن مر أكثر من خمسة شهور على تعذيبه ! ! .

لقد قالت الحاجة زينب الغزالى :

ـ لقد رأيت الشهيد محمد هواش يذهب إلى مكاتب التحقيق وهو يزحف على مرفقيه وركبتيه ! ! .

رحم الله هواش . . وتقبله شهيداً . . . من الشهداء الصادقين المخلصين . .

شمس بدران يعترف!!

فى حديث صحفى أجرته مجلة الحوادث البيروتية مع شمس بدران بعد هروبه من مصر بجواز سفر دبلوماسى جاء على لسانه :

«أنا اعتقلت خمسمائة شخص وأفرجت عن مائة وخمسين منهم ولكن المباحث العامة اعتقلت خمسة آلاف بدون علمى وموافقتى ولم يكن لهم أى دور بل كما قال حسن طلعت مدير المباحث العامة وقتها : نحن نتحفظ عليهم عندنا فى المخزن!! إذا احتجنا أو احتجتم واحدا نلاقيه»!!.

ويضيف شمس بدران :

ـ وحتى الذين أفرجنا عنهم اعتقلتهم المباحث العامة.

ويتساءل شمس بدران :

«لماذا التركيز على عمليات انتزاع الاعترافات فى القضايا التى حققتها الشرطة العسكرية؟! ألم يكن نفس الأسلوب متبعًا فى المباحث العامة؟!»

ويقول شمس بدران فى نفس الحديث :

«اتفقت مع الرئيس عبدالناصر أنه بعد صدور الأحكام فى القضية تخفف أحكام الإعدام، ثم سافرت إلى لندن للعلاج، وهناك علمت أنه تم تنفيذ الإعدام فى ثلاثة، ولما عدت سألت فعلمت أن الرئيس صدق على هؤلاء الثلاثة لأنه سبق الحكم عليهم فى ١٩٥٤ وقد تألمت جدًا لإعدام هواش لأنه من واقع التحقيق لم يشترك فى أى اجتماع للقيادة، وأقصى ما يمكن أن يتهم به هو أنه (علم ولم يبلغ) وقلت للمشير أنا لازم أكلم الرئيس فى موضوع هواش لأنه لا يستحق الإعدام قال لى المشير : بلاش لحسن الرئيس ضميره يتعبه، وفعلاً لكى لا يتعذب ضمير الرئيس لم يفاتح شمس بدران الرئيس جمال عبدالناصر فى موضوع هواش الذى شنق ظلمًا حتى بمقاييس شمس بدران والدجوى.

وقد استشهد هو ورفاقه فى ٢٩/ ٨/ ١٩٦٦ [١]

---

(١) انظر : مذابح الإخوان فى سجون ناصر.

الشهيد/ محمد كمال الدين السنانيرى

(١٣٣٦-١٤٠١هـ، ١٩١٨-١٩٨١م)



هو الأخ الحبيب والخلُّ الوفىُّ والتقى الورع والمسلم الصادق والداعية المجاهد والمؤمن الصابر والرجل الصلب والمعدن النفيس والعامل بصمت ، الصوام القوام، التالى الذاكر، الذى ضرب أروع الأمثلة فى الثبات على الأمر، والجرأة فى الحق والصبر على البلاء، فكان المثل لإخوانه الدعاة داخل السجون، يرونه القمة الشامخة والطود الأشم ، المعتز بربه المستعلى بإيمانه على الأقزام المهازيل من الفراعنة الصغار وزبانيتهم المرتزقة أشباه الرجال ولا رجال.

مولده ونشأته :

ولد فى القاهرة فى الحادى عشر من شهر مارس سنة ١٩١٨م فى أسرة ميسورة ، ودرس المراحل الابتدائية والثانوية ثم التحق بوزارة الصحة قسم مكافحة الملاريا سنة ١٩٣٤م ثم استقال من وزارة الصحة سنة ١٩٣٨م وفكر فى الالتحاق بإحدى الجامعات الأمريكية لدراسة الصيدلة للعمل فى صيدلية (الاستقلال) التى يملكها والده؛ إلا أن أحد علماء الدين أقنعه بعدم السفر إلى أمريكا لما فيها من الموبقات، فعدل عن السفر بعد أن هيأ حقيبة السفر واتجه إلى الإسكندرية لركوب الباخرة المتجهة إلى هناك، وذلك عام ١٩٣٨م.

ارتباطه بالإخوان المسلمين:

انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤١م، وكان من الوعى والإخلاص والحركة ما جعله يبرز ويتقدم الشباب ويكلف بعدد من المهمات.

وكان السنانيرى التلميذ الوفى لمبادئ شيخه وأستاذه الإمام الشهيد حسن البنا والذى وعى الدرس من أول مرة، وأدرك بأن طريق الدعوة محفوف بالمخاطر، ملىء بالأشواك، لأنه الطريق إلى الجنة، المحفوفة بالمكاره، لقد كان يردد عن ظهر قلب ما

كتبه الشيخ لتلامذته حيث قال: «سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة أمامكم وسيحاربكم العلماء الرسميون السائرون فى ركاب السلطة ، وستحاول كل حكومة أن تحدّ من نشاطكم وأن تضع العراقيل فى طريقكم، وستستعين بذوى النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة والأيدى الممتدة إليها بالسؤال، وإليكم بالإساءة والعدوان، فتسجنون وتعتقلون وتشردون وتفتش بيوتكم ، وتصادر أموالكم، وتثار ضدكم الاتهامات الظالمة، والافتراءات الكاذبة لتشويه سمعتكم والنيل من أقداركم ، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان، وعند ذلك فقط تكونون قد بدأتم تسلكون طريق أصحاب الدعوات. . إلخ».

وكان الأستاذ السنانيرى يترجم هذا الكلام إلى واقع حى مشاهد، عاشه هو وإخوانه قرابة ربع قرن فى غياهب السجون وظلمات الزنازين وتحت سياط الجلادين من عبيد السلطة وزبانيتها، فلم تلن لهم قناة، ولم ينطقوا ببنت شفة، بل كان ذكر الله على ألسنتهم دائمًا وهم يستشعرون معية الله ورعايته لهم، فيستعذبون العذاب ويلتذون بالسياط، ويزداد قربهم من الله وشوقهم إلى لقائه.

يقول عنه الأخ عبد الله الطنطاوى فى جريدة «اللواء» الأردنية:

لقد وجد فيه الإمام الشهيد مصعبًا جديداً يتفانى فى خدمة الدعوة وأبنائها، ويسهر على فهمها واستيعاب أبعادها الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والجهادية، فكان مناط الرجاء والقدوة العملية للشباب باستقامته وورعه وزهده وحركته وبذله من ذات نفسه وماله ووقته وجهده، وبتدينه، فقد كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم الليل مصليًا وتاليًا القرآن ، وذاكرًا ربه بدموع سخية سخينة، وبتواضعه لإخوانه من أبناء مصر ومن الوافدين من الأقطار العربية والإسلامية.

لقد توفى أبوه وترك له أسرة مؤلفة من ثلاثة أشقاء ، وثلاث شقيقات، وأمه، فكان المعيل لهم ، وكان الأب الشفيق الرحيم ، وإن كان بعضهم يكبره فى السن، وهكذا أضيف إلى أعباء الدعوة عبء الأسرة ، بل أعباؤها، والأخ كمال راض بما قسم الله وقدره له ، يسعى على أسرته ويحرث فى حقول الدعوة وميادينها ويغرس الغراس التى ستؤتى أكلها فى قابل الأيام.

- عمل من أجل فلسطين، كما عمل من أجل مصر، وقدم جهده فى خدمة القضايا العربية والإسلامية فازدادت مهماته وازداد معها نشاطه وتضحياته حتى أنه لم يفكر فى شراء بيت وأثاث، فهو كثير التنقل والأسفار، وإذا أراد أن يأوى إلى فراش سارع إلى بيت أخته الكبرى ليستريح لحظات ويأكل لقيمات، ثم يبادر، ما ترك أمسه ليومه، وما سيفعله فى غده.

ويتآمر المتآمرون على الدعوة ورجالها، ويصيب شهيدنا ما أصاب إخوانه من ألوان الأذى.

فى ٢٨/ ٢/ ١٩٥٤م تحركت جماهير الشعب نحو قصر عابدين تنادى بالحريات التى طغى عليها وبغى ناصر وزبانيته، وكان لشهيدنا السنانيرى دور كبير فى تنظيم هذه المظاهرة التى ضمت مئات الألوف بقيادة العالم الجليل الشهيد عبد القادر عودة، وانهمر الرصاص الآثم على المتظاهرين، وارتفعت أرواح الشهداء عن يمينه وعن شماله، وكمال السنانيرى صامد يقود وينظم ويرفع قمصان الشهداء المضرجة بالدماء، يرفعها ويهتف ليرى الناس ويعلموا أى حكم هذا الذى يحكم مصر، وماذا يريد رجال الثورة بمصر وشعبها.

وكان كلاب النظام يرصدون القادة الفاعلين فى قيادة تلك المظاهرات وكان فيهم ومنهم كمال السنانيرى الذى قضت عليه محكمة الشعب (مهزلة المحاكم التاريخية) بالحكم بالأشغال الشاقة مدة عشرين عامًا.

اعتقل كمال السنانيرى فى تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٥٤م وأفرج عنه فى كانون الثانى (يناير) ١٩٧٣م بالتمام والكمال، ولم يكن للسادات فضل فى الإفراج عنه فقد أمضى محكوميته فى سجون الواحات فى وجه شمسها المحرقة، ولهيب هواء الصحراء، واشتعال الرمال بالأقدام الحافية.

بعد الحكم عليه ضغطوا على زوجته وأمه لعلهما تثنياه عن عناده، ويكتب سطرين فى تأييد عبد الناصر فأبى بشدة، وقال لأمه التى طلبت منه أن يكتب رسالة استعطاف وشفعت كلامها بدموع سبعينية، فاعتذر لها وقال بشموخ الداعية: «كيف يكون موقفى

بين يدى الله إذا أرسلت هذه الرسالة ثم مت، هل ترضين يا أمى أن أموت على الشرك؟».

وخير زوجته بين البقاء زوجة له أو الطلاق، فالتقطت دمعاتها وقالت: «أبقى زوجة لك أيها الحبيب»، ولكن رجال المباحث الناصرية ضغطوا على أهلها فأجبروها على الطلاق منه.

حدثنى اللواء الركن الكاتب المؤرخ محمود شيت خطاب فى منزله ببغداد قال: «فى سنة ١٩٧٤م زارنى الأستاذ كمال السنانيرى ومعه زوجته السيدة أمينة قطب فى الفندق الذى أقيم فيه فى بيروت، وفرحت بهذه الزيارة، وكانت دموع الفرح تمتزج بدموع الحزن، فما أصاب آل قطب على أيدى العملاء والطغاة، وكانت مسحة الحزن فى عينى أمينه فى وجهها، وكان كمال هادئًا سارحًا لا تفارق البسمة محياه». انتهى.

اعتقاله وسجنه:

اعتقل فى أكتوبر سنة ١٩٥٤م وحكمت عليه المحكمة التى أنشأها الطاغية عبدالناصر بالسجن الذى أمضى كامل الحكم حتى أفرج عنه فى فبراير سنة ١٩٧٤م. أصيبت أذنه بأذى شديد من التعذيب فنقل إلى المستشفى العينى، وكان يحمد الله بعد خروجه من السجن لأنه صار يسمع بأذنه المصابة أفضل مما يسمع بأذنه السليمة.

ومن شدة التعذيب الذى لاقاه فى السجن كان معه شقيق زوجته- التى طلقها وهو فى السجن- فأصيب بالذهول من فظائع التعذيب الذى لقيه السنانيرى حتى أن هذا الشاب جُنَّ وفقد عقله ونقل إلى مستشفى الأمراض العصبية.

وكانت والدة السنانيرى وشقيقته الكبرى تواظبان على حضور جلسات المحاكمة الهزلية سنة ١٩٥٤م وفى الجلسة الأولى لم تتعرف الوالدة على ابنها كمال لما أصابه من التشويه نتيجة التعذيب، فسألت ابنتها: ين أخوك كمال؟ فقالت لها: إنه الذى فى القفص. فردت عليها الأم: لا يا ابنتى هو أنا (عبيطة) حتى لا أعرفه؟!

وكان السنانيرى قد نحف جسمه حتى باتت ثيابه فضفاضة عليه وحلقوا شعر رأسه ولحيته وكسروا فكه حتى تغير كلامه، كما أن أذنه اليسرى فقدت سمعها. . وبقيت والدته فى تلك الجلسة مصرة على أن هذا ليس ابنها كمال.

زواجه فى السجن :

وفى فترة سجنه الطويل عقد قرانه على الأخت الفاضلة (أمينة قطب) شقيقة الشهيد سيد قطب وتزوج بها بعد الخروج سنة ١٩٧٣ ولم يرزق منها بأولاد، لأنها قد تجاوزت الخمسين من العمر . .

زهده وورعه:

وكان بطبعه لا يحب المظاهر ويميل إلى البساطة ، ويحب البسطاء من الناس ويهتم بوعظهم وتوجيههم وجمعهم على العقيدة الصحيحة النقية الصافية من البدع والخرافات، وكان زاهداً فى الحياة، يقوم الليل ويصوم الأيام الطويلة . . وعاش فى السجون لا يلبس إلا الثياب الخشنة.

ورجل هذه حياته وهذا زهده لم يكن غريبًا أن يأبى ما يطلبه منه ضباط السجن وضباط المباحث ـ طوال مدة سجنه عشرين عامًا ـ من تأييد لنظام عبدالناصر ، آخذاً بالعزائم معرضاً عن الرخص.

يقول الدكتور / عبد الله العقيل:

إن معرفتى بالأستاذ السنانيرى كانت منذ وصولى إلى مصر عام ١٩٤٩م حيث سكنت منطقة (حى عابدين) فكان هو المشرف عليها والمسؤول عن نشاط طلبة البعوث الإسلامية فيها. وقد أعجبنى فيه بساطته وتواضعه، وخدمته لإخوانه، ورغم أن معظمهم أصغر منه سنًا وأقل خبرة وتجربة.

لقد كانت رؤيتى له ولأخلاقه وسلوكه، تذكرنى بسيرة السلف الصالح، الذين نقرأ عنهم فى الكتب، فقد كان السنانيرى رحمه الله صورة صادقة عنهم.

كتب لى مرة قصاصة من السجن وأرسلها لى وكنت وقتها فى الكويت وفيها يوصينى بأحد الأخوة القادمين من مصر إلى الكويت، وتأملت الرسالة، فوجدت فيها روح المؤمن المطمئن لقضاء الله، المُسلم أمره إليه، الراغب فيما عنده، لم يشر البتة إلى حاله وحال إخوانه فى السجون، ولكن كانت التوصية لهذا المسافر فقط.

خروجه من السجن وجهاده:

وبعد خروجه من السجن كثرت لقاءاتى به فى مصر وخارجها، فوجدته أكثر مما عرفته أول مقدمى إلى القاهرة، وكأن السجن الذى جاوز العشرين عامًا قد زاده نقاء إلى نقائه وصفاء إلى صفائه وصلابة إلى صلابته. وكان حريصًا على جمع صفوف الإخوان فى العالم كله.

وقد عملت معه وتحت إمرته فى أكثر من ميدان، وبخاصة ميدان الجهاد فى أفغانستان، الذى أعطاه جهده وطاقته، وبذل أقصى ما يستطيع لدعمه ورفده وإصلاح ذات البين بين قادته الذين أحبوه جميعًا ودانوا له بالأستاذية فلا يكادون يخالفون له أمرًا فى وجوده بينهم.

أما عن جولاته فى البلاد العربية والإسلامية وغيرها فالحديث عنها يطول والأثر الذى يتركه فى نفوس من يلقاهم لا يمكن أن ينسى، لأن كلماته البسيطة تنفذ إلى القلوب وتوجيهاته الصادقة يتسارع الجميع إلى تنفيذها.

لقد عرفت عنه أمورًا تمنيت أن أظفر بعشر معشارها لأكون من الفائزين ولكن شتان بين الثرى والثريا، ولن أنسى له وقفته معى ومع الأخ الناصر (أبو أيمن) حين ذهابنا للعلاج بمصر سنة ١٩٧٥م.

إن الأخ الحبيب والرجل الصالح محمد كمال الدين السنانيرى، ثمرة من الثمار اليانعة لمدرسة حسن البنا، ومن إخوان الصدق الذين قل أن يجود بهم الزمان، وإن أمثاله من إخوانه وتلامذته، هم الأمل المرتجى لهذه الأمة لإنقاذها من كبوتها وإيقاظها من رقادها وعودتها إلى منهج ربها.

والأمل بعد الله فى هذه الصحوة الإسلامية المباركة، التى تنتظم العالم الإسلامى كله، لتردّ للإسلام مجده، وللمسلمين عزتهم وسيادتهم. تقتص من الطغاة والظلمة، الذين فجروا فى خصومتهم وأذلوا العباد وأفسدوا البلاد.

أولئك هم الرجال الذين تفخر بهم الدعوات، وهم الذين يكثرون عند الفزع ويقلّون عند الطمع ويثبتون فى الشدائد ويصدقون عند اللقاء.

مواقفه :

أذكر مرة أن الأخ السنانيرى كان فى زيارة إلى الكويت فى مهمة دعوية، وشاء الله أن يبتلينى بفقد أحد أبنائى وهو فى العشرين من عمره بحادث سيارة، فلم يفارقنى الأخ السنانيرى وظل يواسينى وكأنه المفجوع بالمصاب.

وحين اعتقل بعد عودته من أفغانستان، ظل العذاب يُصب عليه من جلاوزة السلطة، ليعرفوا دوره فى الجهاد الأفغانى، ودور من معه، فاستعصى عليهم، ولم يخرجوا بشىء رغم الأيام والليالى المتوالية التى أمضوها وهم ينهالون عليه تقطيعًا وتمزيقًا، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ولقى ربه شهيداً من شهداء الحق والصدق إن شاء الله يوم ٨/ ١١/ ١٩٨١م.

وقد نعاه التنظيم العالمى للإخوان المسلمين بقوله : «إن التنظيم العالمى للإخوان المسلمين ينعى للعالم الإسلامى الأخ المجاهد الشهيد / محمد كمال الدين السنانيرى أحد روّاد الحركة الإسلامية فى العالم ومن جماعة الإخوان المسلمين الذين قبض عليهم السادات فى أوائل سبتمبر سنة ١٩٨١م عقب عودته من واشنطن مباشرة، حيث زار أسياده فى البيت الأبيض لتلقى الأوامر.

وكان-رحمه الله- فى أيامه رهن التحقيق الذى أشرف عليه الجلاد (حسن أبو باشا) حين ودع الحياة الدنيا أزهد ما يكون فيها، ليستقبل ريح الجنة أشوق ما يكون إليها.

لقد سقط الشهيد بين جلاديه وهم يحاولون انتزاع ما يرضيهم من الطعن فى الجماعات الإسلامية، ولكنه استمر يقول: إن السادات قد فتح قبره بيديه بتوقيعه معاهدة الذل (كامب ديفيد) التى تقضى بتسليم رقاب الشعب المصرى المسلم لإسرائيل وأمريكا» مجلة المجتمع ١١/ ١١/ ١٩٨١م.

كتب عنه الأستاذ صلاح شادى : عاش كمال السنانيرى حياته فى سجون عبدالناصر أكثر من تسع عشرة سنة، لا يلبس إلا ثياب السجن الخشنة. . وحتى الثياب الداخلية التى كان لكل سجين حق شرائها من مقصف السجن كان يرفضها لا لقلة من ماله وإنما كان يأبى إلا أن يعيش متجرداً من كل ما يعتبره ضباط السجن منحة توهب للسجين ترغيبًا أو يحرم منها ترهيبًا. . فآثر رحمه الله أن يتجرد من كل ما يمكن أن

يحرم منه، ليملك من نفسه ما يعجز الغير أن يملكه منه. كان هذا مفتاح شخصيته الزاهدة المتجردة وكان دأبه على هذا السلوك موضع عجبنا وإعجابنا. فقد كنا نأخذ أنفسنا بالرفق لنستطيع أن نتحمل مشقة الطريق الطويل الذى قدر الله لنا أن نسلكه، أما هو فقد كانت نفسه أطوع لديه من بنانه، فما عاد يحس بمشقة تدعوه إلى الرفق بها. . .] انتهى.

وكانت مجلة (المجتمع) طلبت منى أن أحدثها عنه بعد استشهاده بأيام فكتب أقول:

طلبت منى مجلة المجتمع أن أحدثها عن الأخ الشهيد محمد كمال الدين السنانيرى الذى فاضت روحه قبل أيام فى زنازين الظلمة وعلى أيدى الجلادين من زبانية العذاب وجلاوزة السلطة الذين سخروا طاقاتهم وإمكاناتهم لحرب الإسلام والتنكيل بدعاته فى كل مكان وبخاصة فى أرض الكنانة التى كان لها النصيب الأوفى من هذه المحن الأربع المتتابعة، حيث كانت محنة ١٩٤٨ / ١٩٤٩م التى كان فيها اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا واعتقال المجاهدين فى أرض فلسطين ووضعهم فى معتقل الطور، ثم كانت محنة سنة ١٩٥٤م التى أُزهقت فيها أرواح الشهداء : محمد فرغلى، عبد القادر عودة، يوسف طلعت، إبراهيم الطيب، هنداوى دوير، محمود عبد اللطيف وغيرهم بالعشرات والمئات فى سجون ليمان طرة الحربى والقلعة وأبو زعبل وغيرها.

ثم تبعها محنة سنة ١٩٦٥م التى استشهد فيها : سيد قطب، عبد الفتاح إسماعيل، محمد يوسف هواش وغيرهم من كرام الإخوان.

ثم جاءت محنة سنة ١٩٨١م على يد من باع البلاد والعباد لليهود والأمريكان وكمم الأفواه وصادر المساجد والجمعيات والصحف والمنابر وفتح السجون على مصراعيها لاستقبال قوافل الدعاة إلى الله من الشيوخ والشباب بل وحتى النساء والأطفال، واستعان بكل عقل باع نفسه للشيطان على إيذاء المؤمنين وأولياء الله الصالحين، الذين رفضوا أن يحنوا ظهورهم لغير الله واستعلوا بإيمانهم على كل الطغاة مؤثرين ما عند الله على كل ما فى الدنيا من متاع.

ولقد ظن هؤلاء الأقزام المهازيل من أصحاب الكراسى المتداعية أنهم بهذا البطش يسكتون صوت الدعاة إلى الله ويوقفون القافلة عن المسير، وفاتهم أنهم بهذا إنما يحاربون الله وهو أقوى من كل قوى وأكبر من كل كبير، ولن تنفعهم فتاوى المرتزقة

وكتابات الأدعياء باسم الدين من العلماء الرسميين وأشباههم من الذين يزينون لهم أفعالهم . .] مجلة المجتمع شهر نوفمبر سنة ١٩٨١م .

وقد رثته زوجته أمينة قطب فى أكثر من قصيدة وكانت لها قصيدة حزينة مؤثرة فى ذكراه كل سنة بعد استشهاده .

وكان أول تلك القصائد بعد استشهاده هى قولها :

ما عدت أنتظر الرجوع ولا مواعيد المساء

ما عدت أحفل بالقطار يعود موفور الرجاء

ما عدت أنتظر المجىء أو الحديث ولا اللقاء

ما عدت أرقب وقع خطوك مقبلاً بعد انتهاء

وأضىء نور السلم المشتاق يسعد بارتقاء

ما عدت أهزع حين تقبل باسمًا رغم العناء

ويضىء بيتى بالتحيات المشعة بالبهاء

وتعيد تعداد الدقائق كيف وافانا المساء

وينام جفنى مطمئنًا لا يؤرقه بلاء

ما عاد يطرق مسمعى فى الصبح صوتك فى دعاء

ما عاد يرهف مسمعى صوت المؤذن فى الفضاء

وأسائل الدنيا : ألا من سامع منى نداء

أتراه ذاك الشوق للجنات أو حب السماء؟

أتراه ذاك الوعد عند الله ؟ هل حان الوفاء؟

فمضيت كالمشتاق كالولهان حبًا للنداء

وهل التقيت هناك بالأحباب؟ ما لون اللقاء ؟

فى حضرة الديان فى الفردوس فى فيض العطاء؟

أبدار حق قـد تجـمـعـتم بأمن واحـتـمـاء؟

إن كـان ذاك فـمـرحـبًـا بالموت مـرحى بالـدمـاء

ولسـوف ألقـاكم هناك وتختـفى دار الشـقـاء

ولسـوف ألقـاكم أجل. وعـد يصـدقـه الوفـاء

ونثـاب أيامًـا قـضـيناها دمـوعًـا وابتـلاء

وسنحـتـمى بالخلد لا نخـشى فـراقًـا أو فناء

رحم الله أستاذنا السنانيرى رحمة واسعة وألحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا[1].



أ. كمال السنانيرى وسط عبد الله العقيل وبعض رفاقه فى جولاته الدعوية - وعليه نور الإيمان، وفى ثغره ابتسامة الشهادة

---

(1) من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة ـ عبدالله العقيل ـ ص ٩١.

العالم المجاهد الشهيد / عبد الله عزام

(١٣٦٠-١٤١٠هـ، ١٩٤١-١٩٨٩م)



بعد أحداث النكبة الثانية فى فلسطين عام ١٩٦٧م أصاب الأمة الذهول، فقد كانت مخدوعة بالإعلام الكاذب والدعاوى الفارغة، ومن أجل ألا يستبد اليأس بالأمة، تحرك الإخوان المسلمون فى البلاد العربية، يذكرون الأمة بتاريخها وأمجادها ويهيبون بها إلى إحياء فريضة الجهاد الذى هو ذروة سنام الإسلام، وانطلقوا يعدّون العدة لمناجزة اليهود وتدريب الشباب على خوض المعارك ضدهم، فأقاموا معسكراً أطلق عليه اسم (معسكر الشيوخ) أو قواعد الشيوخ، وكان يضم أربع قواعد كان عبد الله عزام أمير قاعدة بيت المقدس، وقد انتظم المعسكر فى سلكه العديد من إخوان الأقطار العربية، من مصر، والسودان، وسورية والأردن، وفلسطين، واليمن، ولبنان، وعهدوا بإدارته لمجموعة من الإخوة الذين جاهدوا بفلسطين عام ١٩٤٨م، وفى قناة السويس عام ١٩٥١م وانطلق خطباء الإخوان ودعاتهم يجوبون العالم العربى والإسلامى لاستنهاض الهمم وتقوية العزائم والنفرة فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله وحرب اليهود ومناوشتهم لحرمانهم من ثمرة النصر.

كان من ضمن من كانوا بالمعسكر الشيخ عبد الله عزام وإخوانه محمد صالح عمر، ومحمد سعيد باعباد، وإبراهيم عاشور، وصلاح حسن، ومحمود حسن، وعبد العزيز على، وأحمد نوفل، وأحمد أبو طالب، وغيرهم.

معرفتى به:

وقد شكل الإخوان وفداً لزيارة المعسكر والاطمئنان على سير العمل فيه ومعرفة نواقصه واحتياجاته ولوازمه فكنتُ أحد الثلاثة المكلفين بزيارة المعسكر، وكانت تلك المرة الأولى التى التقى فيها الأخ عبد الله عزام، فقد كنت قبلها أسمع

عنه من الإخوة الفلسطينيين، ثم تكررت اللقاءات فى الكويت، والسعودية، وباكستان، وأفغانستان، والأردن، وأوروبا، ومصر وتكررت الزيارات حيث زرته فى بيته فى (صويلح) قرب عمان وفى بيشاور فى باكستان، كما زارنى فى بيتى وسعدنا به وبإخوانه.

مولده ودراسته:

ولد العالم الشجاع والمجاهد الجسور الداعية المصلح أمير المجاهدين العرب فى أفغانستان الدكتور عبد الله عزام عام ١٣٦٠هـ ١٩٤١م فى بلده (سيلة الحارثية) من أعمال مدينة جنين بفلسطين، وتلقى علومه الابتدائية والإعدادية فى مدرسة القرية وأكمل دراسته فى خضورية الزراعية بمدينة طولكرم، وقد كان ملازمًا لتلاوة القرآن الكريم، كما كان ملازماً لمسجد القرية. تابع دراسته الجامعية فى كلية الشريعة بجامعة دمشق ونال شهادة الليسانس فى الشريعة عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ ثم عمل مدرسًا فى قريته وما لبث أن غادرها بعد احتلال اليهود لها عام ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م ثم التحق بكتائب المجاهدين التى شكلها الإخوان المسلمون وكانت قواعدها فى الأردن، حيث اشترك فى بعض العمليات العسكرية ضد اليهود على أرض فلسطين، ومنها معركة المشروع أو الحزام الأخضر، وقد حصلت هذه المعركة فى منطقة الغور الشمالى، كما أشرف على عمليات فى معركة ٥ يونيو عام ١٩٧٠م.

وبعد انتهاء المعسكر نتيجة أحداث سبتمبر عام ١٩٧٠م قرر الشيخ عبد الله عزام الانتساب إلى جامعة الأزهر بمصر حيث حصل على شهادة الماجستير فى أصول الفقه، ثم عين محاضراً فى كلية الشريعة بالجامعة الأردنية بعمان عام ١٣٩١هـ- ١٩٧١م ثم أوفد إلى القاهرة لنيل شهادة الدكتوراه، فحصل عليها فى أصول الفقه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م فعمل مدرسًا بالجامعة الأردنية (كلية الشريعة) من عام ١٣٩٣هـ-١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م ثم انتقل للعمل فى جامعة الملك عبد العزيز فى جدة، وبعدها عمل فى الجامعة الإسلامية العالمية فى إسلام أباد بباكستان ثم قدم استقالته منها وتفرغ للجهاد فى أفغانستان.

جهاده:

وقد كان له دور مهم فى مسيرة ذلك الجهاد، إذ كان حلقة اتصال بين المجاهدين الأفغان والمؤيدين لهم فى البلدان العربية، كما أشرف على عمليات واسعة لتقديم

الخدمات والمساعدات المختلفة من تعليمية وصحية وعسكرية للمهاجرين، والمجاهدين الأفغان وأولادهم، وأسس مجلة (رسالة الجهاد) لتكون منبرًا إعلاميًا شهريًا لنشر أخبار الجهاد وكذلك نشرة (لهيب المعركة) وهى أسبوعية تتناول آخر الأحداث المستجدة على الساحة الأفغانية.

وقد خاض الشيخ عبد الله عزام معارك كثيرة ضد الروس كان من أشدها وأشرسها «معركة جاجى» فى شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م وكان فى معيته عدد من المجاهدين العرب الذين أبلوا البلاء الحسن وسقط منهم شهداء فى سبيل الله. وقد تولى الدكتور عزام منصب أمير مكتب خدمات المجاهدين فى أفغانستان، وكان موضع الثقة والاحترام من قادة الجهاد الأفغانى، كما كان محبوبًا من الشباب الذين ذهبوا من مختلف الديار العربية والإسلامية للجهاد فى أفغانستان.

وكانت له جولات دعوية وتعريفية فى البلاد العربية والإسلامية والأوروبية فى الولايات المتحدة الأمريكية أحدثت أعظم الأثر ودفعت الأمة فى سائر أقطارها للمشاركة أو الدعم والمساعدة للجهاد والمجاهدين فى أفغانستان.

كما أسهم الشهيد عبد الله عزام فى تدوين وقائع الجهاد الأفغانى من خلال مقالاته الافتتاحية فى مجلة (الجهاد) ونشرة (لهيب المعركة) كما عمل على التوفيق بين قادة المجاهدين وتوحيد صفوفهم متعاونًا فى ذلك مع دعاة الإخوان المسلمين أمثال: الشهيد محمد كمال الدين السنانيرى والدكتور أحمد الملط يرحمهما الله، والأستاذ مصطفى مشهور يرحمه الله، والأستاذ محمد عبدالرحمن خليفة، والشيخ سعيد حوى-رحمه الله-وغيرهم.

استشهاده:

واستمر الدكتور عبد الله عزام فى جهوده وجهاده إلى أن نال الشهادة مع ولديه محمد وإبراهيم، حين فجَّر أعداء الإسلام سيارته وهو متجه إلى «مسجد سبع الليل» لإلقاء خطبة الجمعة يوم ٢٥/ ٤/ ١٤١٠هـ الموافق ٢٤/ ١١/ ١٩٨٩م وقد دفن الشهيد يوم استشهاده، ولاحظ المشيعون-وهم ألوف-رائحة المسك التى انبعثت من دمه الزكى حتى تم دفنه، كما لوحظ-وهذا من إكرام الله تعالى-أن جسده قد حفظ من التشويه

على الرغم من أن الانفجار نتج عن عشرين كيلو جرامًا من مادة (ت ن ت)، وقد أحدث دويًا هائلاً، وقطع تيار الكهرباء وحفر حفرة فى الأرض وتناثرت أجزاء السيارة فى الهواء وقد وجدت جثته على مقربة من الحادث.

قالوا عنه:

جمع الدكتور الشهيد عبد الله عزام العمل والجهاد إلى جانب القلم واللسان، وفى هذا المجال كتب البعض عنه وعن سيرته، فثمة كتاب «الشهيد عبد الله عزام مجاهداً فى فلسطين وأفغانستان» بقلم حسن خليل حسين، وكتاب «الشيخ المجاهد عبد الله عزام الذى ترجم الأقوال إلى أفعال» بقلم: محمد عبد الله العامل وكتاب «عبد الله عزام أحداث ومواقف» بقلم: عدنان النحوى، وكتاب «مناقب الشهيد عبد الله عزام» بقلم: أحمد سعيد عزام.

قالت حركة حماس فى رثائه: «لئن كان استشهاد الشيخ عبد الله عزام قريبًا من أرض الجهاد فى أفغانستان المسلمة، وليس على أرض الإسراء فى فلسطين التى أحبها وجاهد لتحريرها حتى تيسر أمر الجهاد، فإن ذلك عائد إلى الحصار الذى يعانى منه المجاهدون خارج فلسطين للحيلولة بينهم وبين أعداء الله من بنى يهود من جهة، ورمزاً لوحدة الهمّ الإسلامى فى كل أنحاء العالم من جهة أخرى، ولقد عرفت أرض الإسراء الشيخ عزام مجاهداً صادقًا فى «قواعد الشيوخ» فى غور الأردن أعوام ١٩٦٨م، ١٩٦٩م، ١٩٧٠م، وقد استشهد الشيخ ونفسه تهفو إلى الجهاد فى فلسطين التى بقى معها ومع مجاهديها بقلبه ولسانه وقلمه».

ويقول عنه الأستاذ حيدر مصطفى: «عندما يتكلم عزام فإنه يظهر بطبيعة قوية كطبيعة الموج فى المد المرتفع، فليس فى داخله إلا قلب غير هياب، إن قانونه هو الثبات والاستقرار والتوازن والقصد. يجتهد أن يحكم على نفسه ولا يعبأ بأحكام الدنيا، ويقينه أن اللذة ليست فى الراحة والفراغ، وإنما فى مواصلة الجهاد وإقامة دين الله على الأرض فى التعب والكدح والمشقة».

كما نظم فيه أبياتًا من الشعر منها:

جهادك قد أنار لنا الطريقا ... وأرشفنا على ظمأ رحيقا

ومن بحــــر إلى بر أمـــين	به أنقــذتنا جــسـمًــا غــريقًــا
وفى هذا الجـهـاد كـتـبت سـفـراً	تحـاكى فـيـه مـاضـينا العـريقـا
ركـــبنا فـــيــه للعليــاء مـــتنًا	به جُـزنا ـ إلى السـهل ـ المضـيـقـا
نسطره مـــــلاحم شــــاهدات	ونرجع فـيـه للناس الحـقـوقـا
ليــــصـبح كل إنســـان عــزيزاً	ويغـدو فى الورى حـراً طليـقًـا

وقالت الهيئة الإسلامية العالمية فى نعيها له: «والهيئة إذ تنعى أحد أعضاء الجمعية التأسيسية، فإنها تنعى رجلاً عُرف بالإخلاص والورع والتقوى، رجلاً باع نفسه لله فهاجر هو وأهله إلى مدينة بيشاور، ليشاركوا المجاهدين الأفغان جهادهم وتضحياتهم، رجلاً طلّق الدنيا فعاش فى ساحات الجهاد وميادينه يطلب الشهادة فى سبيل الله.. رجلاً عرف بالشجاعة والتضحية والفداء، فلم يخش تهديدات الأعداء بقتله واغتياله».

كما رثاه الشاعر أحمد محمد الصديق فقال:

لقد تربى الأخ الشهيد عبد الله عزام فى مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا الذى يقول فى رسالة الجهاد: «لقد فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة، لا مناص منها ولا مفرّ معها، ورغب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر فى الدنيا وعنوان الفوز والفلاح فى العقبى، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات. ولست تجد نظامًا قديمًا أو حديثًا دينيًا أو مدنيًا عُنى بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفًا واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق، كما تجد ذلك فى دين الإسلام وتعاليمه.

وإن الأمة التى تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الميتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة فى الدنيا والنعيم الخالد فى الآخرة، وما الوهن الذى أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت»..

عرف الأخ عزام دوره ومهمته فى الحياة، وفقه الدرس الذى سطره الإمام حسن البنا فى رسائله، وعاش التربية المنهجية التى يتخرج من خلالها رجال الإسلام ودعاة الحق والقوة والحرية.

ومن هنا ندرك هذا الصدق فى القول والعمق فى الفهم حين نقرأ وصيته حيث جاء فيها: «لقد ملك حب الجهاد على حياتى ونفسى ومشاعرى وقلبى وأحاسيسى. . إن التعلل بالآمال دون الإعداد، لهو شأن النفوس الصغيرة التى لا تطمح أن تصل إلى القمم، ولا أن ترقى إلى الذرا. . إن الجوار فى المسجد الحرام وعمارته لا يمكن أن يقاس بالجهاد فى سبيل الله. إن ترك المسلمين فى الأرض يذبحون، ونحن نحوقل ونسترجع ونفرك أيدينا من بعيد، دون أن يدفعنا هذا إلى خطوة واحدة تقدمنا نحو قضية هؤلاء، لهو ولعب بدين الله، ودغدغة لعواطف باردة كاذبة، طالما خدعت النفس التى بين جنباتها».

وهو يدرك تمام الإدراك مكائد الأعداء وحربهم على الإسلام وأهله ومخططاتهم لتصفية كل من يرفع رايّة الجهاد أو يعضد المجاهدين أو يطالب بتطبيق شريعة الإسلام فيقول ـ قبل استشهاده بأيام ـ فى حديثه لمجلة «المجتمع» بعددها الصادر يوم ٨/ ٤/ ١٤١٠هـ الموافق ٧/ ١١/ ١٩٨٩م: «. . وعندما أدرك الأمريكيون بأن لا يمكن التعامل مع قادة الجهاد، قرروا تصفيتهم جسديًا، وبدأوا يضغطون على الرئيس الباكستانى ضياء الحق. فلما رفض الخضوع لأوامرهم، وأعلن أنه سيطبق الشريعة الإسلامية قرروا تصفيته، وقد عرف ضياء الحق بقرار الأمريكان، فكان يصطحب السفير الأمريكى فى كل رحلاته ومع هذا فقد قتل معه فى نفس الطائرة» انتهى.

هذا هو المجاهد الشهيد، والعالم العامل والداعية المربى، والمهاجر فى سبيل الله عبد الله عزام حفيد المجاهدين مع القسّام والسائر على دربهم، وتلك مواقفه وأقواله وأعماله.

ولقد خلّف ثروة علمية من الكتب النافعة طبع له قرابة العشرين كتابًا، نذكر بعضها وهى:

ـ آيات الرحمن فى جهاد الأفغان – الإسلام ومستقبل البشرية – الحق بالقافلة – حكم العمل فى جماعة – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – حماس: الجذور التاريخية والميثاق – الدفاع عن أراضى المسلمين أهم فروض الأعيان – السرطان الأحمر – العقيدة وأثرها فى بناء الجيل – المنارة المفقودة – فى الجهاد آداب وأحكام – جريمة قتل النفس المؤمنة – بشائر النصر – كلمات على خط النار الأول – دلالة الكتاب

والسنة على الأحكام من حيث البيان والإجمال أو الظهور والخفاء، وهي رسالة الدكتوراه التي نوقشت في الأزهر.

بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المقالات والمحاضرات والأبحاث والدروس والتي تعد بالمئات في مختلف الأماكن والأوقات.

لقد قدّم الشيخ عبد الله عزام بعلمه وعمله وجهاده وتضحيته وصبره وثباته المثل لشباب الصحوة الإسلامية المعاصرة الذين يملأون الساحة بحيويتهم ونشاطهم وتشرئب أعناقهم ليوم النزال مع أعداء الله في الأرض، وكذلك فعل من سبقوه من مشايخه وإخوانه الذين استشهدوا على أراضي فلسطين أعوام ١٩٣٥م، ١٩٣٦م، ١٩٤٨م، أو في قناة السويس سنة ١٩٥١م، أو على حبال المشانق أو زنازين السجون سنة ١٩٥٥م، ١٩٥٧م، ١٩٦٦م، وهذا هو طريق الدعوة والمجاهدة والصبر والمصابرة ومناجزة الأعداء أينما كانوا وحيثما وجدوا، والتمسك بعرى الإسلام والغيرة على محارم الدين والانتصار للمستضعفين في الأرض من المسلمين.

الصبر الجميل:

وعلى الرغم من أن اغتيال الشهيد عبد الله عزام وولديه كان فاجعة للمسلمين في العالم، إلا أن زوجة الشهيد وأم الشهيدين محمد وإبراهيم قد أكرمها الله بالصبر، وزّينها بالرضا بقضاء الله وسرّها استشهاد زوجها وولديها فأعادت لنا بموقفها موقف الخنساء من قبل حين استشهد أولادها، مما حدا بالأخت الفاضلة أمينة قطب أخت الشهيد سيد قطب وزوجة الشهيد كمال السنانيري أن تكتب رسالة لزوجة الشهيد عبد الله عزام «أم محمد» تقول فيها:

«. . . . ماذا أملك من قول أو حديث أمام تلك الصورة المضيئة الرائعة لإنسانة تفقد أحباء ثلاثة، فترى ذلك فضل الله وتكريمه باتخاذهم شهداء. لقد بهرني هذا المستوى من الإيمان والتجرد. لقد أكبرت فيك الوعي والصبر والتضحية، ورأيت فيك شريكة الحياة المثلى لإنسان مجاهد، نذر حياته لله وللجهاد في سبيله، في أي مكان وأي أرض يقوم فيها جهاد خالص لله. وفاز بالشهادة من طلبها وتمناها وعمل لها ووفى وصدق».

رحم الله أخانا الشهيد عبد الله عزام، ورحم الله ولديه وجميع الشهداء الذين اختارهم الله لجواره، وجمعنا الله وإياهم في مستقر رحمته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



في وسط المجاهدين الذين دوّخوا الروس وانتصروا عليهم وما هزمهم إلا الفتن والأطماع



مع المهندس حكمتيار في زيارة لجبهات القتال



فوق إحدى المدرعات المدمرة للعدو في قندهار

الشهيد/ عز الدين القسام

١٩٣٦/١١/٢٢



يعبد . . . كلمة سر الموعد . . . يعبد . . . خفقات القلب المتمرد، يعبد فرسان الغاب المتوحد . . . قد صدق الواعد والموعود . . . فهاتوا الطلق مع البارود . . . وجونوا القمة مع الأخدود . . . يعبد يعبد . . . صخر ورصاص . . . وخطى قناص . . . فى ليل أسود . . . ونهار أربد . . . يعبد . . . صمت محموم . . . وسهاد نجوم وظلال تمتد . . . فى أقصى المشهد . . .

الوقت: صباح الأربعاء الثالث والعشرين من شعبان عام ألف وثلاثمائة وأربع وخمسون للهجرة، الموافق للعشرين من تشرين الثانى (نوفمبر) من عام ألف وتسعمائة وخمس وثلاثون للميلاد .

المكان: أحراش يعبد بين أشجار البلوط فى منطقة جنين، الحدث: معركة حامية الوطيس يشارك فيها مئات الجنود البريطانيين مجهزون بآليات إضافة إلى طائرة استكشاف فى مواجهة مجموعة صغيرة من المجاهدين لا يزيد عددهم على العشرة، سلاحهم البنادق و المسدسات، يقودهم شيخ جليل قد جاوز الستين من عمره، ذو وجه أبيض مستدير، ولحية بيضاء مهيبة، عرفه أهل حيفا بالشيخ (عز الدين القسام) إمام مسجد الاستقلال فى المدينة، ورئيس جمعية الشبان المسلمين ومأذون شرعى للمدينة.

حينما قدمت قوات الاحتلال البريطانى تقدم للمواجهة فى الصفوف الأولى رجال الشرطة العرب، رفض القسام إطلاق النار عليهم، رغم إلحاح رجاله حتى اشتدت المواجهة، وأحكم الحصار حول أحراش يعبد، فكان قرار الشيخ لرجاله: موتوا شهداء وسقط القسام شهيدا بصحبة رفاقه الثلاثة (يوسف عبد الله الزيباوى، حنفى عطيفة المصرى، محمد أبو القاسم خلف) فيما أصيب المجاهد نمر السعدى إصابة خطيرة أدت

لاحقًا إلى استشهاده، فكان استشهاد القسام الشرارة التى أشعلت الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ م وإضراب الستة شهور الذى انتهى بتدخل الزعماء العرب لوقفه، معركة لم تستمر تاريخيًا أكثر من ساعات، غير أن قائدها القسام حظى بإجماع لا مثيل له فى تاريخ فلسطين. وهو الرجل الذى ما سعى يوما لقيادة ولا مارس سياسة الزعامة، وأساليب الأحزاب السياسية، وكانت جنازته أضخم جنازة عرفتها حيفا، عبر تاريخها الطويل، وفى جيبه وجد مصحف شريف كان يمثل للشيخ الهوية والجنسية والطريق، ولد عز الدين بن الشيخ عبد القادر مصطفى القسام عام ١٨٧١م فى جبلة فى محافظة اللاذقية شمال سورية من أسرة كريمة معروفة، وقد ذاق فى طفولته عذاب الفقر والحرمان وكان يميل للتفكير والتأمل، وتلقى تعليمه فى الأزهر حيث تتلمذ لمحمد عبده، وجمعته علاقات طيبة برشيد رضا وكان يقرأ للأفغانى رحمه الله، وكان دائم الصلة بالفقه والشريعة والأصول، لا يكتفى بالوعظ، بل يقرن الإرشاد بالعمل، والعمل بالدراسة حتى وصفه العلامة (محب الدين الخطيب) بأنه من العلماء المعدودين، حين نزل الطليان شواطئ ليبيا عام ١٩١١م طاف قريته يجمع التبرعات لنصرة المسلمين وتوجه بصحبة عشرات المتطوعين إلى الإسكندرونة للجهاد فى ليبيا، وعندما منعوه عاد إلى جبلة . . وبنى بأموال التبرعات مدرسة لمحو الأمية، أشرف عليها بنفسه وحين اجتاحت فرنسا الشام عام ١٩١٨ م، باع القسام بيته واشترى (٢٤) بندقية وخرج مع صحبه معلنا الجهاد العام ضد المستعمر. . إلى أن أخمدت الثورة التى قادها «إبراهيم هنانو» حين غدره الإنجليز وسلموه لفرنسا، واستشهد قائد ميسلون يوسف العظمة عام ١٩٢٠، فقرر القسام التوجه إلى فلسطين بعد صدور حكم بإعدامه فاجتاز البحر إلى حيفا . . [وتأمل عز الدين الجَزْر يعم البحر، وتأمل كيف تغوص إلى العمق الأسماك . . . إن كانت إلا جوله . . . والمد الآن على شاطئ جند فلسطين . . . فالتحق بالمد هناك . . . وودع جند الشام . . . الهجرة كانت سنة سيدك المقدام . . . ما مكة ؟ ما يثرب ؟ ما جبلة ؟ ما حيفا ؟ ما يمناك ما يسراك ؟ الحق بالمد هناك . . . وكفاك وسام . . . حكم بالإعدام، وأقبل القسام وافدا من شام الجهاد إلى فلسطين الرباط، مولاى الوافد من جبلة، لا يملك غير عباءته . . . دميت قدماه من الأشواك . . . لم يشبه من عرفت حيفا . . . من طراق الليل النساك . . . كانت عيناه كفوهتى نار من تحت عمامته، وبدت كفاه مقرحتين، وبدأت تتعرف حيفا على القسام كمدرس فى

مسجد الاستقلال، حيث التفت حوله جماهير المدينة والقرى المجاورة، ودوت كلماته النارية فى جنبات حيفا حتى إنه وقف يوما على المنبر مشهراً مسدسًا وقال «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقتن مثل هذا). وجاءه شاب لم يبلغ العشرين يشكو إليه من يصفونه بالتهور والجنون، فيقول الشيخ: كلهم مجانين وأنت العاقل، هل تريد حقا الجهاد؟ فيقول: نعم، فيبسط القسام يده ويبايعه على ثلاثة شروط: الأخوة، الجهاد حتى الشهادة، السمع والطاعة، لقد نادى القسام بعودة الإسلام . . . إسلام الفاتحين والرجوع إلى الصلاة، صلاة المجاهدين، فاهتز الإنجليز لأنهم أصبحوا يواجهون إسلامًا غير إسلام الدروشة والتخدير، كان الأئمة والوعاظ تشغلهم أحكام الطهارة والحيض والنفاس والطلاق، أما القسام فاشتغل بذلك كله وأضاف إليه قضايا الأمة، فالإنجليز يحتلون فلسطين ويمكنون لليهود الهجرة والسلاح وشراء الأراضى والاستيطان، وكانت معظم القوى الوطنية تعادى الصهاينة، غير أنها تنظر للإنجليز حلفاء الأمس ضد تركيا كأصدقاء، وغلب النشاط السياسى من مظاهرات وبيانات ووفود إلى لندن للتأثير على الرأى العام على نشاطات الأحزاب الوطنية، لم تكن هناك أى قوة مسلحة منظمة يمكنها مقاومة بريطانيا والصهاينة، فكان تحديد القسام للبريطانيين كعدو وضعًا للأمور فى نصابها، فلولاهم لما بنى اليهود فى فلسطين مستوطنة واحدة واختار الجهاد طريقا للمقاومة، تاركا للأحزاب الأخرى أساليبها التقليدية، وبدأ العمل المنظم والإعداد الجيد للثورة، فكان القسام يعقد اجتماعات سرية لرجاله، ولا يقبل إلا من كان مؤمنا مستعدا للموت، وكان معظم رجاله عمالاً وعلماء، عرفهم عبر المسجد أو فصول محو الأمية أو جمعية الشبان المسلمين، كما أتاح له عمله كمأذون شرعى التعرف جيداً على المجتمع وكان يزور الفلاحين فى القرى أسبوعيا، فكان لأهل حيفا بمثابة المعلم والإمام والمأذون والمفتى والصديق، يوحى لمن حوله أن التعلم فرصة كالعبادة . . . قليل الكلام كتومًا، محبا لتلامذته، نعمه نعم، ولاؤه كذلك، لا تفارق البسمة وجهه وكذلك الهيبة والوقار، يرفض التنعم بمظاهر الحياة، وكان بيته غرفتين فقط، كان تركيزه على بناء قاعدة، وبنية سرية للثورة، ولعل هذا ما دفعه إلى عدم المشاركة فى المؤتمرات الإسلامية التى عقدت فى المسجد الأقصى عام ١٩٢٨م، ١٩٣١م [كان يعمل على شكل خلايا لا يزيد أفراد إحداها على

الخمسة، على نمط حلقات الأرقم بن أبى الأرقم وكان لكل خلية نقيب مسؤول عن القيادة والتوجيه، وحدد مهمات كل منهم فى جمع السلاح، التدريب، جمع المعلومات، والدعوة، والاتصالات، كان فى سنواته الأخيرة حائراً لا يستقر له قرار، لا يستسيغ طعامًا، ولا يعرف للراحة طعمًا، وعندما تحاول ابنته «ميمنة» تهدئته وإقناعه أن العمل السلمى خير طريق لمواجهة الإنجليز واليهود يصيح بصوته الجهورى «اصمتى يا ميمنة، لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى . . . حتى يراق على جوانبه الدم» لقد أخذ القسام قراره: سنقاتل مهما عز النصر . . . سنقاتل فرضًا وجهاداً . . . فإذا سئلت عين مبصرة من صاحبها يوم الحشر . . . لم تنطق: كان جبانًا قواداً . . . سنقاتل كى ترث الأولاد . . . رايات تورثها الأحفاد سنقاتل فى الحق عنادا، نلبسهم فى الفرس حدادا، سنقاتل من أجل الشهداء!! [ويقدر عدد من نظمهم القسام بقرابة المائة فيما ارتفع العدد ممن ينتسبون إلى القسام خلال سنوات الثورة إلى أكثر من ثمانى مائة، بعضهم سمع خطاباته فى المسجد أو تعلم عنده، أو تأثر بشخصه وفكره، وكانت أول عملية إلقاء قنابل على مستوطنة «نحلال» فى مرج بنى عامر، قتل فيها مدير سجن حيفا الصهيونى وابنه وأصيب آخران، فيما أعلنت بريطانيا عن مكافأة (٥٠٠) جنيه لمن يدلى بمعلومات، ونموذج آخر لعملياته كانت كمينا على طريق الناصرة قتل فيه (١١) صهيونيا، وأراد القسام الاطمئنان على موقف السكان وتأييدهم المعنوى والمادى؛ خرج بمجموعة من المجاهدين ليكونوا نواة الثورة إلى أحراش يعبد، وفى الطريق اصطدموا بدورية تطارد مجموعة لصوص فقتلوا قائدها اليهودى فى سهل بيسان وأطلقوا سراح مرافقيه العربيين، فبدأت القوات البريطانية بمحاصرة الموقع لتدور هناك أول معركة ضد الإنجليز فى فلسطين، كانت نتائجها المتواضعة قتل وإصابة عدد من جنود الإنجليز، غير أن دلالاتها مثلت نقطة تحول وانطلاق فى تاريخ الشعب الفلسطينى، فيما أُسر من المجاهدين القساميين «معروف الحاج جابر» من يعبد «وغر السعدى» من شفا عمرو «وأسعد المفلح» من أم الفحم «وحسن الباير» من برقين «وأحمد عبد الرحمن جابر» من عنبتا «وعربى البدوى» من قبلان «ومحمد يوسف» من سبسطية ونلاحظ أن كلاً منهم من قرية ومدينة مختلفة، مما يشير إلى مدى نجاح هذا المجاهد فى كسب الرجال وتجنيدهم للثورة، ولعل بساطته وتواضعه من أسباب هذا

النجاح لدرجة أنه زوج ابنته فرانا بسيطا مؤمنا، وعرف رجاله فى السجن كطليعة للأسرى، يقول الصحفى «كنعان أبو خضرة» الذى اعتقله الإنجليز فى سجن القدس فالتقى القسامى عربى البدوى الذى كان يمضى عامه السابع فى السجن فقال كنعان: لم يكن الضابط الإنجليزى هو مدير السجن، بل كان عربى البدوى يستشار فى كل شىء وكلمته مطاعة محترمة من الجميع، بمن فيهم أنا، إن القسام لم يبدع فكرا ثوريا ومبادئ جديدة بل أبدع ممارسة والتزاما يوميا بمبادئه وأفكاره الجهادية الثورية صحيح أنه لم يربح الحرب فى يعبد ولكنه ربح الشعب، ومن وصف ثورته بأنها مجابهة انتحارية قبل الأوان فقد أخطأ، «لقد أشعل القسام فتيل ثورته قبل فوات الأوان» إنك يا شيخى زيت القنديل . . . جراحك إن سالت لا تعقدها بالمنديل . . . فبعض الجرح هتاف، فاضرب، هذا زمن الحق الشاهر سيفا . . . لا خير إذا لم يشهر حق سيفا، واطعن يمين التنين الزاحف نحو الأقصى . . . يا أقصى، يا معراج رسول الله إلى الملأ الأعلى . . . أعطيك وفى . . . فى مصباحك للساهر فوق صحائفه . . . يتلو آيات النور . . . بيانا مثل الصبح . . . وبشرى مثل الفتح . . . يا أقصى يا علمى . . . أفسح لى فى صحنك يوم الجمعة موطئ قدم . . . ها أنا جئت إليك . . . تسابق روحى قدمى . . . ويسابق سيفى قلمى . . . ها أنا جئت إليك . . . أفسح لى فى صدرك مأوى يحضننى أو مثوى يدفننى!!

لقد استشهد القسام ورفاقه فى يعبد، غير أنه بشهادته أشعل ثورة، لقد كانت رسالة القسام لشعبه وأمته عبر فوهة البندقية: لا تصدقوا وعود الإنجليز وأكاذيبهم ولو كان اليوم بيننا لقال لأصحاب (أوسلو) ذات الكلمة: لا تصدقوا وعود الأمريكان وأكاذيبهم، وقد أجهضت الثورة حينها عندما وثق زعماء الإضراب بوعود بريطانيا وتطمينات الزعماء العرب، كما أجهضت انتفاضة شعبنا حين وثق زعماء منظمة التحرير بوعود أمريكا والدول العربية، فهل يعود شعبنا ليسمع كلمة القسام وما أصدقها من كلمة ؟!.

لقد أدى القسام شهادته على شعبه وأمته، وزفته الجماهير إلى مقبرة حيفا فى أضخم جنازة تشهدها المدينة عبر تاريخها، فكان خطابه فى الجماهير بعد استشهاده أقوى من كل خطاباته عبر منبر المسجد . . مضى ورفاقه المجاهدون إلى جنان الخلد وبقيت

ذكراهم فى وجدان وذاكرة الأمة، يشيرون بدمائهم نحو طريق العزة والكرامة والتحرير ويرددون: نحن الشهداء . . . صلى مولانا الشيخ علينا منذ أخذنا العهد، ضقنا عينا بالشمس وبالخبز اليومى . . . وفتحناها فى قدس النور الكلى، فمرحى للفتح والنصر ولا أسفا لو نستشهد، ما نحن بأحجار تلقى فى غير قرار . . . إنا نصعد . . . أرواحا لم تثاقل للأرض، أرواحا تشبه عود الند . . . نحن الشهداء . . . خيل القمة خيل يعرفها أهلها . . . خيل الصبح وتعرفها حطين . . . يعرفها المعتصم المنجد . . . فى زمن الصيحة قبل قرون . . . هذا زمن الصيحة يتجدد . . . هذا المنجد . . . هذى خيل المعتصم تحمحم فى يعبد.

فإلى جنات الخلد يا شيخنا وقائدنا أبا محمد.

والسلام على روحك الطاهرة، وذكراك العطرة.

المصادر:

١ - معالم فى الطريق لتحرير فلسطين _ المقاومة.

٢- أنشودة القسام: منير الريس.

٣- الشيخ المجاهد: عز الدين القسام.

٤- الشيخ القسام فى تاريخ فلسطين: بيان الموت.

***

مهجرة ثكلى بقتل عائلها وتحمل وليدها، ويحال بينها وبين بيتها المهدم ، ولكنها لا تفارقه، ماذا تنتظر. لا نصرة من أحد (ذهبت نخوة المعتصم) أظن أنها تحب أن تدفن فيه .



مجموعة من كتائب المجاهدين فى حرب ٤٨



ثورة العلماء التى تكاد تحرق أمامها اى شىء . يتعلق بها الشعب المجاهد ..
ولكن أين ثورة السلطات والجيوش والقيادات التى تكمل المعادلة ويكون النصر .



قهر الإنجليز للشعب الفلسطينى الذى يستباح ويذبح بدم بارد، وذنبه أنه يريد الدفاع عن بلده، وعن نفسه، ويعبر عن غضبه ولو بالمظاهرات السلمية



دخول اللنبى القائد الإنجليزى إلى القدس ومعه ثلة من العلماء المخدوعين فيه (وهو الصليبى الحاقد) الذى قال عندما استقر له الوضع فى الاحتلال (الآن انتهت الحروب الصليبية)

الشهيد/يحيى عياش

٢٠٠٢/٥/١٨م



وُلِد يحيى عيَّاش فى نهايات مارس ١٩٦٦، نشأ فى قرية «رافات» بين نابلس وقلقيلية لعائلة متدينة تصفه بأنه حاد الذكاء، دقيق الحفظ، كثير الصمت، خجول هادئ.

بدأ يحفظ القرآن الكريم فى السادسة من عمره، حصل فى التوجيهى على معدل ٩٢,٨٪ -القسم العلمى، ليلتحق بجامعة بيرزيت- قسم الإلكترونيات، وظلَّ على حبه الأول للكيمياء التى أصبحت هوايته، أصبح أحد نشطاء الكتلة الإسلامية، وبعد تخرجه حاول الحصول على تصريح خروج للسفر إلى الأردن لإتمام دراسته العليا، ورفضت سلطات الاحتلال طلبه، وعلق على ذلك «يعكوف بيرس» رئيس المخابرات قائلاً: «لو كنا نعلم أن المهندس سيفعل ما فعل لأعطيناه تصريحًا بالإضافة إلى مليون دولار».

تزوَّج عيَّاش بعد تخرجه من ابنة عمته، ورزقه الله ولده البكر «البراء»، ثم «يحيى» قبل استشهاده بأسبوع تقريبًا.

القتل بالقتل.. هكذا العدل:

بدأت عبقريته العسكرية تتجلى مع انطلاق شرارة الانتفاضة الأولى ١٩٨٧م، كتب أبو البراء رسالة إلى كتائب الشهيد عزّ الدِّين القسَّام يوضح لهم فيها خطةً لمجاهدة اليهود عبر العمليات الاستشهادية، وأُعطى الضوء الأخضر، وأصبحت مهمة يحيى عيَّاش إعداد السيارات المفخخة والعبوات شديدة الانفجار.

ولكن الولادة الحقيقية للمهندس وعملياته العبقرية كانت إثر رصاصات باروخ جولدشتاين وهى تتفجر فى رؤوس الساجدين فى الحرم الإبراهيمى فى رمضان عام ١٩٩٤م.

ففى ذكرى الأربعين للمجزرة كان الرد الأول؛ حيث فجَّر الاستشهادى «رائد زكارنة» (عكاشة الاستشهاديين) حقيبة المهندس فى مدينة العفولة؛ ليمزق معه ثمانية من الصهاينة ويصيب العشرات.

وبعد أسبوع تقريبًا فجَّر «عمار العمارنة» نفسه؛ لتسقط خمس جثث أخرى من القتلة.

وبعد أقل من شهر عجَّل جيش الاحتلال الانسحاب من غزة، ولكن فى ١٩-١٠-٩٤ انطلق الشهيد «صالح نزال» إلى شارع «ديزنغوف» فى وسط «تل أبيب» ليحمل حقيبة المهندس ويفجرها ويقتل معه اثنين وعشرين صهيونيًا.

وتتوالى صفوف الاستشهاديين لتبلغ خسائر العدو فى عمليات المهندس عياش فى تلك الفترة ٧٦ صهيونيًا، و٤٠٠ جريح.

عذابات من أجل اللقاء:

تعتبر فترات الملاحقة فى حياة الشهيد من الفترات المجهولة فى حياة فارسنا؛ فمنذ ٢٥ أبريل ١٩٩٣م عرفت مخابرات العدو اسم عيَّاش كمهندس العبوات المتفجرة، والسيارات المفخخة التى أقضت مضاجع العدو، وتروى زوجته «أسرار» ملاحقة جيش الاحتلال لأسرة المهندس.

قالت زوجته: «مكثت فى بيت عمى فى بداية فترة مطاردة يحيى متخفية عن أنظار الجيران حتى إذا ذهبت لزيارته لا يشك بذلك أحد، وقبل ذهابى إلى غزة أرسل إلىَّ يحيى رسالة مكتوبة بخط يده الذى أميزه بين آلاف الخطوط يستشيرنى فى إمكانية مغادرتى الضفة الغربية، وتشاورت فى الأمر مع والد زوجى، وقررت الذهاب إلى زوجى، ثم اصطحبنى أحد الإخوة المجاهدين عن طريق كلمة سر قالها لى لا يعرفها أحد سواى أنا ويحيى، فاصطحبنى الشاب ووالدة يحيى وابنى البراء، وكان الشاب يحمل معه العديد من البطاقات الشخصية المزيفة ليسهِّل علينا دخول الحواجز».

لقد كانوا يجتازون كل حاجز إسرائيلى باسم مستعار مختلف وبسيارة أخرى غير السيارة الأولى، حتى يتخفوا على جنود الاحتلال، كما أن الشاب كان يمتلك قدرة فائقة على التنكر حسب شكل الصورة التى كانت تحملها البطاقة الشخصية المزيفة.

أما بالنسبة لأم البراء ووالدة المهندس فقد كان الأمر سهلاً ؛ لأن قوات الاحتلال لم تكن آنذاك تدقق كثيراً فى صور النساء.

وتذكر أم البراء: «لم يكن يمكث عندنا فى الأسبوع سوى ساعات معدودة، ثم يخرج دون أن أعلم إلى أين مقصده، فحياة المطاردة وإن كانت مليئة بالأخطار فهى تمتاز بحلاوة الجهاد التى لا يمكن لأحد أن يتذوقها غير المجاهد».

رسائل عيَّاش.. وثائق تنشر لأول مرة:

وحول أهم المغامرات التى عاشتها فى تلك الأيام قالت: «قضيت معظم أيام مكثى فى غزة مطاردة أتنقل من بيت لآخر، ولا أمكث فى أحدها أكثر من أسبوع لا أشاهد أحداً حتى لا يشك فى وجودى، وأنام والقنابل اليدوية فوق رأسى، وسلاحى بجوارى، وخاصة أننى كنت أتقن استخدامه وأتقن كيفية تحديد الهدف؛ فحياتنا معرضة للخطر فى كل لحظة، والمنزل معرَّض للمداهمات من قبل جيش الاحتلال حتى يستخدمنى الصهاينة وسيلة للضغط على زوجى».

وضماناً للسرية كان الاعتماد الأساسى على الرسائل الخطية بينها وبين زوجها؛ لقدرة كل منهما على تمييز خط الآخر، وما زالت تحتفظ برسائله حتى يومنا هذا، ومنها رسالة خطية حصلت عليها «إسلام أون لاين. نت».

وتتذكر أم البراء بصوت متألم: «ذات مرة لاحظ أهل البيت الذى كنا نختبئ به وجود مراقبة حول البيت؛ فاضطررت أن أختفى أنا وولدى براء، وأحكم إغلاق الغرفة علينا لمدة أسبوع تقريباً، لا أرى أحداً من البشر غير زوجة المجاهد التى كانت تحضر لى الطعام، كانت لا تمكث معى أكثر من ربع ساعة».

وتبتسم أم البراء حين تتذكر لحظات عصيبة أخرى: «ذات مرة دُوهم البيت.. كانت ساعة عسيرة.. فاضطررت أن أختبئ وولدى داخل الخزانة، وأن أحكم إغلاقها علينا، والغريب أن براء -الذى لم يتجاوز الأربع سنوات- كان واعياً لحجم الخطر الذى يهدد حياتنا وحياة والده، وبدلاً من أن أهدئ من روعه حتى لا يخرج صوتاً، وضع هو يده على فمى حتى لا أتفوه بكلمة واحدة.. وكم شعرت بالفخر بوليدى، وأنه حقاً يستحق أن يكون ابناً لمجاهد، وبطلاً مثل المهندس يحيى عيَّاش.. شعرت أنى لم

أشاركه وحدى الكفاح؛ فقد كان صغيرى البراء على مستوى المسؤلية فى أكثر من موقف، فعندما كان يخرج ليلعب مع أولاد صاحب المنزل الذى يستضيفنا كان يُعرّف نفسه باسم «أحمد»، ولا يعلن عن هويته أبداً.

نضال زوجة مناضل:

لا شك أن كل امرأة تتلقى خبر جهاد زوجها بشيء من الخوف والفزع فى البداية، وتبدأ الهواجس تصوِّر لها زوجها وقد تحول إلى أشلاء متناثرة.. تتذكر أم البراء كيف عرفت بجهاد زوجها، قائلة: «منذ الأيام الأولى لحياتى الزوجية كان يأتى يحيى إلى المنزل وملابسه متسخة بالوحل والتراب، وعندما أسأله عن سبب ذلك كان لا يرد علىّ، بل كان يرجونى برفق ألا أسأله عن شيء. وفعلاً استجبت لرأيه؛ لأنى على ثقة بأخلاقه والتزامه بمبادئ دينه، حتى جاء اليوم الذى حاصر جيش الاحتلال المنزل ليعتقل يحيى، لكنه لم يكن بالمنزل، وعندما شعر أنى خائفة كثيراً صرَّح لى بطبيعة عمله وخيَّرنى بين مواصلة طريق الجهاد معه أو الانفصال عنه.

كابوس يهدد دولة:

تحوَّل المهندس بعملياته الاستشهادية إلى كابوس يهدد أمن الدولة العبرية وأفراد جيشها الذى يدَّعى أنه لا يُقهر بل وقادته أيضًا؛ حيث بلغ الهوس الإسرائيلى ذروته حين قال رئيس وزراء الكيان الصهيونى آنذاك إسحق رابين: «أخشى أن يكون عياش جالسًا بيننا فى الكنيست». وقوله أيضًا: «لا أشك أن المهندس يمتلك قدرات خارقة لا يملكها غيره، وإن استمرار وجوده طليقًا يمثل خطراً واضحًا على أمن إسرائيل واستقرارها».

ولا يعتبر كثير من الباحثين الإسرائيليين أن يحيى نبتٌ منفردٌ، لكنه وليد محضن تربوى ونسق فكرى، وهو ما حدا بأحدهم أن يصرِّح: «إن المشكلة فى البيئة العقائدية الأصولية التى يتنفس المهندس من رئتيها؛ فهى التى تفرز ظاهرة المهندس وظاهرة الرجال المستعدين للموت فى سبيل عقيدتهم».

أما «موشيه شاحاك» وزير الأمن الداخلى الصهيونى السابق فقد قال: «لا أستطيع أن أصف المهندس يحيى عيَّاش إلا بالمعجزة؛ فدولة إسرائيل بكافة أجهزتها لا تستطيع أن تضع حداً لعملياته التخريبية».

كما كتبت الصحف العبرية عن مواصفاته، ونشرت عدة صور مختلفة له لتحذر الشعب الصهيونى منه تحت عنوان رئيسى «اعرف عدوك رقم ١ . . يحيى عيَّاش».

وأخيراً.. ارتاح المقاتل الصلب:

بعد أربع سنوات مليئة بأشلاء الصهاينة تمكَّن جهاز الشاباك من الوصول إلى معلومات عن موقع المهندس، وتسلله إلى قطاع غزة عبر دائرة الأشخاص الأقرب إلى أبى البراء.

وكما يروى «أسامة حماد» صديق المهندس والشاهد الوحيد على عملية الاغتيال فإن يحيى التجأ إليه قبل خمسة أشهر من استشهاده؛ حيث آواه فى منزله دون أن يعلم أحد، وكان كمال حماد -وهو خال أسامة ويعمل مقاول بناء- على صلة وثيقة بالمخابرات الإسرائيلية يلمِّح لأسامة بإمكانية إعطائه جهاز «بيلفون» لاستخدامه، وكان كمال يأخذ جهاز البيلفون ليوم أو يومين ثم يعيده، وقد اعتاد والد المهندس الاتصال بيحيى عبر البيلفون، وقد طلب منه يحيى مراراً الاتصال على الهاتف المنزلى، وقد اتفق يحيى مع والده على الاتصال به صباح الجمعة على الهاتف المنزلى.

وفى صباح يوم الجمعة الخامس من يناير ١٩٩٦م اتصل كمال حماد بأسامة وطلب منه فتح الهاتف المتنقل؛ لأنه يريد الاتصال من إسرائيل، واتضح أن خط هاتف البيت مقطوع . . وفى الساعة التاسعة صباحًا اتصل والد يحيى على الهاتف المتنقل وقد أبلغ أسامة أنه لم يستطع الاتصال على الهاتف المنزلى.

وما كاد المهندس يُمسك بالهاتف ويقول لوالده: «يا أبى لا تتصل على البيلفون. . .»، عندها دوى انفجار وسقط المهندس لينفجر الرأس الذى طالما خطَّط ودبَّر فى كيفية الانتقام من الصهاينة. . وتتناثر أجزاء من هذا الدماغ الطاهر لتعلن عن نهاية أسطورة خلَّفت وراءها العشرات من المهندسين ممن أرقوا مضاجع الاحتلال، وما زالوا أبناء لمدرسة عياش.

وتبين فيما بعد أن عبوة ناسفة تزن ٥٠ جراما قد انفجرت فى الهاتف النقَّال ليهوى الجسد المتعب ويستريح من عناء السفر . . يستريح المقاتل الصلب بعد سنوات الجهاد، ويصعد إلى العلا والمجد.

(أنا البراء عيّاش.. على الدرب يا أبي):

«إذا قُتل يحيى عياش فأنا يحيى عياش، وعندما أكبر سأصبح مهندس متفجرات وأنتقم لأبي» هذا ما بادرنا به الطفل يحيى يحيى عياش -٦ سنوات- الذى وُلد فى الوقت الذى استشهد فيه أبوه ليكمل مشواره.. وكأن إرادة الله أرادت أن يظل يحيى على وجه الأرض.

والأمر لا يختلف كثيراً عند ولده البكر «براء» -٨ سنوات- الذى عاش معاناة حياة مطاردة أبيه لجيش الاحتلال ومطاردتهم له، وبدا فى حديثه شابًا يعى الأمور الأمنية وحجم الخطر الذى يلاحق أباه؛ فكبر عقله ووعيه أكثر من سنى عمره؛ لذلك لم يكن غريبًا عليه أن يقول: «أنا لست من حماس، بل أنا من كتائب عزّ الدِّين القسّام، وسأعمل مهندسًا مثل أبى أفجِّر اليهود وأمزِّق أجسادهم، وسأحرم الذين حرمونى من أبى من أبنائهم، كما سأحرم أبناءهم من آبائهم».

فهل يكبر البراء فى ظلِّ السواد الجاثم على قلب كل شريف فى العالم، أم يأذن له الله بحياة هادئة رغدة بعيدة عن صولات الجهاد ؟.

ولقد سطر عياش ملحمة تاريخية خالدة من أجل دينه ووطنه وقتل فى سبيل الله ومن أجل فلسطين فوق أرضية صلبة من الفهم العميق بطبيعة القضية الفلسطينية. فقد أدرك يحيى معادلة التعامل مع العدو منذ أن لمست يداه أول سيارة مفخخة أعدها لاستنهاض الشعب الفلسطينى بكافة قطاعاته ومختلف تياراته نحو مقاومة شاملة للاحتلال الذى لا يفهم إلا لغة المقاومة ومفردات القوة. ولذلك أعلن زعماؤه وقادته يأسهم واعترفوا قائلين: «ماذا نفعل لشاب يريد الموت»؟.

«المهندس» هو عنوان الأسطورة الفلسطينية الحقيقية التى جددت الأمل وقتلت اليأس وأعادت الحياة إلى روح الجهاد والمقاومة فى فلسطين، بما كتبته من صفحات مشرقة فى حكاية الصمود والجهاد البطولى فى ظل أسوأ الظروف.

وقصة المهندس معروفة ومحفوظة بمداد الحب والإكبار فى قلوب معاصريه، واسمه تردد بشكل دائم فى كل حارة وبيت وعلى كل شفة ولسان فى أرجاء المعمورة، وذكره مئات الملايين من العرب والمسلمين عندما أظلمت الدنيا واشتدت الأزمات وفاضت على وجوههم مظاهر الألم والقهر والإحباط.

لقد عرف يحيى عياش موطن ضعف عدوه، ومكمن قوة شعبه، فاستغل معرفته لإعادة جزء من التوازن المفقود للقوى بين شعبه الأعزل وعدوه المدجج بأحدث آلة عسكرية، عن طريق نقل الصراع من ساحة المادة الضيقة إلى ميدان المعنويات الأرحب فأصبح الصراع بين عدو مكبل بالخوف من الموت وشعب يعشق الموت فى سبيل الله لنيل حريته. ولأن للبطولة طعمًا آخر فى اللحظات الحاسمة فإن يحيى عياش يكاد يتفرد بين أبطال الشعب الفلسطينى فقد جاء فى ذروة الانهيار ليعلن أن الشعب الذى تُحفر القبور لدفن قضيته ما زال مفعما بالحياة، وأن مقولات اليأس الرسمية ليست أكثر من رماد يوارى الجمر المتقد فى أتون الشعب.

فى عمره القصير صنع يحيى عياش الكثير. فقد أدرك منذ البداية أنه يسابق الزمن حين قرر العمل على نسف جدار الأمن الشاهق الذى أقامه الصهاينة مستغلين ترسانتهم العسكرية وخبراتهم المتراكمة فى مواجهة شعب أعزل محاصر، وكان مبادرًا حيث لا فائض من الوقت لدى شعب يعيش واحدة من أكثر مراحل تاريخه المعاصر حرجًا. فعاش هذا العملاق لشعبه ودينه ومن أجلهما، ورحل فى وقت كان يتصارع فيه البغاث على فتات يظنون أنه مغانم حرب وضعت أوزارها.

إن هذه الشخصية المتميزة فى عطائها وقدرتها على المبادرة والتجديد تستحق أن نقف عندها وقفة متأملة فاحصة نستطلع حياتها ومكامن العظمة فى شخصيتها ونقوم تجربتها الرائدة ونستخلص العبر من مسيرة عطائها الحافلة بالتضحيات فى سبيل الرسالة التى آمنت بها ونذرت نفسها وحياتها لتحقيقها.

ولئن جسد يحيى عياش حالة الشاب القروى البسيط الذى كان من الممكن أن يكون كغيره من الآلاف الذين يحملون الشهادة الجامعية مهندسًا عاديًا يعمل فى إحدى الشركات أو الورش ويتقاضى راتبًا مرتفعًا فى إحدى الدول، إلا أن بطلنا تغاضى عن هذا كله وقفز فوق كل الحواجز وتمسك بإسلامه وقضيته فكانت المقاومة والجهاد حبه الكبير الذى أعطاه عصارة أفكاره وعاطفته مجسدا فى الوقت نفسه القدرة على الفعل الحقيقى بعيدا عن الأضواء.

لم يكن المهندس يبحث عن دور تاريخى بقدر ما كان الدور التاريخى يبحث عن قائد، ولم يكن نجوميًا يبحث عن الشهرة بقدر ما كانت الجماهير تائقة إلى بطل تلتف

حوله يعيد للأيام بهجتها وللحياة طعمها وللإسلام انتصاراته وشموخه. ولأن نماذج القادة الذين تنتجهم حركة المقاومة الإسلامية «حماس» لا يركبون موج الصدفة ولا يتسلقون حبال العشوائية، أو يركبون أحضان المستجدات بل هم دائمًا على موعد دقيق مع أقدارهم وعلى أهبة الاستعداد لأداء دورهم فى حيز الفعل والوجود ثم الرحيل بشموخ مع إشراقة الشمس.

رحلة فى فكر عياش

شيخ الإخوان فى رافات:

لبى يحيى عياش دعوة الإخوان المسلمين وبايع الجماعة فى بداية العام ١٩٨٥م وأصبح جنديًا مطيعًا وعضواً عاديًا بإحدى أسر الإخوان المسلمين فى مدينة رام الله وعمل بجد ونشاط وقام بكافة التكاليف وأعباء الدعوة الإسلامية سواء داخل الجامعة أو فى مدينة رام الله أو قريته رافات، ووظف المهندس سيارة والده التى اشتراها فى خدمة الحركة الإسلامية حين دأب على السفر إلى رافات وقام بإرساء الأساسات وشكل أنوية لمجموعات من الشباب المسلم الملتزم. وحينما انفتح الأفق على حركة المقاومة الإسلامية حماس كانت هذه المجموعات فى طليعة السواعد الرامية خلال سنوات الانتفاضة المباركة الأولى . ونظراً للدور الريادى الذى قام به وحكمته وأدبه وأخلاقه فقد اعتبرته الفصائل الفلسطينية (شيخ الإخوان فى رافات) ترجع إليه فى كافة الأمور التى تتعلق بالفاعلية أو الإشكاليات خلال الأعوام (١٩٨٨-١٩٩٢).

ابن كتائب الشهيد عز الدين القسام:

ترجع بدايات المهندس مع العمل العسكرى إلى أيام الانتفاضة الأولى وعلى وجه التحديد عامى ١٩٩٠-١٩٩١م إذ توصل إلى مخرج لمشكلة شح الإمكانات وندرة المواد المتفجرة وذلك بتصنيع هذه المواد من المواد الكيماوية الأولية التى تتوافر بكثرة فى الصيدليات ومحلات بيع الأدوية والمستحضرات الطبية فكانت العملية الأولى بتجهيز السيارة المفخخة فى (رامات إفعال) وبدأت إثر ذلك المطاردة المتبادلة بين يحيى عياش والاحتلال الصهيونى وأجهزته الأمنية والعسكرية، إذ قدر الله سبحانه وتعالى أن يكتشف العدو السيارة المفخخة فى رامات إفعال بطريق الصدفة، وبعد تحقيق شديد

وقاس مع المجاهدين اللذين اعتقلا إثر العثور على السيارة المفخخة طبعت الشاباك اسم يحيى عبد اللطيف عياش فى قائمة المطلوبين لديها للمرة الأولى.

يعتبر يوم الأحد ٢٥ نيسان / أبريل ١٩٩٣م بداية المطاردة الرسمية ليحيى عياش ففى ذلك التاريخ غادر المهندس منزله ملتحقًا برفاق الجهاد والمقاومة وفى مساء ذلك اليوم داهمت قوات كبيرة من الجيش والمخابرات المنزل وقامت بتفتيشه والعبث بالأثاث وتحطيم بعض الممتلكات الشخصية للمهندس، وبعد أن أخذ ضباط الشاباك صورة الشهيد جواد أبو سلمية التى كان المهندس يحتفظ بها توجه أحدهم إلى والده مهددا «يجب على يحيى أن يسلم نفسه وإلا فإنه سيموت وسوف نهدم المنزل على رؤوسكم» وتواصلت المداهمات والاستفزازات من قبل جيش الاحتلال وأجهزته بهدف إشاعة جو الخوف والرعب بين العائلة القروية اعتقاداً بأن ذلك يؤثر فى معنوياتهم ويثنى المهندس عن مسيرته المباركة ولكن هيهات لهم ذلك فقد واصل المهندس طباعة عناوين المجد والحرية وأعاد للحياة الفلسطينية طعمها. وخلال ثلاث سنوات كان الشهد لفلسطين والعلقم لبنى صهيون، وخاب ظن سلطات الاحتلال وأجهزتها القمعية التى حصدت الفشل فى مخططاتها وتخبطت فى رحلة البحث عن المهندس، بينما وقفت أم يحيى فى فخر واعتزاز تواجه محققى الشاباك وجنود الاحتلال، حيث نقلت صحيفة (يديعوت أحرونوت) العبرية التى رافقت قوات الجيش التى داهمت منزل العائلة بعد عملية البطل صالح صوى فى تل أبيب عن أم المهندس: «لقد تركنا جميعا دون أن نشبع منه ومنذ أن أصبح يحيى مطلوبًا فإنه لم يعد ابنا لى.. إنه ابن كتائب عز الدين القسام».

معالم وعبر

أولا: قاعدة عقائدية وإيمانية

البيئة العقائدية والإيمان الراسخ فى أعماق النفس البشرية هى التى تبدع وتفرز ظاهرة الرجال المستعدين للموت فى سبيل الله، ومن خلال تجذر هذه الأصول وصلابة حاملها تنفجر مدخرات الطاقة فى خلايا الجسم، ويتألق كل ما أودعه الخالق سبحانه وتعالى فى هذه النفس من خلق وتجرد وإخلاص وصدق وتوكل وغيرها من خصائص الشهادة ومعانى البقاء والاقتداء.

ولئن غادرنا المهندس بعد نجاحه فى الوصول إلى قمة هرم الصاعدين وانتصاره فى مسيرته الحياتية نحو الخلود فإننا ما زلنا نمتلك التمسك بمبادئه وثوابته وتجربته التاريخية الزاخرة بمدلولات تبشر بدروس من السهل الاقتداء بها وتقليد العملاق الخالد على أرض فلسطين وتكرار مسيرته والتبشير بقدرات الأمة على إنجاب العظماء وصنع المستقبل المشرق، ونستطيع أن نورد إضاءات من القاعدة العقائدية والإيمانية التى حملت أعمدة العملاق الخالد لتكون ألوية رشد وهداية يقتدى بها السائرون.

١- امتزاج الورع والتقوى بصفاء الروح وبساطة النفس، إذ إن يحيى كان ملتزمًا ومطيعًا لله فيما أمر به أو نهى عنه، وهذا المفهوم لمعنى التدين ظهر عند المهندس من خلال إكثاره من قراءة القرآن الكريم وتلاوته وحفظه، ومن هنا يظهر لنا سبب إصراره بعناد وإقدامه الذى لم يعرف التردد فى مسيرة الجهاد رغم تفوق العدو وقسوته.

٢- الجدية فى الحياة وصلة الرحم وحب الناس وأداء الواجب، وهذا لا يعنى أن الشهيد لم يكن صاحب مزاح أو مرح نظيف، وإنما كان يتجنب الصخب ويبتعد عن الأجواء الملوثة.

٣- توجيه وتكريس الحياة الدنيا لعمل الخير واعتبار ذلك وسيلة لبلوغ رضوان الله، ومن هنا كان عطوفا على الناس يقدم المساعدة التى يقدر عليها لكل من يلجأ إليه.

٤- التسامح سمة من سمات المهندس فى علاقاته، سواء فى البيت أو القرية أو الجامعة، إذ كان يسامح من يسيء له ولم يحمل حقدا على أحد حتى لو أساء إليه.

٥- الهدوء والاتزان وعمق التفكير، وكأنه كان يحلق فى آفاق البحث عن رضوان الله. . . مما ساقه إلى مبتغاه مع الأنبياء والصديقين والشهداء.

٦- لم يكن للذاته نصيب من الدنيا ومتاعها، إذ عرف عنه عفة اليد والزهد، لا يبتغى سوى مرضاة الله . وعندما قامت الحركة بإرسال مبلغ من المال لإعانته على شؤون عائلته أرسل إلى قيادته معاتبًا: «بالنسبة للمبلغ الذى أرسلتموه فهل هو أجر لما أقوم به؟ إن أجرى إلا على الله، أسأله أن يتقبل منا فإن هدفى ليس ماديا ولو كان كذلك لما اخترت هذا الطريق فلا تهتموا بى كثيراً واهتموا بأسر الشهداء والمعتقلين فهم أولى منى ومن أهلى».

ولأنه لا يريد سوى مرضاة الله وجنته فقد عمل الشهيد البطل بصمت فى الخفاء مستعليًا على شهوات النفس والأضواء ووسائل الإعلام مما زاد فى قدرته على المواجهة وإفشال عمليات الاستفزاز والاستدراج . وكل ذلك يفصح عن وعى عميق بطبيعة المعركة ومتطلباتها وعن التجرد والإخلاص للهدف والقضية، ولئن أحب يحيى العمل الجهادى بطريقة عاصفة ملكت عليه كل جوارحه مؤثرا أن تتحدث عنه أعماله لا أقواله باعتبار أنه يمثل حركة وتاريخ وليس نفسه فقط، إلا أنه لم يكن يحب تضخيم الأمور ودوره ويرجع الفضل دائما إلى رب العزة سبحانه مرددا وبشكل دائم الآية الكريمة: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧].

ثانيا: السرية والكتمان:

يعد هذا الأمر من الأمور البدهية فى حياة المهندس وأبجدية مهمة من أبجديات العمل استهداءً بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان**» فقد عمل المهندس وكتائب الشهيد عز الدين القسام بطريقة سرية منظمة جعلت من مخططات أجهزة الأمن والاستخبارات الصهيونية لاختراق بنية الجهاز العسكرى ومحاولات رصد عملياته قبل وقوعها أمرًا فى غاية الصعوبة. فالجهاد مرصود وإجهاضه استراتيجية صهيونية وعالمية خاصة بعد أن أصبح الإسلام هو العدو الأول لمعسكر النظام العالمى الجديد أو «الأجد» وأدواته وفى حالة الشهيد القائد تتجاوز طبيعة السرية والكتمان الحدث الطارئ أو الحاجة الآنية لتصبح خلقًا راسخًا وعادة متمكنة.

ثالثا: التخلص من أعين الأعداء:

إن براعة المهندس الفائقة -بفضل الله ورعايته- فى مواجهة مطارديه وعبقريته فى التخفى والمراوغة والإفلات من الكمائن التى كانت تنصب له من قبل عدة آلاف من جنود الوحدات الخاصة المختارة من الجيش الصهيونى وقوات حرس الحدود والشرطة، بالإضافة إلى عدة مئات من أفراد جهاز المخابرات العامة (الشاباك) ووحدات استخبارية عسكرية خاصة كلفت بالمشاركة فى أوسع حملة مطاردة تنظمها الدولة العبرية فى تاريخها، جعلت ملاحقيه يطلقون عليه لقب «العبقرى» و«كارلوس

الثعلب» و«الرجل ذو الألف وجه» وينسبون إليه صفات الرجل المقدس والإنسان الذى يمتلك سبعة أرواح ومن يرى ولا يُرى، وهى أمور حاولت أجهزة الأمن والاستخبارات الصهيونية إخفاء عجزها وراءها، فقد بحثت سلطات الاحتلال عن المهندس طوال أربع سنوات، وخلال تلك المدة استمر القائد فى عملياته بدون توقف أو هدوء، فجند الخلية تلو الأخرى وبعث فيها روح المبادرة والنشاط بعد كل ضربة كان الصهاينة يوجهونها للمجموعات الجهادية وبعد كل عملية تعترف سلطات الاحتلال بأن -حتى أخباره- تختفى اختفاء متقنًا مما أصاب قيادة الشاباك فى حيرة إزاء لغز المهندس.

وإن نجاح المهندس فى الوصول إلى قطاع غزة يعتبر فى حد ذاته ضربة قاسية للكيان الصهيونى جعلت إسحق رابين فى اجتماع القيادة المشتركة للأجهزة الأمنية الصهيونية يضرب الطاولة بغضب شديد، مطالبا بتفسيرات واضحة حول الكيفية التى استطاع المهندس خلالها أن يتجاوز آلاف المخبرين الصهاينة الذين كانوا يطاردونه وتضليل أجهزة الأمن الصهيونية.

رابعا: جهاد، نصر أو استشهاد:

البعد الآخر فى شخصية يحيى عياش أو المهندس يتمثل فى إصراره على مواصلة العمل والنشاط واستعداده الدائم للاستشهاد والموت فى سبيل الله ورفض الخروج أو الهرب خارج فلسطين المحتلة على الرغم من إمكانية ذلك . فالرجل الذى أرعب قيادات الاحتلال وجنوده ومستوطنيه وجعلهم يحفظون صورته عن ظهر قلب ويعلقونها فى مكاتبهم، كان يدرك أن لكل أجل كتابا، وكان هذا الإدراك بمثابة زاد لهذا المؤمن المجاهد على مواصلة الجهاد وتوريث خبرته وعلمه لإخوانه، ولهذا كان وجه يحيى يحمر غضبا حين يحدثه إخوانه عن مغادرة الوطن لفترة ويرد عليهم «مستحيل فقد نذرت نفسى لله ثم لهذا الدين إما نصر أو استشهاد، إن الحرب ضد الكيان الصهيونى يجب أن تستمر إلى أن يخرج اليهود من كل أرض فلسطين».

توقيت جريمة الاغتيال:

لنحو أربع سنوات وضع إسحق رابين - الذى تعامل مع المهندس بصفته خصمًا له ملف تصفية القائد القسامى على رأس أولويات حكومته السياسية والأمنية، ولكن

إحدى مفاجآت هذا الملف كانت فى مقتل رابين على أيدى متطرف يهودى قبل أن تتمكن أجهزة الاستخبارات الصهيونية من اغتيال المهندس، وبذلك أضيفت فضيحة أخرى لملفات تلك الأجهزة التى كانت تصورها الدعاية الصهيونية بأنها أجهزة خارقة تكتشف الأحداث قبل وقوعها وتستطيع الوصول إلى ما تريد بأقل جهد وأسرع وقت، وكان لاهتزاز ثقة الشارع الإسرائيلى بتلك الأجهزة آثارمقلقة على القيادات الأمنية والعسكرية، فلا هى تمكنت من حماية رئيس الوزراء وأهم شخصية لديهم، ولم تستطع القبض على عدوها الأول أو قتله وهو الذى أثار الهلع فى قلوب الصهاينة المحتلين، وللخروج من حالة انعدام الوزن الذى أوقف أجهزة الأمن الصهيونية على حوافرها، كان لابد من القيام بفعل خارق يعيد الاعتبار لتلك القيادات داخل المؤسسة السياسية والأمنية فى الدولة الصهيونية، ولعل هذا ما يفسر رفض شمعون بيرز استقالة الجنرال كارمى غيلون «رئيس الشاباك» إثر اغتيال رابين مباشرة ثم قبولها بعد يومين فقط من تنفيذ جريمة اغتيال المهندس.

وفى الوقت الذى اعتبرت فيه جريمة اغتيال المهندس سببًا فى إعادة الثقة فى أجهزة الأمن الصهيونية وتطمين الشارع الإسرائيلى بأن عدوه قد جرى التخلص منه وأن الانتقام قد نفذ ممن أراق الدم الصهيونى كما ردد قادة الاحتلال دائمًا، فإن هناك هدفًا لا يقل أهمية بل كان أكثر أهمية، وهذا الهدف يتمثل فى جعل المهندس عنوانا لمرحلة جديدة (لا مخربين فيها) خاصة أن اغتيال المهندس قد سبقه تصفية قادة عديدين مثل: فتحى الشقاقى، وهانى عابد، وكمال كحيل، وإبراهيم النفار، ومحمود الخواجا، وغيرهم. وعليه كان ثمة رسالة صهيونية خلف جريمة اغتيال المهندس خلاصتها أن زمن الفدائيين والأبطال قد انتهى وهذا هو زمن القبول بإسرائيل والتعامل معها بواقعية.

وعلى الرغم مما روجت له سلطات الاحتلال الصهيونية، فإن هناك كثيرين فى الجانب الصهيونى لم يكونوا مقتنعين بأن اغتيال المهندس سيوقف الجهاد والمقاومة وينهى الكفاح المسلح.

وعلى الصعيد الفلسطينى فإن جريمة الاغتيال أعطت حركة المقاومة الإسلامية حماس فرصة لاستعادة نشاطها العسكرى، فالصهاينة هم المعتدون وهم الذين صعدوا

الاغتيال فى غزة ، وانطلاقا من كل ذلك فإن معسكر المقاومة قد ربح برغم الخسارة الكبيرة بفقدان الشهيد ولعل تنفيذ تلاميذ المهندس للعمليات الاستشهادية الأربع خلال فترة زمنية قصيرة «عشرة أيام» يعد تأكيدا لما سبق رغم قسوة الظروف التى مرت بها تنفيذ تلك العمليات .

أهم العمليات التى تنسب للمهندس الشهيد يحيى عياش:

عبقرية القائد «يحيى عياش» نقلت المعركة إلى قلب المناطق الآمنة التى يدّعى الإسرائيليون أن أجهزتهم الأمنية تسيطر فيها على الوضع تمامًا ؛ فبعد العمليات المتعددة التى نُفذت ضد مراكز الاحتلال والدوريات العسكرية نفذ مقاتلو حماس بتخطيط من قائدهم عياش عددًا من العمليات أهمها:

* ٦ نيسان ١٩٩٤ : الشهيد «رائد زكارنة» يفجر سيارة مفخخة قرب حافلة صهيونية فى مدينة العفولة ؛ مما أدى إلى مقتل ثمانية صهاينة ، وجرح ما لا يقل عن ثلاثين ، وقالت حماس: إن الهجوم هو ردها الأول على مذبحة المصلين فى المسجد الإبراهيمى فى مدينة الخليل .

* ١٣ نيسان ١٩٩٤ : مقاتل آخر من حركة «حماس» هو الشهيد عمار عمارنة يفجر شحنة ناسفة ثبتها على جسمه داخل حافلة صهيونية فى مدينة الخضيرة داخل الخط الأخضر ؛ مما أدى إلى مقتل ٥ صهاينة وجرح العشرات .

* ١٩ تشرين أول(أكتوبر) ١٩٩٤ : الشهيد صالح نزال -وهو مقاتل فى كتائب الشهيد عز الدين القسام- يفجر نفسه داخل حافلة ركاب صهيونية فى شارع «ديزنغوف» فى مدينة تل أبيب ؛ مما أدى إلى مقتل ٢٢ صهيونيًا وجرح ما لا يقل عن ٤٠ آخرين .

* ٢٥ كانون أول (ديسمبر)١٩٩٤ : الشهيد أسامة راضى -وهو شرطى فلسطينى وعضو سرى فى مجموعات القسام- يفجر نفسه قرب حافلة تقل جنودًا فى سلاح الجو الصهيونى فى القدس ، ويجرح ١٣ جنديًا .

* ٢٢ كانون ثان (يناير)١٩٩٥ : مقاتلان فلسطينيان يفجران نفسيهما فى محطة للعسكريين الصهاينة فى منطقة بيت ليد قرب نتانيا ؛ مما أدى إلى مقتل ٢٣ جنديًا

صهيونيًا، وجرح أربعين آخرين فى هجوم وُصف أنه الأقوى من نوعه، وقالت المصادر العسكرية الصهيونية: إن التحقيقات تشير إلى وجود بصمات المهندس فى تركيب العبوات الناسفة.

* ٩ نيسان (أبريل)١٩٩٥: حركتا حماس والجهاد الإسلامى تنفذان هجومين استشهاديين ضد مواطنين يهود فى قطاع غزة؛ مما أدى إلى مقتل ٧ مستوطنين ردًا على جريمة الاستخبارات الصهيونية فى تفجير منزل فى حى الشيخ رضوان فى غزة، أدى إلى استشهاد نحو خمسة فلسطينيين، وبينهم الشهيد «كمال كحيل» أحد قادة مجموعات القسام ومساعد له.

* ٢٤ تموز (يوليو)١٩٩٥: مقاتل استشهادى من مجموعات تلاميذ المهندس «يحيى عياش» التابعة لكتائب الشهيد «عز الدين القسام» يفجر شحنة ناسفة ثبتها على جسمه داخل حافلة ركاب صهيونية فى «رامات غان» بالقرب من تل أبيب؛ مما أدى إلى مصرع ٦ صهاينة وجرح ٣٣ آخرين.

* ٢١ آب (أغسطس)١٩٩٥: هجوم استشهادى آخر استهدف حافلة صهيونية للركاب فى حى رامات أشكول فى مدينة القدس المحتلة؛ مما أسفر عن مقتل ٥ صهاينة، وإصابة أكثر من ١٠٠ آخرين بجروح، وقد أعلن تلاميذ المهندس يحيى عياش مسؤوليتهم عن الهجوم.

مجموع ما قُتل بيد «المهندس» وتلاميذه ست وسبعون إسرائيليًا، وجرح ما يزيد على أربعمائة آخرين.

مماقيل فى عياش من شعر:

أنبتت غابة الجهاد رماحا	وزرعنا سماءها أرواحا
قد زرعنا فى كل شبر شهيدا	وسقينا من الدماء البطاحا
وإذا الظلم والظلام تمادى	أطلع الحق فى ربانا الصّباحا
وإذا دعوة الجهاد تعالت	اتخذ الدين عدة وسلاحا
شعبنا زاحف يخوض المنايا	يملأ الأرض ثورة وكفاحا

كلما زفّ للجنان شهيد	ملأ النور قلبها أفراحا
أزلفت جنة الخلود وراحت	تمنح الكون عطرها الفوّاحا
فتية الحق يعشقون المنايا	لا يهابون فى اللقاء جراحا
وإذا سال فى الجهاد نجيعٌ	جعلوه على الصدور وشاحا
لن تنالوا الرقى من غير	جهادٍ ولن تنالوا النجاحا
وإذا رمتم من المجد حظا	فمن الدين أوقدوا المصباحا

من العراق... مهداة إلى روح الشهيد يحيى عياش!

لك المجد

شعر: رافع آل جعفر

يموتُ الخانعون وأنت حىّ	وتخلد أيها الرجل الأبىُّ
وتنهارُ العروش وسوف يبقى	على الأيام منبَرُكَ العلىُّ
ويهوى فى مهاوى الخزى علجٌ	لبان الذل فى فمه شهىُّ
صَمَتٌ فكنت أبلغهم مقالاً	وراوغ عاسراً فعراهُ عىُّ
مَنَحتَ الأرض روحَك يوم ضنّوا	وشتان الأشحة والسخىُّ
وما موت الرجال نزول رمس	ولكن موتهم ذل وغىُّ
وليس بضائر يحويك قبرٌ	وذكرك عاطرٌ عبقٌ شَذىُّ
فلم يهن الركاز ببطن أرضٍ	ولم يُكرم وإن ظهر الردىُّ
ويمكثُ تحتَ قعر البحر درٌّ	ويطفو فوقه الزبد العفىُّ
سموت فكان قبرك مستنارا	ينير الدرب فيه فتى عصىُّ
جرىء لم تنل منه الرزايا	حصيف زانه عقل ذكىُّ
عصى دونه البارود لكن	لإخوان الصفا قلب رضىُّ
أحال نهار صهيون ظلامًا	فما عرف الرقاد بهم نجىُّ

ولم يسمر بناديهم سمير ... ولم يحفل بمجلسهم حفىٌّ

وصيَّر أفقهم ناراً تلظّى ... فآخر طبٍّ هذا الناس كيٌّ

أعرنى من شهابك بعض ورد ... فبعض النار للظمآن ريٌّ

وبعض الماء للصادين موتٌ ... إذا أغراهمُ العيشُ الرزيٌّ

ومن قدْحِ الزناد يجىء فتحٌ ... ومن إرعاد ينثالُ فىءٌ

لك المجد الذى من قبل أرسى ... دعائمه على الوحى النبىٌّ

وخطّ له الشهادة درب عزّ ... بها يحمى الحمى بطل كمىٌّ

فلست بأول الفادين نفسًا ... ولست بآخر ينعى نعىٌّ

ففى محرابه الفاروق أودى ... وفى محرابه أودى علىٌّ

وقبلهما وبعدهما تهادَت ... مواكب للجنان لها دوىٌّ

ويبقى النبع دفّاقًا وتبقى ... سرايا الركب يحدوها سرىٌّ

وتبقى راية الإسلام تعلو ... ويبقى يُنجب الرّحم الزكىٌّ

***

يظن الخائبون الخلد قصراً ... وكرسيًّا يهيم به شقىٌّ

تُساقُ له الوصائفُ والجوارى ... ويسقيه الكلى كفٌّ بغىٌّ

ويحرسه من الإسقاط جمع ... ويحميه أخو خنع دنىٌّ

فيا عجلاً لإسرائيل أقصر ... فما ألوى بموسى السامرىٌّ

هزلت فبان معدنك الردى ... وشاه الوجه والكشف الخفىٌّ

توارت فى عصا يحيى حبالٌ ... لإسرائيل وابتُلعَت عصىٌّ

فطأطأ ساحرٌ وقضى غشومٌ ... ولان مكابر وهوى عتىٌّ

فداك أبا البراء دعاة سلم ... لئيم القصد لو يجدى خدىٌّ

فما ميتٌ به تحيا بلادُ ... وما حىٌّ به موتٌ حرىٌّ

هذا ومراثى الشعراء كثيرة فى عياش نكتفى منها بذلك .

رثاء زوجته له:

خصّت الأخت هيام عياش (أم البراء) زوجة الشهيد يحيى عياش مجلة (فلسطين المسلمة) بنشر الرسالة التى كتبتها فى وداع زوجها :

لن أقول وداعًا أبا البراء:

يا راحلاً عنا ووجه الشوق فى عينيه للضفة . . ومفارقًا ما ودّع الأحباب يومًا بل أودع الزيتون قلبه . . ومصليًا لله من قبل أن يسرج خيله ، شد الرحال يحيى عياش طابَ الاستشهاد رحله . . . قسما سنوقد من دمائك ألف يحيى ألف شعلة . . بكتك فلسطين يا يحيى وبكاك أطفالها ونساؤها وشيوخها ، بكتك الخليل وأرامل الخليل وأيتامهم ، بكاك بحر غزة يوم توقف لحظات حداداً على البطل . بكتك شوارع غزة وتراب الضفة وتراب فلسطين كلها الذى مشيت عليه وأبيت مغادرته . لا . . . لا . . . لن تموت بل ستبقى حيا فى قلوبنا وفى قلب كل من عرفك وعاش معك وسمع عنك ومن كان معك فى الجهاد ، لا لن نبكيك بل ستبقى ذكراك العطرة وعملياتك الاستشهادية وسياراتك المفخخة تشهد بأنك البطل والأب والمجاهد ونعم جند الكتائب .

إن سألتمونى عنه «أبو البراء» فماذا أقول ؟ والله إن كل الكلمات لتعجز عن وصفه ، ولو تركنا طول العمر نكتب عنك ما وفيناك حقك ، يقولون كيف بدا ؟ وكيف عاش ؟ وكيف نشأ ؟ تساؤلات كثيرة فى الأذهان حول هذا القائد المغوار الذى أرعب اليهود وأذاقهم مر العلقم ، جعل رابين لا يعرف للنوم طعما ولا راحة ، تحدى جيشا بأكمله وعلى رأسهم رابين الذى قال أريد أن أقتل يحيى عياش بيدى ، ولكنه والحمد لله خاب أمله فقد مات بحسرته وفرح أبو البراء بمقتله .

نشأ منذ طفولته وتميزت نشأته بالهدوء ، والإيمان القوى الذى ألهمه الله إياه منذ نعومة أظفاره ، حيث نما وترعرع فى المساجد ورضع لبن العزة والكرامة وأبى الذل ونفر من الدنيا ومتاعها ، وبعد أن حصل على الثانوية توجه لإكمال دراسته الجامعية فى بيرزيت حيث درس الهندسة الكهربائية ، ومنذ دخوله للجامعة حمل على كتفه الأمانة الثقيلة وهى تحرير الأقصى ونيل الشهادة فى سبيل الله حيث كنت أقرأ فى دفاتره دائما هذه الكلمات:

أماه ديني قد دعاني للجهاد وللفدا   أمـــاه إني زاحف للخلد لن أترددا

أمـــاه لا تبكي علي إذا سقطت ممدداً   فالموت ليس يخيفني ومناي أن أستشهدا

رغم أنه كان قليل الكلام، كثير الصمت، يحمل في داخله حملا ثقيلا وأراد أن يجعل من علمه أداة لتفجير بني صهيون، عمل الكثير الكثير وسيّجه بسياج هو الصمت، حتى انفجرت القنبلة التي عرفت الناس به، وأصبح مطاردا من قبل بني صهيون وأعوانهم في سنة ١٩٩٣م، ومنذ ذلك الوقت أصبح مطاردًا حيث ابتعد عن البيت ووهب حياته للجهاد وحمل السلاح على عاتقه، وعندما نتحدث عن عملياته نقول: ماذا تبقى لأم فقدت ابنا: وزوجه فقدت زوجًا: وطفلا فقد أباه ؟ سوى التلذذ بلحظات الانتصار التي يقوم بها بطلنا يحيى عياش في معركة ضد جيش يفوقه عدداً وعدة، حيث شفى غليل الصدور، ومسح دموع الأرامل في فلسطين عامة، والخليل خاصة، فلقد ثأر لهم في مجزرة الخليل التي قام بها الصهاينة الذين قتلوا الركع السجود في شهر رمضان وهم ساجدون مجردون من السلاح.

وعند الحديث عن عملياته فالكثير يشهد له، شارع ديزنكوف يشهد بالقتلى على أرضه وحطام الجثث المبعثرة من هول الانفجار، فقد كان لا يعرف للنوم طعمًا ولا راحة، فظل يجاهد في الضفة حتى ضاقت به الأرض بما رحبت مما اضطره للانتقال إلى غزة ليكمل مشواره الجهادي هناك، ولكن بعد مدة من الزمن أحس وكأنه في سجن، وقبل استشهاده بفترة اشتاق للرجوع إلى الضفة؛ اشتاق إلى الرحيل وكأنه أحس أن موعد رحيله إلى ربه قد آن . . . والله إنه قد تعب في دنياه وآن الأوان لأن يستريح من عناء الدنيا ليلقى الله والرسول وأصحابه.

كان أبو البراء مثالا للزوج الحنون والأب المثالي، فلقد عرفتموه مجاهداً، أما أنا فقد عرفته زوجا وأبا وبطلاً، لا يهمه هم الدنيا وزخرفها، وكان يشتاق إلى الشهادة، إنه لم يمت بل سيظل حيًا في قلوبنا، لن ننساك أيها القائد المجاهد وستبقى ذكراك ترعب اليهود، وتجدد العزيمة أيها القائد . . . «مسحت يا أبا البراء دموع اليتامى فمن يمسح دموع براء ويحيى، أسال الله أن يبعث فينا من يعوضك، قسما سنوقد من دمائك ألف يحيى وألف شعلة وإن العين لتدمع وإن القلب ليجزع وإنا على فراقك يا أبا البراء لمحزونون»

زوجتك / أم البراء

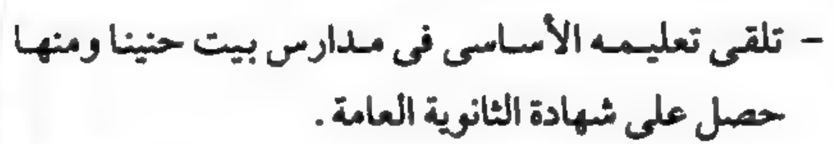


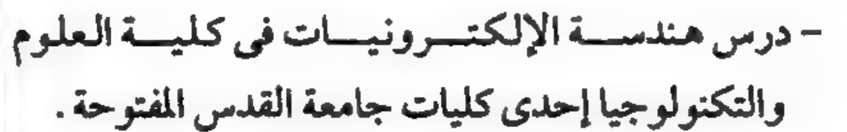
الشهيد محيى الدين الشريف

١٩٩٨/٣/٢٩م




- من مواليد بيت حنينا شمال القدس المحتلة عام ١٩٦٦م.


- تلقى تعليمه الأساسى فى مدارس بيت حنينا ومنها حصل على شهادة الثانوية العامة.


- درس هندسة الإلكترونيات فى كلية العلوم والتكنولوجيا إحدى كليات جامعة القدس المفتوحة.

- انتظم فى صفوف الحركة الإسلامية أثناء دراسته الجامعية.

- اعتقل لمدة سنتين فى بداية الانتفاضة، كما اعتقل لمدة عام ونصف عام ١٩٩١ بسبب إيوائه لمجاهدين من كتائب الشهيد عز الدين القسام.

- حاولت سلطات الاحتلال اعتقاله فى تموز (يوليو) ١٩٩٥، غير أنه نجح فى الإفلات من قوات الاحتلال، وأدرج منذ ذلك الحين على قائمة المطاردين.

- كان من أوائل المجاهدين فى صفوف المجموعات الاستشهادية التى شكلها الشهيد القائد يحيى عياش.

- عرف بشغفه وتفوقه فى المجالات العلمية وخاصة فى فرع الكهرباء.

- رافق الشهيد المهندس عياش طويلا وعملا معا فى الضفة الغربية وقطاع غزة ومنه تلقى علومه فى تركيب المتفجرات من مواد أولية قبل أن يطور نفسه أسلوبا شديد التعقيد حرم الصهاينة من معرفة المكونات الأصلية للعبوة بعد انفجارها، وقد استخدمت عبواته فى هجمات القدس الاستشهادية فى آب (أغسطس) أيلول (سبتمبر) العام ١٩٩٧.

- اعتبرته سلطات الاحتلال خليفة الشهيد عياش ومسؤولا مع المجاهد حسن سلامة عن ثلاث من هجمات الثأر له.

- هدمت سلطات الاحتلال أجزاءً من منزل عائلته انتقاما منه.

- عمل قبل اغتياله على تطوير أسلوب التفجير بواسطة جهاز التحكم عن بعد.

- وصفه قادة الشاباك الصهيونى بأنه قنبلة موقوتة لا تعرف متى ستنفجر، واعتبر المطلوب رقم (١) فى الضفة الغربية بعد عمليات الثأر ليحيى عياش.

- نجا من محاولة لاغتياله فى العام ١٩٩٦ عندما فتح عملاء لسلطة الاحتلال وأفراد من المستعربين النار على سيارة كان يستقلها، غير أنه تمكن من النجاة ومغادرة موقع الهجوم بأعجوبة.

- وصفه مناحيم كلاين الخبير فى شؤون المقاومة فى جامعة بار- إيلان بأنه خبير لا يعمل إلا ضمن دوائر ضيقة وصلب لا يتراجع عن قناعاته.

- يصفه الشاب مارك مينه وهو فلسطينى اعتقلته سلطات الاحتلال إبان الانتفاضة واحتجز مع الشريف فترة من الزمن بأنه رزين وحكيم وهادئ، كان لطيفا معى رغم كونى مسيحيا.

جهاده مع المهندس يحيى عياش:

- إقامة خمس خلايا عسكرية فى شرقى مدينة القدس خططت لتنفيذ هجوم استشهادى فى الجامعة العبرية وفى مخبز (انجل) بالشطر الغربى من المدينة المقدسة إلى جانب التخطيط لعمليات أسر جنود صهاينة من تل أبيب وحيفا واللد. كما خططت هذه الخلايا لاختطاف حافلة ركاب وإجراء مفاوضات لإطلاق سراح عدد من المعتقلين والأسرى فى سجون الاحتلال.

- انتقل إلى قطاع غزة فى النصف الأول من عام ١٩٩٥م، حيث تلقى تدريبات مكثفة على يد المهندس فى صناعة وتجهيز المتفجرات وتفخيخ السيارات.

- عاد إلى الضفة الغربية فى الأسبوع الأول من شهر يوليو (تموز) ١٩٩٥م حيث أقام قاعدة ارتكاز فى مدينة القدس.

- بناء على البرنامج الذى تلقاه من المهندس يحيى عياش، عمل محيى الدين على تجنيد الاستشهاديين لبيب عزام وسفيان جبارين.

- بالتعاون مع عبد الناصر عيسى، تم تنفيذ العمليتين الاستشهاديتين الأولى فى الحافلة رقم (٢٠) العاملة على خط رامات غان باتجاه تل أبيب بتاريخ ٢٤/ ٧/ ١٩٩٥م والثانية فى الحافلة رقم (٩) العاملة على خط رامات أشكول والمتجهة نحو مقر شرطة الاحتلال بتاريخ ٢١/ ٨/ ١٩٩٥م، واللتين أسفرتا عن مقتل (١٢) صهيونيًا وإصابة (١٣٩) آخرين.

- جند خلية من منطقة رام الله لتصفية الميجر جنرال دانى روتشيلد منسق شؤون الحكومة الصهيونية فى الضفة عبر نسف منزله فى مدينة القدس فى نهاية شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٥م.

- بعد استشهاد المهندس يحيى عياش انتقل للعمل مع محمد الضيف وعادل عوض الله.

جهاده مع محمد الضيف وعادل عوض الله:

- تنفيذ العمليات الاستشهادية الأربع فى القدس وعسقلان والقدس وتل أبيب انتقامًا للجريمة التى ارتكبها العدو باغتيال المهندس يحيى عياش. وقد أسفرت العمليات عن مقتل ٦٤ صهيونيًا وإصابة أكثر من (٣٧٣) آخرين وحولت المدن إلى مدن أشباح لما أحدثته من هلع ورعب.

- وفى منتصف شهر أيار/ مايو ١٩٩٦م حاولت مجموعة فدائية بأمر من الشهيد محيى الدين الشريف أسر جندى صهيونى فى مدينة القدس إلا أنه تمكن من الفرار من داخل السيارة.

- نظم مجموعة من المجاهدين فى ضواحى القدس الشرقية قامت بوضع عبوتين ناسفتين فى حاوية قرب موقف للحافلات بمدينة تل أبيب انفجرتا بفارق نحو عشر دقائق بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٩٧م مما أدى إلى إصابة نحو (١٦) صهيونيًا حسب اعتراف المتحدث باسم شرطة الاحتلال.

- جهز عبوات ناسفة قام المجاهد موسى عبد القادر غنيمات من صوريف بتفجيرها فى مقهى (ابروبوس) الكائن فى شارع بن جوريون فى حوالى الساعة الواحدة والنصف

من بعد ظهر يوم الجمعة ٢١ آذار/ مارس ١٩٩٧م مما أدى إلى مقتل (٣) صهاينة وإصابة نحو (٤٦) آخرين.

- خطط ونظم عملية سوق محنة يهودا بتاريخ ٣٠/ ٧/ ١٩٩٧م حيث قام اثنان من المجاهدين بتفجير العبوات التي يحملانها بفارق عدة ثوان عند مدخلي السوق الذي يعد أكبر مجمع تجاري في الجزء الغربي المحتل من مدينة القدس منذ عام ١٩٤٨م وهو من معاقل حركة كاخ الإرهابية وأسفرت العملية عن مقتل (١٧) صهيونيًا وجرح أكثر من (١٦٠) آخرين.

- لم تكن العملية الاستشهادية المزدوجة في سوق محنة يهودا سوى أول الغيث، حيث دوت ثلاثة انفجارات متتالية عند حوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس الموافق ٤/ ٩/ ١٩٩٧م في شارع بن يهودا بمدينة القدس اهتزت معها عقول وأفئدة الصهاينة، وقد أسفرت العملية - التي تحدثت أجهزة أمن الاحتلال بأن بصمات محيي الدين الشريف واضحة عليها - عن مقتل وإصابة (١٩٦) صهيونيًا.

- في ٢ أبريل، آلاف المشيعين يخرجون في جنازة القائد العسكري لحماس محيي الدين الشريف بعد مقتله. حماس تتهم إسرائيل باغتياله وإسرائيل تنفي تورطها.

- في ٦ أبريل، لجنة تحقيق من السلطة الفلسطينية تعلن أن محيي الدين الشريف المسؤول بحركة حماس قد قتل في نزاع داخلي على السلطة في حماس، وحركة حماس تنكر ذلك تمامًا وترفض نتائج التحقيق. وقد استشهد بتاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٩٨م.

ظهور معلومات جديدة حول هوية قاتل محيي الدين الشريف:

الفجر.. خاص

أثار تجدد الحديث مؤخراً عن نتائج التحقيقات التي أجرتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في قضية مقتل الأخ محيي الدين الشريف المعروف بـ(المهندس رقم ٢) أبرز قادة كتائب عز الدين القسام - الجناح العسكري لحركة حماس في شهر مارس ١٩٩٨، الجدل مجدداً حول هوية الجهة أو الجهات المتورطة في هذه العملية، ولعل أبرز ما جاء في هذا الشأن ما أشار إليه رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الأخ خالد مشعل في

برنامج بثته قناة الجزيرة الفضائية عن استكمال حركة حماس لهذه التحقيقات وتوصلها إلى هوية الجانى، وأن هذه النتائج قد عُممت على قيادات الحركة، ولكن فى الوقت نفسه رفض رئيس المكتب السياسى لحركة حماس تحديد الجهة المتورطة فى هذه العملية، واكتفى بالإشارة قائلاً إن القتلة يسمعوننى الآن !، مما أورد لدى بعض المتابعين احتمالاً بأن يكون هذا القاتل عربيًا وليس عبريًا، وأن إشارة خالد مشعل بعد ذلك إلى أن الجناة هم الصهاينة ومن لف لفهم هى محاولة للهروب من تأكيد الاتهام لجهة معينة.

وكانت (الفجر) قد تحصلت على معلومات مؤكدة بشأن نتائج التحقيقات التى توصلت إليها حركة حماس فى قضية مقتل الأخ محيى الدين الشريف، إذ أكدت مصادر مطلعة لـ(الفجر) أن النتائج النهائية التى توصلت إليها حركة حماس تشير إلى أن الأخ محيى الدين الشريف وقع قبل مقتله بمدة وجيزة أسيراً فى قبضة جهاز الأمن الوقائى التابع للسلطة الفلسطينية الذى يرأسه جبريل الرجوب، وأنه تعرض لتعذيب شديد - كعادة الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة- لم يستطع تحمل وطأته فلفظ أنفاسه بين يدى جلاديه (الفلسطينيين) هذه المرة، مما اضطر جهاز الأمن الوقائى إلى فبركة عملية انفجار السيارة بعد أن وضعت جثته - رحمه الله- داخلها وهى عارية تمامًا، لتتحول فى غضون ذلك إلى كتلة من اللهب وبعد ذلك عاد رجال الأمن الوقائى إلى مقارهم وكأن شيئًا لم يكن !

وقد توصلت حركة حماس إلى أنه لا توجد أدنى علاقة لأى من الأجهزة الأمنية اليهودية بهذه العملية، وأنها محض تصفية (فلسطينية)، ولذلك اتخذت قيادة الحركة قراراً صارمًا بعدم نشر نتائج التحقيق فى أوساط قواعد الحركة وكتائب عز الدين القسام بالأخص أو الرأى العام، ويرجع السبب فى ذلك إلى تخوف قيادة الحركة من ردود فعل قد تتخذها قواعد الجناح العسكرى للحركة وتستهدف فيها أيًا من رموز السلطة الفلسطينية، وبالأخص مسؤولى الأجهزة الأمنية وعلى رأسهم جبريل الرجوب، الأمر الذى تعتبره قيادة حماس خطًا أحمر ينبغى عدم تجاوزه، ومن ثم فهى لا تريد إعطاء المسوغات لأبنائها للقيام بمثل هذه الأعمال.

ومما يفسر هذا الأمر، الانتقادات الشديدة التى وجهتها قيادة الحركة إلى المدعو جبريل الرجوب، بل وطالبت ياسر عرفات بإقصائه عن موقعه فى مرات مختلفة، ويبدو أن حركة حماس تقف اليوم على مفترق الطرق، إذ بطيّها لملف هذه القضية تتناسى تلك الوعود الثأرية التى أطلقتها وشددت فيها على أن دم محيى الدين الشريف لن يذهب هدراً، وبصمتها هذه المرة تعطى هذا القاتل الجديد الفرصة ليعاود كرته مرة أخرى إذا كانت النتيجة أن تطوى الحركة ملف القضية إذا ثبت فى كل مرة أن الجانى فلسطينى الهوية.

بيان حركة حماس بشأن استشهاد محيى الدين الشريف:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

يا جماهير شعبنا الفلسطينى المجاهد..

لم يكن غريبًا أن تمتد يد الغدر الصهيونى الآثمة لتغتال المجاهد البطل محيى الدين الشريف، وهى التى تحاول كل يوم تصفية شعبنا بأكمله عبر تصفية قضيته المقدسة من خلال ما يسمى عملية السلام الكاذب.

إن جريمة اغتيال الشهيد القائد محيى الدين الشريف التى أضيفت إلى السجل الأسود للإرهاب الصهيونى لهى رسالة مفتوحة إلى كل المستسلمين والمهزومين، وإلى كل الواهمين فى السلام الأمريكى الصهيونى، بأن هذا الكيان اللقيط واللاشرعى لا يفهم إلا لغة الإرهاب والقوة. فهو بالقوة زرع وبالقوة يجب أن يقتلع من قلب أمتنا.

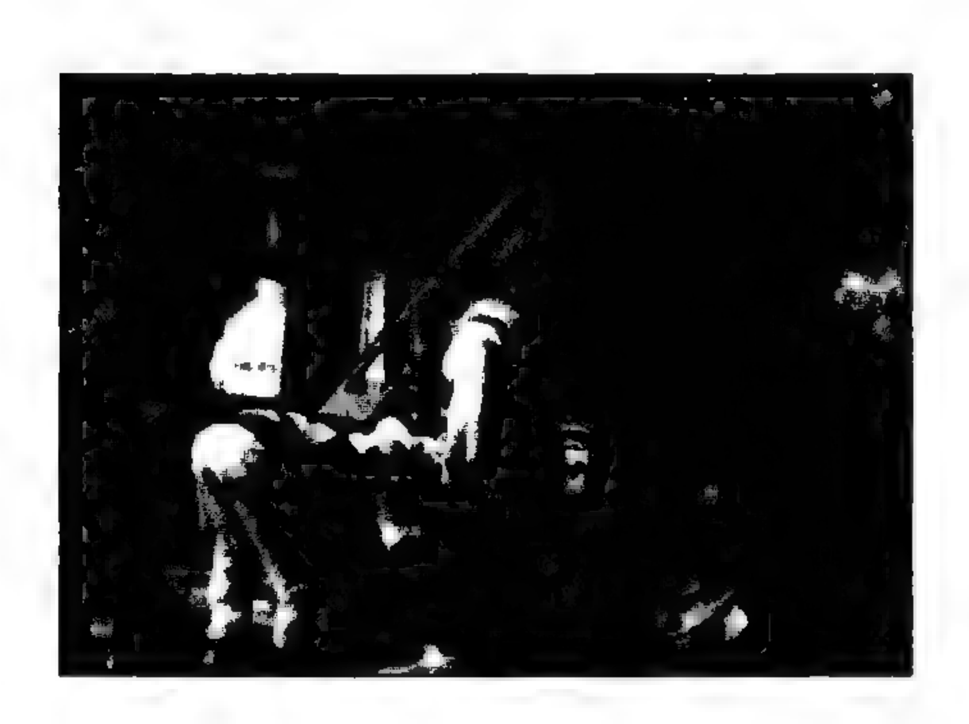
وإذا كان قادة العدو وحلفاؤهم يظنون أن اغتيال المجاهدين الأبطال سيوقف مسيرة الجهاد والمقاومة فإنهم واهمون. فدماء الشهداء الأطهار ستظل تروى أرض فلسطين فى كل بقعة منها حتى تتحرر وتعود لأهلها كاملة بإذن الله.

إننا إذ ندين هذه الجريمة الصهيونية النكراء التى وقعت فى منطقة تابعة شكلاً لسلطة الحكم الذاتى، نستنكر وبشدة موقف هذه السلطة التى تصر على استمرار المفاوضات

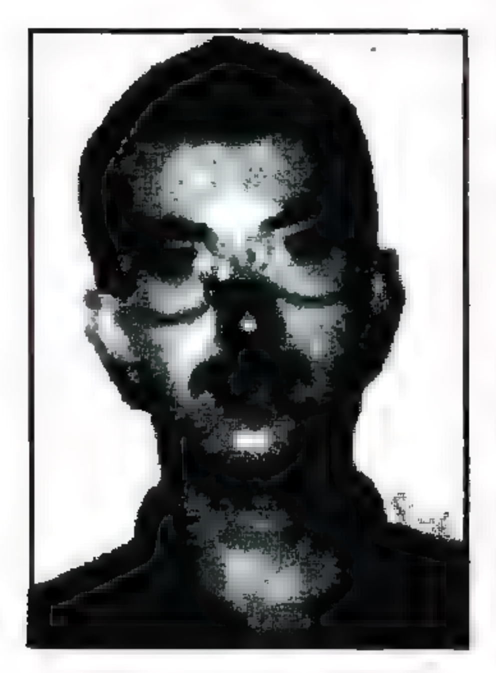
(المهزلة) مع العدو الصهيوني الذي يسلبنا الأرض والأمن ويلاحق شعبنا بالقتل على مرأى ومسمع من أجهزة أمن السلطة التي وضعت نفسها في خدمة أمن العدو .

إننا إذ نتقدم إلى جماهير شعبنا وأسرة الشهيد البطل وإلى إخواننا في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بالمباركة بالاستشهاد، فإننا نؤكد المضي معًا على طريق الجهاد والمقاومة حتى نيل كامل حقوقنا المشروعة، ولن يزيدنا القتل والإرهاب إلا عزيمة وإصراراً، على دفع ضريبة الدم والفداء حتى النصر .

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار. الموت للعدو الغاصب وعملائه. والله أكبر والعزة للإسلام.



الشهيد/ عماد حسن إبراهيم عقل (أبو حسين)



أن يترجل فارس من فلسطين فى ساحة الشرف ليس بالحدث الجديد، فلقد أصبح الاستشهاد على طريق الجهاد قدر الشعب الفلسطينى منذ أن اتخذ قراره بالدفاع عن دينه ووطنه وحريته.

وعندما يترجل الفارس المقدام عماد عقل - قلب الساحة التى لا تحتضن إلا الأبطال - نكون قد ازددنا اقترابًا من النصر والعزة، فالطريق لا يعبد إلا بدماء الشهداء ولا يضاء إلا ببطولتهم التى لا يضيرها خيانة خائن أو غدر منافق أو خذلان جبان. . . والله إنه ليصعب على القلم ويشق على بنانه أن يكتب بمداده عن مجاهد سقط على طريق الحق والإيمان شهيداً، فكيف بالحديث عن فارس مثل (عماد عقل) رمزاً وقائداً ومجاهداً ؟!

المولد والنشأة:

فى التاسع عشر من يونيو من عام ألف وتسعمائة وواحد وسبعين يطل (عماد حسن إبراهيم عقل) إلى الدنيا فى مخيم جباليا، وكان الوالد الذى يعمل مؤذنًا لمسجد الشهداء فى مخيم جباليا قد اختار لابنه الذى جاء ثالثًا بين الذكور هذا الاسم (عماد) تيمنًا بالقائد المسلم (عماد الدين زنكى) الذى قارع الصليبيين، فى الوقت الذى كانت كل القيادات متخاذلة.

نشأ (عماد) وتربى على طاعة الله فى هذا البيت المتدين الفخور بعقيدته، وبدا واضحًا منذ نعومة أظافره تمتعه بالذكاء والعبقرية، ولهذا صمم والده على أن يواصل مسيرته التعليمية حيث تفوقه بحصوله على مرتبة متقدمة بين الأوائل، وكما كان متوقعًا أحرز (الشهيد عماد عقل) الترتيب الأول على مستوى المدرسة وبيت حانون والمخيم فى شهادة الثانوية العامة (التوجيهى) بعد ذلك تقدم بأوراقه وشهاداته إلى معهد الأمل فى مدينة غزة لدراسة الصيدلة، إلا أنه ما إن أتم إجراءات التسجيل ودفع الرسوم المقررة

حتى وجد جنود الاحتلال يعتقلونه فى ٢٣/ ٩/ ١٩٨٨م ويقدمونه إلى المحكمة بتهمة الانتماء لحركة (حماس) والمشاركة فى فعاليات الانتفاضة المباركة.

عمّر الإيمان قلب (الشهيد عماد عقل) حيث تربى فى أحضان عائلته المتدينة والمساجد القريبة من مكان سكناه التى اعتاد ارتيادها منذ أن بلغ الثانية عشرة، وجد فى مسجد النور القريب من مدرسة الفالوجة ضالته، إذ عرفه أحد الإخوة الفضلاء على دعوة الإخوان وحبه للجهاد والاستشهاد، نما وترعرع فى رحاب المسجد ورضع لبن العزة والكرامة من خلال الدروس العلمية والتنظيمية والتعبوية حتى نضجت فى مشاعره جذوة الجهاد والاستشهاد واستوت على سوقها مع بدء الانتفاضة، ولقد تميز الشهيد رحمه الله بعمله الدؤب لما تتطلبه هذه المرحلة من ضرورة الوجود الإسلامى المكثف فى مخيم جباليا الذى كان يسمى فيما سبق مخيم الثورة لما للتنظيمات الأخرى من قوة ووجود فيه، فشارك إخوانه فى استنهاض همة الشباب وتجميع الصالحين منهم.

حب الجهاد والمقاومة:

واكبت حركة (عماد) ونشاطه وقوة حبه للجهاد وقتال اليهود اشتعال الانتفاضة الفلسطينية المباركة وتصاعد وتيرتها وامتدادها على طول رقعة الوطن المحتل، وما إن أطلقت (حركة الإخوان المسلمون) فى قطاع غزة لشبابها وأنصارها العنان لقيادة المظاهرات وتوجيه الجماهير منذ الثامن من كانون أول (ديسمبر) من عام ١٩٨٧م حتى تقدم الشهيد الصفوف مشكلاً المجموعات من الشباب المسلم فى المخيم لملاحقة جنود الاحتلال وقطعان المستوطنين الذين كانوا يعيثون فساداً وتخريباً.

كما شارك الشهيد رحمه الله فى كتابة الشعارات الجدارية ضد العدو الصهيونى، وعرف عنه ولعه الشديد بالمظاهرات والمسيرات الاحتجاجية، فشارك فى الكثير من فعاليات الانتفاضة ضمن مجموعات السواعد الرامية التى تكونت فى المخيم بعد انبثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس) جناحًا ضاربًا (لجماعة الإخوان المسلمين) فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

الاعتقال الأول والأخير:

وباعتقال مجموعة كبيرة من كوادر وشباب حماس فيما يسمى ضربة آب (أغسطس) ١٩٨٨، تعرض (عماد) وشقيقه (عادل) للاعتقال فى الثالث والعشرين من

أيلول (سبتمبر) من ذلك العام حيث أودع السجن ثمانية عشر شهراً إثر صدور الحكم عليه من محكمة عسكرية ظالمة بتهمة الانتماء لحركة حماس، والمشاركة فى فعالياتها وتكوين مجموعات مجاهدة وإلقاء زجاجات حارقة، وما إن خرج الشهيد رحمه الله من المعتقل فى آذار (مارس) ١٩٩٠ حتى عاد إليه مرة أخرى إذ وجهت إليه سلطات الاحتلال تهمة تجنيد أحد الشباب المجاهدين فى تنظيم حماس، فقضى الشهيد فى المعتقل هذه المرة شهراً آخر بعد أن تيقنت أجهزة المخابرات الإسرائيلية أنه اعترف فى المرة السابقة بالتهمة التى وجهت إليه.

خروج من السجن:

وخرج من السجن بعزم وتصميم لا يلين على مواصلة طريق الجهاد ونيل الشهادة فى سبيل الله حيث كان دائم الحديث عن جهاد (الرسول صلى الله عليه وسلم) وعن الشهادة والشهداء وبطولات (خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وصلاح الدين وسيف الدين قطز) وغيرهم من قادة الفتح الإسلامى، ولذلك لم يرق لشهيدنا البطل أن يظل مقتصراً فى جهاده على الحجر والمقلاع، بل راح يبحث عن درجة أعلى من ذلك، وعمّا يزيد من إلحاق الخسائر فى صفوف جنود الاحتلال والمستوطنين والعملاء وتجار المخدرات، فبدأ اتصالاته وتحركاته فور خروجه من المعتقل للالتحاق بالجهاز العسكرى لحركة حماس المعروف باسم (كتائب الشهيد عز الدين القسام) الذى يلبى رغباته وطموحاته العسكرية، فكان له ما أراد إذ أفرز فى مجموعة (الشهداء)، وهى من المجموعات الأساسية الأولى التى بدأت العمل فى المنطقة الشمالية من القطاع بملاحقة العملاء الخطرين وتصفية بعضهم، ثم اندمج تلقائيًا فى كتائب القسام ويدأ بممارسة مهامه الجهادية على أفضل ما يكون.

وعلى الرغم من وجود من هو أكبر منه سنًا وأقدم منه فى المرتبة التنظيمية، إلا أن ما يتمتع به الشهيد (عماد عقل) من ذكاء وفطنة وخفة حركة إلى جانب حذره واستعداده الدائم جعل قيادة الكتائب ومجاهدى المجموعة يختارونه ضابط اتصال لهم ينقل التعليمات والأوامر والخطط وكل ما يتعلق بشأن المجموعة من وإلى القيادة.

وراح المجاهدون من حماس يصوبون سكاكينهم وخناجرهم إلى صدور المجرمين الساقطين فى شباك العمالة والخيانة بتخطيط متقن وعمليات نوعية جريئة أثارت جنون

اليهود ورفعت لواء عز الدين القسام فى عزة وإباء، فقد كانت المجموعة تخطف العميل وتحقق معه مستفيدة مما لديه من معلومات ومسجلة اعترافاته على أشرطة تسجيل كوثائق للإدانة وأدلة لا يمكن إنكارها، ثم تنفذ فيه حكم الله إذا رفض التوبة، وكان لهذه العمليات الناجحة وقع بالغ عند الجماهير لما لها من أثر واضح فى تطهير المجتمع من العناصر الفاسدة التى سممتها المخابرات الإسرائيلية، وظل الناس يتابعون فى شغف عمليات الكتائب التطهيرية فى غزة وجباليا والشيخ رضوان ومخيم الشاطئ، وكم كان استغرابهم عندما يسارعون إلى مكان الاختطاف أو إعدام العميل إن كان من الخطرين أو المعروفين بشكل جلى لا لبس فيه، فلا يجدون المجاهدين وكأنهم تبخروا فى الجو.

رحلة المطاردة:

فى ليلة معتمة كان المجاهدان مجدى حماد ومحسن العايدى على موعد مع القدر، فقد وقع المجاهدان فى الأسر أثناء محاولتهما عبور خط الحدود الدولية بين فلسطين المحتلة ومصر بالقرب من مدينة رفح فى السادس والعشرين من كانون أول (ديسمبر) ١٩٩١، ليرسلا فوراً إلى قلعة الأبطال (سجن سرايا غزة) حيث يمارس التعذيب البشع والحرب النفسية والإرهابية ضد المجاهدين البطلين حتى تبدأ الصفحة المختفية فى الظهور وتبرز الكلمات والخطوط والأسماء أمام عيون الجلادين الصهاينة، فاضطر المجاهد مجدى تحت هذا التعذيب إلى الكشف عن أسماء أعضاء مجموعة (الشهداء) التى كان عضواً فيها، منذ ذلك التاريخ أصبح شهيدنا البطل مطلوباً لقوات الاحتلال وأجهزة مخابراتها ووحداتها الخاصة والمستعربة.

لكن شهيدنا الذى هزم الخوف منذ أن بايع على الشهادة راح يواجه واقعه الجديد بشجاعة وإقدام، وإذا كان مجدى - فك الله أسره - قد اضطر إلى الاعتراف بأن (عماد عقل) هو ضابط اتصال المجموعة، فإن الشهيد القائد لم يرتعب ولم يضعف، بل زاده هذا الأمر شجاعة وفرض عليه فى نفس الوقت أن يظل على أهبة الاستعداد يحمل روحه على كفه وبندقيته على كتفه، فقد عزم على الجهاد حتى الشهادة ورفض أن ينسحب من الميدان ويخرج خارج الوطن وبقى وفياً لقسمه، إذ نقل عنه - رحمه الله - عند بداية مطاردته قوله: «من الآن فصاعداً فأنا مطارد للاحتلال وعليه سوف أذيقهم العلقم بإذن الله».

الانتقال إلى الضفة الغربية:

وأمام هذا الوضع الجديد، وحفاظًا على الإخوة المطاردين وتوفيراً للجهد المضنى فى توفير الملجأ، وتسهيل الحركة لهذه الأعداد تم التخطيط لخروج مطاردى (مجموعة الشهداء) من قطاع غزة والانتقال إلى الضفة الغربية حيث تم تشكيل الجهاز العسكرى لحركة حماس هناك وحمل أيضًا اسم (كتائب الشهيد عز الدين القسام) أسوة بما هو معمول به فى قطاع غزة.

وكذلك جاء اختيار مجموعة الشهداء الانتقال إلى الضفة الغربية اختياراً موفقًا، فقد خفف الانتقال العبء عن قطاع غزة من جانب وأعطى دفعة قوة للضفة الغربية بتكوين الخلايا المسلحة التابعة لكتائب القسام من جهة أخرى.

وقبل الانتقال مع مجموعة الشهداء إلى الضفة الغربية، لابد من الوقوف مع الحدث البارز فى سجل عماد عقل فى تلك الفترة، ألا وهو أول عملية عسكرية له ضد جنود الاحتلال، ففى الرابع من آيار (مايو) ١٩٩٢م أطلق عماد عقل رصاصه القسامى مستخدمًا بندقية كارلو جوستاف ضد قائد الشرطة فى قطاع غزة الجنرال (يوسيف آفنيبغد) بعد أن أوقعته المجموعة فى كمين نصبته له عند مفترق الشيخ (عجلين)، غير أن العملية لم تسفر إلا عن إصابة سيارة (الشاباك) المرافقة له.

انتقل الشهيد (عماد عقل) عن طريق حاجز إيرز وهو المعبر الوحيد الذى يربط قطاع غزة بفلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ إلى الضفة الغربية فى الثانى والعشرين من آيار (مايو) ١٩٩٢، واستقر فى مدينة القدس وما هى إلا أيام قليلة حتى تبع الشهيد إلى القدس وبنفس الطريقة بقية أفراد المجموعة حيث تم استئجار شقتين أخريين فى رام الله.

وبعد أن اكتمل عقد المجموعة تم ترتيب اتصال مجموعة الشهداء بمسؤول (كتائب عز الدين القسام) فى الضفة الغربية حيث طلبت المجموعة تزويدها بالسلاح الحديث.

ضربة صعبة:

وفى هذه الأثناء بدأت المجموعة التخطيط لتنفيذ عملية فى قلب مدينة القدس تكون بمثابة الثأر للمجزرة الوحشية التى ارتكبتها قوات حرس الحدود الصهيونى فى ساحة المسجد الأقصى، ولكن لا راد لقضاء الله وقدره، فقد تعرضت المجموعة لأكبر هزة

تصيبها بعد انتقالها للضفة الغربية، إذ اعتقل المجاهدون (محمد أبو العطايا، ومحمد أبو عايش ومحمد حرز) فى مساء يوم الأربعاء ٢٩ يوليو (تموز) ١٩٩٢ فى إحدى الشقق التى استأجرتها المجموعة فى رام الله بعد عمليات رصد مكثفة من قبل أجهزة المخابرات الإسرائيلية التى تفقدت أثر هؤلاء المجاهدين فى قطاع غزة، فكان لون بشرة (أبو عايش) واعتراف بعض الشباب فى القطاع عن وجودهم فى الضفة الغربية طرفى الخيط فى تكثيف عمليات المتابعة لهم فى الضفة الغربية.

انتقل (عماد عقل) وأخواه (طلال نصار وبشير حماد) إلى مدينة خليل الرحمن حيث تم تزويدهم بالأسلحة الرشاشة والمسدسات استعداداً لبدء مرحلة جديدة من جهاد المجموعة.

شهدت مدينة خليل الرحمن نهاية عهد مجموعة الشهداء موحدة عمل واحدة، إذ طلب من (عماد عقل) البقاء فى المدينة وتولى مسؤولية القائد العسكرى للعمليات فى منطقة الخليل فى حين نُقل الأخوان الآخران إلى مدينة نابلس لترتيب أوضاع المطاردين هناك، فضم الشهيد القائد عماد عقل بندقيته إليه وقبض عليها بكلتا يديه ليكتب قصة المجد والجهاد عبر خطوات القسام الأولى فى مدينة الخليل.

التخطيط لأسر جندى من جيش الاحتلال:

شكل موضوع تزايد أعداد المعتقلين من كتائب الشهيد عز الدين القسام إلى جانب الأعداد الكبيرة من معتقلى حركة المقاومة الإسلامية حماس وأجهزتها الأمنية والعسكرية وعلى رأسهم شيخ الانتفاضة المجاهد (أحمد ياسين)، وما يعانونه من تعذيب وظروف صحية واجتماعية ونفسية صعبة داخل المعتقلات والسجون الإسرائيلية، شكل ذلك هاجسًا سيطر على تفكير الشهيد منذ أن تولى مسؤلية العمليات فى منطقة الخليل، ولهذا الغرض شرع القائد (عماد عقل) بالتخطيط لأسر جندى من جيش الاحتلال الصهيونى أو أكثر واستخدام هؤلاء الأسرى كرهائن من أجل مبادلتهم بأبطال حماس وكتائب عز الدين القسام المعتقلين، فطلب من مساعديه فى وقت لاحق إيجاد مغارة كبيرة مناسبة فى التلال المجاورة لمدينة الخليل تصلح أن تكون مكانًا آمنًا حتى يمكن إخفاء الجنود الأسرى فيها.

وعندما تم ترتيب أمر المغارة، تم تدريب الشباب الذين تم فرزهم من بين صفوف نشطاء الحركة على السلاح وتنظيمهم فى إطار كتائب الشهيد عز الدين القسام باسم (مجموعة شهداء الأقصى)، وبهذه المجموعة المجاهدة، مضى الشهيد القائد فى ثبات وتفاعل رغم كثرة التبعات وجسامة التحديات ولسان حاله يصرخ: لن أترك أحفاد القردة والخنازير آمنين يعبثون ويفسدون، وإذا كان (عماد) قد تولى مسؤولية قيادة كتائب القسام فى مدينة الخليل وما يتبع هذه المسؤولية من إشراف على تجنيد المجاهدين وتدريبهم على استخدام الوسائل القتالية وإعدادهم للقيام بعمليات ضد قوات الاحتلال، إلا أن ذلك لم يَحُل دون مشاركته فى العمليات العسكرية الجريئة التى نفذتها مجموعة شهداء الأقصى تخطيطًا وتنفيذاً.

ففى الحادى والعشرين من تشرين أول (أكتوبر) ١٩٩٢ هاجمت مجموعة الشهيد القائد بالأسلحة الأوتوماتيكية سيارة (رينو ٥) عسكرية كانت تسير على طريق الظاهرية باتجاه مدينة الخليل حيث قامت السيارة التى أقلت (عماد) وإخوانه بتتبع السيارة العسكرية ومن ثم إطلاق النار من البنادق الرشاشة على السيارة بعد الاقتراب منها مما أدى إلى إصابة جميع ركابها بإصابات مختلفة، وبعد أربعة أيام من هذه العملية البطولية نفذ الشهيد القائد رحمه الله - بالاشتراك مع اثنين من إخوانه عمليته العسكرية الثانية فى منطقة الخليل والتى وصفها أحد ضباط القيادة فى جيش الاحتلال بأنها من أجرأ العمليات التى استهدفت المواقع العسكرية الإسرائيلية فى الضفة الغربية، إذ اقترب (عماد عقل وهارون ناصر الدين) من معسكر جيش الاحتلال القريب من (الحرم الإبراهيمى الشريف)، وعلى بُعد ثلاثين متراً من الجنديين اللذين كانا يتوليان الحراسة بدأ البطلان بإطلاق النار من أسلحتهما الرشاشة دون أن يتمكن جنود الاحتلال من الرد عليهما أو تعقبهما عند انسحابهما فى السيارة التى كانت تنتظرهما، وقد اعترف الناطق العسكرى الإسرائيلى فى وقت لاحق بمقتل ضابط صف لم تنقذه واقية الرصاص التى كان يرتديها فى حين أصيب الجندى الثانى بجروح خطيرة.

فى ضوء هذا النشاط الملحوظ الذى طرأ فى الضفة الغربية ومنطقة الخليل بالذات فى أعقاب سلسلة العمليات العسكرية الناجحة (لكتائب الشهيد عز الدين القسام)، نشطت فرق جهاز المخابرات الإسرائيلية (الشاباك) وعملاؤه فى تحركاتهم السرية فى

محاولة لكشف سر المجموعة التى نفذت هذه العمليات التى وجهت بشكل خاص ضد جنود ودوريات الجيش وجعلت قيادة الاحتلال تعيد النظر فى تقليص حجم القوات الإسرائيلية المنتشرة هناك، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل، وذهبت جهود ضباط الشاباك - الذين نشروا عملاءَهم بين الجماهير لعلها تأتى بخيط يقود إلى مجموعة (شهداء الأقصى) - سدى واستمر الشهيد القائد رحمه الله ماضيًا فى جهاده المبارك ينظم ويدرب ويخطط فى همة وحيوية وتفاعل ممتشقًا سلاحه ومتعلاً حذاءه الرياضى باستمرار ومتابعًا لتحركات العدو ودورياته أولاً بأول. وفيما هو كذلك جاء قضاء الله وقدره بأن يبدأ العد التنازلى لإقامة الشهيد القائد فى مدينة (خليل الرحمن) التى أحبه أهلها وشبابها ممن عرفوه والتقوا به أو سمعوا أحاديثه عن الجهاد وهو يضرب كفًا بكف مكزًا على أسنانه تعبيراً عن الغيظ والحقد الذى يكنه لليهود المحتلين مع حملة الاعتقالات الكبيرة التى استهدفت بشكل أساسى القبض على النواة الصلبة لحركة حماس فى المدينة بشكل عام، واشتد الخناق أكثر على مجموعة (شهداء الأقصى) إثر توصّل المحققين الصهاينة إلى أحد مجاهدى كتائب القسام، فانكشف سر المجموعة واعتقل عدد من مجاهديها فى حين تمكن عدد آخر من الاختباء عن أعين ضباط الشاباك والالتحاق بركب المطاردين.

أسفرت التحقيقات التى أجراها جهاز الشاباك بالتعاون مع جيش الاحتلال عن الكشف عن علاقة القائد عماد عقل بمجموعات الخليل ودوره ضمن البناء الهيكلى والتنظيمى للجهاز العسكرى فى حركة حماس بالضفة الغربية مما جعل إقامته صعبة للغاية.

من الخليل.. عودة إلى غزة:

غادر شهيدنا البطل مدينة خليل الرحمن فى الثالث والعشرين من تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩٩٢م، متجهًا إلى قطاع العز والكرامة حيث استطاع اجتياز كافة الحواجز العسكرية ونقاط التفتيش التى أقامها جيش الاحتلال ودخل عبر بوابة حاجز إيرز الذى يربط القطاع بالمناطق المحتلة عام ١٩٤٨ متخفيًا فى زى مستوطن يهودى، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على جرأة وشجاعة منقطعة النظير، ناهيك عن مقدرة فائقة على التأقلم وسرعة البديهة.

لم يكن الوضع فى قطاع غزة بأخف وطأة على الشهيد القائد وإخوانه المطاردين، فقد اشتدت الإجراءات الصهيونية وازدادت قساوة فى مختلف مدن وقرى ومخيمات القطاع مع التصعيد الجهادى المتميز لكتائب الشهيد عز الدين القسام.

رابين يساوم...!!!

بعد أن فشلت أجهزة المخابرات الصهيونية فى الوصول إلى جنرال حماس وتصفيته لجأت إلى أسلوب آخر وهو المساومة، حيث إن رئيس الوزراء الصهيونى رابين اتصل بأهله وعرض عليهم أن يخرج عماد إلى مصر أو الأردن بسلام على أن يعود بعد ثلاث سنوات دون أن يقدم إلى المحاكمة، فرد بطل الإسلام عماد بقولته «إن رابين لا يستطيع أن يمنع شابا قرر أن يموت» وهكذا أخذ عماد بندقيته وانتظر فى ليلة الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٩٢ على مدخل حى الشيخ رضوان فى غزة ليردى برصاصه جنديا صهيونيا، وبعدها بشهر كان يربض أمام مفرق الشجاعية فى مدينة غزة ليصرع ثلاثة من الجنود بينهم ضابط كبير، وفى نفس المفرق وبعد حوالى شهر استطاع أن يصيب اثنين من جنود الصهاينة وفى شهر مارس كانت رصاصاته تخترق أجساد ثلاثة من جنود الاحتلال فى جباليا، وغرب الشيخ رضوان عند منطقة السودانية كان عماد هناك وذلك فى ٢٠/ ٣/ ١٩٩٣م ليصرع ثلاثة من جنود الاحتلال، ثم قفز إلى حى الزيتون ليقتل ثلاثة آخرين، ثم كان فى الخليل ليصرع جنديًا ويجرح آخر. وهكذا نفذ عماد خلال سنتين من المطاردة أكثر من ٤٠ عملية منها إطلاق نار على الجنود والمستوطنين وخطف العملاء والتحقيق معهم وقتل العديد منهم.

الخروج إلى مصر:

ومع ازدياد الضغط الذى يشكله وجود عشرات المطاردين دون أن يكون فى مقدور مسؤوليهم توفير الملجأ الآمن فى أعقاب سياسة تدمير المنازل، حينها طلبت (قيادة كتائب الشهيد عز الدين القسام) من عدد كبير من هؤلاء المطاردين الاستعداد لمغادرة القطاع وعبور الحدود باتجاه مصر، حيث بدأ المجاهدون المطاردون بالخروج على شكل مجموعات صغيرة، وعندما جاء الدور على الشهيد (عماد عقل) اعتذر عن الخروج بإصرار، فقد كان رحمه الله عازمًا على الجهاد حتى الشهادة، فرفض أن ينسحب من الميدان أو أن يخرج مغادرًا الوطن الذى يحبه دون أن يقاتل حتى الرمق الأخير.

وبقى وفيًا لقسمه، قسم المؤمنين بالجهاد حلاً وحيدًا لتحرير كل فلسطين.. حتى أكرمه الله بالشهادة، ومما قاله لمسؤوليه الذين عرضوا عليه الخروج تلك العبارة الخالدة: «سأبقى فى فلسطين حتى أنال الشهادة وأدخل الجنة، هذا جهاد نصر أو استشهاد»، وهذه إحصائية بالعمليات التى نفذها الشهيد عماد عقل:

خسائر العدو البشرية (حسب مصادر العدو)	الموقع	التاريخ
تحطيم سيارة مخابرات وإصابة ركابها	الشيخ عجلين - غزة	١٩٩٢/٤/٥
أربعة جرحى بينهم ضابطة	منطقة الحاووز - الخليل	١٩٩٢/١٠/٢١
مقتل جندي وجرح آخر	موقع عسكري - الخليل	١٩٩٢/١٠/٢٥
مقتل جندي	الشيخ رضوان - غزة	١٩٩٢/١١/٢٥
ثلاثة قتلى بينهم ضابط	طريق الشجاعية بيت لاهيا	١٩٩٢/١٢/٧
جريحان	مفترق الشجاعية - غزة	١٩٩٣/٢/١٢
أربعة جرحى	الطريق الشرقي للشجاعية-غزة	١٩٩٣/٣/١٢
ثلاثة قتلى وأربعة جرحى	مقبرة الشهداء - جباليا	١٩٩٣/٣/٢٠
سبع إصابات	غرب الشيخ رضوان - غزة	١٩٩٣/٥/٢٨
غير محدد	حي قرقش (المشاهرة) -غزة	١٩٩٣/٥/٣٠
ثلاثة قتلى	حي الزيتون - غزة	١٩٩٣/٩/١٢
جريحان	بيت لاهيا	١٩٩٣/١٠/١٩

إن دراسة العمليات العسكرية الجريئة والنوعية التى نفذها الشهيد خلال تلك الفترة تعطى فكرة عن هذا البطل الذى لفت أنظار الأعداء قبل الأصدقاء بنوعية عملياته وشجاعته التى قلما نجد مثيلاً لها، ليسطر تاريخًا مديدًا من الجهاد والمقاومة.

فمن الملاحظ خلال النظر فى قائمة العمليات والكمائن التى نفذها أن الشهيد كان يتميز بالحذر والاستعداد الدائم حيث كان كثير التنقل ولا يستقر فى مكان واحد لأكثر من ثلاثة أيام، وفى أثناء ذلك يكون مستعدًا للتحرك، يخطط لعملياته جيدًا ثم يتوكل على الله، فأحبه الناس ودعوا له، مما كان له الأثر البالغ فى إنقاذه من كمائن كثيرة نصبتها له الوحدات الخاصة والمستعدة لإلقاء القبض عليه.

مضى على مطاردة القوات الإسرائيلية للقائد (عماد عقل) أكثر من سنتين، ظل خلالهما شهيدنا رحمه الله يجوب الضفة الغربية وقطاع غزة بحثًا عن (الذئاب) الإسرائيلية من جيش وشرطة وحرس حدود.

موعد مع الشهادة:

لبى شهيدنا البطل الذى كان صائمًا فى ذلك اليوم، طلب بعض الشباب أن يتناول طعام الإفطار معهم فى بيت لآل فرحات بجانب سوق الجمعة ومسجد الإصلاح بحى الشجاعية بمدينة غزة، وبعد تناوله الإفطار بمدة نصف ساعة، أى فى الساعة الخامسة والربع من مساء الأربعاء الموافق ٢٤ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٩٣، والذى يصادف الذكرى الرابعة لاستشهاد الشيخ (عبد الله عزام)، وبعد أربعة أيام من ذكرى استشهاد الشيخ (عز الدين القسام)، شعر البطل بأن المكان محاصر من قبل قوات كبيرة من الجيش وحرس الحدود لم يشهد لها سكان الشجاعية مثيلاً من قبل، حيث قدرت بأكثر من (٦٠) سيارة عسكرية من مختلف الأنواع والأحجام، إضافة لسيارة إسعاف عسكرية وسيارة لخبراء المتفجرات ومطاردة طائرة مروحية حلقــت فوق المكان إلى جانب عدد كبير من سيارات الوحدات الخاصة، وشمل الحصار العسكرى الذى شارك فيه المئات من الجنود الصهاينة وعدد من ضباط الاستخبارات بقيــادة قائد المنطقة الجنوبية كافة أنحاء المنطقة الشرقية من حى الشجاعية ومنطقة سوق الجمعة واعتلى العشــرات من هؤلاء الجنود أسطح المنازل المحيطة بالمنزل الذى تحصن فيه الشهيد القائــد.

وفيما بدت المنطقة أشبه بثكنة عسكرية حيث تواصل قدوم التعزيزات العسكرية أخذ أسطورة غزة بالانتقال من مكان إلى آخر باتجاه جنود الاحتلال، يروى أصحاب المنزل بأن الشهيد القائد قال: «حضر الآن موعد استشهادى»، ثم صعد بعدها إلى سطح المنزل وقام بأداء ركعتين لله تعالى، وفى هذه الأثناء كانت قوات الاحتلال التى فرضت منع التجول على تلك المنطقة تقوم بعملية تمشيط واسعة بحثًا عن المجاهدين الذين نجحوا فى الانسحاب والعودة إلى قاعدتهم، شملت البيارات المجاورة والعديد من المنازل، كما قصف جنود العدو منزل آل فرحات بالصواريخ المضادة للدبابات وأطلقوا النار بغزارة من أسلحتهم الرشاشة باتجاه المطارد الذى لم تحدد سلطات الاحتلال شخصيته حتى تلك اللحظة، فأصيب بطلنا وهو يصلى برصاصة فى ساقه، إلا أن تلك الإصابة لم تمنعه من القفز من أعلى المنزل باتجاه الأرض صارخًا الله أكبر وتبادل إطلاق النار مع جنود الاحتلال الذين يحاصرون المنزل حتى فاز بالشهادة، فقد أصابت إحدى

القذائف المضادة للدروع الشهيد ومزقت جسده أشلاء حيث كانت الإصابة مباشرة فى منطقة الرأس التى تناثرت إلى عدة قطع، لدرجة أن أجزاء من رأسه قد أزيلت وملامح وجهه الطاهر لم تعد تظهر على الإطلاق طبقًا لما رواه الشاب نضال فرحات (٢٤ عامًا) الذى قام بنقل جسد الشهيد خارج المنزل.

وإذا كان الرصاص قد نال من (عماد عقل) وفاز بالجنة التى عمل وسعى لها، فإن الشهيد القائد قد أحاط بجنود العدو قبل أن يتمكنوا منه وأوقع فيهم عدة إصابات.

خافو منه حيًا وشهيدًا !

خرج الشاب نضال فرحات أولاً، فبدأ ضباط الشاباك باستجوابه والتحقيق معه حول ما إذا كان يوجد مسلحون أم لا وسألوه عن الشخص الذى قتل فى الداخل ولماذا جاء إلى المنزل، ثم طلبوا منه أن يخرج جميع أهل البيت حيث تم اقتيادهم إلى مكان قريب من المنزل، وعندئذ، قال ضباط العدو للشاب نضال بأنهم لن يدخلوا المنزل حتى يدخل هو ويحضر لهم الجثة الموجودة فى الداخل، وبالفعل، حمل نضال الجثة ووضعها خارج المنزل أمام جنود العدو الذين لم يخفوا حقدهم الأعمى على الشهيد القائد الذى دوخهم حيًا وبعد استشهاده، فأخذوا يطلقون النار بغزارة على الجثة الطاهرة التى أصيبت مجددًا بحوالى (٧٠) رصاصة فى حين قام بعض المجرمين بطعنها عدة طعنات بالسكاكين.

وبعد إجبار نضال وشقيقيه وسام ومؤمن على خلع ما يستر النصف العلوى من إجسادهم وتقييدهم بالحبال، اقتحمت قوات الجيش الصهيونى المنزل وقامت بتفتيشه بصورة دقيقة والعبث بمحتوياته وحفر عدة أجزاء من أرضيته مما أحدث بالمنزل أضراراً بالغة، ولم تنته عمليات التمشيط والتحقيق مع أصحاب المنزل إلا فى الساعة العاشرة ليلاً حيث غادر عندها جنود الاحتلال المنطقة وهم يطلقون العيارات النارية من أسلحتهم الأوتوماتيكية فى الهواء تعبيراً عن فرحتهم بهذا الحدث العظيم، كما قام عدد منهم بالرقص فرحًا وطربًا لمقتل البطل القائد وأخذوا ينشدون (عماد.. عماد.. !!).

وسط مشاعر الغضب التى سادت الشارع الفلسطينى، أظهرت الجماهير فى حى الشجاعية مقدار الاحترام الذى تكنه لكتائب الشهيد عز الدين القسام وقائدها البطل

(عماد عقل) وجسدت الشجاعية موقفها بالفعل الجهادى اليومى وفى التصعيد الذى شهدته فعاليات الانتفاضة المباركة فى أعقاب الإعلان عن استشهاد القسامى، إلى جانب إطلاق اسم الشهيد على مدرسة فى الحى، ولعل التحدى الذى أظهره أهل الشجاعية للوجود العسكرى الإسرائيلى المكثف بتجميعهم الأجزاء التى تركها المجرمون على حائط وأرض المنزل من رأس الشهيد ودماغه وفمه ووضعها داخل علم فلسطين كتب فى وسطه عبارة (لا إله إلا الله) ودفن هذه الأشلاء فى إحدى مقابر الحى، كان تعبيراً صادقًا عما تكنه الشجاعية لشهيدنا حيث شارك نحو خمسة آلاف شخص يرفعون المصاحف إلى جانب نحو (٨٠٠) امرأة فلسطينية توافدن إلى المكان فى تشييع هذه الأشلاء ودفنها فى موكب مهيب يليق بحفيد القسام لتستقر رفاته الغالية الطاهرة فى المقبرة الشرقية.

ما إن بدأت أنباء استشهاد القائد (عماد عقل) بالانتشار حتى اندفعت الجماهير الفلسطينية الغاضبة نحو منزل الشهيد فى مخيم جباليا محطمة أوامر منع التجول التى حاولت سلطات الاحتلال فرضها بعد استشهاد البطل القسامى لعله يكون مجرد إشاعة قيلت أو أكذوبة من أكاذيب راديو العدو الصهيونى.

وبإعلان حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الحداد العام لمدة ثلاثة أيام فى كافة أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة، شهدت المدن والقرى والمخيمات تصعيداً نوعيًا فى فعاليات الانتفاضة المباركة باعتراف كل وسائل الإعلام العالمية وحتى الإسرائيلية.

وحسب هذا الاعتراف، فقد أعادت صور الانتفاضة المتجددة إلى الأذهان صور الانطلاقة فى أيامها الأولى، فإلى جانب الإضراب الشامل الذى عم الضفة والقطاع خلال أيام ٢٥، ٢٦، ٢٧ تشرين الثانى (نوفمبر) تلبية لدعوة حركتى حماس وفتح، غطت سماء القطاع سحابة سوداء من دخان الإطارات المشتعلة، وأغلقت المحال التجارية أبوابها وتوقفت حركة المواصلات ورفعت الأعلام السوداء وأغلق الشباب جميع الشوارع بالمتاريس والحواجز الحجرية وتعطلت الدراسة فى جميع المدارس والمعاهد والجامعات، وتكونت المسيرات العشوائية الحاشدة من جميع فئات الشعب واتجاهاته لتشارك فى عرس (عماد القسام) حيث انطلقت هتافات الجماهير أطفالاً ونساءً وشبابًا وشيوخًا تدوى فى سماء الوطن (نرفض السلام مع القتلة) بوحدة وطنية

حقيقية لم تشهدها فلسطين المحتلة منذ توقيع اتفاق أوسلو، وفيما ظهرت مجموعات المطاردين من كتائب الشهيد عز الدين القسام التابعة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) وصقور فتح مع إطلالة فجر الخامس والعشرين من تشرين الثانى (نوفمبر) تجوب الشوارع وهى تطلق النار فى الهواء تحية للشهيد القائد معلنة أن عماد عقل هو قائدها الأعلى، صدحت مكبرات الصوت فى المساجد بالقرآن الكريم، ودعت السكان إلى (ذبح اليهود) و(تصعيد مقاومتهم للجنود الإسرائيليين) و(إحراق الأرض تحت أقدام الغزاة الصهاينة)... وما هى إلا دقائق قليلة حتى تدفق مئات الشباب إلى الشوارع التى شهدت حربًا حقيقية بين الحجر والبندقية وتحول القطاع بأكمله إلى ساحة قتال تركز أعنفها فى مخيم جباليا وفى حى الشيخ رضوان ومخيم الشاطئ وحى الشجاعية، وترافقت هذه المصادمات التى جرت بين جماهير القطاع وجنود الاحتلال الذين جابوا الشوارع بدوريات عسكرية مكثفة وتمركز منهم فوق المبانى المرتفعة وعلى الطرقات والشوارع والمحاور الرئيسة، مع الإضراب الشامل الذى شل مدن الخليل وبيت لحم ورام الله وجنين، ونابلس والقدس حداداً على استشهاد (أسطورة غزة) حيث أغلقت المدارس والمؤسسات والمصانع والمتاجر أبوابها.

وجاب ملثمو حماس فى جميع أنحاء الضفة والقطاع يكتبون شعارات تنعى الشهيد القائد (عماد عقل) وتتعهد بالثأر والانتقام، وحال تساقط الأمطار فى بعض المناطق من اتساع رقعة المواجهات.

وقد عقبت الصحافة الفلسطينية والعربية والعالمية على هذا الحدث التاريخى.

وقد قامت الكاتبة الصحافية الإسرائيلية (عميرة هس) بجولة فى قطاع غزة سجلت خلالها ملاحظاتها وانطباعاتها حول الأجواء السائدة بعد استشهاد البطل (عماد عقل) برصاص جنود الاحتلال، قالت الكاتبة فى مقالة نشرتها صحيفة هاآرتس:

«لوح أحد الجنود المتمركزين فى حاجز إيرز بيده وهو يحمل البندقية، وأخذ يصرخ اكتبى.. اكتبى جولانى فى الميدان، وغزة فى غليان، وبعد ذلك دمدم بكلمات قائلاً: سوف نلقى القبض على (عماد عقل)، وسوف نريه ماذا سنفعل، ويبدو أن روح (عقل) قائد قوات (عز الدين القسام) فى القطاع ما تزال تحوم وتسيطر ليس فقط فوق

أجواء مخيم جباليا، حيث الأطفال يهاجمون الجنود بالحجارة وهم يهتفون كلنا عماد. . . كلنا عماد».

وقد أصدرت كافة القوى السياسية والفلسطينية بيانات نعى وتأبين للشهيد الأسطورة.

بيان حماس فى حادث الاستشهاد

وقد أصدرت حماس بيانها التأبينى الذى قالت فيه:

﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

القائد عماد عقل. . سيد الشهداء المظفر وفارس الميامين الأغر.

الله أكبر أيها النسر المحلق فى سماء فلسطين.

الله أكبر أيها الصقر الكاسر فى وطن الثورة والتحدى.

الله أكبر أيها الفارس الذى ترجل إلى عليين.

الله أكبر أيها البطل الذى أعيا الحياة، وما ناله نصب ولا وهن.

ما نبكيك حزنًا يا سيد الشهداء. . . بل نبكيك فرحًا وأنت من المصطفين الأخيار مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

رحماك يا ملحمة الشجاعة وسفر الرجولة والبسالة. . .

رحماك أيها القائد الذى دوخ العدو عقلاً وتخطيطًا وتنفيذًا. . .

رحماك أيها الثائر الذى جاب رحاب غزة وخانيونس وجباليا ورفح والخليل، مؤسسًا لقواعد المقاومة، ومدربًا لرجالها وقائدًا لبطولاتها فى وجه الصهاينة الغادرين، درس الدروس، وعبرة العبر، حفظتها الأجيال عنك يا سيد الشهداء المظفر: لن نلقى سلاحنا. . . سلاحنا بقاؤنا.

وبقاؤنا المقاومة، فاستبشر أيها المسجى بنور الإسلام، المجبول بتكبيرات الإله، الراقد على ثرى الوطن الذى أبيت مغادرته، (فزت ورب الكعبة).

هنيئًا لك شربة الفوز من حوض قائدك العظيم ورائدك فى درب الجهاد الرسول القائد محمد صلى الله عليه وسلم. . . وعهدنا هو العهد. . وقسمنا هو القسم. .

وثأرنا هو الثأر . . ولكل قطرة من دمك الطهور أيها القائد الشهيد، سيطير رأس صهيونى غادر.

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

والله أكبر . . والنصر لشعبنا المجاهد.

وإنه لجهاد . . . نصر أو استشهاد .

(حركة المقاومة الإسلامية ، حماس)

كما أصدرت الحركة الإسلامية فى مخيم جباليا نعيًا خاصًا بابنها البار، مما ورد فى هذا البيان :

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

سيد شهداء الانتفاضة:

أيها الفارس . . أيها النور المتوهج . . أيها القسامى الأصيل . . يا ابن ياسين الحماس . . وقسام البندقية . . يا أهلنا فى أرض الرباط . . . يا كل الأحرار الذين رضعوا الكرامة من مخيماتنا الصامدة . . . أيها القساميون فى كل المواقع . . . يا من تزفون شهيد أرض القسام . . . ذلك الأسد من نسل الأسود . . . وهذا العطاء من فجر أرضه.

فيا يوم الرابع والعشرين، يا يوم الملحمة الخالدة، أطلقها تدوى على رؤوس الأشهاد، نعم الشهيد عماد، ونعم الحى عند ربه، تشهد له كل فلسطين، تكبر له مآذن القدس، وتهلل له مساجد غزة، فهنيئًا لك يا عماد القسام، هنيئًا لك وسام الشهادة الخالد، فاليوم سطرت الغد المشرق، ورويت أرضًا متعطشة لدماء الطاهرين لتنبت العزة والكرامة، تقف معلمًا لكل المجاهدين، كيف يطرقون الجنة بجماجم اليهود، اليوم عجز عمالقة الكلام أمام عمالقة الجهاد، وتقدم الدم الزكى يخطب فينا، ليحرك فينا الهمم ويبعث فينا العزائم.

ماذا يمكن أن نقول؟:

هل نرثيك ؟ وكيف نرثى من رسم بدمه ملامح اللحظة التى نعيشها؟ كيف نرثى من قدم روحه وقوداً للبركان المتفجر بلا حدود، كيف نرثى من تقدم مدججًا بالإيمان والعشق والثورة ؟ كيف نرثيك وأنت ترتفع أكثر، وطلقات المجد والخلود تحاصرك وتوزع جسدك الطاهرة أشلاء تمتزج بذرات الوطن وتنقلك من حضور إلى حضور أشد ومن شاهد إلى شهيد ؟

لن نرثيك أيها الفارس القسامى، فقد كنا دومًا نحلم فيك منبعثًا من حروف القرآن، ومن عمق الجرح الراعف، ومن عيون الأطفال الدامعة، دمك المسفوح صار علمًا زاهى الألوان.. شمسًا مشرقة بغير أوان.. قمراً مضيئًا فى لجة التيه والنسيان... أيها العماد المنير... أيها المجد المستطير.

لنبكيك رغم حرقة الدمعة اللاذعة.. والقلوب الملوعة.. فالناس يبكون أمواتهم.. ونحن زغردت أمهاتنا فرحًا وسروراً، وأنشد الأطفال لك نشيداً امتزج بحبهم لك.. كيف لك أن تودعهم وأنت الذى علمتهم كيف يقبضون على الزناد، ويخترقون صدور الطاغوت، ويمزقون حصون البرابرة الغزاة؟.

الحركة الإسلامية - مخيم جباليا:

كما أقام المبعدون فى (مرج الزهور) حفل تأبين للشهيد المغوار، حيث كان (عادل عقل) شقيق الشهيد ضمن جموع المبعدين، بينما احتفلت إسرائيل بمقتل القائد القسامى على حد تعبيرها، ورقص جنودها طربًا.

وقد ظهر فى الصحافة الإسرائيلية على لسان أحد الجنود:

«حين جاء الخبر فى الإذاعة ليلة الرابع والعشرين من تشرين الثانى عن مقتل (عماد عقل)، رئيس الجناح العسكرى لحماس، عز الدين القسام، وأحد سكان جباليا، فإن كثيراً من زملائى الجنود أطلقوا صرخات الارتياح، فقد قام عقل، بأعصاب باردة، بقتل كثير من الناس، بمن فيهم ما لا يقل عن عشرة جنود، ومع أنه كان بالنسبة لنا «شيطانًا» فقد مات، فى نظر الفلسطينيين بطلاً، مناضلاً من أجل الحرية شهيداً.

فعندما تم تطويقه داخل بيت خرج وهو يرش سيلاً من الرصاص بدلاً من أن يواجه الاعتقال، كانت الأيام الثلاثة بالنسبة لنا جحيمًا، عندما حاولنا أن ننفذ منع تجول يومى

للحيلولة دون وقوع الاضطرابات، كنا نعمل على مدار الساعة، دوريات ومهمات حراسة، ومزيد من الدوريات ومهمات الحراسة.

إننى متعب وغاضب من الوضع، غاضب لأننى زججت نفسى فيه، هكذا كتبت فى مذكرتى ذات صباح، وأضفت: أتمنى أن ينتهى هذا الكابوس فى الحال».

وقد ساد الأوساط السياسية والأمنية والعسكرية الإسرائيلية ارتياح كبير عقب عملية استشهاد القائد البطل عماد عقل فى حى الشجاعية، وأعرب مسؤولون إسرائيليون عن سعادتهم لمصرع المطارد الذى يصنف لدى دوائر الاستخبارات الإسرائيلية والجيش كأخطر مطلوب فلسطينى.

ففى سياق نشرة الأخبار باللغة العبرية التى بثها التلفزيون الإسرائيلى فى الساعة الثامنة من مساء يوم الأربعاء ٢٤ تشرين الثانى (نوفمبر)، أوضح مصدر مسؤول فى جهاز المخابرات الإسرائيلية (الشاباك) بأنه ينسب (لعماد عقل) الذى يعتبر الهدف الأول للشاباك عشرات العمليات ضد جنود الجيش وقوات الأمن، ولذلك اعتبر رئيس الوزراء الإسرائيلى نجاح جيش الاحتلال بتصفية الإرهابى الأخطر والأكثر نشاطًا فى قطاع غزة، إنجازًا كبيرًا للجيش الإسرائيلى وأجهزة الأمن، وهو إنجاز مهم ومؤثر فى الحرب ضد الإرهاب خصوصًا ضد حماس وعناصرها المتطرفة المستمرة فى أعمال الإرهاب وقتل السلام.

وتابع إسحق رابين تصريحه لمراسل التلفزيون الإسرائيلى: إن المخرب (عماد عقل) كان قاتلاً حقيرًا، قتل جنودًا ومواطنين إسرائيليين.

وعلق على مقتله بأن: «ذلك سيكون مصير كل المتطرفين الذين يحاولون قتل الإسرائيليين».

وأعرب الجنرال (يهود باراك) رئيس أركان الجيش الإسرائيلى سابقًا عن ارتياحه لمقتل (عماد عقل) وعن تقديره لقائد المنطقة الجنوبية الجنرال (فيلنائى)، وقائد قوات الجيش الإسرائيلى فى قطاع غزة البريجادير دوورن ألموج ورئيس جهاز الشاباك، وأشاد باراك بالقوات الإسرائيلية ووحدات المستعربين التى قال بأنها أظهرت «يقظة فى هذه العملية» موضحًا بأن ذلك يعتبر نجاحًا كبيرًا فى حربنا ضد الإرهاب.

ولكن رئيس الأركان الإسرائيلى حذر جنوده ودعاهم إلى التزام أقصى درجات اليقظة والحيطة فى الأيام المقبلة لأن حماس ما يزال لديها نواة قوية وغالبًا ما أدت الحملات الصارمة ضد الجناح العسكرى للحركة الذى يعرف باسم مجموعات عز الدين القسام إلى عمليات انتقامية دموية.

وقد عقب قادة إسرائيل على استشهاد العقل فقالوا:

- «إن مقتل عماد عقل يمثل إنجازًا مؤثرًا مهما فى الحرب ضد الإرهاب»

إسحق رابين - رئيس الوزراء ووزير الدفاع (السابق)

- «كان أخطر إرهابى يعمل فى قطاع غزة»

إيهود باراك - رئيس الأركان (السابق)

- «إن مطاردة عماد عقل كانت من العمليات الصعبة والمعقدة والمحبطة فى تاريخ عمليات المطاردة التى قام بها جهاز الأمن الإسرائيلى - الشاباك - منذ تأسيسه»

أحد قادة الشاباك

«كان من أخطر الإرهابيين والمطلوبين الذين عملوا فى قطاع غزة.. رجل ميدانى بارع لم يخش شيئًا، كان من الخطورة بمكان الاصطدام به ليلاً».

نجمة فى سماء الوطن

وقد أبّن مخيم الثورة نجمه الأسطع، شهد مخيم جباليا، وأقام عرسًا جماهيريًا عظيمًا للشهيد القائد عماد عقل، تحول بهتافاته الموحدة والمشاركة الفعّالة لمختلف الفصائل والتنظيمات الفلسطينية وأجنحتها العسكرية إلى احتفال وحدة وطنية لم يشهد قطاع غزة لها مثيلاً بين الفصائل الفلسطينية من (فتح وحماس والشعبية والديمقراطية والجهاد الإسلامى وحزب الشعب)، فقد زحف أكثر من خمسة عشر ألف شخص من جميع أنحاء الوطن الحبيب بعد مرور عشرة أيام على استشهاد (أسطورة غزة) نحو مكان العزاء الذى دعت إليه حركة المقاومة الإسلامية «حماس» محطمين أوامر منع التجول والحصار العسكرى المضروب حول المخيم وفاءً لرمز الجهاد والمقاومة والكفاح المسلح، وكان مشهد المكان يعطى انطباعًا بأننا أمام مظاهرة ضخمة أعادت إلى الأذهان

المشاهد التى نجحت الانتفاضة المباركة فى تسجيلها ضد الدولة الصهيونية فى وسائل الإعلام العالمية، فقد ازدحمت الشوارع بالحافلات والسيارات من مختلف الأنواع والأجناس واكتظت الطرقات بالشباب والجماهير الغفيرة وامتلأ المكان بالملصقات وصور الشهيد التى غطت معظم الشوارع، وانطلقت السواعد الرامية والملثمون من مختلف القرى والمدن والمخيمات لتخط الأيدى المتوضئة على كل جدران المخيم كلمات التعزية وعبارات الثأر للشهيد، وعاهدته على مواصلة الجهاد والتصدى للعدو الغاشم من خلال طريق العز والكرامة تحت راية كتائب عز الدين القسام، حيث شاركت كافة القوى فى عرس الشهيد المقدام الذى زفته حماس فى حلة بهية خلابة.

وقد شاركت صقور فتح ونسور الجبهة الشعبية وقسم الجهاد الإسلامى وأطلقوا النيران، وودعت الشهيد فى كلمات أكدت عمق الوحدة الوطنية وأصالة الدم الفلسطينى وأقسمت بالثأر لدم الشهيد الغالى.

وقد احتل خبر استشهاد (عماد عقل) الصحافة الفلسطينية والعربية والعالمية التى أشادت على اختلاف مشاربها السياسية بالشهيد الرمز. وقد خاطبت الأفئدة وعبرت الأقلام عن اللوعة التى تسكن القلوب على فراق القائد المظفر.

وكان مما كتبه عبد الله إبراهيم رثاءً للشهيد:

إلى أمير الفدائيين القائد الشهيد (عماد عقل)... سبعون رصاصة لا تكفى لموت (عماد).. لا يكفى قصف ولا جيش لموت (عماد).. (عماد) هو الشعب الذى طردتموه من بلاده، وأقمتم له على قارعة كل طريق مجزرة، ووقفتم تشربون على آهات غربته الأنخاب، ولكنه من عمق الموت عاد، يفجر الثورة ويهتف للقسام، فهل قتلتم (عماد)..؟؟

(عماد) هو الصوت الذى حشدتم لإسكاته كل جواسيسكم، وإجرامكم وإرهابكم وسجونكم، وتمنيتم فى ذروة الفشل الذريع غرقه فى البحر، هو الطفل الذى كسرتم عظامه، وسرقتم مشربه، وسممتم طعامه، وأغلقتم مدرسته، ونسفتم بيته، سجنتم أباه، نفيتم أخاه، سلبتم أرضه، اقتلعتم زيتونه، حرقتم برتقاله، لكنه استمر فى قتالكم يسعى لاقتلاعكم، فهل قتلتم (عماد)..؟؟

***

يا حبيب القلب يا أمير الفدائيين . .

ليتنى كنت قطعة من لحمك الذى بعثرته الشظايا

ليت كلى كان أصبعك الذى داس الزناد

هو صوتك الداوى سرى فى كل واد

عندما عاد الصدى لكنه . . رغم الشروق يلى الغروب

يلى الضحى ما عاد

***

الفدائيون الآن يا عماد يصطفون على جانبى الحياة، وأنت تستعرض وحداتهم المختارة، تبادلهم تحية الانضباط، ودفعة واحدة أيها القائد المسجى تستحيل صرحًا شامخًا، عيناك لا تغمضان، لا تعرفان الموت، فالفدائى لا يموت ولكن، يضحى بروحه وحسب.

وحدك يا أمير الفدائيين تعلو، ترحل إلى الشمس، تمضى إلى قسمات الوجوه، ترتسم على أسارير العائدين، تجمع فى كفك المباركة خيوط البطولة والحماس والشهادة، تصنع نسيج الأمل العريض، تفرشه فى الشوارع، فى الحارات، فى الساحات، وتحيك منه لكل فتى كوفية وعلمًا وضمادة جرح.

لأنه النور ينساب على جبينك الوضاء يا حبيب القلوب والدروب والمخيمات والبحر والشجاعية، لأنك تغادر غزة متمثلاً قرص شمس لا يعرف الغروب، يسطع بالنور السرمدى متحديًا كل الأيادى الصغيرة التى لا تجيد سوى التوقيع، متألقًا بالعقل يا (عماد) وبالدم وبالبندقية، تعيد للملايين من جاكرتا إلى طنجة ذاكرتها، وتنتصب على طول الأفق يا سيد الفرسان بلا نياشين تلمع بالزيف على كتفيك، تعتلى منصة أترابك يا ابن الثالثة والعشرين، تصافح فاتح القسطنطينية، وتتصعد من قمم الهزيمة ماردًا يأنف العار، يفرض ظله على البحر والنهر، يرتل الأنفال والنصر . .

يا عماد هى دمعة شوق ننسجها إليك وليست دمعة حزن نذرفها عليك، فهذه الآفاق كلها كتائب، وفلسطين بحار من دماء.

هى الخنادق وحدها الآن بلا (عماد)، بلا زئير لحظة الاشتباك، بلا بسمة حين يبدأ القصف ولا شمعة عند نصب الكمين. . . يا أمير الفدائيين. . وحدك الآن تصعد والكل يهبطون. . حين تتجلى أغنية على شفاه الفلسطينيات. . هتافًا فى المظاهرات. . شظايا لكل القنابل. . زنادًا لكل الطلقات. . عبيراً لكل الزهرات. . وحدك تعلو وهم يسقطون.

لا رجوع اليوم. . لن أرتد حتى أمتزج بالأرض، أتحد مع الريح، أغدو دويًا حين تسكت الأشياء والأحياء، يتلعثم العقلاء، وينحنى كل شىء سوى الرشاش وتصبح الساحات بلا ضجيج، يخضع الجميع لقانون الصمت، ويبقى وحده يدوى صوت الشهيد.

وقد كتب أحد المبعدين فى مخيم مرج الزهور راثيًا الشهيد بالقول: آه كم كان يعشق الرحيل:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

هل آن للفارس أن يترجل ؟. .

هل آن للمسافر أن يستريح ؟. .

أمس فاجأتنا وسائل الأنباء برحيل عماد. .

أمس تفجرت كل براكين الحقد من فم (رابين)، وهو يهنئ جيشه برحيل البطل ذى الأرواح السبعة.

اثنا عشر صهيونيًا قتلهم، ثم قتلوه !! أجليبيبًا آخر نرى فى القرن العشرين !! هذا من محمد (صلى الله عليه وسلم)، ومحمد منه.

آه، كم كان يعشق الرحيلا!

كان يحمل أمه فى قلبه، ويرحل كل يوم إلى السماء، يطوف بها بين النجوم، ونسج لها من شعاع الشمس إكليلاً، ويأوى بها إلى كهوف القمر.

كان يباهى الأشياء بأجمل الأشياء.

وأمس قرر عماد أن ينام .

فتحت له أمه أحضانها ، فنام .

بين ضلوعها ، نام .

إنها الآن تمسد له شعره الأشعث ، وتغنى له أغنية الحمام .

وألقت عصاها ، واستقر بها النوى . .

كما قرّ عيناً بالإياب المسافر .

آه . . كم هو غالٍ ثمن هذا العشق !

أمس قالت الإذاعة إن عمره يتجاوز الأربعة والعشرين ربيعًا . . لكننى لا أتصوره إلا ذلك الشبل ابن الخمسة عشر عامًا ، فى سنىّ شبابه الأولى ، عندما التحق بركب الدعوة ، كنا نسميه «الفلفلة» لشدة حرارته ولسرعة حركته ، كان ينتقل من مسجد إلى مسجد ، ودائمًا كان أشبال المساجد حوله .

حيثما يحل ، تنقلبْ الموازين ، حتى قال أحدهم مرة لمحدثه : ألا تعرف عماد عقل ؟ ذاك الولد الصغير الذى حول حارة الفالوجا فى المخيم كلها إلى حماس ؟ . . آه . . كم سيبكى المخيم ! .

كان الموت غولاً ، يجوب شوارع المخيم ، وكان عماد كل صباح يحمل سلاحه مطارداً هذا الغول ، وكان الموت يخاف عماداً ، ويهرب منه ، وكان عمادٌ يبحث عنه لينال منه ثأره . . أمس فقط صرع عماد الموت برصاص رشاشه ، والتحق بالخالدين ، آه ما أشد فرحة الخالدين .

آه . . ما أجمل اللقاء بعد طول فراق ! .

أعاد تنظيم الحركة المسلحة فى القطاع ثم رحل إلى الضفة الغربية ليؤسس هناك خلايا عمل جديدة ، وخاض هناك عدة مواجهات فى الخليل ، وبعد أن اطمأن إلى نمو زرعه ، عاد إلى غزة . . أخيراً عانق الساحل الجبل وملأت غابات البنادق سماء فلسطين الإسلامية ، فليودع عماد أحبابه هنا ، ليلتحق بأحبابه هناك : محمد وصحبه .

آه . . ما أعذب الكوثر ! .

وأخيراً، قرت عين (أبى عماد) . . لطالما أراد أن يزوج ابنه، ليفرح به فى حياته . . فيا لفرحة الوالدين ! ويا لفرحة الحور العين ! .

لو قدر لك أن تذهب إلى معسكر جباليا، هذه الأيام، فلن تحتاج إلى السؤال عن بيت عماد عقل، ستندس وسط أى مجموعة من الناس تراها فى أى شارع، وستسير معها حيث سارت دون سؤال، فالكل الآن متوجه إلى بيت الشهيد غربى المخيم .

ستدخل الحارة التى تحولت إلى مهرجان فرح كبير، وسوف يغمرك الشباب بالحلويات، والنساء بالزغاريد .

لكن . . إذا ظهرت فجأة مجموعة للملثمين، فلا تجزع، إنهم قادمون ليؤدوا التحية للقائد . .

تحية من نوع آخر . . . تحية الرجال للرجال . .

أعرف أنك سوف تطرب لسماع أزيز الرصاص . .

فنحن - أبناء فلسطين - لا يطربنا شىء كالرصاص . .

فسلام على الشهداء فى كل مكان . .

والله أكبر ولله الحمد . .

يا عماد الصمود وعقل الثائرين...

كبير هذا الوجد فى عيون غزة الرجال . . . وبين أروقة الخليل وأحياء رام الله وجنبات بيت المقدس وفى كل مكان تعطرت أرجاؤه بألق رشاشك فى حلكة الليالى وخلف كل متراس يحمل الموت للجنود المرتعدين من وهج عينيك حين تعلنان بداية المواجهة على طريقتها الخاصة . .

طويلة هى الأيام حين تمعن فى البعد عن لحظات الرجولة فى ساعديك وتترك لنا الصقيع والاندثار خلف غيوم العتمة، بينما تمضى أنت لتزين هامات النجوم والنيازك هازئًا بكل الرصاصات التى لم تنل من روحك الطاهرة رغم تكالبها عليك من كل الجهات .

عماد عقل . . . ما زال فى العين دمع غزير تنثر بعضًا منه على أطلال تشرين من كل عام فى ذكرى ارتقائك . . وكلما حاصرتنا خيوط اليأس فى الأزمنة الصعبة .

ما زال فى القلب عهد موشى بأهازيج البارود المزغرد فى كفك ناراً تلاحق المعتدين.

ما زال فى الذاكرة مساحة كبيرة تردد كل يوم على مسامع الصغار والكبار سفراً من بطولاتك... تذكر الذين نسوا ما تعلموه وتعلم الذين لم يتعلموا بعد...

عماد عقل...

لك المجد حيًا وميتًا... ولنا من بعدك بيعة لا تزال نابضة بالحياة.. يرددها رفاقك الذاهبون إلى ميادين الشهادة ويعلقونها على زناد البنادق كلما أزف الرحيل وحانت لحظة المواجهة.

***

الشهيد/ هـنـداوى دويـر
الشهيد/ محمود عبد اللطيف
الشهيد/ ابـراهـيـم الـطـيـب





مرت مصر بفترة عصيبة حكم فيها العسكر بانقلاب فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، واستولى هؤلاء العسكر على الحكم، وفور استقرار الأمر لهم، برزت هناك أطماع للسلطة المطلقة تسيطر عليهم، وتبخرت الوعود التى قطعوها للشعب بقيام حياة ديمقراطية وإجراء إصلاحات معينة لتقدم البلاد فى مناحيها المختلفة، صناعيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا وتكنولوجيا، ثم التفت رجالات الثورة إلى محاربة القوى الوطنية بدلاً من الانتفاع بهم والاستفادة منهم، وتتابع هذا إلى أن وصل إلى الاضطهاد وتلفيق التهم وتعطيل الدستور وإلغاء الأحزاب وإقامة محاكم عسكرية تحاكم هؤلاء الوطنيين وتصدر الأحكام بحقهم وسجنهم، بل شنق وقتل بعض منهم بمؤامرات، وبأحكام من محاكم ثورية تارة أخرى، وقد نال الحركة الإسلامية «الإخوان المسلمون» من هذا الاضطهاد النصيب الأوفى، لأنها كانت الفئة الوحيدة التى تقف أمام أطماعهم والتى لم يكن قد تكشف منها إلا النذر اليسير، وقامت الأجهزة الأمنية بتنفيذ المؤامرة الخبيثة المسماة «بحادث المنشية» التى ادُّعى فيها تعرض عبد الناصر للقتل، للخلاص من الإخوان المسلمين، وكان أمر الاعتقالَ معداً قبل بدء المؤامرة، وكانت السجون قد فتحت أبوابها فى انتظار اللحظة المرتقبة، وحُددت ساعة الصفر للقيام بحملة الاعتقالات وكانت ساعة سماع إطلاق النار.

وكانت قد أُعدت حتى كشوف وأسماء الأشخاص المطلوبين قبل البدء فى المؤامرة، وسلمت للمسؤولين عن الأمن . هذا وقد جمع فى تلك الليلة حوالى ٢٠ ألفًا عدا من قبض عليه بعد ذلك أثناء التحقيق ودارات محاكمات كارثية تبعًا لما أعد سلفًا.

وكان من ضحايا هذه الفاجعة أفضل رجالات مصر فى ذلك الوقت.

هذا ورغم الكتمان والتعمية على هذه المؤامرة إلا أنها تسربت وألقى الضوء عليها، وكان بطلها رجال الأمن وهنداوى دوير كما قيل، ثم قُضى عليه وعلى محمود عبداللطيف حتى تختفى الجريمة، ثم أخذ بذنبهم الأستاذ إبراهيم الطيب.

وسنعرض فيما بعد بشىء من التفصيل لهذه المؤامرة البشعة التى كانت سببًا فى ضياع جيل من الرواد وعاملاً مهمًا فى تأخر الشرق وتحكم الدكتاتورية فى رقاب الناس وضياع الدستور والقانون إلى الآن، وسيادة عصر من المؤامرات والهزات والثورات التى قضت فى كثير من الدول العربية على حرية الشعوب واستقرارها.

شهود العصر على اختراع عبد الناصر لحادث المنشية الذى كان ذريعة لتعليق الإخوان على أعواد المشانق:

حقيقة هذه الكذبة:

(١) جاء فى مذكرات محمد نجيب ـ ص ٢٦٨، ٢٦٩: فى كتاب «كنت رئيسًا لمصر» ما يلى:

وبينما يلقى جمال عبد الناصر خطابًا فى المنشية فى ٢٦ أكتوبر، احتفالاً بتوقيع اتفاقية الجلاء، أطلقت عليه عدة رصاصات، وسط ١٠ آلاف شخص فى السرادق، واتهم محمود عبد اللطيف، كان محمود عبد اللطيف يجلس على بعد ١٥ مترًا من المنصة مع الضيوف، وقيل إنه أطلق ٩ رصاصات، لكن عبد الناصر لم يصب، وادعى أنه أصيب، وأصيب ميرغنى حمزة «وزير سودانى» وأحمد بدر المحامى وكان ذلك من رصاصة ضربت فى لمبة كهرباء.

ثم يعقب الكاتب فيقول:

«كانت هذه المسرحية المدبرة، محاولة لتحويل عبد الناصر إلى بطل شعبى، ومحاولة لينسى الناس مواد اتفاقية الجلاء، ثم هى فرصة ليتخلص عبد الناصر من القوة

الوحيدة الباقية وهى الإخوان، وظهر للعيان وبدون عناء أنها مسرحية، لأن محمود عبد اللطيف المتهم باغتيال عبد الناصر كان معروفًا عنه مهارته فى إصابة الهدف بالمسدس، كما أنه من الفدائيين المحترفين الذين أرقوا الإنجليز فى منطقة القناة عام ١٩٥١، ثم إن المسافة كانت قريبة تسمح له بإصابة الهدف وهو جسد عبد الناصر العملاق، ثم إن الرصاصات كانت تسعًا وكان من الطبيعى أنه يصاب بواحدة منها على الأقل، ولو إصابة سطحية، أكثر من ذلك ذهب الاتهام إلى حد القول بشريك آخر يسنده بمسدس أو قنبلة، ولو أراد الإخوان أن يقتلوا عبد الناصر ويضمنوا نجاح العملية فلماذا لم يرسلوا خمسة أو عشرة لتنفيذها؟.

واتضح فيما بعد أن الحائط المواجه لإطلاق النار لم يكن به أى أثر للرصاص مما يثبت أن المسدس كان محشواً برصاص «فشنك».

(٢) وجاء فى كتاب «أسرار حركة الضباط الأحرار» لحسين محمد أحمد حمودة «أحد الضباط الأحرار»:

يقول الكاتب فى ص ١٦٣:

«وقد وضح تمامًا أن عبد الناصر هادن الإخوان ليلتقط أنفاسه فى أزمة مارس ٥٤ حتى يعد خطة جديدة للفتك بجماعة الإخوان وقد كان، فاتخذ من تمثيلية محاولة اغتياله فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ مبرراً لاعتقال عشرين ألفًا من الإخوان، وتم تعذيبهم تعذيبًا وحشيًا فى السجن بأسلوب بربرى وهمجى لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية».

ويقول الكاتب ص ١٦٤:

«فحادث المنشية تمثيلية لا شك فيها لتبرير عمليات القمع والتعذيب والمشانق، ولو كانت محاولة اغتيال عبد الناصر صحيحة فلماذا لم يُقدم الإخوان لمحاكم الجنايات وفيها قضاة متخصصون وظيفتهم إقرار العدل بين الناس؟ ولماذا الضرب بالسياط حتى تتمزق الأجساد ونفخ البطون وألوان التعذيب؟ كل هذه التصرفات الإجرامية التى أقدم عليها عبد الناصر وأعوانه تؤكد أنه لم تكن هناك جريمة على الإطلاق ولا أدلة قانونية، وإذا كانت هناك محاولة اغتيال حقًا، فهل يعقل أن يشترك فى التدبير لها عشرون ألفًا من البشر. وإذا كانت الحكومة قد ألقت القبض على الفاعل فور ارتكابه

الجريمة فهل يعقل أن التحقيق معه قد أدى إلى اعترافه على عشرين ألفًا حتى يقبض على هذا العدد فى بضع ساعات بعد محاولة الاغتيال المزعومة، والمعقول أن كشوف المعتقلين كانت معدة قبل حادث الشروع فى اغتيال عبد الناصر يوم ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٤م، وأن إطلاق الرصاص الفشنك عليه كان هو ساعة الصفر لبدء الاعتقالات. وهل يعقل أن تكون نتيجة محاولة اغتيال شخص لم يقتل فيها ولم يمس بسوء أن يعدم ستة أفراد ويحكم على ألف إنسان بالأشغال الشاقة المؤبدة ويعتقل ١٩٠٠٠ آخرون لعدة سنوات من تاريخ الحادث» ؟

(٣) ويقول الأستاذ الدكتور أحمد شلبى، أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية فى جامعة القاهرة -ولم يكن من الإخوان- فى (موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية) الجزء ٩ ص ٤٢٠ إلى ٤٢٩:

فى مساء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ أقيم لعبد الناصر ورفاقه حفل تكريم فى حى المنشية بالإسكندرية بمناسبة توقيع المعاهدة مع بريطانيا، وأقيم الحفل فى سرادق ضخم ودعيت للاحتفال طوائف معينة، ثلاث هيئات بارزة مكلفة باحتلال مقاعد السرادق هى:

١ - هيئة التحرير.

٢- مديرية التحرير.

٣- الحرس الوطنى.

ونظم استعمال السرادق أدق تنظيم بحيث تجلس كل جماعة من جماعات المدعوين فى مكان محدد. . وبالتالى لم يكن هناك أى مقعد يمكن أن يتسلل إليه مغامر ليتعدى على عبد الناصر، فما كان الوصول إلى المقاعد أمرًا ميسورًا.

أليس الأيسر إطلاق الرصاص عليه وهو يركب عربة مكشوفة بشارع سعد وقد أعلن من قبل عن خط سير الموكب ؟

وإذا أعمل الإنسان فكره فى الحقائق عن هذه الحادثة يجد أن الصحف ذكرت أن المسافة بين الجانى وموقف عبد الناصر الذى يقف على المنصة العالية - وخلف حاجز من البشر - قريبة، واستعمال مسدس أداة ضعيفة فى هذا الموقف الرهيب. . وهل يعقل أن تنطلق ثمان أو تسع رصاصات من مسدس يمسك به رجل مشهود له بالدقة فى

إصابة الهدف. . ولا تنجح واحدة من هذه الرصاصات فى إصابة الهدف، أوإصابة أى شخص من الذين يحيطون بعبد الناصر أو أى إنسان على الإطلاق ؟. ! هذا مستحيل.

بعد الحادث طمأن المشرفون على الحفل الناس ودعوهم إلى الهدوء. . . ولو كانت مؤامرة لانفض الحفل مخافة أن يكون هناك مزيد من الرصاص.

وتحدثت الصحف عن الإصابات البالغة. . وهى تدرى أن سببها الزجاج المتطاير، والجموع التى تحركت عقب الحادث، ولم تكن هناك إصابات من المسدس على الإطلاق، وثبت أن الحائط المواجه للحادث ليس به أى أثر للرصاص.

وذكرت الصحف أنها ضبطت لدى بعض الإخوان فى الإسكندرية أسلحة ومفرقعات. . ورغم ذلك استعملوا مسدسًا فقط.

أيعقل أن جماعة لها خبرة فى التخطيط والحرب فى القناة وفلسطين لو خططوا ودبروا لا يستعملون وسائل أخرى مناسبة للموقف !!

ويضيف الدكتور أحمد شلبى: «حادث المنشية نفسه مشكوك فيه وإدراج اسم محمد نجيب فى هذه القضية فكرة ساذجة لوضع نهاية لهذا الرجل».

(٤) ويروى الأستاذ فتحى رضوان ما يؤيد هذا الاتجاه، وهوأن عبد الناصر كان أكبر المتحمسين لإقالة محمد نجيب فى أكتوبر ١٩٥٤م قال عبد الناصر فى هذا الموضوع:

«فى فبراير كان نجيب أقوى منا، وكان فى إقالته ضرر، أما الآن فقد أصبحنا أقوى منه، وعلى هذا ففى تأخير إقالته نفس الضرر». (حكومة يوليو ص ٩٢).

(٥) ويذكر الأستاذ الدكتور أحمد شلبى: عندما أشيع أن محمد نجيب له صلة بالحادث وتدبيره، وتقرر تقديمه للمحاكمة زوراً تدخل بعض زعماء السودان فقنع الثوار بعزل محمد نجيب وتحديد إقامته وإعفائه من المحاكمة.

(٦) ويروى صلاح الشاهد، أنه كان يقود سيارته مساء يوم ٢٦ وسمع جزءاً من خطاب الرئيس من مذياع بالسيارة ثم سمع الطلقات، فأسرع نحو بيت الرئيس ليكون مع أولاده فى هذه الأزمة، ولم يجد صلاح الشاهد بالبيت اضطرابًا أو ذعراً، وأخذ يداعب أولاد الرئيس الذين كانوا يلعبون، وهذا يوحى بأن أسرة الرئيس كانت تعلم

سلفًا بما سيجرى، وقد شاهد هذا الاطمئنان قبل أن يتصل بهم عبد الناصر من الإسكندرية [١] .

ثم يعلق الدكتور أحمد شلبى على هذا الحادث فيقول:

وبناءً على هذه الأشياء أعتقد أن الحادث مختلق، وأسطورة مصنوعة لم يستطع مؤلفوها أن يجيدوا حبكها، فجاءت بها هذه الثغرات التى كشفت عن حقيقتها، ولكن ذلك كان بعد إراقة الدماء البريئة، وبعد تعذيب عدد هائل من أصفياء المسلمين، وإذا كان الظلام قد أحاط بهذا الحادث فى حينه فنرجو أن تكون أشعة الضوء التى دوناها كافية لإبراز الحقيقة ولإنصاف المظلومين ومعاقبة الآثمين.

واختلاق هذا الحادث يقرره محمد نجيب فى مقال له بمجلة الرأى الكويتية وفيه يقول: إن فكرة إطلاق الرصاص على عبد الناصر فى الإسكندرية تتحدث عن مؤامرة وهمية من أولها لآخرها، وكانت مرتبة بواسطة رجل من أجهزة المباحث العامة، وقد كوفئ هذا بمنصب كبير أسند إليه، وقد استطاع هذا الرجل استئجار شاب مصاب بجنون العظمة، وأغراه بأنه لو اعترف بأنه حاول قتل عبد الناصر فسينال مكافأة ضخمة ويسمح له بالهجرة خارج البلاد. . فلما وقع هذا الفخ واعترف، صدر الحكم بإعدامه حتى يموت ويموت معه السر[٢] .

بقيت كلمة عن حادث المنشية هى أن هذا الحادث كان ضمن مجموعة من أحداث تغلب بها عبد الناصر على ما كان يعانيه من كراهية الشعب، وكانت هذه المجموعة من الأحداث وسائل استغلت أوسع استغلال لخلق ما يمكن أن يسمى شعبية لعبد الناصر، وستتحدث فيما بعد عن هذه الأحداث وطريقة استغلالها.

لقد كان تدبير حادث المنشية عملاً بشعًا مملوءاً بالظلم والقسوة والاستبداد، وبه فُصمت العلاقات بين الإخوان والثورة[٣] .

(٧) ويقول السيد حسن التهامى أحد الضباط الأحرار فى روزاليوسف عدد أول مايو ١٩٧٨م عن حادث المنشية: (وقد شد انتباهنا وقتها أن خبيراً أمريكى الجنسية فى

(١) ذكريات فى عهدين ص ٢٨٣.

(١) مجلة الرأى الكويتية الصادرة فى ٢٤/ ٨/ ١٩٧٥ .

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى أحمد شلبى ٩/ ٤٢٩.

الدعاية، كان قد حضر إلى مصر، وكان من بين مقترحاته غير العادية، والتى لم(تتمشى) مع مفهومنا وقت اقتراحها هو اختلاق محاولة إطلاق الرصاص على عبدالناصرونجاته منها، فإن هذا الحادث بمنطق العاطفة والشعور الشعبى لابد أن يزيد من شعبية عبد الناصر، لتأهيله للحكم الجماهيرى إلى القيادة الشعبية من أقرب الطرق.

ثم ها هو أيضًا (حسن التهامى) يصرح لجريدة الأنباء الكويتية بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٩٨٩ عندما سئل: ولكنك قلت إن أمريكا هى التى أوعزت لعبد الناصر بالتخلص من الإخوان والشيوعيين للانفراد بالسلطة فى مصر- فتخلص من الشيوعيين فى أزمة مارس ثم تخلص من الإخوان فى أزمة المنشية . . ؟

قال: لقد أوفدت أمريكا بول لينبارجر - مسؤول الدعاية السوداء - فى أمريكا عام ١٩٥٤ ليقوم بالتخطيط الإعلامى لتصعيد نجومية عبد الناصر، وقد اقترح لينبارجر افتعال محاولة للاعتداء على حياة عبد الناصر تكون سليمة التدبير، وتجذب مشاعر الشعب المصرى نحوه لما يراه من مظاهر الشجاعة أثناء ثباته فى هذا الموقف!! وكان أن وقع بعدها حادثة المنشية التى ادعى فيها عبد الناصر أن الإخوان قاموا بمحاولة اغتياله ليسهل عليه بعد ذلك تصفيتهم.

وعندما سئل: لماذا إذن الخلاف بين عبد الناصر والإخوان أو بين الإخوان والأمريكان إذا كان التنسيق بينهم جميعًا كان قائمًا ؟ أجاب: لأن الإخوان كانوا خطرًا حقيقيًا على إسرائيل وأراد عبد الناصر أن يتخلص منهم لينفرد بالسلطة فى مصر، وأرادت أمريكا أن تتخلص منهم لتوقف خطرهم على إسرائيل.

وبعد:

فإننا نحسب أن هذا الكلام قد بلغ من الوضوح مبلغًا، ولا يحتاج منا إلى تعليق!!

وبعد هذه التصريحات المتكررة لحسن التهامى وغيره نذكر له مواجهة بينه وبين سامى شرف نشرتها مجلة أكتوبر تحت عنوان «حادث المنشية كما وضعه خبير أمريكى».

السيد الأستاذ رجب البنا رئيس مجلس إدارة مجلة أكتوبر..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

فإنى أرى أن رواية أحداث التاريخ ينبغى أن يتوافر فيها شرطان على الأقل، وهما المعرفة وصدق الرواية، فإذا فقدا فى أى نص لم يكن تسجيلاً تاريخيًا، إنما تكون قصة

لمن يرويها. والموضوع الذى نحن بصدده هو جزء من أحداث التاريخ الماضى لا زال الرأى العام يأمل فى معرفة حقائقه.

لقد نشرت مجلة أكتوبر فى العدد رقم ١٠٤٦ بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٩٦م على لسان سامى شرف حديثًا يذكر فيه أن حسن التهامى هو الذى أحضر القميص الواقى لجمال عبد الناصر من أمريكا، وذلك تعليقًا منه على حادث المنشية، ويستوجب هذا النص الرد على سامى شرف فى المجلة حيث نشره.

فأرجو نشر النص التالى ردًا على ما قاله سامى شرف خطأً فى حقى:

لقد بعثت المخابرات المركزية الأمريكية، على يد مايلز كوبلاند مندوبها فى مصر فى ذلك الوقت، عدد اثنين صديرى (صدرية) واقية ضد رصاص الأسلحة الصغيرة لشخص جمال عبد الناصر رئيس الحكومة، وذلك ضمن برنامج موسع للحفاظ على حياة جمال رئيس الحكومة.

وعندما لبس جمال عبد الناصر الصديرى عندما وصله، قال إنه ثقيل الوزن، وعندما سافر إلى الإسكندرية لإلقاء خطابه فى المنشية كما تعود كل عام بمناسبة تنازل الملك فاروق عن الحكم ورحيله عن الإسكندرية بعد نجاح الثورة، سافر من مصر إلى الإسكندرية تاركًا الصديرى فى بيته فى منشية البكرى ولم يأخذه معه.

أما حادث إطلاق الرصاص عليه فى المنشية بالطريقة المعروفة لنا جميعًا، فقد كان صورة طبق الأصل مما اقترحه خبير الدعاية والإعلام الأمريكى الذى أرسلته المخابرات المركزية إلى مصر لتطوير برامج الإعلام، وبالذات لوضع برنامج إعلامى يرفع من شعبية رئيس الحكومة جمال عبد الناصر فى مواجهة شعبية الرئيس محمد نجيب، وذلك كخطوة لارتقاء جمال عبد الناصر منصب رئيس الجمهورية والتمهيد له، وقال أمام مجموعة محترمة من أعلى رجال الحكم فى مصر وقتئذ إن الشعب المصرى شعب مؤمن وعاطفى، وأن تدبير حادث أو موقف تطلق فيه النيران من طبنجة فى اتجاه شخص عبدالناصر بشرط عدم إصابته، وينجو منه عبد الناصر شكلاً، ومن ناحية المظهر ينجو من الموت، يرفع ذلك من شعبية عبد الناصر عند الشعب المصرى، أكثر بكثير من جميع وسائل الإعلام، ومهما كانت البرامج. وسبق تنفيذ هذه العملية فى دول أخرى تتشابه

شعوبها مع شعوب مصر والشرق ونجحت نجاحًا تامًا. وخرجنا من بيت عبد الناصر من هذا الاجتماع وكان معى بعض زملاء آخرين رافضين لهذه الفكرة، وضعًا فى الحسبان أن أى خطأ فى تصرف الذى سيكلف بالضرب، قد يتحول إلى موقف صعب لا نضمنه ولا نضمن نتائجه، ولم يكن سامى شرف حاضراً هذا الاجتماع، وبعد ستة شهور بالضبط من تاريخ هذا الاجتماع فى بيت عبد الناصر وأمامه، حدث حادث المنشية بالضبط كما وصفه خبير الإعلام والدعاية الأمريكى، وكان ذلك بحضور مايلز كوبلاند نفسه ومعه مساعد من المخابرات الأمريكية[1].

السيد الأستاذ / رجب البنا

أرجو نشر هذا النص على لسانى كما يلزم بذلك القانون وأصول الصحافة. . علمًا بأننى بصدد كتابة كتاب شامل عنوانه «أضواء على السياسة فى أربعين عامًا» سيشمل مثل هذه المواقف ومواقف أخرى أكثر أهمية بكثير من ذلك ومما ينشره بعض الناس من آن لآخر، ويعتبره القارئ جزءاً من التاريخ. ولكن الحقيقة التى عشتها وكنت مشاركًا فى معظمها سأنشرها إن شاء الله لأول مرة، مؤيداً معظمها بالمستندات والحقائق التى ستلقى الضوء بلا تردد على حقائق ما كان فى المدة السابقة.

وأتمنى لكم التوفيق والسداد فى الرأى والقرار وتقبلوا تقديرى وتحياتى[2].

محمد حسن محمد تهامى

---

(١) هذا وفور الحادث مباشرة لم يترك الشعب يفكر فى صحة الحادث ولو لدقيقة واحدة، وانطلقت الحملة المعدة سلفًا فى الإذاعة والصحف والإعلام لتصنع دويًا من الدعاية والتحريض على الإخوان، ولتمجد البطل الشجاع الذى لا يهاب الموت، والذى وهب حياته لبلده، وفى الوقت نفسه، فتحت السجون فى الليل وقام المرتزقة بالقبض على حوالى ٢٠ ألفًا بدون تحقيق فى تهمة لم يجرح فيها أحد أو يصاب فيها إنسان، كل هذا وسط ذهول الإخوان الذين لا يدرون من أمر هذه المؤامرة شيئًا، ولكنهم وجدوا أنفسهم فى أعماق السجون وسط زبانية التعذيب الرهيب الذى لم يسمع عنه قبل ذلك، وقد مات تحت التعذيب من مات بغية الإقرار بجريمة لم يرتكبها، وحكم بالإعدام على البعض، وبالأشغال الشاقة المؤبدة على الألوف، وسط هياج الشعب وعلى ضوضاء الزفة السلطانى ابتهاجًا بنجاة الدكتاتور المدلس المجرم السفاح، ولكن الحقيقة مهما تأخرت فقد تظهر يومًا، وقد تحدث الشهود وظهرت الحقيقة وأبان المحللون الثغرات فى الحادث الملفق، وقد بلغت هذه الثغرات حين عدها البعض إلى حوالى المائة ثغرة، ذكر بعضًا منها أهل القانون والصحفيون والمحللون من أمثال الدكتور أحمد شلبى ومصطفى أمين وفؤاد زكريا العلمانى ولكن للأسف ما زال الغباء رغم هذا يحيط ببعض الإسلاميين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) عن مجلة أكتوبر، العدد رقم (١٠٤٧) بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٩٩٦م.

المؤامرات صنعة عبد الناصر:

يقول محمود أبو الفتح ـ السياسي والصحفي المصري- : إن عبد الناصر قد برع في المؤامرات براعة منقطعة النظير، وكان يدبر الحوادث ليصل منها إلى ما يريد، من ذلك تدبيره للمظاهرات التي تطالب بعدم رجوع الحياة النيابية أو الدستور، والمطالبة بحكم رجال الثورة، ومن ذلك أن عبد الناصر دبر بليل المظاهرات للمطالبة بذلك وأصبح الصباح وانتشرت فرق من ضباط الحرس الوطني الذي شكله عبد الناصر من الطرقات يقودون مظاهرات متفرقة، وعقد ضباط من أنصار جمال اجتماعات رسموا فيها خطط الإخلال بالأمن، وإحداث فتنة يتمكن عن طريقها جمال من إلغاء القرارات الدستورية وفرض نظام دكتاتوري سافر، وألقى ضباط الحرس الوطني أربع قنابل انفجرت في أنحاء القاهرة، فأحدثت دويًا هائلاً أفزع الناس وأدخل الرعب في النفوس.

والحرس الوطني كان عبارة عن تجمع لأعداد من الشباب يرأسهم ويشرف على تكوينهم أحد أعضاء مجلس القيادة.

وخصصت الحكومة قطارات وسيارات من سيارات الجيش لنقل أعضاء الحرس الوطني من الأقاليم وجمعهم في القاهرة لتنفيذ المؤامرات.

وقد ظلت القاهرة دون حكومة، وقد سيطر الرعب وانتشر أعضاء الحرس الوطني يعتدون على الأهالي ويفجرون القنابل، ونجيب في خطر الاغتيال.

وكانت تجمعات أفراد الحرس الوطني قد وصلت إلى مدينة القاهرة، وفي تلك الليالي أي مساء يوم ٢٦ من مارس كانت فرق الحرس الوطني تتلقى التعليمات بالأعمال التي يناط بكل فرقة من هذه الفرق أن تقوم بها.

ولم ينم جمال ورجاله طوال الليل، بل كانوا يتصلون ببعض زعماء العمال ويصدرون إليهم تعليماتهم ويوزعون عليهم المال ببذخ شديد.

ونشط أعضاء هيئة التحرير.

ولم ينم الناس طوال الليل فقد بات كل إنسان يشعر أن حياته في خطر وأنه مهدد بأن يهاجمه في منزله بعض رجال الحرس الفاشي أعوان عبد الناصر.

وتفاصيل ما حدث يوم السبت ٢٧ من مارس أن عمال الأتوبيس والترام كانوا قد حددوا هذا اليوم للقيام بإضراب، معلنين بذلك احتجاجهم على عدم إجابة الشركة لمطالبهم، فانتهز جمال ذلك اليوم لتنفيذ مؤامرته، وفى الصباح الباكر وزع أنصار جمال منشورات تقول: إن إضراب عمال النقل قد قام احتجاجًا على إعادة الدستور، وأن العمال قرروا:

١ ـ عدم السماح بقيام الأحزاب.

٢- استمرار مجلس قيادة الثورة فى مباشرة سلطاته.

٣- تأليف جمعية وطنية استشارية.

٤- عدم الدخول فى المعارك الانتخابية.

وانتشرت فى البلد سيارات الجيش تمنع سائقى الأجرة «التاكسيات» من العمل وتلزمهم بالإضراب.

ومن الصباح الباكر ذهبت قوات الجيش لمخازن الترام والأوتوبيس ومنعت خروج مركبات الترام وعربات النقل «الأتوبيس» بعد أن تبين لعبد الناصر أن العمال قد عدلوا عن إضرابهم حتى لا يستغله عبد الناصر فى تحقيق أطماعه السياسية.

ومرت سيارات الجيش على المحال التجارية تأمر الناس بغلق حوانيتهم وتنذرهم بأن الحكومة غير مسؤولة عما سيقع للحوانيت التى تفتح أبوابها.

وهكذا أقبل الصباح على مدينة القاهرة وقد لفّها صمت رهيب لا صوت فيها ولا حركة، والمحال مغلقة والحزن يخيم على المدينة، وأصبحت القاهرة بلدًا هجره سكانه وفرد الموت جناحيه عليه.

وبعد فترة أخذت بعض المظاهرات تطوف أرجاء القاهرة، مظاهرات تنتقل بسيارات الجيش المصرى وفى كل سيارة عدد من شباب الحرس الوطنى وبعض الأهالى.

ومرت إحدى السيارات أمام فندق سميراميس فهب الناس إلى النوافذ والشرفات يسمعون ما تردده هذه المظاهرات من هتافات، ولم يصدق الناس ما يسمعون فأعادوا

الإنصات فإذا بها نفس الهتافات، هتافات لم يهتف بها من قبل بشر: «تسقط الحرية.. تسقط الديمقراطية.. يسقط البرلمان.. يسقط المتعلمون».

كانت الهتافات تُردد بحماية الضباط ورقابة الحرس الوطنى: «يسقط المتعلمون. تسقط الحرية».

ومرت القوات الحربية على جميع محطات بيع البنزين فأغلقتها وعلى دواوين الحكومة ومنعت الموظفين الذين حضروا سيراً على الأقدام من دخولها، وخلت الشوارع إلا من سيارات الجيش التى حملت المرتزقة من أعضاء هيئة التحرير ومنظمات الشباب والحرس الوطنى.

واتجهت المظاهرات إلى دار جريدة المصرى وأخذت تهتف قائلة: «تسقط المصرى». ثم هتفت: «يسقط أحمد أبو الفتح الخائن» وأخذت تلقى الحجارة على مبنى الدار وهشمت بعض الألواح الزجاجية، ثم تصدى لها الأهالى ففرت ثم عادت تقذف الناس بالحجارة وأخذت تهتف بسقوط الدستور.. وسقوط المتعلمين.. وسقوط الحرية!

وذهبت قوات أخرى من الجيش إلى محطة مصر وأوقفت القطارات عن السير، وأمرت القطارات التى كانت قد بدأت سيرها بالوقوف، وأمرت بإغلاق جميع المزلقانات كى تتعطل حركة القطارات.

وأخذت محطة الإذاعة التى يشرف عليها الصاغ صلاح سالم تردد من الصباح الباكر أنباءً مختلقة وبيانات كاذبة مضللة تدعى أن النقابات أرسلت احتجاجًا على قرارات ٥، ٢٥ من مارس، وتطالب فيها باستمرار مجلس الثورة فى الحكم وعدم إجراء انتخابات.

وقد أرسلت هذه النقابات برقيات إلى محطة الإذاعة وإلى جميع دور الصحف وإلى الرئيس نجيب تحتج فيها على البيانات المختلقة التى تنسبها لها محطة الإذاعة، وتؤكد نصرتها للرئيس نجيب وتمسكها بقرارات ٥، ٢٥ من مارس، ولكن محطة الإذاعة لم تعر هذه البرقيات أى اهتمام، بل راحت تكرس جهودها فى تشجيع الإضراب والترويج له، وإذاعة البيانات الكاذبة المختلقة.

ورغم ذلك استمرت المظاهرات تجوب طوال النهار وجزءاً كبيراً من الليل أرجاء القاهرة فى سيارات الجيش تهتف بسقوط الحرية وسقوط الدستور وسقوط المتعلمين . . وسقوط . . وسقوط !

وفى الساعة الثانية عشرة من مساء هذا اليوم ٢٨ من مارس أبلغ نجيب بأن حياته باتت يُخشى عليها وأن المؤامرة قد أُحكمت لاغتياله هذه الليلة ، فخرج من داره مسرعًا ، وذهب إلى قصر الطاهرة حيث لجأ للملك سعود ، وفى ساعة متأخرة من الليل استدعى الملك سعود البكباشى جمال عبد الناصر وطلب منه تأمين حياة نجيب ، فأبدى جمال لطفًا وتودداً لنجيب ، وقال إنه لا يمكن أن يسمح بالاعتداء على حياته ، وأنه لا ينسى الأيام التى اشتركا فيها فى العمل سويًا ، وهكذا بحديث ناعم وكلام معسول راح جمال يسأل : «لماذا تتمسك بإعادة الدستور؟» ، وقال نجيب : «إن كل البلد تتمسك بالدستور» ، فقال جمال : «أبداً . . إن البلد لا تريد الدستور» .

ثم واصل حديثه قائلاً : «إننا نريد أن نصفى كل أسباب الخلاف معك ، ولن يكون ذلك إلا بعد أن يكشف كل واحد منا ورقه للآخر ويفتح قلبه ، وأنا أريد أن أعلم من الذى يحبذ عودة الدستور ، وانطلت الحيلة ، فقال : «كل رجال البلد الكبار عاوزين الدستور» ، فقال جمال : «مثل من؟» فقال نجيب : «السنهورى ، وهو رجل عاقل» .

وفى صباح يوم ٢٩ من مارس انتشرت المظاهرات مرة أخرى تجوب القاهرة بواسطة سيارات الجيش تواصل هتافاتها المشينة ، وكان السنهورى فى مجلس الدولة ففوجئ بضابط شاب فى مكتبه يقول له : «إن مظاهرة قادمة صوب مجلس الدولة ، وأرى أن تخرج إلى المتظاهرين تخطب فيهم لتهدئهم» ، فقال الدكتور عبد الرزاق السنهورى : «أنا أخطب فى المتظاهرين ، ليس من المعقول - وأنت ضابط أن تلجأ إلىّ أنا لأهدئ المتظاهرين- وبإمكانك باستعمال التليفون أن تستحضر قوة تفرق المظاهرات وتحمى المجلس من أى مظاهرة» .

ولكن الضابط جادل السنهورى ، وكانت فى هذه اللحظة قد وصلت المظاهرة إلى فناء مجلس الدولة ، فدفع الضابط السنهورى دفعًا وطلب منه أن يخطب فى المتظاهرين وحاول السنهورى الإفلات من يد الضابط ، فما كان منه إلا أن أخرج مسدسه وأطلق طلقتين فى الهواء .

ويبدو أن هذه كانت الإشارة التى اتفق عليها لبدء الهجوم ولتحديد شخصية السنهورى للمتظاهرين الذين كانوا جميعًا من الدهماء الذين لا يعرفونه من قبل، إذ هجم المتظاهرون فجأة على الرجل وانهالوا عليه ضربًا، وتطاير دم السنهورى وعلق بحائط المبنى تسجيلاً للجرم الفظيع، ورغم تألم الرجل وتوجعه لم يرحمه المتظاهرون بل جروه حتى نزلوا به إلى فناء المجلس.

وبعد هذا الاعتداء الوحشى على أكبر حصن للعدالة فى مصر وعلى أكبر شخصية قضائية، وأعلم علماء القانون توجه الصاغ صلاح سالم إلى المجلس، وادَّعى أنه ذهب ليحمى السنهورى وقال: لولا حضوره لأجهز المتظاهرون عليه، والمفهوم أنه ذهب ليمتع نظره، ويشفى حقده بما أصاب الرجل الذى تجرأ على تحريض محمد نجيب على المطالبة بالدستور.

مؤامرة تفجير القاهرة:

ثم يقول أحمد أبو الفتح - وهو من الشاهدين على عصر بعد الناصر وأحد أصدقائه: وقام عبد الناصر بعد هذه المظاهرات بإلقاء القنابل فى القاهرة، وأوحى إلى بعض كتاب صحفه أن يردوا على المطالبين بالحريات بأن البلد بهذا ليست آمنة: فما معنى المطالبة بالحريات؟ وضحكت عند قراءة هذا الرد للسيد المكافح لأنه كان قد شاع وعرف أن جمال عبد الناصر هو الذى دبر أمر تفجير القنابل واعترف لزملائه بذلك، وأنه طلب تفجيرها جميعًا فى وقت واحد كى يسيطر الرعب على الناس ويطالبون ببقاء حكم حركة الجيش.

وكانت جريدة المصرى خلال شهر مارس تنشر تحذيرات للشعب فى صفحاتها المختلفة مثل ذلك الذى نشرته يوم ٢٧ مارس، إذ قالت:

من المصرى إلى الشعب المصرى «احذر أيها الشعب العظيم ما قد يدبر لك فى هذه الأيام من مؤامرة لدفعك إلى القيام بأعمال شغب».

مؤامرة حرق جريدة المصرى:

بقى أن أضيف أن الدكتور صليب بطرس ـ مدير المصرى- الذى كان أحد العمد الرئيسة التى ارتكز عليها المصرى فى نجاحه ووصوله إلى أن يصبح أوسع جرائد مصر

انتشاراً فوجئ ذات يوم بأحد عمال ورشة التجميع بالجريدة يدخل عليه مكتبه ويخرج من جيبه ورقة بمائة جنيه ثم ينفرط فى البكاء.

يقول العامل: إن بعض الضباط قابلوه بعد انصرافه من عمله وأركبوه سيارة جيش ثم راودوه أن يحرق مبنى المصرى وأعطوه هذه الورقة ذات المائة جنيه كمكأفاة ابتدائية وأنه خاف أن يرفض فيعتقلوه.

طلب من الدكتور صليب أن يأخذ المائة جنيه وأن يسمح له بإجازة ليختفى عن الأعين، وأخذ منه الورقة وكتب عليها التاريخ ووضعها فى خزينة الجريدة، ثم أخرج منها مائة جنيه أخرى وأعطاها للعامل مكافأة له ومنحه إجازة مفتوحة.

وهذه الواقعة حدثت خلال شهر مارس سنة ١٩٥٤م[(١)]:

ثم يقول أحمد أبو الفتح: إن عبد الناصر كان يملك كل مقومات المتآمر، فهو كتوم بصورة نادرة، حقود، استطاع أن يتخلص من زملائه: رشاد مهنا، محمد نجيب، حتى أخلص الناس إليه: عبد الحكيم عامر الذى مات مسمومًا، واستطاع أن يمكر بقادة مصر وأصحاب النفوذ فيها بعد قتل الحريات وإنشاء محاكم القهر، من أمثال محكمة الغدر والجنايات، ومحكمة الثورة، ومحكمة الشعب، والمحاكم العسكرية. كما أنه كان من صفاته انعدام العواطف، وقساوة القلب، وانتهاز الفرص، وما ترك عبد الناصر شيئًا إلا وتآمر عليه، حتى جيش مصر الذى كان يهلكه ويشغله فى حروب دائمة لا ناقة له فيها ولا جمل، فى الكونغو، وفى اليمن، وفى سيناء، بغير استعداد، وتآمر على الأغنياء فشردهم وأفقرهم، وبدد أموالهم.... إلخ.

هذا هو عبد الناصر الذى تآمر ودبر حادث المنشية ليتخلص من أشرف وأنبل من فى مصر وهم الإخوان المسلمون.

أقول وبالله التوفيق والسداد: بعد انتهاء التحقيق فى سجن القلعة عام ١٩٥٤ حيث اعتقلت عقب حادث المنشية بيومين وأخذت إلى سجن القلعة وبعد التحقيق إلى السجن الحربى حيث دخلت إلى سجن (٤) وبعد ليلة أو ليلتين تم إحضار مجموعة من الأفراد ليلاً... وكان من نصيب زنزانتى أحد الإخوة.. اسمه سيد مدرس تربية بدنية (ونسيت بقية اسمه الآن - لأنى لم ألتق به منذ ذلك التاريخ) وقص علينا ما يلى:

---

(١) انظر فى ذلك المرجع السابق، ص ٣٧٤ - ٣٧٧.

«إنه قادم من سجن (٣) والذى به المرحوم الشيخ فرغلى والمرحوم الأستاذ عبد القادر عوده والإخوة يوسف طلعت وإبراهيم الطيب ومحمود عبد اللطيف وهنداوى دوير. ومجموعة أخرى من الذين تم التحقيق معهم أو ما زال جاريًا مع البعض منهم - ثم يقول: وسمعنا طرقًا قويًا على أحد أبواب الزنازين حيث استخدم الطارق (دلو) المعدن الذى نشرب منه على الباب الحديد وهو يصيح «أنا هنداوى دوير: لقد ضيعونى.. لقد اتفقوا معى على أن أكلف محمود عبد اللطيف للقيام بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر وإنهم سيتابعون من أكلفه ويقبض عليه متلبسًا... وإننى سأخرج شاهد ملك...»ويكرر الكلام... ثم نسمع طرقًا آخر ويصيح عبد القادر عودة «اشهدوا يا ناس.. اشهدوا للتاريخ.. هذا هنداوى دوير يعترف أن الإخوان لم تقم بمؤامرة ضد الحكم ولكنها مؤامرة من الحكام مع هنداوى لأجل تصفية الإخوان... وهنداوى جاءته صحوة نفس ويعترف بالمؤامرة» وكان مسؤول السجن الشاويش محمود يقول عنه الإخوان إنه صاحب شنب كاكى. حيث أرسل لحمزة البسيونى «قائد السجن الحربى» ومعه مجموعة من الضباط وفتح لعبد القادر عودة وهو يصيح ويكرر كلامه عن هنداوى. وبعد تداول حمزة مع ضباطه أصدر حمزة البسيونى أوامر بإفراغ سجن (٣) من المعتقلين باستثناء الستة.

عندما قصصت هذه القصة على الدكتور عبد العزيز كامل -رحمه الله- قص على أن هنداوى رحمه الله كان مسيحيًا وأسلم وخاف من أهله وابتعد عنهم وهو شاب صغير فى الثانوى - فتعهده الإمام البنا رحمه الله وكفل له سكنًا وصُحبة ونفقات التعليم والمعيشة حتى تخرج فى الجامعة، ويبدو أنه ليس له عمق وعراقة إسلامية بعد أن غير دينه... وقبل إغراء السلطة له.. وبالنسبة لى فإننى أتساءل: هل ما حدث صحوة نفس.. أم أنه شعر بأنهم سيضحون به ويعدمونه ليحفظوا سرهم حول مؤامرتهم معه مما دفعه للاعتراف بهذا الاتفاق.

ومن خلال دراستى بالجامعة فى قسم الاقتصاد.. كنت أذاكر مع أحد زملاء الكلية اسمه طلعت محمود سليم ووالده لواء شرطة متقاعد... وكانوا يسكنون بالقرب من وزارة الخزانة.. وقد علم طلعت أننى اعتقلت مع الإخوان عام ١٩٥٤.. وبعد فترة زمالة وصداقة قص لى ما يلى:

أن والده فى الأربعينيات وهو ضابط شرطة وكان متدينًا عندما أُمر باعتقال بعض أفراد الإخوان عام ١٩٤٨ - فى الريف - كان يرسل إليهم سراً بأنه سيقوم بعمل كبسة على بيوتهم ليلاً لاعتقالهم، فعليهم ألا يكونوا فى بيوتهم حتى لا يضطر لاعتقالهم. وفى عهد الثورة أُرسل والده إلى الولايات المتحدة للحصول على دراسات عليا - هو وبعض الضباط لدراسة توقع الجريمة قبل وقوعها لتجنبها، وبعد عودته كُلف هو ومجموعة من رجال الثورة وعددهم ستة منهم محافظ القاهرة فى حينها (وذكر لى الأسماء ولكن لا أذكرها الآن) - وهو من ضمن الستة - بأن يتفقوا مع أحد الإخوان لتنفيذ مؤامرة لاغتيال جمال عبد الناصر لتكون مبررًا لحل الإخوان واعتقالهم - ثم قال طلعت وكان شقيقه (طالب الهندسة يجلس معه) ويرويان القصة، فاستطاعوا أن يتفقوا مع هنداوى دوير. وهم أعطوه المسدس والذخيرة التى سلمت لمحمود عبد اللطيف السباك البسيط الذى سافر إلى الإسكندرية ويحيط به منذ خروجه من بيته مجموعة من المخبرين دون علمه حتى وصل إلى ميدان المنشية، وأخرج مسدسه ليطلق طلقة فى الهواء مع ضربه على يده لتطيش الطلقة والإمساك به، وفى نفس الوقت أطلق أحد المخبرين القريبين من المنصة طلقة نحو لمبة الكهرباء التى فوق جمال عبد الناصر. واستطاعوا بهذا استثارة عواطف الناس وتوظيف الإعلام فى ذلك.. ثم يقول طلعت: «لقد أصاب أبى الاكتئاب والحزن الشديد وامتنع عن الطعام، ونحن نحاول أن نعرف منه سبب حزنه وضيقه، وهو يطلب منا عدم التحدث معه وتركه وحيداً، وبعدها قدم طلب إعفائه من الخدمة.. وبعد فترة طويله من الحزن والإلحاح منا لمعرفة المشكلة اعترف لهم بأنه شارك فى جريمة مع السلطة لاتهام الناس بالباطل وكان شريكًا فى سجنهم وتشويه تاريخهم واتهامهم بالإرهاب وقتل من قُتل منهم.. وهو يتألم كيف يغفر الله له- وكيف يستميح هؤلاء المظلومين مما شارك فيه؟

بعد سماع القصة طلبت منهم ألا يحكوا هذه القصة لأحد بعدى لأنها ستجر عليهم المشكلات لهم ولعائلتهم.

وبعد ذلك ذكرت هذه القصة دون ذكر أسماء أصدقائى ووالدهم لأحد الإخوة، فذكرها هو لعلى عشماوى ثم ذكرها على عشماوى للمرحوم سيد قطب، وعند التحقيقات مع سيد قطب، برر سيد قطب وقوفه فى صف الإخوان بافتراء الثورة

عليهم بأحداث عدة ومنها هذه القصة، فقالوا له : هذه القصة ملفقة فمن قالها لك : قال: على عشماوى.وعندما أُتى بعلى عشماوى قال : قال سعيد الراجى لفلان.

وفى أحد أيام السجن الحربى عام ١٩٦٥ فى ليلة شديدة البرد حيث كنت أخرج للتحقيقات مرات كثيرة - بحيث إن العسكرى الذى يذهب بى إلى المكاتب حفظ اسمى- جاء هذا العسكرى ونادى على وقال لى : تشاهد يا سعيد على نفسك قلت له : لماذا ؟ قال : لأنهم أعادوا من يحقق معهم. وجلسوا معًا يناقشون أمرًا ما . . . واستدعوا حمزة البسيونى. . وجلس معهم . . وبعدها قالوا : هاتوا سعيد الراجى. . قلت له : الله يتولانى برحمته وعندما وصلت عند النافورة بالقرب من المكاتب . . وأبلغهم العسكرى بقدومى . .

خرج حمزة البسيونى قائلاً لهم : دعوا الأمر لى. . لأنى أعرف الموضوع. . وأخذنى حمزة معه إلى غرفته التى ينام فيها. . . وأوقفنى جانبًا على البلاط. . وقال لى: أنا أريد أن أسألك عن موضوع قديم سقط بالتقادم ولا يحملك أى مسؤولية لأنك سبق أن حوكمت عام ٥٤ والأحداث كانت قبل ذلك التاريخ. . . ثم قال : سيد قطب وصله عنك أن أحد أصدقائك قال لك أخبارًا عن حادثة المنشية. . فاحك لى ما سمعته، قلت : أرجو أن سيادتك تساعدنى لأن الأحداث قديمة ولا أذكر خاصة فى الظروف التى غبناها فى السجن (وهدفى من الإجابة أن أعرف حدود ما لديه من معلومات) - وحمزة لم يكن محققًا محترفًا بل مجرد سجان.ولكن أدركت أهمية الموضوع بالنسبة للثورة حيث يريدون أن يعرفوا إلى أى مدى تسرب السر بين الناس، كما كان همى ألا أذكر اسم صديقاى ابنى محمود سليم.كما أننى قبل اعتقالى كنت قد عزيتهم فى والدهم - لذلك فكرت فى أن أجعل الحوار بينى وبين الأب وأن الأبناء لا يعرفون شيئًا.كما أننى فكرت فى أن أعرض الأمر بشكل مختلف يهون الأمر على نفوس المحققين ومنهم شمس بدران. . . فقلت لحمزة : نعم كنت أذاكر مع أحد أصدقائى- وذهبت لبيته ولم يكن موجودًا - وقابلنى والده وجلس معى فى الصالون ولاحظ أننى أكبر من سن ابنه. . فسألنى. . هل أنت تأخرت فى الدراسة؟ قلت له نعم بسبب أننى اعتقلت سنتين دراسيتين قال : متى ؟قلت عام ١٩٥٤، قال : مع الإخوان ؟ قلت : نعم . . قال : للأسف الذى حدث لكم نتيجة تقصير منا . . قلت له: كيف ؟

قال :إننى كنت أعمل فى الأمن وكان من الممكن لو بذلنا نشاطًا كافيًا لعرفنا بأحداث مؤامرة الإسكندرية قبل أن تحدث - وكان يمكننا اعتقال الذين دبروا الأمر قبل حدوثه وكان وقتها يمكن الاكتفاء بهم دون اعتقال الآخرين-فقال حمزة: هل تستطيع أن تذكر اسمه؟ قلت له: الحقيقة أنا منذ وقفت هنا وأنا أفكر فى اسمه ولم أتذكره؟ قال : أليس هو أصلع؟ قلت نعم - قال : هل يسكن قريبًا من وزارة الخزانة؟ قلت نعم، قال : هل دار بينكم شيء آخر ؟ قلت لا لأن ابنه قد وصل وابتدأنا فى مذاكرتنا وتركنا ، ثم أخذنى حمزة وتركنى عند النافورة، وسمعته وهو داخل عندهم: لا المعلومات اللى عنده هايفه جداً . . ثم أغلق الباب ولم أسمع باقى الحوار . . ثم طلب من العسكرى أن يذهب بى إلى زنزانتى.

وقد أردت بعد أن سردت ما فات من سطور أن أبحث عن عدد من مجلة أكتوبر حيث يروى حسن التهامى حادثة المنشية الملفقة مما أخرنى عن الكتابة إليكم حتى علمت أن الدكتور توفيق الواعى نقلها مع روايات أخرى فى كتابه «الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية . . شبهات وردود»

شهادة ممن حضر الواقعة:

فى مساء يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ وضح أن خطة جمال عبد الناصر قد وصلت إلى الهدف الذى كانت تسعى إليه وتوجه الأحداث نحوه. . ذلك أن إذاعة مصر وإذاعات العالم نقلت إلى الناس نبأ مفاجئًا بأن جمال عبد الناصر نجا من محاولة لاغتياله، وهو يخطب فى دار هيئة التحرير بالإسكندرية وأنه قد تم القبض على الجانى.

كان هذا النبأ مفاجأة للناس جميعًا، ولكنه بالنسبة لى لم يبلغ مستوى المفاجأة؛ لأننى كنت أتوقع حدوث شيء . . وإن كان الذى أتوقعه شيئًا أقل من ذلك مثل تفجير قنابل أو نحوها.

تحليل هذا الحادث:

وإذا كان ينبغى لمن يستعرض الأحداث أن يدع هذا الحدث دون تحليل؛ فإننى أرى الغناء كل الغناء فيما ورد من تحليل فى مدخل هذا الجزء من الكتاب على لسان الإخوة صلاح وصالح وفريد. . وإذا كان لى أن أضيف شيئًا إلى ذلك فإننى أقول:

١ - إذا كان الإخوان يريدون إتيان عمل كهذا، أفلم يكن الأولى بالقيام به إخوان الإسكندرية، والمثل يقول «أصحاب الدار أدرى بمسالكها» والمفروض فيمن يرشح نفسه لمثل هذا العمل أن يرتب لنفسه خطة الهرب؛ ولا يستطيع هذا إلا من له دراية كاملة بمعالم هذا البلد وأدق تفاصيل مسالكه.

٢ - لاشك أن جمال عبد الناصر ومن حوله من حرس حكومى - يدخل فيه المباحث العامة والمباحث الجنائية والشرطة العسكرية والمخابرات العسكرية والمخابرات العامة وغيرهم - كانوا يتوقعون كل شىء من ناحية الإخوان لا سيما النظام الخاص، كرد فعل لحملاتهم الاستفزازية؛ وهم فى نفس الوقت ملمون إلمامًا تامًا بجميع شُعب الإخوان فى القطر كله وبأفراد «النظام الخاص» على وجه الخصوص؛ بدليل أنهم بعد حادث المنشية مباشرة ألقوا القبض على جميع أفراد هذا النظام فضلاً عن اعتقال غيرهم من الإخوان.. فلو أنهم أرادوا منع محمود عبد اللطيف - وهو معروف لهم بالذات ومعروف لجمال نفسه - من السفر إلى الإسكندرية فى ذلك اليوم لفعلوا. فعدم منعهم إياه يشم منه رائحة التواطؤ أو على الأقل التغافل لحاجة فى نفس يعقوب.. قد كان يعلمها محمود وقد لا يعلمها هو ويعلمها من يرأسه فى النظام الخاص.

٣ - لو كان الإخوان يريدون اغتيال جمال عبد الناصر، فقد كانت أمامهم عشرات الفرص لتنفيذ ذلك دون مخاطرة تذكر. ولو فرضنا أن كل الفرص فاتتهم وأرادوا أن ينفذوها بعد ذلك لما وقع اختيارهم على تنفيذها فى حفل عام يضم هذا العدد الضخم وهم يعلمون أن رجال المباحث مندسون وسط كل صف من صفوف الجالسين والواقفين، ولما اختاروا أن يصوبوا إليه مسدسًا من أسفل إلى أعلى على بعد لا يقل عن عشرين مترًا.. ولكان تصرفهم غير هذا التصرف الذى هو أشبه أن يكون عملاً استعراضيًا منه بأن يكون عملاً جادًا.

٤ - إذا افترضنا جدلاً أن هذا العمل قام به أفراد من الإخوان، فإن إتيانهم إياه بهذه الطريقة يدل على أنه ليس من تدبير هيئة كهيئة الإخوان المسلمين فيها من العقول ومن الخبرة ما لا يتمخض عن مثل هذه الخطة الصبيانية.. وبهذا كان ينبغى اعتباره عملاً فرديًا لا علاقة له بدعوة الإخوان المسلمين، ولا بهذه الهيئة المترامية الأطراف؛ وما كان ينبغى أن تؤخذ هذه الهيئة بجريرة فعل فردى، بل يؤخذ هؤلاء الأفراد وحدهم بجريرة ما فعلوا.. ولكن يبدو أن الهدف كان مبيتًا لدى أصحاب السلطة.

مآثم لا تنسى بعد هذا الحادث المختلق:

١ - أول الآثام ابتداع أن يكون السجن مكانًا للاعتقال:

إن مجرد إيداع المعتقلين فى سجن هو خروج على العرف والقانون. فإذا كان هذا السجن سجنًا حربيًا مخصصًا لمن صدر ضده حكم فى جريمة بالغة الخطورة من العسكريين فإنه اعتداء آخر على القانون.. وكان معروفًا أن العسكرى الذى كتب عليه أن يقضى مدة سجن فى السجن الحربى هو إنسان كتب عليه الشقاء لأنه سيقضى مدة سجنه فى جهنم الدنيا.

ومحال أن ينسى معتقل دخل هذا السجن ما قوبل به لحظة دخوله مما أشرنا إليه من قبل، وقد يلقى داخله بعد ذلك أشد مما لقى فى هذه اللحظة، ولكن الذى لقيه فى هذه اللحظة لا ينسى مهما نسى ما بعدها؛ لأن المفاجأة المذهلة، والمفارقة المزلزلة جرحت فى القلب جرحًا عميقًا غائرًا لا يندمل.

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا الاستقبال إن هو إلا نوع من التعذيب، ولكن الواقع ليس كذلك؛ فالتعذيب أمر شائع فى كل عهود الظلام؛ يطلب من الرجل الاعتراف بأمور معينة لمصلحة الحاكم، ويكون الحاكم نفسه أو معاونوه هم الذين يتفاوضون مع هذا الرجل؛ فإذا لم يعترف أمروا بضربه أو تعذيبه بمختلف ألوان التعذيب.. فيكون التعذيب حينئذ نتيجة لمقدمات مهدت النفس لما سوف يتتابها من عنت وإرهاق وإهانة، ويشعر الذى يحيق به ذلك أنه إنما يحيق به لقاء ثمن استمساكه بالحق وصبره عليه.. ثم إن الذين فاوضوه وأمروا بتعذيبه هم أفراد من مستواه الثقافى والاجتماعى؛ أما الاستقبال فهو إهانة مفاجئة بغير مقدمات، وصادرة من أدنى المستويات إلى أعلى المستويات؛ أدنى المستويات سنًا وثقافة ومكانة فى المجتمع إلى أعلاها فى كل ذلك.. وقديمًا قالوا «لو ذات سوار لطمتنى؟!».

٢- طوابير الإهانة:

أشرت إلى هذه الطوابير التى كانت فى أوائل أيامنا بالسجن الحربى، وقد أعتبرها امتدادًا لإهانة الاستقبال. وأحب أن أزيد على ما قلت أننى حتى بعد أن انتهت مدة اعتقالى وخرجت إلى الحياة كنت لا أطيق أن تطرق سمعى هذه الأغنية اللعينة لأم

كلثوم. . إنها كانت تشعل فى صدرى ناراً لأنها كانت تذكرنى بالإهانة التى لحقت بنا فى الأيام السوداء التى أومأت إليها.

٣- طوابير الإرهاب:

لقد كانوا فى كل يوم وقت الضحى يفتحون لنا الزنازين ويأمروننا بالنزول فى أسرع جرى إلى فناء السجن حيث نصطف طوابير؛ ولفظاعة ما كان ينتابنا فى هذه الطوابير من إرهاب وإجرام كنا نخرج من زنازيننا ولا نعرف هل نعود إليها أحياء أم لا نعود حيث نضرب بالرصاص وندفن فى سفح الجبل.

إننى لا أزال أذكر أننا بعد أن نستمر ساعة على الأقل فى جرى مستمر تحت وابل من السياط التى لا تبالى على أى جزء من أجسامنا تقع؛ نؤمر بالوقوف فى ثبات كثبات التماثيل ثم يوجه إلينا كلام فحواه أننا لم يعد لنا قيمة، وأن الأوامر صدرت باستئصالنا من الوجود، وأن علينا أن نظل فى هذه الوقفة حتى تأتى إلى هذا القائد(وهو باشجاويش) الأوامر بما يفعله فينا. ونظل فى هذه الوقفة ونحن نتوقع أن نضرب بالنار من خلفنا أو أن يأتينا الموت من كل مكان.

لقد كنت فى هذه الوقفة أتذكر وقفة يوم القيامة، لقد جعلتنى هذه الوقفة أقدر فظاعة وقفة يوم القيامة حق التقدير، وأقدر كيف أن الناس من شدة الموقف يتمنون أن يصرفوا ولو إلى جهنم. وهنا كنا نتمنى أن ينهوا حياتنا مرة واحدة فينقذونا من هذا الانتظار الذى هو أشد ألف مرة من الموت، لقد حببت إلينا هذه الطوابير الإرهابية الموت، بل إنه صار لنا أمنية من أعظم أمانينا.

كنت فى تلك الأثناء فى سن تناهز الأربعين أو تطل عليها، وكان أكثر من معنا فى المعتقل فى أسنان تقارب هذا السن. ولكن كان معنا عدد لا يستهان به ممن هم فى سن آبائنا ممن تخطوا الستين؛ ومع ذلك فإن زبانية السجن الحربى لم يكونوا يرحمون هؤلاء الشيوخ فيعفوهم من الاشتراك معنا فى هذه الطوابير؛ بل إنهم كانوا يتعمدون أن يسوقوهم بالسياط فيجروا كما نجرى تماماً. . ولا أدرى كيف نجا هؤلاء من الموت؛ فلقد كنت أتوقع فى كل طابور أن يقعوا صرعى ولكن عناية الله كانت أعظم من كيد الظالمين. . ولا أنسى بهذه المناسبة أن أذكر أن شاباً من إخوان قنا كان إذ ذاك طالباً

أزهريًا بالقسم الثانوى ويحضرنى من اسمه الآن لقبه «العنانى» أجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية وجىء به بعد ثلاثة أيام فلم يرحموه من هذه الطوابير اللعينة وكان يجرى معنا تحت وابل من السياط وجرحه يدمى . . ولا أدرى كيف نجا هذا الشاب من الموت .

٤- مهزلة المحاكمات:

إذا أردنا الحديث عن المحاكمات فى السجن الحربى فلا يمكن فصل الكلام عنها عن التعذيب؛ لأنهما كانا متلازمين تمام التلازم ولا ينفصلان أبدًا. وإذا كان تصور الفصل بينهما جائزًا فى خاطر الذين كانوا يعيشون خارج السجن الحربى ولم تلق بهم المقادير يومًا داخل أسواره؛ فإن الذين عاشوا داخل هذه الأسوار وكانوا يرون ما يجرى فيها، ويسمعون ما ينبعث من حجرات التحقيق من صراخ واستغاثات تفتت الأكباد، وتقطع نياط القلوب . . هؤلاء لا يعرفون المحاكمات إلا أنها الفصل الأخير من مسرحية التفنن فى انتهاك آدمية الإنسان، والتوحش الذى انحدر إليه العاملون بهذا السجن وسادتهم حتى أتوا من الوحشية ما تعاف أن تأتيه الكلاب والذئاب .

وهؤلاء الذين كانوا يعيشون معًا فى زنزانة واحدة مغلقة عليهم . . فيأتى ناعق البوم ويفتح الباب فى هدأة الليل فيهبوا من نومهم واقفين فينادى على أحدهم فيتقدم إليه وهو صحيح معافى فيأخذه ويغلق الباب ويمضى به . . وفى غسق الفجر يفتح الباب مرة أخرى فيهبون من نومهم واقفين مذعورين فإذا بصاحبهم الذى خرج ماشيًا على قدميه أُتى به محمولاً على نقالة والدماء تنزف من كل مكان من جسمه وهو فاقد الوعى، لا يدرى أين هو ولا مَن حوله . .

ولن أثير موضوع جيران هؤلاء الذين يعيشون فى الزنزانة المجاورة؛ والذين أخذ واحد منهم بنفس الأسلوب وفى نفس الوقت من الليل؛ ثم جاء الفجر ولم يجيئوا به، وطلع النهار وأقبل الليل التالى وتوالت الأيام ولم يجيئوا به . . ثم أعلنوا أنه هرب من السجن . . وهم يعلمون وكل من دخل السجن الحربى فى أيامنا يعلم أن الهروب من السجن الحربى نوع من المحال بل هو المحال نفسه . . . فلهؤلاء قضية أخرى لن يحكم فيها إلا الزمن لأنه قد مات فى التعذيب .

قصدت من هذا الذى ذكرت أن أوضح أن محاكمات السجن الحربى لم يكن التعذيب منفصلاً عنها بل كان جزءاً منها وهى جزء منه . . وأنا لازلت أعجب من قوم فى بلادنا هذه إذا أرادوا أن يستشهدوا على ما ارتكب فى حق الإنسان من ظلم، وعلى تجريد الذين قُدموا للمحاكمة من حق الدفاع عن أنفسهم ومن ضمانات العدالة؛ استشهدوا بمحاكم التفتيش التى جرت فى القرون الوسطى بأوروبا؛ مع أن محاكم التفتيش هذه لم تعد فى ميزان الظلم فى حق الإنسان شيئًا يذكر بجانب محاكمات السجن الحربى عامى ١٩٥٤، ١٩٥٥ . . .

ولكننى مع ذلك أتلمس عذراً لهؤلاء الذين لم يزالوا يستشهدون بمحاكم التفتيش فمحاكم التفتيش – مع ما كان فيها من مآثم –كانت محاكمات علنية سجلها التاريخ بل سجل كل ما قيل فيها كما سجل أحكامها . . .

لقد أبقت محاكم التفتيش على بعض ضمانات لم تبق عليها محاكم السجن الحربى . . أبقت محاكم التفتيش على العلانية وعلى إعلان مكان المحاكمة وزمانها، فكان الذى سيحاكم يُعلَن بمكان المحاكمة وزمانه كما كان يعلن ذلك لغيره من الناس . . أما محاكم السجن الحربى فإنها لم تبق على شىء؛ جعلت المحاكمة سرية؛ فالمتهم لا يعلم أنه سيحاكم إلا قبل موعد المحاكمة بساعات، كما جعلت مكان المحاكمة وزمانها سراً لا يعرفه لا الذى سيحاكم ولا أهله ولا أى أحد داخل البلاد ولا خارجها. ثم إنها جعلت الدفاع محرمًا كما جعلت إصدار حكمها على المتهم سراً . . كأنما يحس هذا الحاكم وزبانيته الذين جعلهم قضاة أنهم لا يجرون محاكمة بل يدبرون مؤامرة، ويأتون أمراً إدًا، ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٩٠] وصدق رسول الله ﷺ: «**مر الإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**».

ولكن الناس حتى يومنا هذا لا يزال أكثرهم يجهلون حقيقة ما كان يجرى فى هذا السجن بالرغم مما كتب فى هذا الشأن ؛ لأن المسيطرين على وسائل الإعلام فى بلادنا لا زالوا يعملون جاهدين على ستر مآثم ذلك العهد وحجب حقيقته . . ولا أدرى ما الذى يدفعهم إلى ذلك؛ فإن كانوا من الصالحين فى هذا المآثم فقد تابوا ﴿ إِلَّا مَن تَابَ

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] وإن كانوا برءاء من هذه المآثم فماذا يضيرهم من كشف النقاب عن الحقيقة؟ ومهما يكن من أمر فإن الأيام كفيلة بإماطة اللثام عما يراد إخفاؤه.

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تُخفى على الناس تُعلمِ

٥- التعذيب على نغمات أغنية عبد الناصر لأم كلثوم:

ومن تغالى المشرفين على هذا السجن فى التهتك أنهم كانوا يبدأون عمليات التعذيب الذى يسمونه التحقيق بعد عشاء كل يوم. وكنا نعرف أنهم بدأوه حين كانت تنطلق ميكروفونات السجن بأعلى صوتها الذى كان يصم الآذان بأغانى أم كلثوم فى جمال عبد الناصر وتظل على هذا الضجيج حتى الفجر.

٦- لجنة حقوق الإنسان:

فى كل يوم كان يرَسل إلى قاعة المحاكمة - التى لا يعرف مكانها أحد حتى المتهمون- عدد يتراوح بين العشرة والعشرين ممن يتم التحقيق معهم بالأسلوب الذى أشرنا إليه.

وكانت المحكمة السرية تحكم عليهم جميعًا بأحكام تتراوح بين خمسة أعوام وخمسة وعشرين عامًا؛ حتى إنه فى يوم من الأيام تقابلت فى دورة المياه - وكانت الفرصة الوحيدة للمقابلة - مع الأخ الأستاذ محمود عبده؛ وكان إذ ذاك ناظر مدرسة ثانوية ومن الإخوان الذين أبلوا بلاءً حسنًا فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨- فقال لى: تصور يا فلان أن الأحكام التى أصدرتها هذه المحكمة ضد الإخوان بلغت حتى الآن كذا ألف عام (ولا أذكر الآن عدد الآلاف الذى قاله) قال: إن هؤلاء الناس لا يعلمون أن العالم ينظر إلى هذه الأحكام باعتبارها مقياسًا لمدى استقرار الحكم، فكلما زاد عددها نقصت ثقة الدول فى الحكومة التى أصدرتها.

وبالرغم من الحجاب الحديدى الذى كان يعيش الإخوان فى السجن الحربى من ورائه والرقابة الصارمة حتى على أنفاسهم، فإنهم استطاعوا أن يتصلوا بمن يعيشون خلف الأسوار من الإخوان المستخفين.. وعن طريق هذا الاتصال استطاع إخوان السجن أن يعرفوا أن إخوانهم فى الخارج أرسلوا إلى هيئة الأمم المتحدة وإلى لجنة حقوق

الإنسان بها برقية يشرحون فيها عمليات التعذيب التى يقع الإخوان فريسة لها فى السجن الحربى، والمحاكمات السرية التى تعقد لمحاكمتهم؛ فاستجابت لجنة حقوق الإنسان وقررت إرسال مندوب عنها إلى القاهرة. وقد طلب هذا المندوب من الحكومة المصرية أن يُحدد له يوم يحضر فيه المحاكمة، واضطرت الحكومة أن تحدد له اليوم.. وقد أمكن تبليغ اليوم المحدد إلى الإخوان فى السجن الحربى.

الخطوات المتبعة فى المحاكمات:

وكانت الخطوات المتبعة فى المحاكمات هى:

أولاً: يُسحب المطلوب محاكمته من زنزانته سراً بعد العشاء ويقاد إلى المكاتب.

ثانيًا: يكون المحققون قد كتبوا محضراً كاملاً للتحقيق مع هذا الشخص قبل حضوره بما فيه من أسئلة وأجوبة كما يريدون. !

ثالثًا: يقدم الأخ المطلوب إلى المحقق الذى يجلس بجانبه قائد السجن الحربى وضباط المخابرات وضابط -على الأقل- من رجال جمال عبد الناصر الشخصيين، ويقرأ المحقق على الأخ التهمة المطلوب اعترافه بها فينفيها الأخ لعدم معرفته بها ولا بالأشخاص الواردة أسماؤهم فيها.

رابعًا: يأمر الزبانية عساكر التعذيب بخلع ملابس الأخ فيفعلون.

خامسًا: يُبدأ بضربه بالكرابيج على جميع أجزاء جسمه وهو طبعًا يصرخ ويستغيث.

سادسًا: يؤمر بإيقاف الضرب ويطلب منه الاعتراف بالتهمة فيقول لهم: كيف أعترف بشيء لم يحصل ولا علاقة لى به؟

سابعًا: يؤمر بمعاودة تعذيبه، فتستعمل طرق أخرى من التعذيب غير الضرب، لأن جسمه لم يعد فيه ستيمتر واحد خال من آثار الكرابيج، فتستعمل وسائل أخرى كالإحراق بأعقاب السجاير والكى بالنار فى أماكن متباينة وحساسة من جسمه، أو يعلق منكسًا مع ضربه وهو فى هذا الوضع، أو يضرب مرة أخرى حتى يلتهب جسمه كله وينزف من جميع أجزائه.. ثم يلقى وهو فى هذا الالتهاب فى زنزانة مجهزة تجهيزاً

خاصًا ومملوءة بالماء والثلج بحيث يغمر الشخص حتى رقبته، أويُلجأ إلى أحط الوسائل بإحضار زوجته أو بناته أو أخواته وتهديده بهتك أعراضهن أمامه، أو وسائل أخرى لا تقل انحطاطًا ووحشية عن هذه الوسائل.

وهكذا يُجرب معه من هذه الوسائل حتى يضطر إلى التوقيع على المحضر الذى عرضوه عليه من أول الأمر إنقاذًا لحياته وعرضه.

ثامنًا: تضمد جراحه النازفة ويلقى به فى زنزانته. . حتى إذا توقف النزف واستطاع المشى على قدميه؛ اعتبروه صالحًا للتقديم إلى المحكمة.

تاسعًا: ينادى عليه وعلى زملائه الذين مروا بكل ما مر به. وتكون المناداة ليلاً؛ فيقابلهم قائد السجن الحربى أو من ينيبه ممن هم على شاكلته، ويخبرهم بأنهم سيذهبون غدًا إلى المحكمة فى الصباح، ويحذرهم من أن ينكر أحد منهم شيئًا مما هو متهم به أو أن يشكو أى نوع من التعذيب وإلا عادوا إلى تعذيب أشد.

عاشرًا: يذهب بهذه المجموعة إلى المحكمة التى لا يعرفون مكانها ولا زمانها ولا أشخاصها، فيجدون أنفسهم أمام حجرة داخل ثكنات الجيش ليس فيها أحد مطلقًا إلا ثلاثة ضباط ممن يسمون الضباط الأحرار، فيشعر هؤلاء المتهمون أنهم - بوقوفهم أمام هؤلاء - لم يخرجوا عن حدود السجن الحربى، وأن هؤلاء ليسوا إلا فصلاً من المسرحية المجرمة الهازلة. ويسأل رئيس هذه المحكمة الهازلة كل واحد من المتهمين: أهذا توقيعك؟ فيقول: نعم فيحكم عليه بما طلب إليه الحكم به. ثم يرجعون إلى زنازينهم بالسجن الحربى كما كانوا.

هذه خطوات المحاكمة. فلما علم الإخوان بالسجن الحربى باليوم الذين سيحضر فيه مندوب الأمم المتحدة جلسة المحاكمة أخبروا الإخوان الذين سيقدمون إلى المحاكمة فى ذلك اليوم بهذا النبأ، وطلبوا إليهم أن يكشفوا للمحكمة أمام الحاضرين فيها عن شىء من آثار التعذيب فى أجسامهم.

ودعى هؤلاء الإخوان فعلاً للذهاب إلى المحكمة حيث وجدوا - على غير المعتاد - أشخاصًا حاضرين منهم مندوب الأمم المتحدة. . ونودى على أول المتهمين فسأله رئيس المحكمة كالمعتاد:

هل هذا توقيعك؟ .

قال : نعم ولكننى لم أرتكب التهم المكتوبة .

قال : فلم إذن وقعت عليها؟ .

قال : سأريك لماذا وقعت عليها . . وخلع ملابسه التى كشفت عن ظهره فرأى جميع الحاضرين ظهره مشرحًا بطريقة مثيرة . . وقال لهم : إن هذا الأثر هو أثر تعذيب مضى عليه الآن خمسة أشهر .

فتنبه «القاضى» إلى الترتيب الذى وضعه الإخوان فى غفلة من «آلهتهم» الذين ظنوا أنهم قد أحاطوا بكل شىء علمًا ، فأوقف المحاكمة مدعيًا تأجيلها لتحقيق ما زعمه المتهمون من التعذيب . وأمر برجوع هؤلاء المتهمين إلى المعتقل .

أنا القانون:

وفى مساء ذلك اليوم حين أرخى الليل سدوله ، فُتحت الزنازين كلها فجأة وعلى غير المعتاد وبطريقة هستيرية ، وصدر أمر فى مكبر الصوت بخروج المعتقلين جميعًا من زنازينهم والوقوف أمامها فى الطرقة مطلين من السور الحديدى الذى أمامها ، فخرجنا وهالنا ما رأينا . . رأينا حول السارية العالية التى تتوسط فناء السجن نارًا تتأجج وقد علا لهيبها حتى كان أعلى من سقف الدور الثالث فى السجن ، وحولها عساكر السجن يمدونها بقطع ضخمة من جذوع الأشجار لتزداد تأججًا ، فأحسسنا بأن شرًا مستطيرًا يقترب منا وأننا على وشك خطر داهم . ورأينا بجانب السارية قائد السجن حمزة البسيونى بشاربه المتهدل الذى تصل ذؤابته إلى ما تحت ذقنه ، وبشعر رأسه المشعث ، وكرباجه تحت إبطه . . رأينا أمام حمزة البسيونى طابورًا من المعتقلين -هم الذين كانوا يحاكمون صباح هذا اليوم- ثم انطلق حمزة يقول بصوت المغضب الحانق المتغطرس :

اسمعوا . . إن كنتم تريدون القانون فأنا القانون . . انظروا إلى هؤلاء الكلاب (وأشار إلى الطابور الذى أمامه) لقد ظنوا أنهم يستطيعون أن يشكونى . . ولكن هيهات . . لقد رجعوا إلىّ وهاهم أولاء فى قبضتى وتحت قدمى وسأسحقهم حتى لا يفكر أحد منكم أن يتجرأ ويفعل مثلما فعلوا .

أنا أحيى وأميت:

ثم أخذ يتوعد بألفاظ وعبارات لم يتفوه بأخطر منها قارون، ولكنها تشبه ما قاله النمروذ لإبراهيم حين كان يحاجه إذ قال ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] . . والنمروذ كان ملكًا لا معقب لحكمه كما زين له غروره، ولكن هذا الحمزة البسيونى كان إذ ذاك «مقدمًا» يرأسه من الضباط العقداء فالعمداء فالألوية فالفرقاء فالمشير؛ هذا فى قطاع الجيش، ثم هناك رياسات أخرى فى أبنية الدولة الأخرى . . فإذا وصل الغرور بمثل هذا الصعلوك إلى حد ادعاء ما استأثر الخالق جل وعلا به لنفسه من خصائص الإحياء والإماتة؛ فإنه يكون بذلك قد جاوز غروره غرور النمروذ.

أربعمائة كرباج:

وبعد أن هدد وتوعد وأفاض فى تأليه نفسه ناسيًا خالقه وبارئه؛ قرر تأديب هؤلاء الإخوة الكرام. فدعا بأولهم فتقدم إليه، فأمر بربطه فى السارية فربطوه ربطًا قاسيًا وكان ظهره عاريًا. ثم قرر بصوت جهورى هز السجن بمن فيه أنه صرف له أربعمائة كرباج ومعذرة فى استعارتى هذا اللفظ «صرف» فإنه كان هو الاصطلاح المعمول به فى السجن الحربى، كما أنه قرر -شفاءً لنفسه- أنه سيقوم هو بنفسه بضربه.

واستل المغرور الكرباج من تحت إبطه، واعتدل منتفخًا، وأخذ يضرب الأخ بكل ما أوتى من عزم وقوة. . وقد سالت دموعنا من هول الضرب الذى لا يعرف الرحمة. ولكن كانت مفاجأة. . .

المفاجأة هى أن المغرور قبل أن يوفى على المائة الأولى رأيناه قد انهار، وكاد يسقط السوط من يده؛ فى حين أن الأخ الكريم لم يصدر منه ما يشعرنا ولا ما يشعر من حوله من الزبانية بالألم، فلا صراخ ولا استغاثة ولا حتى مجرد تأوه. . بل ثبات وصمت . . وكل الذى سمعناه فى هذه اللحظة قول المغرور له: يا ابن الكلب (بمد الكاف للتعجب الشديد) كل ده وأنت لا تحس دا أنا فرهدت! . !

وأعطى المغرور السوط لأمين - وأمين هذا هو الآدمى الذى وكلت إليه الآلهة المغرورة تدريب المعتقلين الإذلال والإهانة والإشراف على التنكيل بهم داخل السجن الكبير، كما كانت مهمته تنفيذ ما تقرره هذه الآلهة من وسائل التعذيب لمن يحقق معهم

فى المكاتب - وهو شاب نحيل لا يجاوز الثلاثين ورتبته باشجاويش بأربعة أشرطة على ذراعه. وأمين هذا شخصية وإن كانت ضئيلة القدر إلا أنها تستحق مع ذلك أن يُتحدث عنها فيما بعد إن شاء الله. . وتسلم أمين السوط واستأنف ما انهار دونه سيده، ولكنه بدأت عليه علائم الانهيار وهو فى أواسط المائة الثانية.

ولقد رأيت بنفسى آثار التعذيب على ظهر أحد الإخوة الذين كشفوا عن ظهورهم فى المحكمة، فقد استطاع الأخ نصار أن يتسلل إلى زنزانتنا، وكشف لنا عن ظهره فرأينا آثار الضرب فى ظهره بعد خمسة أشهر من شفائه، ومع ذلك فلا زالت آثار السياط متلاصقة زرقاء.

ومع أن مندوب لجنة حقوق الإنسان بالأمم المتحدة رأى بعينه آثار التعذيب الوحشى. . فماذا فعل؟ إنه لم يفعل شيئًا. . وهذه اللجان ما هى إلا أسماء سماها رؤساء أمريكا والدول الكبرى ليضحكوا بها على الناس ويوهموهم بوجود شيء هو فى الحقيقة غير موجود.

ومما يذكر أن جمال عبد الناصر اعتبر حضور مندوب الأمم المتحدة المحاكمات اعتداءً على كرامته وتدخلاً فى شؤنه الداخلية فلم يستطع منعه من الحضور ولكنه أراد أن يعاقب.

***

البطولة شىء عظيم سامق، لا تدعى ولا يتقلدها إلا شخص يملك صفاتها، ويحرز أسبابها، أمثال هذا يسيرون فى الناس وهم فى غفلة عنهم، ويعيشون بينهم ولا يحسون بنبض قلوبهم، ولا بلهب أرواحهم، وصدق عزائمهم، قصاد نحو الحق وإن تخلى الجميع عنه، روّاد نحو المجد وإن حاد الناس عن دربه، وضلوا عن صراطه المستقيم، إلى أن يأتى قدرهم وتظهر بطولتهم :

والطرق شتى وطريق الحق واحدة ... والسالكون طريق الحق أفراد

والناس فى غفلة عما يراد بهم ... وجلهم عن طريق الحق حياد

لا يعرفون ولا تدرى مسالكهم ... وهم على مهل يمشون قصاد

وسليمان الحلبى بطل من هذا النوع الفريد، يحتاج إلى دراسات ووقفات لتحليل تلك الشخصية التى ظُلمت، كما يقرر الباحثون تاريخيا، سواء على المستوى الرسمى للمؤسسة الدينية التى أدانته وتبرأت من فعلته، أو على المستوى البحثى، حيث لم ينصفه كثير ممن كتب فى تاريخ هذه الحقبة الذين كانوا يعتبرونه قاتلا للجنرال كليبر قائد الحملة الفرنسية فقط ويلتزمون الصمت، ولا يعلقون على الحدث، ولعل السبب فى ذلك سيادة الثقافة الفرنسية التى غلبت على الأمة وما زالت تعانى من آثارها حتى الآن ظُلم بحق هذا الطالب الأزهرى المجاهد لقيامه بالواجب الشرعى فى قتل عدو مغتصب محتل لبلد إسلامى، فكان وجهًا من الوجوه التى أضاءت صفحات تاريخ الجهاد الإسلامى المشرّف، ضد الهجمات الاستعمارية التى حاقت بالأمة فى فترة من فترات التاريخ . .

ففى عام ١٧٩٨م، تمكنت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت من الاستيلاء على مصر، استمر نابليون فى قيادة الحملة حتى رحيله فى ٢٢ أغسطس عام ١٧٩٩ لفرنسا، وتولى القائد الجنرال كليبر قيادة الحملة خلفا له، وهو أحد القواد النابهين، وقد أسرف الفرنسيون فى إهانة الشعب المصرى وإذلاله، فاعتقلوا الكثير، وأقيمت المذابح فى الميادين وتزايدت أعمال القمع والإرهاب، وأشتد ضيق الناس، وقامت الثورات ضد الفرنسيين، وكان مركزها الأزهر الشريف الذى كان مشعلا كبيرا فى إذكاء روح الثورة

وفى قيادة المقاومة الشعبية للانتقام من الاحتلال، ودفع الأزهر ثمن ذلك غاليا من علمائه، ومن تدنيس مسجده، واقتحام حرماته، فنصب الفرنسيون المدافع على التلال المحيطة بالجامع الأزهر. وصارت ترسل نيرانها وحممها على الثوار، وعلى الجامع الأزهر، فتفتك بالناس وتحطم كل شىء، فزاد هياج الناس. وهنا أدرك الفرنسيون أنه لا خلاص من هذه الثورة إلا باحتلال الجامع الأزهر، وصدرت الأوامر بالتركيز على ضرب الأزهر بوابل من النيران لا مثيل له، ودفن كثير من الناس تحت الأنقاض، واقتحم الجنود الفرنسيون الأزهر بخيولهم بمناظر وحشية، وربطوا خيولهم بقبلته، وكسروا قناديله ومزقوا مصاحفه وكتبه وداسوها، وقبضوا على العلماء: الشيخ سليمان الجوصقى، الشيخ أحمد الشرقاوى الذى كان عطوفا على الطالب سليمان الحلبى والشيخ عبد الوهاب الشبراوى والشيخ يوسف المصلحى والشيخ إسماعيل البراوى، وآخرين، وجردوهم من ملابسهم ثم اقتيدوا إلى القلعة وأعدموا رميا بالرصاص، وألقيت جثثهم من الصور خلف القلعة من شاهق، وكان المقتولون حسب رواية الجبرتى ثلاثة عشر عالما وكان الإثخان فى قتل العلماء مبعثه علم المحتل أن زعامة الأزهر الروحية والشعبية هى المحرك الأساسى للثورة للتخلص من الاحتلال.

وفعلا انتهى الاحتلال على يد أحد طلاب الأزهر الشريف وهو سليمان الحلبى الذى شهد ما يفعل بالأزهر من إهانة للمقدسات، ومن قتل لشيوخه الذين كان من بينهم أستاذه الشيخ أحمد الشرقاوى، فرسم سليمان الحلبى خطته لضرب هذا الاحتلال فى مقتل لا يبرأ منه، فقتل القائد الأكبر للحملة الجنرال كليبر الذى بقتله تنهار تلك الحملة المحتلة الباغية، ورسم خطته المحكمة الناجحة للقضاء على الحملة لقتل قائدها ورأسها المدبر لينتهى الأمر، ويلاحظ الباحث فى شخصية هذا البطل أن له مواصفات عجيبة وأفكار رشحته لمهمة عسيرة يلتفت فيها إلى ما يلى:

١- لم ينشغل سليمان الحلبى بقتل الجنود عشرة عشرون مائة وكان هذا أسهل لأنهم كانوا فى الطرقات.

٢- من الذى خطط لهذا الرجل والأمر يحتاج إلى مراقبات ومعرفة الأماكن والمداخل والمخارج ومعرفة الأوقات ونقاط الحرس؟.... الخ

٣- العقلية التى اخترقت الحراس والأماكن. والقيادة العامة للجيش فى حالة الهياج والحذر.

٤- تلك السرية الكبيرة التى أحاط بها خطته وذلك الكتمان الذى يدل على قمة الانضباط والوعى .

٥- ثبات الرجل وجرأته الغريبة فى تنفيذ خطته ، وقد كاد يفلت بعد العملية لو كان معه من سهل هربه .

٦- بشاعة الانتقام منه لم تنل من ثباته واحتسابه ولم تنل من توازنه واحتسابه .

وبتتبعنا لسيرته نذكر ما يلى :

ولد سليمان الحلبى عام ١٧٧٧ فى قرية (عفرين) فى الشمال الغربى من مدينة حلب ، من أب مسلم متدين اسمه محمد أمين ، كانت مهنته بيع السمن وزيت الزيتون ، فلما بلغ سليمان العشرين من عمره ، أرسله أبوه برا ، عام ١٧٩٧ ، إلى القاهرة لتلقى العلوم الإسلامية فى جامع الأزهر حيث انخرط سليمان فى (رواق الشوام) المخصص لطلبة الأزهر من أبناء بلاد الشام ، فيه يتعلم ويأكل وينام مع كوكبة من أقرانه الفتيان الشوام . وقد وطّد صلته بالشيخ أحمد الشرقاوى أحد الأساتذة الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ، وأحيانا ما كان سليمان يبيت فى منزل أستاذه الشيخ الشرقاوى الذى رفض الاستسلام للغزوة الفرنسية فساهم بإشعال فتيل ثورة القاهرة الأولى بدءاً من ٢١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٧٩٨ ، أى أن سليمان الحلبى كان إلى جانب أستاذه الشيخ الشرقاوى حين اقتحم جيش نابليون أرض الجيزة ، ثم أرض المحروسة - القاهرة ، حيث راح الغزاة الفرنسيون ينكلون بالشعب المصرى أشد تنكيل كما يذكر الجبرتى ، فى الوقت الذى كان فيه (إبراهيم بك) يحرض المصريين على الثورة ضد الغزاة (الكفرة) من مكانه فى غزة ، و(مراد بك) يحض الشعب المصرى على المقاومة من مكانه فى صعيد مصر ، وهو التحريض الذى دفع بونابرت إلى الزعم الباطل فى رسالة بعث بها إلى شريف مكة فى الحجاز غالب بن مسعود ، وإلى بيان وجهه إلى مشايخ وأعيان (المحروسة - القاهرة) بأنه قد هدم الكنائس فى أوربا وخلع بابا روما قبل قدومه على مصر ، وأنه عاشق للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، نصير للدين الإسلامى !! إلا أن حصافة الشعب المصرى لم تكن عاجزة عن إدراك بطلان هذا الزعم الكاذب الذى رافقه التنكيل بالمصريين الذين (أججوا ثورة القاهرة الأولى) ضد الغزاة (الكفرة) انطلاقا من منطقة الجامع الأزهر .

وقد رد عليها الغزاة بقذائف مدافعهم غير الرحيمة التى نالت من مبنى (المسجد الكبير) الذى لم تشفع له قدسيته كمسجد للعبادة الإسلامية، فقامت خيول الغزاة المسلحين بالبنادق والسيوف باحتلاله.. وحكمت على ستة من شيوخ الأزهر بالإعدام كان بينهم أستاذ سليمان الحلبى الشيخ أحمد الشرقاوى، الذى اقتيد إلى القلعة حيث ضربت عنقه مع أعناق الشيوخ المجاهدين الخمسة الآخرين، وفصلت رؤوسهم عن أجسادهم، ودفنوا فى قبور غير معلوم مكانها حتى اليوم.. وبعد تمكن الغزاة من إخماد ثورة القاهرة الأولى، تضاعفت مظالم الغزاة، وطورد كل مشبوه بانتمائه إلى حركة الجهاد والمقاومة الشعبية الوطنية المصرية الإسلامية، فاختفى من اختفى، وهرب من هرب، وبذلك توافرت الظروف لتوحيد (خطط الجهاد) داخلية وخارجية، وكان ممن غادروا أرض مصر إلى بلاد الشام، سليمان الحلبى، بعد أن قام فى القاهرة ثلاث سنوات، حيث توجه إلى مسقط رأسه (عفرين) فى الشمال الغربى السورى وليلتقى فى حلب (أحمد أغا) وهو من انكشارية (إبراهيم بك)، وليكتشف أن والى حلب العثمانى قد بالغ بفرض غرامة على والده بائع الزيت محمد أمين، وكان من البديهى وهو منخرط فى التنظيم الذى كان الشيخ الشرقاوى قد أنشأه فى المحروسة، ثم أحياه (إبراهيم بك) فى غزة - أن يحاول السعى لرفع الغرامة عن أبيه، وقد وعده (أحمد أغا) بذلك، وكلفه بالتوجه إلى مصر التى كان أقام فيها ثلاث سنوات، لأداء واجبه الإسلامى الجهادى باغتيال خليفة بونابرت الجنرال كليبر، بعد أن تمكن بونابرت من اجتياح خان يونس والعريش وغزة ويافا، وبعد فشله فى اجتياح أسوار عكا التى كان واليها أحمد باشا الجزار، متحالفا مع إبراهيم بك الذى غادر غزة إلى القدس، وجبال نابلس، والخليل، مع استمرار سعيه، بالتحالف مع الآستانة، لإقلاق الغزاة (الكفرة) داخل مصر. وبعد فشله فى اقتحام عكا، عاد نابليون بجيشه إلى مصر مدحورا من بلاد الشام، ومنها توجه سرا بحرا إلى فرنسا ليلة الاثنين ١٦ أغسطس ١٧٩٩، تاركا مصر إلى الجنرال كليبر، بعد أن دعَا نابليون فى بيانه الشهير اليهود إلى إقامة دولة إسرائيل الكبرى.. بدءاً من أرض فلسطين.

بوصوله القدس، صلى سليمان الحلبى فى المسجد الأقصى فى مارس (آذار ١٨٠٠م) ثم توجه إلى الخليل حيث إبراهيم بك ورجاله فى جبال نابلس، ومن الخليل توجه بعد عشرين يوما من إقامته فيها فى أبريل (نيسان) ١٨٠٠م إلى غزة حيث استضافه (ياسين

آغا) أحد أنصار إبراهيم بك فى الجامع الكبير، وقد سلمه سليمان رسالة حملها إليه من (أحمد أغا) المقيم فى حلب، برغبة سليمان بقتل الجنرال كليبر باعتبار سليمان عنصرا من عناصر المقاومة الإسلامية التى وضعت على كفيها عبء النضال لتحرير مصر من الغزاة (الكفرة). وفى غزة أنقد ياسين أغا (سليمان الحلبى) أربعين قرشا لتغطية كلفة سفره إلى مصر على سنام ناقة فى قافلة تحمل الصابون والتبغ إلى مصر، ولشراء (السكين) من أحد المحال فى غزة، وهى السكين التى قتل بها سليمان، الجنرال كليبر. وقد استغرقت رحلة القافلة من غزة إلى القاهرة ستة أيام، بعدها ذهب سليمان إلى مجموعة من الشوام المقيمين فى (رواق الشوام) كطلبة فى الأزهر، وقد كانوا أربعة فتيان من مقرئى القرآن من الفلسطينيين أبناء غزة، هم محمد وعبد الله وسعيد عبد القادر الغزى، وأحمد الوالى. وقد أبلغهم سليمان بعزمه على قتل الجنرال كليبر، وبأنه نذر حياته للجهاد الإسلامى فى سبيل تحرير مصر من الغزاة... وربما لم يأخذوا كلامه محمل الجد.

باعتباره كان يمارس مهنة كاتب عربى (عرضحالجى) صباح يوم ١٥ يونيو ١٨٠٠ كتب الفتى سليمان الحلبى عددا من الابتهالات والدعوات إلى ربه على عدد من الأوراق، ثم ثبتها فى المكان المخصص لمثلها فى الجامع الأزهر، ثم توجه إلى (بركة الأزبكية) حيث كان الجنرال كليبر يقيم فى قصر (محمد بك الألفى) الذى اغتصبه بونابرت وأقام فيه، ثم سكنه بعد رحيل بونابرت إلى فرنسا خليفته الجنرال كليبر الذى ما إن فرغ من تناول الغداء فى قصر مجاور لسكنه (سارى عسكر دامس) حتى دخل سليمان حديقة قصر محمد بك الألفى الذى يقيم فيه كليبر، ومعه كبير المهندسين الفرنسيين (قسطنطين بروتاين)، وقد تمكن سليمان من أن يطعن بنصل السكين التى اشتراها من غزة الجنرال كليبر، أربع طعنات قاتلة فى كبده، وفى سرّته وفى ذراعه الأيمن. وفى خده الأيمن. كذلك تمكن من طعن كبير المهندسين قسطنطين بروتاين ست طعنات غير قاتلة فى الصدغ من الناحية اليسرى، وفى الكف، وفى ضلوع الصدر من جهة اليسار، وتحت الثدى الأيمن وفى الشدق الأيسر، وفى الصدر من الناحية العليا. وقد تمكن اثنان من العساكر الفرنسيين، من إلقاء القبض عليه فى الحديقة ومن العثور على السكين التى نفذ بها مهمة القتل التى كُلف بها كمجاهد إسلامى وهب حياته لحرية مصر وكبريائها المثلوم.

حوكم الفتى سليمان الحلبى بعد حرق يده اليمنى خلال التحقيق معه حتى عظم الرسغ، لكنه أنكر صلته بالشيخ الشرقاوى، وبحركة المقاومة الإسلامية المصرية المختلطه (المصرية - العربية - الحجازية - المملوكية - التركية العثمانية - الشامية) وبما أن رفاقه المقيمين معه فى رواق الشوام فى الأزهر كانوا أربعة جميعهم من غزة، وليس فيهم مصرى واحد، بل وبما أن لم تكن لهؤلاء الأربعة الفلسطينيين أية صلة بعملية القتل فقد اعترف سليمان بأنه كان مقيما معهم مدة ٣٤ يوما قبل إقدامه على تنفيذ (مهمة القتل) عقب وصوله إلى القاهرة من غزة مكلفا بقتل (سارى عسكر كليبر) وبأنه أسر إليهم بعزمه على قتل الجنرال كليبر من منطلق جهادى نضالى صرف، لكنهم لم يأخذوا كلامه على محمل الجد. وبذلك أدانتهم المحكمة بالتستر على (الجريمة) قبل وقوعها، وحكمت على سليمان بالإعدام بالخازوق، وعلى أحمد الوالى ومحمد وعبد الله الغزى (سعيد عبد القادر الغزى كان هاربا) بالإعدام، وفصل رؤوسهم عن أجسادهم، على أن يتم قطع رؤوسهم أمام سليمان قبل إعدامه بالخازوق.

وفى الساعة ١١,٣٠ من يوم ٢٨/ ٦/ ١٨٠٠ نفذ حكم الإعدام بالفلسطينيين الثلاثة أمام عينى سليمان، ثم حرقت أجسادهم حتى الفحم، ثم غرس وتد الخازوق فى مؤخرة سليمان الحلبى فوق تل (حصن المجمع - تل العقارب) ثم ترك الجثمان المغروس فى أحشائه وتد الخازوق النافذ، عدة أيام تنهشه الطيور الجوارح والوحوش الضوارى، عقب دفن جثمان كليبر فى موضع من القاهرة قريب من قصر (العينى) بعد تشييعه فى موكب احتفالى ضخم، وكان جثمانه موضوعا فى صندوق من الرصاص ملفوفا بالعلم الفرنسى، وفوق العلم سكين سليمان الحلبى المشتراة من غزة.

وتولى الحملة مع الإعلان عن مقتل الجنرال كليبر، خلفه الجنرال جاك مينو الذى كان من قبل (سارى عسكر مدينة رشيد) وفيها أشهر إسلامه فى لعبه سياسية لا يعسر تفسيرها، وسمى نفسه (عبد الله مينو) وتزوج من نسائها سيدة مطلقة اسمها زبيدة بنت محمد البواب، وقد أنجب منها ورحلت معه إلى فرنسا بعد نجاح الخلافة العثمانية بالتحالف مع بريطانيا فى إرغامه على الانسحاب من مصر ومعه كل رجاله.. لينضم إلى مسيرة نابليون بونابرت الذى ارتقى إلى منصب قنصل فرنسا، قبل أن يغدو إمبراطورها الأعظم... ثم أسر فى جزيرة ألبا، ثم فى جزيرة سانتى هيلانة حيث

قضى نحبه مسمومًا بسائل الزرنيخ. فى إحدى قاعات المتحف بباريس اثنان من الرفوف : رف أعلى وضعت عليه جمجمة الجنرال كليبر، وإلى جانبها لوحة صغيرة مكتوب عليها : (جمجمة البطل) الجنرال كليبر، ورف أدنى وضعت عليه جمجمة سليمان الحلبى؛ وإلى جانبها لوحة صغيرة مكتوب عليها : (جمجمة المجرم) سليمان الحلبى لا تزالان معروضتين فى المتحف حتى اليوم. . .

هذه بإيجاز حكاية سليمان الحلبى التى لا يجوز فصلها قط عن الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية المصرية خلال فترة ما قبل وما بعد إقدام ذلك الفتى السورى البطل الذى أعدم بالخازوق على أرض مصر المحتلة صيف عام ١٨٠٠، على قتل الجنرال كليبر بتكليف من أطراف عضوية بحركة المقاومة الإسلامية الشعبية المصرية الوطنية.

تتأكد حقيقة أن سليمان الحلبى كان بطلا حقيقيا، وفتى من شهداء الإسلام والعروبة والحرية، وأنه جدير بالتخليد اسما وكفاحا وبطولة، وإذا كانت أطراف سورية غير رسمية قد سعت خلال الستين المنصرمتين لدى فرنسا، معبرة عن رغبتها فى رد الاعتبار إلى اسم سليمان الحلبى، وتطهيره من صفة (المجرم) اللصيقة بجمجمته فى متحف (أنفا ليد)، وبالموافقة على أن تسترد سورية رفاته من فرنسا لإعادة دفنها فى مسقط رأسه (عفرين) أو فى مدينة حلب، بصفته بطلا من شهداء الكفاح من أجل الحرية والاستقلال، فإن العدل وفضيلة الوفاء يقضيان بضم جهود المخلصين إلى الجهود السورية فى هذا السبيل، وبخاصة أن النفس الأبية ملتزمة بفضيلة الوفاء التاريخى فى كل العصور. . ومن حق جهاد سليمان الحلبى عليها، أن يكون له نصيب فى هذا الوفاء التاريخى الشهير، المضاد لكل ألوان الإجحاف والظلم والجحود.

هذا وقد كان قتل الجنرال كليبر سببا أساسيا فى فشل الحملة الفرنسية الغازية، فتجرأ الناس عليها وألجأتها الظروف إلى الخروج من مصر مدحورة مهزومة، واحتفل الأزهر بهذا النصر المبين، وفتحت أبوابه التى كانت مغلقة، وفرح الناس فرحا عظيما بزوال الغمة، وتذكر المؤمنون سليمان الحلبى المجاهد ونسيه الجاحدون، وحسبه أن الله يعلم صدقه وجهاده، ليمنَّ عليه بمقعد صدق عند مليك مقتدر...

أسد الصحراء الشهيد/ عمر المختار



فى هافانا وفى إحدى الساحات، وتحديًا للمسافات، واختلاف اللغات، وبعد مرور ٧٢ عاما على الاستشهاد، وفى لحظة لا يجوز فيها إلا الجهاد، جهاد ضد المغير وجهاد ضد الذات، طلع علينا وجه عربى ليبى إسلامى على بعد ثلاثة أمتار من وجه عربى جزائرى إسلامى، رغما عن أنف فاشى إيطالى وفاشى فرنسى.

وفى إحدى الساحات العامة المعروفة باسم (حديقة أبطال أفريقيا) الواقعة فى الجزء الغربى الأوسط من العاصمة الكوبية هافانا، وعلى بعد آلاف الأميال عن الشواطئ الليبية، تم تدشين نصب تذكارى لأسد الصحراء وشيخ المجاهدين فى ليبيا عمر المختار، الذى قارع الفاشية الإيطالية الغازية على امتداد عشرين عاما، وصدق ما عاهد عليه الله والشعب، وفاز بالحسنيين، وانتصر فى حياته وحين استشهاده، وعاش وسيعيش أكثر من جلاده.

وعلى بعد ثلاثة أمتار منه، يشمخ أيضًا العربى الإسلامى عبد القادر الجزائرى، الذى نازل الفرنجة وقاد الجهاد والعباد، ونال شرف الدفاع، عن المسلم والمسيحى فى الجزائر، وفى الشام ماردان على أبطال الحديقة، فى بلاد صديقة، يحيط بهما عن اليمين وعن الشمال، عدد آخر من الأبطال، أبطال أفريقيا البيضاء والسوداء، لا فرق بين غرب وشرق، الكل ينظر إلى الأمام، فى أمان وسلام.

من أقوال عمر المختار : إننا نقاتل، لأن علينا أن نقاتل فى سبيل ديننا وحريتنا حتى نطرد الغزاة أو نموت نحن، وليس لنا أن نختار غير ذلك، إنا لله وإنا إليه راجعون.

فى السادس عشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام١٩٣١ اعتلى البطل عمر المختار - وقد جاوز السبعين من عمره - أعواد المشنقة بعد جهاد طويل دام قرابة الثلاثين عامًا، حارب فيها الفرنسيين فى مملكة كانم ووادای فى نيجيريا والسودان، وعمل على نشر

الإسلام فى تلك البلاد ما شاء الله له، ثم عاد ليحارب الإنجليز فى مصر، وليقضى بقية عمره بعد ذلك فى قتال الإيطاليين الذين جاءوا مستكبرين محتلين لبلاده ومغتصبين لأرضه، فكانت له وقائع مشهودة ومواقف محمودة، وأبلى فى الجهاد بمن معه من المؤمنين الصادقين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله -جل وعلا-.

قالت عنه صحيفة التايمز البريطانية فى مقال نشرته فى اليوم التالى لإعدامه تحت عنوان «نصر إيطالى»: «حقق الإيطاليون انتصاراً خطيراً ونجاحًا حاسمًا فى حملتهم على المتمردين السنوسيين فى برقة، فقد أسروا وأعدموا الرجل الرهيب عمر المختار شيخ القبيلة العنيف الضارى...»، ثم تستمر الصحيفة حتى تقول: «ومن المحتمل جداً أن مصيره سيشل مقاومة بقية الثوار، والمختار الذى لم يقبل أى منحة مالية من إيطاليا، وأنفق كل ما عنده فى سبيل الجهاد وعاش على ما كان يقدمه له أتباعه، واعتبر الاتفاقيات مع الكفار مجرد قصاصات ورق، كان محل إعجاب لحماسته وإخلاصه الدينى، كما كان مرموقًا لشجاعته وإقدامه».

ونحن نقول:

ومليحة شهدت لها ضراتها   والفضل ما شهدت به الأعداء

لقد كانت حياة المختار مكرسة كلها للعلم والدعوة والجهاد؛ طلب العلم فى الزوايا التى أنشأتها الحركة السنوسية، ثم كان أحد روادها فى الدعوة وتربية الناس، حتى نادى منادى الجهاد فقضى بقية عمره معتليًا صهوة جواده، ممسكًا بسلاحه، لم يهادن أبدًا، ولم يستسلم لعدوه، بل قارعه مقارعة الند للند، رغم قلة الإمكانات ورغم عدم التكافؤ فى العدد والعدة، ولكنه استعلاء الإيمان وقوة اليقين، الذى ازداد صلابة وعمقًا فى ميادين الجهاد وساحات المعارك، إن جهاد المختار سيظل معلمًا بارزًا فى تاريخ ليبيا وتاريخ الأمة الإسلامية كلها وسيظل دليلاً على أن الإسلام صنع - ولا يزال- نماذج عظيمة من البطولات على مر العصور، وعلى أن العطاء الحقيقى إنما هو عطاء الإيمان.

ووفاءً ببعض حق عمر المختار علينا: أن نقف معه هذه الوقفة القصيرة، نستذكر فيها أحد الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وثبتوا على الحق الذى آمنوا له، نستعرض فيها

شيئًا من حياته، والعوامل التى جعلت منه بطلاً شجاعًا غير هياب ولا وَجل، جاهد - رحمه الله -إعلاءً للحق وأهله وإزراءً للباطل وأتباعه، حياة هذا المجاَهد تستحق الدراسة والاعتبار، فدروس التاريخ هى أبلغ الدروس، والجيل الذى لا يتعلم من تلك الدروس ولا يستفيد ممن سبقوه لا يمكن له أن يقود حركة التاريخ قيادة صحيحة، ولا أن يحقق أهدافه المنشودة.

ولد البطل عمر المختار بن عمر المنفى، فى منطقة البطنان من برقة عام (١٢٧٧ هـ) ١٨٥٨م، ويرجع نسبه إلى بيت فرحان من قبيلة المنفة. وكانت نشأته فى بيت عز وكرم، تحيط به شهامة العرب وحرية البادية، طلب العلم فى زاوية جنزور، ثم انتقل إلى زاوية الجغبوب التى كانت مركز قيادة الحركة السنوسية آنذاك، حيث أتيحت له الفرصة أن يتلقى العلم على يدى بعض المشايخ الذين كان لهم دور رئيسى فى نشر الدعوة الإسلامية، أمثال: السيد الزروالى المغربى الجوانى، والعلامة فالح بن محمد ابن عبد الله الظاهرى المدنى، وقد ظهرت عليه علامات النباهة ورجاحة العقل منذ الصغر، وظل محل إعجاب وثناء كل من عرفه، حتى لقى ربه -عز وجل- مقبلاً غير مدبر، فكان ذلك أكبر دليل على صدقه فى التعامل مع الناس وفى إقباله على الله.

وبعد فترة قصيرة عينه السيد المهدى السنوسى شيخًا على زاوية القصور فى الجبل الأخضر فقام بأعباء المهمة خير قيام، من تعليم الناس أمور دينهم إلى فض المنازعات بين القبائل والسعى فى مصالحهم وجمع كلمتهم، وسار فى الناس سيرة غبطه عليها العقلاء وزادت من مهابته عند غيرهم، ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن اختياره للقيام على أمور هذه الزاوية كان مقصوداً من قبل المهدى السنوسى، حيث إن هذه الزاوية كانت فى أرض قبيلة العبيد التى عرفت بشدة الشكيمة وصعوبة المراس، فوفقه الله فى سياسة هذه القبيلة، ونجح فى ترويضها بما أودع فيه من صفات القيادة والحكمة.

ثم كلف بأمر الجهاد فى واداى، فقارع الاستعمار الفرنسى الذى كان قد بدأ زحفه إلى وسط أفريقيا، فبذل الوسع حتى لفت الأنظار عزمه وحزمه وفراسته، قال عنه المهدى السنوسى: "لو كان لدينا عشرة مثل المختار لاكتفينا" وبقى فى واداى يعمل على نشر الإسلام ودعوة الناس وتربيتهم إلى جانب قتال الفرنسيين وحماية بلاد المسلمين، وكانت المناطق التى يتولى المختار قيادتها وحراستها أمنع من جبهة الأسد، ولا يخفى ما فى ذلك من إدراك القيادى المسلم لواجبه تجاه دينه ووطنه.

وفى عام ١٩٠٦م: رجع إلى الجبل الأخضر ليستأنف عمله فى زاوية القصور، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فقد كانت المعارك قد بدأت بين الحركة السنوسية والبريطانيين فى منطقة البردى ومساعد والسلوم على الحدود الليبية المصرية، ولقد شهد عام ١٩٠٨ أشد المعارك ضراوة والتى انتهت بضم منطقة السلوم إلى الأراضى المصرية تحت ضغوط بريطانيا على الدولة العثمانية، وعاد الشيخ إلى زاوية القصور يدير شئونها مرة أخرى، حتى امتدت يد الفاشست الآثمة إلى التراب الليبى، وهب المختار كعادته ليكون فى طليعة من لبى نداء الجهاد، وهب ليقود حركة وقفت فى مواجهة الغزاة عشرين عامًا، سطّر فيها المختار ومن معه من المجاهدين الأبطال ملاحم أسطورية تحدث عن عظمها وقوتها الأعداء قبل الأصدقاء؛ ولقد ذكر الجنرال رودلفو جراستيانى فى كتابه الذى سماه "برقة الهادئة" - يقصد أنها هادئة بعد إعدام المختار والقضاء على حركة الجهاد فيها: إنه نشبت بينه وبين المختار ٢٦٣ معركة ومواجهة فى مدة عشرين شهراً فقط، فأعْظم به من بطل، وأكرم به من شهيد.

وفى عام ١٩٢٣: أُسندت إليه النيابة العامة للحركة السنوسية وقيادة الجهاد فى برقة، وعلى الرغم من الشدائد التى عاشتها البلاد قاطبة نتيجة لانتشار الطاعون والأوبئة، وتمكن الإيطاليين من السيطرة على المناطق الغربية من ليبيا، وانقطاع الإمدادات على قلتها والتى كانت تأتى من مصر عن طريق زاوية الجغبوب. وعلى الرغم من أن مناطق المعارك لم تزد مساحتها على بضع عشرات من الأميال، ومن أن المختار جاوز الستين من عمره، على الرغم من هذا كله: كان على إيطاليا وجنرالاتها أن تخوض حربًا لا هوادة فيها لمدة ثمانية أعوام أخرى كانت أصعب وأطول سنى الحرب كلها، ولقد جردت إيطاليا كل ما لديها.. آلاف الجنود والمدافع والدبابات والطائرات والضباط والقادة الذين تخرجوا من الكليات العسكرية المتقدمة والتى كانت مصدراً يفخر به الغرب على المسلمين، لكن الذى لم يدركه الإيطاليون وأدركه المختار: أن المقاييس فى مثل هذه الأحوال لا تخضع دائمًا للتقديرات المادية، فقوة الإيمان وعزائم الرجال وتجرُّدهم فى سبيل الله يرجح الموازين ويخزى الظالمين.

ونستمع إلى كلمات المختار من وراء السنين، تجلو الهمة والعزيمة والإصرار التى يتميز بها عندما دعى إلى التفاوض مع إيطاليا: «إنا حاربناكم ثمانية عشرة سنة، ولا

نزال بعون الله نحاربكم، ولن تنالوا منا بالتهديد» إلى أن يقول: «لن أبرح الجبل الأخضر مدة حياتي ولن يستريح الطليان فيه حتى توارى لحيتي في التراب».

إن أمة مثل هذه لا سبيل لقهرها إلا بالقضاء عليها، وما أحوج المسلمين اليوم لأن يدركوا مثل هذه العبرة، وأن يتعلموا مثل هذا الدرس.

ولم يبق أمام إيطاليا إلا خيار واحد، وهو: أن تقطع عن المجاهدين كل إمكانية للإمداد، فجمعوا كل الليبيين في برقة في معسكرات اعتقال جماعية مع ماشيتهم وأغنامهم، وأحرقوا بعد ذلك الأخضر واليابس، ومدوا الأسلاك الشائكة على طول الحدود الليبية المصرية، لكن ذلك لم يكن ليفت في عضد المجاهدين الذين وطنوا أنفسهم على إحدى الحسنيين، فاستمروا في قتالهم شهوراً عديدة، حتى كان يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثاني ١٣٥١هـ (١١ سبتمبر ١٩٣١م)؛ إذ فاجأتهم كتيبة من الجيش الإيطالي في جنوب قرية سلنطة، ودارت بين الطرفين معركة سقط فيها أكثر المجاهدين وقتل جواد المختار فوقع به على الأرض جريحًا، وقاتل حتى نفدت ذخيرته، فأسره بعض الجنود الذين تعرفوا عليه، وكان ذلك إيذانًا بانتهاء الجهاد والمقاومة حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

وفي يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأولى ١٣٥١هـ (١٦ سبتمبر ١٩٣١م) وفي مدينة سلوق: جئ بالمعتقلين وبجمع غفير من الناس ليشهدوا الإعدام، ووضع الجلاد الحبل حول عنقه وصعدت روحه الطيبة تشكو إلى ربها عنت الطواغيت وظلم الظالمين - أسكنه الله فسيح جناته، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

لقد كان جهاد المختار ورفاقه ضد الإيطاليين درسًا من الدروس العظيمة لرفض الظلم والاستعباد والمضي في ثبات على طريق الجهاد مهما كانت الظروف والإمكانات، ولعل من المفيد هنا أن نعرض بإيجاز بعضًا من السمات والخصال التي كونت شخصية عمر المختار، فتوحدت خلفه صفوف الليبيين وأصبح علمًا على جهادهم، وانتشرت أخبار بطولاته فأيقظت الرأي العام الإسلامي والعالمي، فصارت الصحافة تعنى عناية جادة بمصير ليبيا، وكانت قد تناقص اهتمامها بعد انسحاب الأتراك من الحرب عام ١٩١٢م:

-إن أوضح سمات المختار -ولاشك- هى : قوة إيمانه بالله، وصدق توكله عليه، كما كان ظاهراً فى كل أقواله وأفعاله، كما أن ذلك أيضًا هو مصدر كل صفاته الحميدة الأخرى من الشجاعة والثبات والمروءة، وكيف لا وهو الذى تربى وقضى عمره فى حركة إسلامية كان لها الدور الرئيسى فى بعث الإيمان فى تلك البلاد، وإحياء ما اندرس من معالم الدين والدعوة إليه وتربية الناس على ذلك[1]، لقد نشأ المختار فى بيئة أكسبته الفقه فى الدين، وعلمته الدعوة إليه، وأعْظمت فى عينه فضيلة الجهاد، ولا أدل على ذلك من أنه قضى عمره يجاهد أعداء الإسلام، ويصارع أعظمهم جبروتًا وكبراً على أرض ليبيا وخارجها، ولا شىء يصقل إيمان المسلم ويزيد من توكله على ربه كساحات المعارك ومقارعة الباطل والظالمين.

ومع هذا الإيمان الراسخ كان عمر المختار واسع الأفق عالمًا بواقعه، مدركًا لما يجرى حوله متابعًا له، وقد كان ذلك أكبر عون له على صحة مواقفه وقوتها التى فرضت الاحترام من أعدائه قبل أصدقائه، وما أعظم أن يجتمع الإيمان والفقه بالواقع، وما أقبح أن يتفرقا. ولئن كان هذا واضحًا جليًا فى كل مواقف المختار وآرائه، إلا أنه يتجلى كأوضح ما يكون فى إدراكه لعدم جدوى المفاوضات السياسية والمهادنات مع الحكومة الإيطالية التى وقع فيها - للأسف - كثير من قادة الجهاد الليبى، فكانت نتائجها سلبية سيئة، وكذلك فى اعتماده على الإمكانات المتوفرة لديه، وعدم التجائه إلى الشرق أو الغرب طلبًا للعون السياسى أو المادى:

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

- شخصيته القيادية وقدرته على تأليف قلوب من حوله وتوجيههم، كما أثبت ذلك فى إدارته لشؤون زاوية القصور وفى نجاحه فى قيادة الجهاد بمراحله ومتطلباته المختلفة: من التخطيط للمعارك وقيادتها، إلى متابعة أصداء الجهاد فى الداخل والخارج والتفاعل معها.

---

(١) لابد من الإشارة هنا وقد بينا محاسن الحركة السنوسية ودورها فى قيادة الجهاد ضد الإيطاليين أننا لا نوافق على كل منهجها وخاصةً فى الجانب التربوى الذى اعتمد أساليب الصوفية، وكان فيه بعض الغلو، ولكن كان ذلك قد ازداد واستفحل عند المتأخرين منهم وبعد وفاة أحمد الشريف، إلا أن جذوره كانت ولا شك فى أصل منهجهم. والحركة السنوسية لم تعط بعد حقها من الدراسة والبحث.

ونقل هنا ما جاء فى رسالة بعثها للأمير شكيب أرسلان الذى بذل جهداً إعلامياً كبيراً فى الدفاع عن الجهاد الليبى وتوضيحه للعالم، يقول فيها: "إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى الأمير أخينا فى الله شكيب أرسلان -حفظه الله-: قد قرأنا ما دبجه يراعكم السيال عن فضائح الطليان وما اقترفته الأيدى الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار، فإننى وعموم إخوانى المجاهدين نقدم لمقامكم السامى خالص الشكر وعظيم الممنونية.

كل ما ذكرتموه مما اقترفته أيدى الإيطاليين هو قليل من كثير، وقد اقتصدتم وأحفظتم كثيراً، ولو يُذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين! لا توجد أذن تصغى لما يروى من استحالة وقوعه، والحقيقة - والله وملائكته شهود - أنه صحيح، وإننا فى الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون، وعلى الله فى نصرنا متوكلون، وقد قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته- فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٤٩هـ"[١]

-العقلية العسكرية الفذة التى اكتسبها من خلال حياته فى الزوايا التابعة للحركة السنوسية، حيث كان التدريب على أعمال الجهاد جزءاً أساسياً من برنامج الحياة فيها.

يقول الأمير شكيب أرسلان يصف ذلك، وكان قد زار ليبيا والتقى بمجاهديها: «حدثنى السيد أحمد الشريف: أن عمه المهدى كان عنده خمسون بندقية خاصة به، وكان يتعهدها بالمسح والتنظيف بيده، لا يرضى أن يمسحها أحد من أتباعه قصداً وعمداً ليقتدى به الناس ويحتفوا بأمر الجهاد وعدته وعتاده، وكان نهار الجمعة يوماً خاصاً بالتمرينات الحربية من طراد ورماية وما أشبه ذلك. فكان السيد يجلس فى مرقب عال، والفرسان تنقسم صفين، ويبدأ الطراد فلا ينتهى إلا فى آخر النهار»[٢]، هذا بالإضافة إلى الخبرة الطويلة التى اكتسبها من ميادين القتال حتى أصبح ذا كفاءة عالية فى استخدام المتوفر من القدرات وفى استغلال طبيعة ميدان المعركة، وذلك بشهادة القادة من أعدائه كما يذكر جراتسيانى عنه: أنه ترك المواجهة فى الصحراء واتخذ من الجبال مقراً له، فكان ذلك من أكبر العوائق أمام الإيطاليين فى صراعهم مع المجاهدين.

---

(١) كتاب قصة الأدب العربى فى ليبيا، ص ١٤١، محمد عبد المنعم خفاجى، مكتبة الخراز ١٩٦٥ م.
(٢) كتاب الأمير شكيب أرسلان، القضية الليبية/ ١٢، محمد رجب الزائدى، مكتبة الخراز ١٩٦٤م.

- وفى هذا كله كانت أقواله تصدقها الفعال، بل إن الصدق كان من أبرز سماته على الإطلاق، الصدق مع الله . . الصدق مع النفس، ومع الآخرين حتى إن كانوا ألد الأعداء . . حتى أمام المحكمة التى حكمت عليه بالإعدام . . .

- هل أنت قائد الثوار ضد الحكومة الإيطالية؟ .

- هل حاربت الدولة وحرضت الناس على ذلك؟ .

- هل أشهرت السلاح فى وجه القوات الإيطالية واشتركت فى القتال فعليا؟ .

- هل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالى؟ .

- هل أمرت بقتل الطيارين اللذين وقعا فى الأسر؟ .

أجاب عن كل هذا بـ: " نعم " ، باستثناء حادثة الطيارين اللذين ؛ نفى علمه بمقتلهما- رحمه الله رحمة واسعة- إن شعبًا أنجب المختار وأمثاله من المجاهدين لن يعقم أبداً .

إن من أكبر الدروس التى نتعلمها من حياة هذا المجاهد البطل هو : أن الجهاد من أجل حماية العقيدة ونشرها وإقامتها فى واقع الحياة، وبذل المهج والأرواح فى سبيل ذلك هو من أسمى غايات المسلم، وأن القيادة الشرعية إنما هى فى حقيقتها قيادة جهادية تعمل على ذلك وعلى تخليص المسلم من الظلم والإذلال، كما تعمل على نشر العلم وبيانه، وأنه لتحقيق ذلك لابد من وجود الصلة القوية بين العالم أو الداعية والمجتمع عن طريق العلاقة الوثيقة بالناس وبواقعهم وما يعانونه من مشكلات .

***

محمد خليل جمجوم[1]



ولد الشهيد محمد خليل جمجوم رحمه الله رحمة واسعة في مدينة الخليل سنة ١٩٠٢، درس دراسته الابتدائية فيها. ثم خرج بعدها للحياة يكد في طلب الرزق، ويجاهد.

كان رحمه الله يكره الإنجليز واليهود، ويقود التظاهرات ضد المؤامرات البريطانية التي تحاك ضد الشعب الفلسطيني المسلم، الداعية إلى تهويد فلسطين، بتهجير اليهود إليها، ومصادرة الأراضي وتمليكها لليهود.

وقد شارك رحمه الله تعالى في الأحداث الدامية التي تلت ثورة البراق، والتي عمت معظم أرجاء فلسطين إلا أنها كانت حادة في الخليل وصفد ويافا، وكانت الأحداث أكثر حدة في الخليل، إذ استطاع أهل الخليل أن يقضوا على جرثومة اليهود عندهم. فقتلوا ستين وجرحوا خمسين في هذه الثورة.

قامت القوات البريطانية تدفعها الصليبية الحاقدة الحانقة على الإسلام والمسلمين لتثأر لليهود الذين أشعلوا نار الفتنة، فاعتقلت كثيراً من المجاهدين في الخليل ويافا وصفد، وشكلت المحاكم العسكرية وحكمت على جمهرة من الشباب بالإعدام قد بلغ عددهم ستة وعشرون، ثم خففت حكم الإعدام عن ثلاثة وعشرين وقررت تنفيذ حكم الإعدام بحق ثلاثة هم فؤاد حجازي ومحمد خليل جمجوم، وعطا الزير.

وقررت أن يعدم الشهداء في يوم واحد، وفي ثلاث ساعات متتالية، وكان من المقرر أن يعدم عطا الزير الساعة الثانية، إلا أن محمد خليل جمجوم طلب من السجان أن يعدم قبل أخيه عطا رحمهما الله تعالى، فرفض السجان ذلك، فما كان منه إلا أن

---

(١) انظر بطولات عربية ص ١٩-٣١ وجهاد شعب فلسطين ص ١٤١-١٤٣ وبلادنا فلسطين- الجزء الخامس القسم الثاني ص ١٥٥-١٥٧ وفلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ١/ ١٣٩-١٤٠ ولمحات من تاريخ فلسطين ١/ ١٢٥-١٢٧ وفلسطين أرض وتاريخ ص ٢٢١.

انتفض كالأسد، وشد على سلسلة الحديد التى قيد بها، فتقطعت، ثم مشى إلى حبل المشنقة ووضعه فى عنقه، وأرغم والحال هذه السجان على إعدامه قبل أخيه.

ومن الجدير بالذكر أنه لما بلغ الإعدام حمد الله وأنشد كما أخواه: يا ظلام السجن خيم، واستقبل زواره ومودعيه بالبدلة الحمراء، بدلة الإعدام، برباطة جأش، واطمئنان نفس، بل إنه طلب من إدارة السجن قبل إعدامه حناء ليخضب يديه بها، وهذه عادة أهل الخليل فى زمانه: أن العريس ليلة عرسه يخضب يديه بالحناء، وإنما طلب ذلك لأنه شهيد، والشهيد سيقابل الحور العين فى الجنة، فلابد أن يتجمل لها، ياله من معنى إسلامى نبيل، وياله من أمل فى كرم الله ومكافأته للشهداء. حقًا إنه تفكير يدهش له المرء، فى هذه الساعة الحالكة فى نظر أهل الدنيا، يفكر الشهيد الحى بليلة عرسه بالحور العين ويتهيأ لها.

لقد أعدم شهيدنا البطل فى الساعة التاسعة عن عمر يناهز ثمانية وعشرين عامًا، نعم إن حياته الدنيا قصيرة، ولكنه لم يمت. إنه حى حياة يعلمها الله، يرزق الرزق الطيب، ويحيا الحياة الخالدة، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقد وصف الأستاذ إبراهيم طوقان ساعة إعدام محمد جمجوم، ومتخيلاً أن الساعة التى أعدم فيها تفتخر بشجاعته وقوة بأسه، وصموده وصبره.

ولقد وصفت جريد الزهور الحيفاوية يوم الإعدام فقالت:

لم تجتز فلسطين فى أدوارها السابقة يومًا مثل يوم ١٧ يونيو حزيران الرهيب، لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات، وقرعت نواقيس الحزن فى الكنائس، وولولت النساء، وتصاعد عويلها فى البيوت، وتصاعدت الدموع غزيرة من مآقى الرجال المجتمعين فى الجوامع والمعابد، وأنشدت الجماهير: يا ظلام القبر خيم، وقد خيمت روعة الموت، وسادت رهبة الموقف، بينما وقف الجند يتبخترون ذهابا وإيابًا، المدفع معد، والسيف مصلت، والطيارات سابحة فى الفضاء الواسع، ترقب الحال عن كثب.

***

فؤاد حجازى [1]



ولد الشهيد فؤاد حسن حجازى فى مدينة صفد سنة ١٩٠٤، ودرس دراسته الابتدائية فيها، وكذلك المرحلة الثانوية، ثم سافر إلى بيروت ودرس دراسته الجامعية فيها حيث التحق بالجامعة الأميركية فى بيروت التى كانت تسمى كلية الآباء اليسوعيين.

كان فؤاد رحمه الله يتحلى بالشجاعة والجرأة منذ صغره، وشب وترعرع على ذلك، وكان يحب وطنه، فإن حب الوطن من مقتضيات الإيمان، وكان شديد الكره والعداوة لليهود، فهم قتلة الأنبياء وأعداء الصالحين. وهم معتدون جاءوا إلى فلسطين ليدمروا أهلها، ويستأصلوا شأفتهم من هذه البلاد التى سكنوها منذ آماد بعيدة.

كان فؤاد شديداً جداً على اليهود، وكان الفزع ينتاب اليهودى إذا ذكر اسمه عنده، شارك رحمه الله فى الأحداث التى تلت ثورة البراق عام ١٩٢٩، وقتل فيها مئات اليهود والعرب والإنجليز، واشترك فى مذبحة اليهود فى صفد.

لما وقعت هذه الأحداث بين العرب واليهود وكان جانب العرب قويًا متغلبًا، لم يرق هذا لحكومة الانتداب البريطانى، التى جاءت لتكثير اليهود فى فلسطين وتقويتهم وتسليحهم لإقامة دولة لهم على أرض فلسطين، فشكلت المحاكم العسكرية وحكمت على مجموعة من المجاهدين المسلمين بالإعدام ونفذت حكم الإعدام فى ثلاثة منهم؛ كان أولهم فؤاد حجازى وكان ذلك بتاريخ ١٧/ ٦/ ١٩٣٠.

وقررت المحكمة أن ينفذ حكم الإعدام فى سجن عكا فى يوم واحد، فى ثلاث ساعات متتالية أولها الساعة الثامنة وآخرها الساعة العاشرة.

وقررت أن يُعدم فؤاد حجازى فى الساعة الأولى؛ الساعة الثامنة.

---

(١) انظر الموسوعة الفلسطينية ٣/ ٤٧٨ وبلادنا فلسطين الجزء الخامس ـ القسم الثانى ١٥٥-١٥٨ وجهاد شعب فلسطين ١٤١-١٤٣ وبطولات عربية ١٩-٣١ ووثائق الحركة الوطنية الفلسطينية لأكرم زعيتر ص ٣٢٨-٣٢٩ وفلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ١/ ١٣٩.

وقد طلب فؤاد حجازى قبل إعدامه بليلة أن يزور غرفة الإعدام التى سيعدم فيها، وكأنه ينتظر زفافه وعرسه فيها.

وقد أمضى ليلة إعدامه وهو وأخواه وهم ينشدون، ولما اقترب موعد الإعدام كذلك أنشدوا هذا النشيد:

إننا نهوى الظلاما	يا ظلام السجن خَيِّمْ
فجرُ مجد يتسامى	ليس بعد الليل إلا
واسمعوا منا الكلاما	أيها الحراس رفقًا
مَنْبَعُهُ كان حراما	متعونا بهواء
نغمة تشجى فؤادى	يا رنين القيد زدنى
للأسى والاضطهاد	إن فى صوتك معنى
ما تقاسيه بلادى	لست والله نسيا
ذو وفاء ووداد	فاشهدنْ يا نجم أنى
يا مقر المخلصينا	إيه يا دار الفخار
لا يهابون المنونا	قد هبطناك شبابًا
يوم أقسمنا اليمينا	وتعاهدنا جميعًا
واتخذنا الصدق دينًا	لن نخون العهد يومًا

وقبل إعدامهم بساعات أذن بزيارته، فكان يستقبل زواره بنفس راضية، ومعنويات قوية، بل يشد هو معنويات زائريه، ويقول لهم: إذا كان إعدامنا نحن الثلاثة يزعزع شيئًا من كابوس الإنجليز عن الأمة العربية الكريمة، فليحل الإعدام فى عشرات الألوف مثلنا، لكى يزول هذا الكابوس عنا تمامًا.

وقد كتب فؤاد حجازى وصيته بخط يده وبعث بها إلى صحيفة اليرموك فنشرتها يوم ١٨/ ٦/ ١٩٣٠ أى بعد إعدامه بيوم واحد، وتوقيعه عليها. وقال فى ختام هذه الوصية:

إن يوم شنقى يجب أن يكون يوم سرور وابتهاج، وكذلك يجب إقامة الفرح والسرور فى يوم ١٧ حزيران من كل سنة، إن هذا اليوم يجب أن يكون يومًا تاريخيًا، تلقى فيه الخطب، وتنشد الأناشيد، على ذكرى دمائنا المهراقة فى سبيل فلسطين، والقضية العربية.

وقد نظم الشاعر إبراهيم طوقان قصيدة عصماء يصور فيها المأساة والظلم الذى حاق بالشعب الفلسطينى المسلم من ظلم بريطانيا وجبروتها، ويصف مواقف الأبطال فى ساحة الإعدام، بعنوان الثلاثاء الأحمر.

***

عطا الزير[1]



ولد شهيدنا البطل سنة ١٨٩٥م بمدينة الخليل، ولم يكمل دراسته الثانوية، بل ألم بالقراءة والكتابة إلمامًا بسيطًا، وكان يقرض الشعر فى بعض الأحيان، وعمل فى الزراعة، وزاول مهنًا يدوية عديدة.

كان رحمه الله شجاعًا وجريئًا، ويتمتع بقوة جسمية فائقة، شارك فى التظاهرات ضد قوات الاحتلال البريطانى وضد هجرة اليهود إلى أرض فلسطين وبخاصة مدينة الخليل.

وعندما قامت ثورة البراق سنة ١٩٢٩ وكشف اليهود عن نياتهم الخبيثة وأطماعهم الشريرة بهتافاتهم: الحائط حائطنا، مدعين أن بيت المقدس لهم، وأن موطن الإسراء لهم، حدث اشتباك عنيف فى القدس بين المسلمين وبين اليهود، وانتشرت الاشتباكات إلى جميع أرجاء فلسطين. إلا أنها كانت أشد فى مدينة الخليل ومدينة صفد ومدينة يافا.

لقد شارك شهيدنا فى هذه الأحداث وتزعم حملة فى الخليل على من يسكن فيها من اليهود، فطهروا مدينتهم من رجس يهود.

ومن الجدير بالذكر أن المندوب السامى كان ببريطانيا ولم يكن بفلسطين، فلما سمع بالأخبار عاد مسرعًا، وما إن وطأت قدماه أرض فلسطين حتى أخذ يتهدد ويتوعد المسلمين فى فلسطين، وأعلن أنه سيكون صارمًا فى هذا الأمر. واعتبر اليهود مظلومين ومعتدىً عليهم فى جميع أرجاء فلسطين قبل أى تحقيق، وأنه سينتقم لهم. فشكل المحاكم العسكرية، وحكمت على ستة وعشرين مسلمًا مجاهدًا بالإعدام، منهم شهداؤنا الثلاثة.

---

(١) انظر جهاد شعب فلسطين ص ١٤١-١٤٣ وبلادنا فلسطين - الجزء الخامس - القسم الثانى ص ١٥٥-١٥٧ ولمحات من تاريخ فلسطين ١/ ١٢٦ -١٢٧ وبطولات عربية ١٩-٣١ وفلسطين أرض وتاريخ ص ٢٢١.

وشهيدنا الثالث هو عطا الزير رحمه الله، وحاول رجالات العرب أصدقاء بريطانيا الذين يظنون فيها خيراً، ويعتمدون على حسن نياتها وعدلها أن يخفف حكم الإعدام فى هؤلاء ولا ينفذ، فأبرقوا رافعين التماسًا إلى مجلس الملك الأعلى بلندن ألا ينفذ حكم الإعدام، ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل وذهبت أدراج الرياح.

لقد وقف شهيدنا البطل ليلة إعدامه، وقبيل إعدامه بوقت يسير، يستقبل الزائرين والمودعين ويشد من عزمهم، ويرفع معنوياتهم، وهو واقف يلبس بدلة الإعدام الحمراء، ولقد قال لزائريه وأمن على قوله أخوه فى البطولة والجهاد والشهادة محمد خليل جمجوم: نحمد الله على أننا نحن الذين لا أهمية لنا نذهب فداء الوطن، لا أولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم.

ولقد طلب كزميله أن يخضب يديه بالحناء تأهبًا للقاء الحور العين، وتجملاً لها كعادة أهل الخليل فى الأفراح والأعراس إذ يخضب الرجال أيديهم.

وقد نفذ حكم الإعدام ولم يتجاوز عمره خمسة وثلاثين عامًا.

وقد نظم الشاعر إبراهيم طوقان قصيدة سماها الثلاثاء الحمراء، يحكى ساعات إعدامهم، ويصف تجلدهم وصبرهم.

وكان موعد إعدام شهيدنا الساعة التاسعة إلا أن أخاه محمود جمجوم قد تقدم وأصر أن يعدم قبله فكان له ذلك.

وقد حكى لنا الشاعر إبراهيم طوقان حال الساعة الثالثة وهى تفاخر بشهيدها الصبور عطا الزير. الذى رأى إعدام أخويه قبله، فلم يجزع ولم يهلع، ولم ينهر، بل ظل ثابت الجنان، قوى الأركان تتزلزل الشم الرواسى، ولا يتزلزل. إنه لم يخف الموت، لأن الموت طريق الخلود.

انهمرت الدموع من العيون بغزارة، وارتفعت الأصوات بالبكاء على الشهداء، ثم تدفقت الجماهير المؤمنة من القاعة وهى تهتف: الله أكبر، الله أكبر، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، إن أرواح هؤلاء لتهتف بنا فى عليين أن أقيموا الدين على أرض الدين على الأرض المقدسة، أرض الإسراء والمعراج، على الأرض التى باركتها السماء وخصها الله بالتقديس.

موسى كاظم باشا سليم الحسينى



ولد موسى كاظم باشا بن سليم الحسينى رحمه الله سنة ١٨٥٣ بمدينة بيت المقدس، وفيها درس دراسته الأولى، ثم توجه إلى مدينة الآستانة، فدرس فيها بمكتب ملكية، والذى يتخرج من هذا المعهد يعمل قائمقامًا فى الأقضية فى الدولة العثمانية.

وقد تخرج من هذا المعهد سنة ١٣٠٠هـ.

ولقد شغل وظائف عدة فى أقطار متعددة فى أرجاء الدولة العثمانية. فقد عمل قائمقامًا فى يافا وحيفا بفلسطين، وقائمقامًا بعكار بلبنان، وعين متصرفًا لعسير فى اليمن، ومتصرفًا لسعرد بولاية بتليس فى شرق الأناضول بتركيا، ومتصرفًا للواء حوران بالشام، ومتصرفًا للواء المنتفق من أعمال ولاية البصرة بالعراق.

وقد ترقى فى الوظائف والرتب حتى حاز لقب باشا. وصار عضوًا أيضًا فى مجلس المبعوثان باستنبول. وأحيل على التقاعد سنة ١٩١٤م.

وعمل بعد إحالته على التقاعد رئيسًا لبلدية القدس خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٠م وهذه الوظيفة لم تقيده أو تحل بينه وبين الإسهام فى الأحداث الخطرة التى تجرى فى المنطقة وبخاصة التى تحدث فى بلاده فلسطين، فأخذ يقود التظاهرات ويشكل الوفود التى تدافع عن حقوقه.

وكان رحمه الله أول من رفع صوته فى وجه الانتداب البريطان، وأول من دعا أهل فلسطين إلى الاحتجاج والتظاهر، وإعلان السخط والغضب تجاه وعد بلفور، فقاد أول تظاهرة شعبية ضد الاحتلال البريطانى فى فلسطين على أثر إعلان الجنرال بولز وعد بلفور المشؤوم على أهل فلسطين وكان عمره قد قارب السبعين رحمه الله، وتحمل فى سبيل ذلك العنف والمشقة.

لقد تعرض رحمه الله عندما كان يتولى رئاسة بلدية القدس من الإنجليز إلى ضغط شديد وطلبوا منه أن يعتبر اللغة العبرية لغة رسمية فرفض، وطلبوا منه ألا يتدخل بالأحداث السياسية وتسيير التظاهرات فأبى، وخيروه بين البقاء فى منصبه وبين التدخل فى الأحداث السياسية فضحى بمنصبه، وشارك الجماهير المؤمنة فى جهادها ضد المحتلين من بريطانيين وغيرهم.

وقال على إثر تركه رئاسة بلدية القدس نتيجة ضغط سلطات الانتداب:

وأنا بحمد الله ممن ضحى ويضحى بجميع الكراسى، والمنافع الخاصة فى سبيل البلاد، وليس لنا من غاية فى هذه الحياة، إلا أن نرى الأمة أرفع شأنًا وأعلى جانبًا، وأن تصل إلى حقها المشروع بإخلاص أبنائها واتحاد كلمتها.

وظل موسى كاظم باشا الحسينى يقارع سلطات الاحتلال ويقاوم المحاولات التى تجرى لتهويد فلسطين، وتشجع الهجرة اليهودية، وتستولى على الأراضى وتنقل ملكيتها لليهود، ويحرض الشعب الفلسطينى المسلم على الوقوف فى وجه هذه المؤمرات، فقام الجنرال بولز بإلقاء القبض عليه وأودع السجن.

وجاهد فى سبيل الإبقاء على إسلامية فلسطين وعدم تهويدها من خلال المؤتمرات الكثيرة التى ترأسها، ومن خلال الوفود التى شكلها، وقابل الساسة فى الداخل والخارج، وتبنى مطالب الشعب الفلسطينى المسلم التى تتلخص فى أن يعيش حرًا على أرضه ولا مكان لليهود على هذه الأرض المقدسة. ولقد شجب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وملء الأجهزة الحكومية بالإنجليز واليهود، وقاوم إعطاء اليهود امتيازات تقويهم من الناحية المالية والاقتصادية كامتياز استغلال البحر الميت.

كان رحمه الله ذا دين وخلق وعاطفة إسلامية صادقة يغرس حب هذا الدين فى قلوب أبنائه، ويحرص على أن يكون القرآن دستورًا لهم.

ومما يذكر عنه فى هذا المجال أنه لما بعث ولده عبد القادر إلى الجامعة الأميركية ببيروت قال له يودعه: على بركة الله يا بنى، كن حريصًا على كرامة دينك وعزة وطنك، والله يرعاك حيثما تكون، وأينما تقيم، وقبله قبلات الوداع، ثم أعطاه شيئًا

فى يده وقال له : ليكن هذا دستورك فى الحياة يا بنى، نظر عبد القادر فى يده، فإذا هو القرآن الكريم فقبله وأودعه فى جيب سترته، لم يتوقف الشيخ المجاهد عن جهاده على الرغم من كبر سنه، بل ظل يقود التظاهرات حتى استشهاده.

ففى يوم الجمعة ١٣/ ١٠/ ١٩٣٣ خرجت تظاهرة كبيرة مكونة من جمهور المصلين الخارجين من صلاة الجمعة بالمسجد الأقصى، وطافت فى شوارع مدينة القدس تهتف ضد سياسة بريطانيا فى فلسطين، وتطالب بإلغاء وعد بلفور، والهجرة اليهودية، وهتف المتظاهرون بحياة فلسطين وعروبتها المسلمة. فتدخل جنود الاحتلال واعتدوا على المتظاهرين مستخدمين الأساليب الوحشية، فجرح خمسة وثلاثون من أهل فلسطين.

لقد اجتمع كبار العلماء والشخصيات الإسلامية والاتجاهات الوطنية فى بيت الشيخ الجليل موسى كاظم باشا الحسينى وتدارسوا شؤون الوطن، وما يتعرض له من مؤامرات، وانعقد رأيهم على أن يقوموا بتظاهرة فى يافا بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٩٣٣ متحدين أمر حكومة الانتداب.

وعلى الرغم من كبر سنه فقد ذهب إلى يافا وكان يوم الجمعة، وقاد التظاهرة التى شارك فيها آلاف الناس الذين قدموا من القدس والخليل وحيفا وغزة وكل أنحاء فلسطين، وأمام الجامع الكبير بيافا وقع الصدام المُرتقب بين المتظاهرين وبعض القطاعات العسكرية البريطانية من البوليس والجيش المدعمة بالمدرعات والخيَّالة، وسقط أبرياء كثيرون يقدر عددهم باثنين وثلاثين شهيداً، ومائة وسبعة وستين جريحًا.

وأصاب الشيخ موسى كاظم باشا ضربات شديدة بهراوات قاسية على أنحاء متفرقة من جسمه النحيل الهرم، فسقط على أثر ذلك مغشيًا عليه، وذراعه تحتضن أحد المواطنين الذى أصيب برصاصة قاتلة. ولقد أقسم الراوى أنه شاهد بأم عينيه الشعب الأعزل يترامح على الشيخ ليحميه من النيران، وشاهد كذلك الشيخ الهرم يتلقى الرصاص بصدره، وخرج الشيخ من المعركة وقد صبغت ثيابه بدماء أبنائه الذين استشهدوا فى الدفاع عنه.

لقد لزم المجاهد الشيخ الهرم الفراش على أثر الإصابات التى تعرض لها، ولم تمر سوى خمسة أشهر حتى انتقلت الروح إلى بارئها، ونال صاحبها الشهادة.

ولما توفى رحمه الله شاء الله تبارك وتعالى أن يدفن بجوار المسجد الأقصى الذى جاهد من أجل حمايته من التهويد والإفساد والضياع.

رحم الله المجاهد الشهيد رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، فقد بذل جهوداً جبارة واصل فيها الليل مع النهار وتخطى كثيراً من العقبات وتحمل فى سبيل إسلامية فلسطين ما يوجب على كل مسلم أن يرفع أكف الضراعة إلى الله، يسأله الرحمة والمغفرة لشهيدنا الراحل.

***

حافظ صقر[1]



ولد رحمه الله تعالى فى مدينة اللد من مدن فلسطين المشهورة، وفيها مطار مشهور، نشأ هذا المجاهد رحمه الله فى بلده اللد وترعرع فيها، وكان من الذين نذروا أنفسهم فى سبيل الله لقتال أعداء الله الصليبيين من الإنجليز المحتلين واليهود الطامعين.

ومن الجدير بالذكر أنه كان لأهل اللد نشاط ملموس فى قتال الإنجليز واليهود. خاصة غاراتهم على قطار السكة الحديدية المحمل بالجنود الإنجليز، ومن أعمالهم الجهادية مهاجمة قاطرة مع ست عربات بين السافرية واللد مما سبب خسائر فادحة.

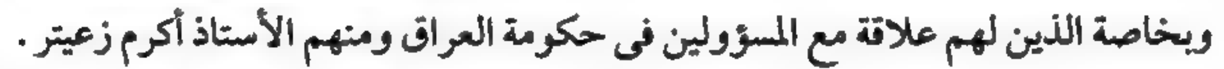
لقد قام المجاهد القائد حافظ صقر رحمه الله بوضع خطة لمهاجمة قطار يحمل جنوداً بريطانيين وإبادتهم وتولى هو تنفيذ الخطة التى وضعها واستعان بنفر من المجاهدين لتنفيذ هذه المهمة، ففى ٢٤/ ٧/ ١٩٣٦ قام المجاهدون بنزع قضيب من السكة فوق الجسر الواقع بين محطتى اللد وكفر جفس عند الكيلو متر ١٠٧ وقبل أن يمر القطار من فوق الجسر فاجأه المجاهدون بإطلاق الرصاص بكثرة هائلة، مما أرغم سائقه على مضاعفة السرعة، كما أخذ أفراد الجند المكلفون بالحراسة يطلقون النار رداً على النار، ولما وصلت القاطرة إلى موضع القضيب المنزوع فوق الجسر اختل توازنها فارتجت وتدهورت إلى الوادى وجرت ورائها عربتين محملتين بالجنود، مما أدى إلى خسائر فادحة.

بقى القائد المجاهد يشاهد ثمرة عمله الجهادى، ويحصى ما سقط من القتلى والجرحى، فشاهده جندى بريطانى فأطلق عليه الرصاص فأصابه إصابة قاتلة، وقبض عليه البوليس، وساقه إلى التحقيق ليحقق معه، فسألوه عن الذين اشتركوا معه فى انتزاع القضبان الحديدية أجاب: لم يشترك معى أحد، بل إنى قمت وحدى بهذا الواجب الوطنى ثم صعدت روح القائد إلى بارئها.

---

(١) انظر: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ٢/ ١٦٢، وبلادنا فلسطين ـ الجزء الرابع القسم الثانى ص ٤٨٤ وجهاد شعب فلسطين ص ١٠٤.

خليل إبراهيم بدوية[1]



ولد رحمه الله فى مدينة يافا، ودرس فيها المرحلة الابتدائية والثانوية. وهو يتيم توفى أبوه وهو صغير، وكان ولده الوحيد فكفلته أمه وعاش فى كنفها.

كان رحمه الله منذ نعومة أظفاره شغوفًا بالجهاد، متعلقًا به، حريصًا على التربية الجهادية، ولما تخرج من الدراسة الثانوية توجه طموحه إلى الدراسة فى المعاهد العسكرية ليتعلم، ووَسَّطَ كثيراً من رجالات فلسطين وبخاصة الذين لهم علاقة مع المسؤولين فى حكومة العراق ومنهم الأستاذ أكرم زعيتر.

ولما يئس من ذلك توجه إلى القاهرة على حساب الحكومة ليتعلم فى مدرسة الفنون، ولكنه لا يحب هذا ولا يبغيه، لأنه يزداد شعوره وإحساسه بأهمية الجهاد والدراسة العسكرية يومًا بعد يوم، ولهذا تجده يكثر من مراسلة الأستاذ أكرم زعيتر ويلح عليه فى التوسط لدى المسؤولين العراقيين لتحقيق أمنيته.

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ أكرم زعيتر كان يتوقع لهذا الشاب مستقبلاً باهراً فى باب الجهاد وبين المجاهدين، فهو يقول: إذا لم يخطئ ظنى، فإنه سيكون لهذا الفتى شأن فى تاريخ نضالنا الوطنى وفقه الله. ويقول أيضًا: إننى أرشح هذا الفتى لقيادة شباب الثورة الآتية، أتوسم فيه كل صفات الزعامة المضحية.

ولما لم يتمكن من مواصلة تعليمه فيما يطمح إليه من تعليم عسكرى، وفى الوقت ذاته نشبت ثورة المجاهدين فى فلسطين، قرر أن يترك دراسته وينزل إلى ساحات الجهاد وقد كتب لأكرم زعيتر رسالة جاء فيها: (فالموت هو الخلود، بل هو الحياة كل الحياة، لقد وطدنا العزم على الكفاح ولن نتراجع، يجب أن نعتمد على أنفسنا فى كل عمل، إن نفسية الجندى البريطانى ومعنوياته الأدبية قد انحطت، وظهر أنه لا يصلح للحرب

---

(١) انظر: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ٢/ ١٦٧ ويوميات أكرم زعيتر الصفحات ٥٠، ١٤١، ١٦٧، ١٦٨.

فى البلاد الجبلية، وأمام العصابات الثورية التى تعرف مواقع بلادها، لقد أيقنت هذه الأمة الباسلة التى اعترف لها التاريخ بشدة مراسها وثباتها فى الحروب أن بريطانيا هى عدوتهم اللدود، شكراً للظروف التى عرفتنا حقيقتهم وسوء نياتهم، فقد هضموا حقوقنا، وشردوا أبطالنا ونفوا أحرارنا، ومنحوا بلادنا لشُذاذ الآفاق، وليس لنا إلا أن نقف أمامهم كموقفهم.

صبراً يا أخى فإن نصر الله قريب، أخى لن يخيب ظنك بأخيك خليل بإذن الله، جئت من مصر لأؤدى واجبى نحو الوطن المفدى، ولن أضن عليه بالتضحية بنفسى فاطمئن).

لقد التحق المجاهد الشاب خليل بدوية بجيش الإنقاذ الذى كان يقوده فوزى القاوقجى رحمه الله، وشارك فى أول المعارك التى خاضها، وهى معركة بلعا، وقاتل فيها قتال الأبطال، واستبسل فيها أيما استبسال حتى رزق الشهادة فهنيئًا له، وعاشت أمه رحمها الله وحيدة بعده، بعد أن استشهد ولدها الوحيد الذى ربته لتعيش فى كنفه فى كبرها وكبره.

لقد دفن رحمه الله بملابسه التى استشهد فيها اقتداءً بسنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية فى الشهداء.

وكان استشهاده رحمه الله فى شهر أيلول سنة ١٩٣٦ وكان متخصصًا فى نسف الجسور.

***

سعيد العاص [1]

ولد المجاهد سعيد العاص فى مدينة حماة المجاهدة بسوريا سنة ١٨٨٩م، ودرس فيها دراسته الابتدائية، ثم أكمل دراسته فى دمشق، ثم درس فى الكلية الحربية بالآستانة، وتخرج منها سنة ١٩٠٧م، وتم تعيينه ضابطًا فى دمشق، وتنقل بعد ذلك فى مراكز عسكرية متعددة، وكان يثبت كفاءته وجدارته فى كل مركز يتولاه. ثم التحق بمدرسة الأركان الحربية، ثم أخرج منها لأسباب سياسية عربية.

خدم فى الجيش التركى وسافر مع فرقته إلى المقاطعات الأوروبية من دولة الخلافة العثمانية، وقاتل هناك المتمردين فى البلقان، وأسره اليونانيون سنة ١٩١١م ولكنه لم يلبث فى سجنهم إلا قليلاً، حيث فر وعاد إلى الآستانة.

على أثر الحرب العالمية الأولى، وتنفيذ المؤامرة على الدولة العثمانية، واقتسام الدول العربية بين الدول الحليفة، سقطت سوريا تحت الاحتلال الفرنسى وفلسطين تحت الانتداب البريطانى، فلم يطق هذا المجاهد أن يرى جيوش الأعداء من الصليبيين الفرنسيين يدنسون أرضه، ومقدساته، فدعا إلى ضرورة الثورة على المحتلين وجهادهم بالقوة والسلاح، واستجاب لدعوته كثير من المجاهدين، فكانت ثورة سنة ١٩٢٥ التى كان سعيد رحمه الله من أبطالها المشهورين، شارك فى أكثر من معركة، بل قاد الثوار فى مختلف المناطق كحمص وحماة، والهرمل وعكار، ثم عاد إلى الغوطة وجبل العرب وقد جرح رحمه الله تعالى خلال هذه المعارك مرتين.

لجأ بعد فشل الثورة فى سوريا إلى شرق الأردن مع نفر من المجاهدين رفقة السلاح، ولما نشبت ثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦، توجه مسرعًا إلى فلسطين فانضم إلى

---

(١) انظر الحركة الوطنية الفلسطينية لأكرم زعيتر ص ٢٠١-٢٠٣ وتاريخ فلسطين الحديث ص ٣١٨ وبطولات عربية ص ٧١-٧٢ والموسوعة الفلسطينية ٢/ ٥٥٢ - ٥٥٣ والقضية للأستاذ عزة دروزة ١/ ١٣٤ وبلادنا فلسطين ـ الجزء الثامن ـ القسم الثانى ص ١٢٢، ١٢٣، ١٣٣، ٣١٦، ٤٨٢ ولمحات من تاريخ فلسطين ١/ ١٢٩.

صفوف المجاهدين، وكان صاحب خبرة عسكرية عالية، وكفاءة قتالية نادرة، فاستفاد منه المجاهدون، فولوه القيادة فى مناطق الخليل وبيت لحم.

اشتبك مع قوات الاحتلال البريطانى والصهيونى فى معارك كثيرة، كان النصر حليفه فيها، وأهم هذه المعارك حدثت فى ٢٤/ ٩/ ١٩٣٦ عند جبال قرية حلحول على طريق بيت لحم - الخليل وقد اختار القائد سعيد العاص القرية مركزاً لتهيئة الهجوم ضد القوات الإنجليزية المحتلة، وتعمد توقيت الهجوم أن يكون فى رابعة النهار حتى يتسنى للمجاهدين أن يوقعوا أكبر خسارة فى القوات الباغية، ويسفكوا أكبر عدد ممكن من جنود الاحتلال، فقرر أن يغلق الطريق العام بالحجارة الكبيرة والصخور، ثم وزع المجاهدين إلى ثلاثة أقسام، فجعل القسم الأكبر منها يرابط فى الجبال، ووزع القسمين الآخرين على جنوب الطريق العام وشماله، حتى يَحُولَ هؤلاء المجاهدون بين القوات المهاجمة وبين نجدتها بقوى جديدة، والتصدى لها وتحطيمها.

وقد انتهت المعركة بانتصار المجاهدين انتصاراً مؤزراً بعد قتال شديد استمر خمس عشرة ساعة، صرعوا فيه أكثر من أربعين جنديًا من جنود بريطانيا، وغنموا كمية كبيرة من الأسلحة، واستشهد من المجاهدين ثلاثة من الأبطال الأشاوس.

لقد أدركت سلطات الاحتلال البريطانى خطورة هذا القائد، فأخذت ترصده، وترصد تحركاته، وأهدرت دمه.

لقد أخبرت دوائر الرصد لسلطات الاحتلال أن القائد المجاهد سعيد العاص يكمن فى الجبال الغربية من قرية الخضر بالقرب من بلدة بيت جالا ويرابط معه مائة وعشرون مجاهداً فحركت سلطات الجيش فى ٤/ ١٠/ ١٩٣٦ قوة من الجنود البريطانيين بلغت ثلاثة آلاف جندى مجهزين بأحدث الأسلحة من مدافع ودبابات وعتاد كثير. أما قوة المجاهدين فلم يكن معهم إلا البنادق وعدد قليل جداً من الرشاشات، وقليل من العتاد.

لقد وصل الجنود بمدافعهم ودباباتهم وأخذوا يحيطون بالثوار، فشعر بهم القائد المجاهد، فلم يستسلم، ولم يخضع، وإنما صمم على القتال حتى آخر قطرة من دمه، ووضع خطته العسكرية، فوزع جنوده القليلين على أماكن مختلفة، وأمرهم بالتصدى لهذا الجيش الضخم وبقى معه ما يقرب من خمسة عشر مجاهداً أصروا على مرافقته.

ظل رجاله ساهرين طوال الليل خشية أن يفاجأوا بهجوم على حين غرة، وفى ٦/ ١٠/ ١٩٣٦ هاجم الجنود المجاهدين، فتصدوا لهم ببسالة. وكان قائدهم سعيد واقفًا يطلق الرصاص ويصدر الأوامر وأصيب بثلاث رصاصات ولكنه ظل واقفًا رابط الجأش، مستمرًا فى جهاده إلى أن أصابته الرصاصة الرابعة فى رأسه فسقط شهيدًا، وجرح معه مساعده فى قيادة المجاهدين فى هذه المعركة: وهو البطل المقدام عبد القادر الحسينى. فسارع المجاهدون إلى إخفاء جثة قائدهم هذا. وقد ذكر راديو لندن نبأ استشهاد القائد المجاهد سعيد العاص، ولقبه بعدو فلسطين رقم (٢) ولا ريب أنهم يعنون بعدو فلسطين رقم (١) فوزى القاوقجى! إنه منطق الطواغيت فى كل زمان ومكان، ذلك المنطق المعكوس تمامًا، ففى منطقهم المعكوس يكون مقبولاً أن يسموا الذى جاء أمثالهم فاحتل البلاد وسفك الدماء ودنس المقدسات وزج الآلاف من أهل البلاد فى غياهب السجون والمعتقلات، حاكم البلاد، وسيد العباد فى بلادهم، وبنفس هذا المنطق المعكوس يقبلون أن يشوهوا الصورة المضيئة للمجاهدين فيقولون عن الذين جاءوا يحملون أرواحهم على أكفهم، ويبذلون دماءهم رخيصة فى سبيل الله، ومن أجل تحرير الأوطان والمقدسات، أعداء فلسطين.

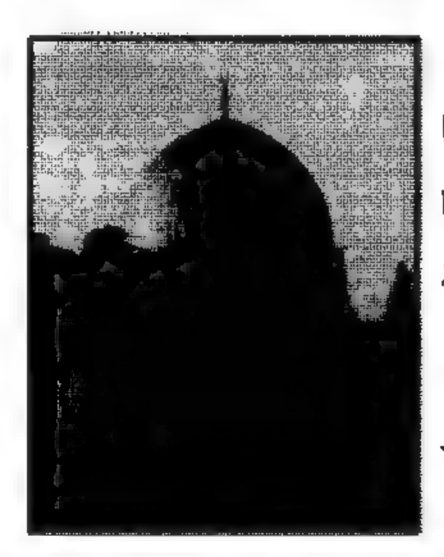
ومن هذا المنطق المعكوس، والظلم الصارخ، والاستبداد الغاشم وقفت سلطات الاحتلال تمنع الصحف من أن تنشر مقالاً أو قصيدة تشير إلى استشهاد المجاهد القائد سعيد العاص، خشية أن يتعاطف معه أهل البلاد فتثور ثائرتهم على الجند المحتلين، واليهود المهاجرين.

إلا أن شعب فلسطين المسلم، قد خيب كل تدابيرهم من طمس جهاد هذا المجاهد، حيث أقيم احتفال ضخم فى قرية الخضر عند دفن الشهيد أبى معاذ، شارك فى هذا الاحتفال جميع أهالى القرية ووفود من المدن والقرى المجاورة، وقد منعت سلطات الاحتلال البريطانى أحدًا من سكان القدس من الذهاب إلى قرية الخضر للمشاركة فى حضور التشييع والدفن.

هذا وقد أبَّنَ الشهيدَ عددٌ من الخطباء، وصلى الناس عليه صلاة الغائب فى مساجدهم فى جميع أنحاء البلاد.

لقد استشهد رحمه الله وهو ابن سبعة وأربعين عامًا، وكان شجاعًا مقدامًا ذا قدرة وحنكة، وصلابة فى الموقف، وثبات فى الشدائد.

الشيخ أمين العورى [1]



ولد رحمه الله فى بلدة بيت عور شرقى شمال فلسطين، ثم رحل مع أبيه إلى بيت المقدس فى العاشرة من عمره، ولما بلغ العشرين من عمره أرسله أبوه إلى أقدم جامعة فى الدنيا وأعرقها: جامعة الأزهر الشريف، لينهل من علوم الشريعة الإسلامية الغراء، ويتربى على أيدى خلاصة العلماء، وسادات الفقهاء، وبقى فى الأزهر يدرس ويتفقه اثنى عشر عامًا نال بعدها شهادة العالمية المؤقتة.

وكان أبوه من العلماء الأجلاء والفقهاء الفضلاء؛ تولى منصبًا رفيعًا فى دائرة الإفتاء بالمجلس الإسلامى الأعلى بالقدس.

ولقد تأثر الشيخ أمين رحمه الله بالأحداث التى كانت تجرى على أرض الكنانة، حيث يجثم الاحتلال البريطانى على أرض مصر، يمتص خيراتها، ويظلم سكانها، ويوجه الحملات الإعلامية الظالمة ضد دينها وعقيدتها، ورأى كيف يقف العلماء وبخاصة علماء الأزهر فى وجه التبشير والتغريب والاحتلال، فكانت هذه المواقف زادًا له يتزود به حين يعود إلى فلسطين الأرض المقدسة التى يدنسها الصليبيون الإنجليز.

كان رحمه الله من الأتقياء الأخفياء، لا يطلب سمعة أو شهرة، بعيدًا عن الرياء وأهله، يعمل بصمت فى سبيل الله، لا يحب أن تسلط عليه الأضواء، لأن الذى يعمل فى سبيله لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

كان الشيخ أمين العورى رحمه الله عالمًا، جمع الله له جهاد اللسان وجهاد السنان، يعلم الناس العلم الشرعى، ويفقهم فقه الجهاد ويحضهم عليه، وكان رحمه الله موضع ثقة المجاهدين وكاتمًا لأسرارهم، بل كان مستودعًا لأسرار المجاهدين فى القدس ونابلس والخليل طيلة ثورة ١٩٣٦م وكان صلة الوصل بين قادة الجهاد فى جنوب فلسطين وشمالها.

---

(١) انظر: مجاهدون من فلسطين ص ٤١-٤٥ ويوميات أكرم زعيتر ص ١٢٢ وأعلام فلسطين ١/ ٣٧١ ورجال من فلسطين ٢٦.

وكان حريصًا على معرفة حاجات المجاهدين وتلبيتها رحمه الله تعالى.

وكان رحمه الله جريئًا شجاعًا يفضح الجرائم التى يرتكبها جنود الاحتلال ضد أبناء الشعب المسلم فى فلسطين، يندد بمرتكبى هذه الجرائم، ويصرخ فى وجوه الظلمة الغاشمين، يشارك فى الوفود ويكتب المذكرات.

ففى ٣٠/ ٥/ ١٩٣٦ قام جنود الاحتلال البريطانى، وقوة من البوليس بقيادة الضابط البريطانى سيكرست - وهو صليبى حاقد، يضم بين ضلوعه قلبًا قاسيًا لا خير فيه، يتهود لليهود ويعمل لصالحهم، ويبطش بكل مسلم يقف فى وجه وعد بلفور والوطن القومى للشعب اليهودى فى فلسطين - فداهموا ببنادقهم بيوت الناس بالقدس وهم نيام، فأفزعوهم وأوجعوهم ضربًا لا يميزون بين رجل وامرأة وطفل وشيخ وشاب، وكانوا يركزون ضرباتهم على الرؤوس، ويخربون البيوت ويدوسون على المصاحف الشريفة.

لقد قرر رحمه الله أن يثأر للقرآن الكريم وللشيوخ الركع والأطفال الرضع، وذلك بشن حملات وعمليات عسكرية على هؤلاء الطواغيت، وأخذ يضع الخطط لمهاجمة المستعمرات اليهودية والقوات البريطانية، وقاد المعارك التى دارت رحاها بين العيزرية وأبو ديس على الطريق بين أريحا والقدس، وفى جهة الطور وسلوان وقريتى شعفاط وقلندية.

قرر المجاهدون أن ينسفوا القطار المحمل بالبضائع اليهودية من يافا إلى القدس، وتقرر أن يقوم الشيخ رحمه الله مع نفر من المجاهدين بتنفيذ هذه المهمة، فنفذها بسرية تامة وانضباط دقيق.

وفى تمام الساعة الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم ٢١/ ١١/ ١٩٣٦ تم نسف القطار تحت إشراف الشيخ أمين وملاحظته. وقد شاء الله تبارك وتعالى أن يصاب الشيخ بشظية من الشظايا المتناثرة من الانفجار فى رأسه فشجته واستقرت فى مخه، فاستشهد على الفور رحمه الله تعالى.

***

الشيخ أحمد نديم النحوى[1]



ولد رحمه الله فى مدينة صفد بلواء الجليل سنة ١٨٨٧م، ونشأ فى بيت علم وفقه شرعى، فقد كان أبوه فقيهًا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وكان ينتهى نسبه إلى إمام النحاة سيبويه المصرى، ثم أطلق على هذا البيت لقب النحوى.

إن العالم له رسالة، ويحب بل يسعى جاهداً لأن يحمل رسالة العلم من بعده أبناؤه، فكان من الشىء الفطرى والمنطقى أن يقوم الشيخ نديم النحوى بتعهد ولده بالتعليم والتربية والتأدب، فأرسله إلى المعهد الأحمدى بجامع الجزار بمدينة عكا فدرس فيه ثمانية أعوام، وحفظ عدداً من كتب الفقه والأصول على مذهب الإمام المبجل محيى السنة وقامع البدعة الإمام أحمد بن حنبل، ودرس تفسير الزمخشرى المسمى بالكشاف، ومن كتب اللغة والنحو قطر الندى، وشذور الذهب، وشروح ألفية ابن مالك كأوضح المسالك، والأشمونى وابن عقيل.

عاد بعد أن تضلع من علوم الشريعة والفقه إلى صفد، فتولى منصب الإفتاء على مذهب الإمام أحمد بن حنبل خلفًا لأبيه بعد وفاته سنة ١٩٠٨م، وظل يشغل هذا المنصب حتى انتهى حكم الأتراك المسلمين عن فلسطين، وحكمها الكفار الإنجليز بعد أن سفكوا كثيراً من دماء المسلمين الأتراك وغير الأتراك وتعاون معهم من تعاون.

لقد رحل الشيخ أحمد نديم بعد الاحتلال البريطانى من صفد إلى بيت المقدس، وعمل فيها قاضيًا.

لقد كان رحمه الله واعيًا أشد الوعى، مدركًا لحقيقة نوايا الإنجليز الكفرة نحو المسلمين بشكل عام، وأهل فلسطين بشكل خاص، فهب فى وقت مبكر يقاوم الاحتلال البريطانى بالمظاهرات والمؤتمرات والسلاح.

---

(١) انظر: مجاهدون من فلسطين ص ٤٦-٥٠.

ففى سنة ١٩٢٠ م شارك فى مظاهرة تكونت من الجماهير المؤمنة التى كانت تصلى بالمسجد الأقصى من يوم الجمعة، واندفعت هذه المظاهرة نحو حى مشيرم اليهودى، فألحق رحمه الله والذين معه خسائر فادحة بمتاجر اليهود ومنشآتهم، وقتلوا منهم ثلاثة عشر يهوديًا، فتدخلت السلطات البريطانية الصليبية الكافرة وقبضت على الشيخ أحمد نديم النحوى فسجنوه وعذبوه تعذيبًا شديداً، فتدخل وجوه المسلمين فى القدس بزعامة السيد موسى كاظم باشا الحسينى لدى المندوب السامى وطالبوا بفك سراحه وإخراجه من السجن، فأطلق سراحه.

وفى ٢١/ ٣/ ١٩٢٢ ترأس الشيخ العالم المؤتمر العربى الفلسطينى الثانى المنعقد فى مدينة حيفا لدراسة الأحداث والتطورات التى جرت فى فلسطين، وخرج المؤتمر بتوصيات منها المطالبة بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإصدار قوانين تمنع بيع الأراضى لليهود، والعمل على استقلال البلاد.

وفى سنة ١٩٢٩ قاد الشيخ رحمه الله إحدى فصائل المجاهدين ضد معسكرات الإنجليز وقوافلهم وضد مستعمرات اليهود الصهاينة، وتكررت هجماته والمجاهدون الذين معه على حى هاكرمل بحيفا، ومستعمرة الخضيرة بين حيفا ويافا، وقاتل القوات البريطانية فى معركة عنيفة عند رأس العين استمرت يومين، فقتل عدداً كبيراً من جنود الاحتلال البريطانى واستشهد ثمانية من المجاهدين، وجرح الشيخ القائد فى عضده الأيمن، ورجله اليسرى، ووقع أسيراً فى قبضة القوات البريطانية الكافرة.

وبعد ما شفى من جراحه قدم إلى المحكمة العسكرية البريطانية بيافا مصفداً بالقيود، وكان ذلك فى شهر كانون الثانى سنة ١٩٣٠ فطالب محاموه بفك قيده فأبى القاضى الإنجليزى ذلك، وبعد جلستين صوريتين أصدر الحاكم البريطانى حكمه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على الشيخ رحمه الله، ولكن شاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يخرج من السجن بعد ثلاثة أعوام فقط، ففى أوائل سنة ١٩٣٣ خرج الشيخ من السجن.

وفى سنة ١٩٣٦ عاد الشيخ أحمد إلى ا لجبال فى شمال فلسطين، حيث انضم إلى عبد الرحيم الحاج محمد القائد العام للمجاهدين فى ثورة فلسطين الكبرى، ونتيجة للتعامل تبدى لقائد الحركة الجهادية فى فلسطين كفاءة الشيخ الجهادية والعلمية

والقضائية، فاختاره القائد ليتولى رئاسة المحكمة العسكرية التى اختصت بالنظر فى شؤون المجاهدين وأحوال المواطنين فى إقليمى طولكرم وجنين، ولم يكن الشيخ أحمد ليقتصر على القضاء فى هذه المحكمة، بل كان يقوم إلى جانب ذلك بمختلف الأعمال العسكرية الجهادية، فكان يشرف على توزيع الأسلحة بين المجاهدين وكذلك الملابس والتموين.

وفى سنة ١٩٣٧ قاد معركة جبع وبلعة، وخاض فى أخريات آذار معركة وادى بلاطة ضد القوات البريطانية، و كان عددها ما يقرب من ألف جندى بريطانى جلبتهم حكومة الانتداب من جنوب البلاد ووسطها لمحاصرة جند الشيخ عبد الرحيم الحاج محمد، فقاتل الشيخ رحمه الله هذا العدد الضخم من جنود الاحتلال قتالاً شرسًا وأبلى بلاءً حسنًا وظل يقاتل حتى نفد منه العتاد، ولم يبق معه رصاصة واحدة وكذلك الذين معه، فوقع أسيرًا فى قبضة الجنود الإنجليز.

أخذ الشيخ أحمد نديم النحوى إلى القدس ووضع فى سجن القلعة مدة خمسة عشر يومًا، ثم قدم إلى المحكمة، فظهر أمام المحكمة وشاهده الحضور وقد أعياه التعب وأنهكه التعذيب ونهشه الجوع بنابه فبرز ناحل الجسم، شاحب الوجه.

لقد كانت المحكمة صورية، سأله القاضى سؤالاً واحدًا هو : هل أنت مذنب؟ فقال الشيخ أحمد بقوة وجرأة وشجاعة : بل أنتم المذنبون. فغضب الإنجليزى وأصدر الحكم بحق هذا القائد المجاهد، فحكم عليه بالإعدام شنقًا، فهنيئًا له بالشهادة، فقد فاز بنعيم خالد مقيم دائم ما دامت السموات والأرض.

قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨]

***

الشيخ فرحان السعدى[1]



ولد رحمه الله تعالى فى قرية نورس من أعمال جنين سنة ١٨٦٤م ونشأ وتربى فى رعاية جده الذى كان يتحلى بالشجاعة والفروسية والجرأة فى قول الحق ومقارعة الظالمين.

وقد استهل حياته العلمية بقراءة القرآن الكريم وترتيله، وحفظ أجزاء منه فى مدرسة دينية محلية، ثم ارتحل إلى عكا حيث درس فى المعهد الأحمدى مختلف العلوم الشرعية واللغوية، ثم سافر إلى سوريا حيث درس على بعض علمائها، ثم عاد إلى فلسطين فأسند إليه المجلس الإسلامى الأعلى وظيفة واعظ وإمام مسجد فى بيسان.

وحين احتلت بريطانيا فلسطين وباشرت تنفيذ خطتها فى إنشاء وطن قومى لليهود على أرض فلسطين، هب يقاوم هذه الفكرة الخبيثة والإجراءات البريطانية الشريرة، فدعا إلى جهاد الإنجليز وقتال اليهود الطامعين، وشكَّل عصابة يقودها بنفسه لقتال الإنجليز واليهود.

وكان أول عمل جهادى قام به ضد حكومة الانتداب والمنظمات اليهودية، معارضته نقل ملكية مساحات شاسعة من الأراضى المشاع فى غور بيسان إلى اليهود الصهاينة، إذ حدث أن اشترك مع عارف عبد الرازق فى إثارة أهالى بيسان ضد ذلك الإجراء الجائر الذى ارتكبه المندوب السامى لصالح اليهود.

وفى الأسبوع الأول من شهر حزيران سنة ١٩٢١ وقف الشيخ فرحان السعدى على منبر صلاح الدين بالمسجد الأقصى ـ الذى أحرقه اليهود بعد حرب ١٩٦٧ - بعد أداء

(١) انظر: أعلام الجهاد فى فلسطين: الشيخ فرحان السعدى وفريزر جرار وعبد القادر المظفر ص ٢٣-٧٥ وفلسطين والحاج أمين الحسينى لزهير مراديني ص ٩٣ والموسوعة الفلسطينية ٣/ ٤٤٠ - ٤٤١ وثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها فى الكفاح الفلسطينى ص٧٥-٧٩ ووثائق الحركة الوطنية الفلسطينية لأكرم زعيتر ص ٤٠٤، مجاهدون من فلسطين ٥٩-٦٣.

صلاة الجمعة ليكشف للمسلمين سوء نية الإنجليز تجاه فلسطين واعتزامهم إقامة وطن يهودى فى البلاد، وذكر للناس على سبيل الاستشهاد حادثة اغتصاب أراضى المشاع فى منطقة بيسان، واتخذ من تلك الحادثة مجالاً لإثارة الجماهير المؤمنة، وتحريضهم ضد البريطانيين، فتحمس المصلون وخرجوا من المسجد ساخطين ثائرين على اليهود والإنجليز، ثم تحولت هذه المظاهرة الشعبية التى كانت فى أولها سلمية إلى معركة دموية سقط فيها عدد من الشهداء برصاص الإنجليز الذين اعترضوا جموع المتظاهرين فى باب الواد والسلسلة وعند الباشورة، من أجل المحافظة على حى اليهود والصهاينة من تلك الغضبة العارمة، غير أن بنادق الإنجليز ورشاشاتهم لم تستطع حماية الصهاينة حيث قتلوا منهم عددًا كبيرًا، فاعتقل الإنجليز على أثر ذلك الشيخ فرحان السعدى.

وكانت بين الشيخ فرحان السعدى والشيخ عز الدين القسام علاقة حميمة حينما خدما فى الجيش التركى، ولما جاء عز الدين القسام من سوريا إلى فلسطين ليجاهد الإنجليز واليهود، ذهب إليه وانضم إلى قيادته وحركته، وأصبح من قادة حركة الشيخ عز الدين القسام الجهادية.

ولما استشهد عز الدين القسام رحمه الله تعالى رحمة واسعة سنة ١٩٣٥ استلم راية الجهاد من بعده، يقود المجاهدين بنفسه، وخاض معارك كثيرة مع قوات الاحتلال البريطانى والقوات اليهودية.

ومن هذه المعارك مهاجمته هو وجماعته لقافلة يهودية على طريق نابلس - طولكرم ردًا على عدوان يهودى غادر وقع على إخوانه العرب فى جوار حيفا، فانتقم من اليهود لهؤلاء الذين غُدِرَ بهم.

لقد أعلن الشيخ فرحان السعدى رحمه الله عن غايته من قتال الإنجليز واليهود فى رسالة أرسلها إلى الأستاذ أكرم زعيتر يطلب فيها المساعدة منه، وأرسل له هذه الرسالة مع أحد المجاهدين سلمها له باليد فى منزله بنابلس، وكتب له فيها أربعة أسطر، يقول: نقوم بالواجب فى سبيل الله، بدأنا وسوف ننتصر، الحاجة ماسة إلى خرطوش، المال نأخذه لهذه الغاية، نعتمد عليكم.

لقد كان للشيخ فرحان السعدى رحمه الله شرف إطلاق الرصاصة الأولى لثورة العرب الكبرى التى عمت جميع أرجاء فلسطين واستمرت من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٣٩م وكان للقساميين فى هذه الثورة دور كبير فى خوض المعارك وقتال الإنجليز واليهود، فسطروا ملاحم البطولة والشرف والفداء. وقد تولى أبو إبراهيم الكبير القيادة العامة للثورة فى المنطقة الشمالية من فلسطين وتولى الشيخ عطية أحمد عوض قيادة منطقة جنين، وتولى الشيخ فرحان السعدى قيادة منطقة نابلس.

لقد قام الشيخ فرحان بعدد من المعارك خلال ثورة ١٩٣٦، فاشترك مع رجاله فى معركة عين جالوت سنة ١٩٣٦، فجرح فى زنده الأيمن جرحًا بليغًا مما أعاقه عن استخدام السلاح ولكنه لم يتوقف عن القتال، بل استمر يجاهد ويقاتل فاستعمل المسدس بيده الأخرى.

وفى ١٩٣٦/٦/٣٠ قاد الشيخ فرحان السعدى والشيخ عطية مجموعة من المجاهدين تزيد على المائة لمهاجمة قافلة عسكرية بريطانية على طريق جنين ـ نابلس، فهاجموها وأوقعوا بها خسائر فادحة، وأوشكت على الاستسلام لولا نجدة وصلتها من قوات الاحتلال البريطانى تقدر بألفى جندى تصحبهم الدبابات والمدافع والطائرة.

فلم يتوقف الثوار عن القتال على الرغم من البون الشاسع بين القوتين فى العدد والعدة، بل قاتلوا ببسالة، وهب لنجدتهم إخوانهم المجاهدون من القرى المجاورة، فكانت ملحمةً فَقَدَ الإنجليز نتيجتها ثلاثين قتيلاً وتعطلت لهم مدرعة عندما انفجر فيها لغم أرضى.

أما المجاهدون فقد استشهد منهم ثلاثة أبطال فى هذه الملحمة التى تروى بطولة الشعب المسلم فى فلسطين ضد المحتلين والطامعين المتربصين.

لقد أدركت بريطانيا خطورة هذا الرجل وقيادته الفذة، فصممت على القضاء عليه بأى وسيلة، فأصدرت حكومة الانتداب بلاغًا بدفع ألف جنيه لمن يدل على الشيخ فرحان السعدى لأنه رئيس عصابة الأشقياء وقطاع الطرق على حد زعم الإنجليز.

لقد عاد المجاهدون إلى بيوتهم بعد أن خبأوا أسلحتهم، أما الشيخ فرحان السعدى فقد ذهب إلى سوريا والأردن يستحث الهمم لمساعدة المجاهدين فى فلسطين بالمال

والسلاح، ولما لم يكن الناس وبخاصة أصحاب النفوذ والسلطان على مستوى الأحداث والتفاعل معها والإخلاص، عاد الشيخ فرحان رحمه الله بخُفَّىْ حنين إلى فلسطين، فقبضت عليه سلطات الاحتلال البريطانى. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ فرحان السعدى كان الرأس المدبر لحركة القساميين فى كثير من الأحداث، وأهم هذه الأحداث قتل لويس أندروز الحاكم العسكرى البريطانى لمنطقة الجليل الذى كان حاقداً على المسلمين ممالئًا لليهود، وكان له دور كبير فى تمليك الأراضى الفلسطينية لليهود بعد أن سلبها من أصحابها، وشدد قبضته على الصحف العربية فمنعها أن تنشر شيئًا يتعلق بضرورة مقاومة الهجرة اليهودية ووجوب مقاتلة اليهود. وحينما قررت الحكومة القيام بمشروع إنشائى برأسمال مليون جنيه جعل أندروز هذا المشروع وكراً لليهود، وأقنع الحكومة بإلغاء الجزء المخصص لمساعدة العرب المطرودين من أراضيهم.

الحكم بالإعدام على الشيخ فرحان السعدى:

وبمجرد القبض على الشيخ فرحان السعدى شكلت محكمة عسكرية بريطانية لمحاكمته، وقد أعدت الحكم مسبقًا ولم تستغرق محاكمته سوى ساعتين إذ بدأت المحاكمة من الساعة العاشرة من صباح ٢٤/ ١١/ ١٩٣٧ وانتهت فى الساعة الثانية عشرة ظهراً، ولم تمكن المحكمة المحامين من المرافعة ولا من إحضار شهود نفى.

وامتنع الشيخ عن الكلام أثناء المحاكمة، إذ كان صامتًا قليل الكلام، إلا أنه كان جريئًا إذا تكلم، وحين سأله رئيس المحكمة: هل أنت مذنب؟ أجاب وهو مقيد: معاذ الله أن أكون مذنبًا.

لقد أعلن رئيس المحكمة على الفور الحكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم فى ٢٧/ ١١/ ١٩٣٧ الموافق ١٤ رمضان ١٣٥٦هـ، وكان الشيخ صائمًا، وظل صائمًا وأعدم وهو على هذه الحالة.

لقد تقدم الشيخ فرحان السعدى رحمه الله إلى حبل المشنقة بخطى ثابتة، ونفس تواقة للشهادة يردد قوله تبارك وتعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وودعه إخوانه المجاهدون فى سجن عكا من خلف أبواب الزنازين التى يربضون فيها، وهم يهتفون بملء حناجرهم بصوت واحد هز جميع أرجاء السجن وأذهل الطغاة القساة: الله أكبر على من طغى وتجبر، إلى جنة الخلد يا فرحان.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ فرحان السعدى رحمه الله قد وجه ليلة إعدامه رسالة إلى أهله وإخوانه المجاهدين قال فيها: إنى سعيد بلقاء ربى.. غداً ألقى الأحبة الشيخ القسام وصحبه، وطلب من إخوانه المجاهدين أن يواصلوا الكفاح ويحرروا أرض الإسراء والمعراج من الإنجليز المحتلين المتآمرين ومن اليهود الطامعين.

لقد انبرى الخطباء والشعراء يرثون الشيخ فرحان السعدى رحمه الله، ومن أبلغ ما قيل من الشعر فى رثائه ما قاله الأستاذ عبد الكريم الكرمى الشاعر الفلسطينى يخاطب الأمة العربية حكامًا ومحكومين:

قوموا اشهدوا فرحان فوق جبينه أثر السجود

يمشى إلى حبل الشهادة صائمًا مشى الأسود

سبعون عامًا فى سبيل الله والحق التليد

خجل الشباب من المشيب بل المسيئون من القعود

وبعد إعدام الشيخ فرحان السعدى رحمه الله ذهبت قوة بريطانية إلى قريته نورس وطوقت دار الشيخ الشهيد، وأخذت بمصادرة كل ما يتعلق بالشيخ من صور وألبسة وسروج الخيل حتى تمحى صورة هذا البطل، وما علموا أنها نقشت فى قلب كل مجاهد.

فلقد تألفت فى فلسطين بتاريخ ٢/ ١٢/ ١٩٣٧ الموافق ١٩ رمضان ١٣٥٦هـ أى بعد إعدامه بخمسة أيام فقط عصابة من المجاهدين كبيرة أطلقت على نفسها اسم: (إخوان فرحان) وجعلت لها فروعًا فى معظم مدن فلسطين، وكان من أبرز رجالها المجاهد سرور العبد الله؛ من أتباع الشيخ فرحان ورفيقه فى الجهاد.

وصية الشهيد:

لقد كتب الشهيد فرحان السعدى وصيته بخط يده وأودعها عند إدارة السجن المركزى بعكا وهذه صورة عنها:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلى ولدنا عبد الله.. أوصيك باحترام أمك، ودير بالك على أشغالك، ويجب أن يكون قبرى قرب النبى يوشع، وأسباب وفاتى هى معلومة للجميع، يا ولدنا عبد الله ارض على إخواتك من بعدى وخليهم يسامحونا.

وكتب يوصى أخاه:

أخى الحاج نمر، أوصيك بأولادنا، وخلوا سعد الشيخ سلمان يكون موجوداً بالدار عند العيال لعند ما يكبروا، أوصيك بعدم البكاء.

أخى سعد الطه، أوصيك بمراقبة ولدى عبد الله وأحمد مع أخى الحاج نمر وأولاده، بلّغوا سلامى إلى عموم أهل نورس والمزار، والتقوى خير وأبقى.

٢٦-١١-١٩٣٧ الإمضاء: راجي عفو الديان فرحان السعدى.

آخر مقابلة مع الشهيد فرحان السعدى:

لقد نقل آخر كلمات نطق بها الشيخ فرحان رحمه الله أخوه الحاج نمر السعدى قال: دخلت عليه قبل الإعدام ببضع دقائق فوجدته رابط الجأش يسبح بحمد الله، ولا تفارق الابتسامة وجهه، فسألته عما يريد أن يوصينى به فقال: أوصيكم بولدىَّ وبناتى خيراً، وأرجو أن تعتنوا بهم، ثم قال: وقد عرضنا عليه تنفيذ الاقتراح القائل بدفن جثمانه بجانب زميله الشيخ عز الدين القسام، فاعتذر متأسفًا لأنه يرغب أن يدفن فى قرية نورس بجوار النبى يوشع الذى كان يراه فى منامه.

وقد طلب منى أن أصحح ما نشر فى الصحف من أن البوليس وجد فى جيبه مائتى جنيه قائلاً: إن البوليس لم يجد فى جيبه شيئًا، وقال: أرجو ألا تبكوا علىَّ لأن البكاء يعد اعتراضًا على حكم الله وهذا حرام، ولما ودعناه الوداع الأخير أخذنا نبكى فأخذ يشجعنا ويهون علينا المصيبة.

***

عبد الله الأصبح[1]



ولد الشهيد عبد الله الأصبح رحمه الله في قرية الجاعونة بالقرب من مدينة صفد، وتلقى العلوم الشرعية فيها، وكان له شرف الجهاد في سوريا وفلسطين، ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا، وضد قوات الاحتلال البريطاني في فلسطين. وصنائعهم اليهود.

لقد استهل رحمه الله تعالى جهاده في الثورة السورية مع القائد الشهيد سعيد العاص رحمه الله، ولما عاد عبد الله إلى فلسطين التحق بحركة الشيخ عز الدين القسام رحمه الله تعالى، وتولى مهاجمة القوافل البريطانية اليهودية ونسف الجسور، وحرق مزارع الأعداء المحتلين الغاصبين.

وفي عام ١٩٣٦ حينما قامت الثورة الفلسطينية الكبرى كان شهيدنا رحمه الله أحد قادتها البارزين في منطقة الجليل، فخاض عشرات المعارك ضد الأعداء من إنجليز ويهود، وفي ٢٧ نيسان من عام ١٩٣٨ اشتبك الأصبح مع البريطانيين في معركة قرب خربة رخصون بين سحماتا وسبلان، فسقط شهيداً، ودفن في قرية سعسع.

***

---

(١) انظر: بلادنا فلسطين الجزء السادس القسم الثاني ص ١٩٠ والموسوعة الفلسطينية ٣/ ١٧٥.

القائد أحمد الحنيطي[1]



شهيدنا هذا ليس فلسطينيًا وإنما هو أردني مسلم، آمن بأن الدفاع عن أرض المسلمين واجب شرعي، ويتأكد هذا الواجب إذا كانت الأرض المعتدى عليها أرض النبوات، وأرض الإسراء والمعراج، قبلة المسلمين الأولى، وفيها ثالث ثلاثة مساجد تشد إليها الرحال.

كان رحمه الله يعمل ضابطًا في الجيش الأردني، ولما شعر بخطورة المؤامرة على فلسطين، وأدرك الأخطاء المحدقة بها، من عزم بريطانيا على تهويدها، وعزم اليهود على احتلالها وطرد أهلها، قرر أن يترك عمله في الجيش الأردني، وأن يذهب إلى فلسطين ليجاهد اليهود. . . فإما النصر وإما الشهادة.

لقد سافر رحمه الله من الأردن إلى حيفا، والتقى بالمجاهدين، يدربهم على فنون القتال لما يتمتع به من خبرة في هذا المجال، ويتقدمهم في قتال الأعداء.

لقد شعر رحمه الله أن السلاح الذي يملكه المجاهدون قليل، والعتاد لا يفي بالحاجة، ونوعية السلاح بالنسبة لما يملكه اليهود من سلاحٍ رديئة وليست مكافئة لسلاح اليهود، فذهب إلى دمشق مع نفر من المجاهدين للحصول على سلاح ومتفجرات تستخدم في المعارك الطاحنة مع اليهود، واتصل بلجنة إنقاذ فلسطين، واستطاع أن يحصل على كميات جيدة من الأسلحة ومن المتفجرات، وكانت حمولة شاحنة كبيرة ومعها سيارات كذلك محملة بالسلاح والرجال، وعاد بها إلى حيفا حيث يرابط ويدرب ويجاهد.

وكان طريق سير هذه القافلة يمر من وسط مستعمرات يهودية كثيرة قبل أن تصل إلى حيفا، مما استدعى القائد الحنيطي أن يكون هو والمجاهدون الذين معه على أهبة الاستعداد للقتال والدفاع عن القافلة.

---

(١) انظر: بطولات عربية ص ١٣٧ - ١٣٩، رجال فلسطين ١٤٧، ١٤٨.

وحينما وصلت القافلة برجالها الذين يحرسونها إلى مستعمرة كبيرة اسمها (موتسكين) اعترضت طريقها دبابة بريطانية كانت قد وقفت عامدة فى عرض الطريق تمنعهم من المرور، ولكن سيارة الشحن الكبيرة المليئة بالمتفجرات نزلت عن الطريق المعبد، وسارت فى الرمل، وعند ذاك بدأ اليهود يرمونها بوابل من الرصاص، ويرمون سائر سيارات القافلة، فنزل المجاهدون وتحصنوا وراء سياراتهم وأخذوا يصلون اليهود بنار أسلحتهم.

وانتقل القتال إلى حالة جديدة، فبعد أن كان التراشق بالرصاص بين الفريقين، وإذا بالمقاتلين اليهود يهاجمون القافلة ليستولوا عليها، ولكن المجاهدين تصدوا لهم وحصدوا أعداداً غفيرة منهم، ولكن الهجمات اليهودية أخذت تزداد وتتكاثر وتتكرر رغم أن القتل قد استحر بهم، وفى هذه الفترة استبسل المجاهدون على قلتهم وبخاصة قائدهم رحمه الله تعالى، وأخذ يرمى المهاجمين من اليهود هو والمجاهدون بالقنابل اليدوية.

وحمل أحد المجاهدين الذين يقاتلون معه قنبلة يدوية وأراد أن يرميها على المهاجمين اليهود، فوقعت القنبلة من يده بجانب خزان بنزين السيارة التى كانت تحمل المتفجرات فانفجرات السيارة بكامل حمولتها، فاستشهد ثلاثة عشر من المجاهدين وفى مقدمتهم القائد المجاهد أحمد الحنيطى رحمهم الله جميعًا. واستطاع الباقون من المجاهدين أن يوصلوا السيارات التى كانت تحمل السلاح والعتاد إلى عكا، وقد نتج عن انفجار السيارة تدمير كثير من منازل المستعمرة، وأصابت شظاياه عدداً كبيراً من المهاجمين اليهود.

لقد نقل الشهيد الأردنى المسلم إلى مدينة عمان، وشيعه الآلاف من الناس، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله خير ما يجزى به المجاهدين الشهداء.

***

الشيخ عبد الفتاح محمد الحاج مصطفى[(١)]



ولد شهيدنا سنة ١٩٠٥م بقرية سيلة الظهر بقضاء جنين، ونشأ فيها، وقد عمل بالزراعة في بداية حياته، ثم سافر إلى حيفا طلبًا للرزق وعمل بها.

وفي أثناء وجوده في حيفا تعرف على الأستاذ الشيخ المجاهد عز الدين القسام، ودرس عليه في مسجد الاستقلال بحيفا، فتأثر به، وتشرب روح الجهاد منه، فانضم إلى جماعته الجهادية وأصبح من أركانها، ولشدة شغفه بالعلم الشرعي اكتسب لقب الشيخ.

شارك في ثورة فلسطين الكبرى مع إخوانه القساميين، وأوكلت إليه قيادة منطقة نابلس بعد استشهاد ابن عمه محمد صالح الحمد المكنى بأبي خالد.

اتخذ شهيدنا الشيخ عبد الفتاح من قرية بيت فوريك بقضاء نابلس مركزاً لنشاطه وأعماله الجهادية، فاستطاع رحمه الله أن يجند في صفوف الثورة المزيد من أبناء هذه المنطقة، وأن يحقق الانتصارات المجيدة على قوات الاحتلال البريطاني وعصابات اليهود ومؤسساتهم.

وفي ١٨ رمضان سنة ١٣٥٧ هـ الموافق لسنة ١٩٣٨م حاصرت القوات البريطانية قرية بيت فوريك، وكان فيها الشيخ عبد الفتاح ومعه عدد من قادة المجاهدين، فلم يستسلم هو ومن معه من المجاهدين، ولقد استعملت القوات البريطانية الطائرات في قتالها ضد المجاهدين، واستطاع الشيخ عبد الفتاح أن يسقط إحدى هذه الطائرات، وأخيراً أصابته رصاصة قاتلة، ثم نقل جثمانه إلى قريته ودفن فيها.

وعلى إثر موته أوكلت قيادة المنطقة إلى ابن عمه عبد الرحمن صالح الحمد، شقيق القائد محمد صالح الحمد المكنى بأبي خالد.

---

(١) انظر: بلادنا فلسطين-الجزء الثالث-القسم الثاني ص ٩١ والموسوعة الفلسطينية ٣/ ١٦٧-١٦٨.

الشيخ عطية أحمد عوض

ولد شهيدنا فى قرية بلد الشيخ من ضواحى مدينة حيفا، وتعلم فيها، ثم رحل إلى مدينة حيفا، التقى بالشيخ المجاهد التقى عز الدين القسام فتتلمذ على يديه، وحضر دروسه العلمية فى مسجد الاستقلال، ودرس على يديه القرآن الكريم وعلوم الشريعة حتى اكتسب لقب الشيخ.

فهو من أتباع الشيخ القسام وتلاميذه المشهورين، ليس فقط فى مجال العلم، بل فى مجال الجهاد أيضاً.

وبعد استشهاد شيخه شيخ المجاهدين القسام سنة ١٩٣٥ لم يتوقف عن الجهاد، ولم تخمد جذوة الجهاد فى نفسه، بل انطلق يتصل بالناس يحرضهم على الجهاد، ويدعوهم للانضمام إلى صفوف المجاهدين، واستطاع أن يضم عدداً كبيراً فى الحركة الجهادية الإسلامية، ويقوم بتدريبهم وتسليحهم.

وحين بدأت الثورة الفلسطينية الكبرى، برصاصات الشيخ العالم المجاهد الشهيد فرحان السعدى كان الشيخ عطية إلى جانبه، كما قاد الشيخ عطية الثورة فى جبل الكرمل.

انتقل الشيخ عطية ورجاله إلى منطقة جنين، حيث أسندت إليه قيادة المنطقة الغربية منها، بالإضافة إلى بعض مناطق شمال فلسطين.

أخذ الشيخ عطية ورجاله يغيرون على المواقع والمستعمرات اليهودية فى منطقة جنين، فيقتلون الحراس اليهود، ويتصدون للقوات البريطانية التى كانت تهب لنجدتها وحمايتها، ينسفون الجسور ويقطعون أسلاك الهاتف، فطاردت القوات البريطانية القائد الشيخ عطية والمجاهدين المسلمين حوله دون جدوى.

ولما عجزت السلطات البريطانية عن القضاء عليه أو الظفر به، أعلنت عن مكافأة مالية قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يساعد ويقدم إخبارية تؤدى مباشرة إلى القبض عليه، كما وضعت مكافأة أخرى لمن يدلى بمعلومات ذات قيمة عن مجاهدين آخرين.

خاض المجاهد الشيخ عطية عدداً كبيراً من المعارك مع قوات الاحتلال البريطانى إلى جانب الشيخ فرحان السعدى رحمهما الله تعالى، ومعركة وادى عرعرة، وهاجم مدينة جنين واحتل بعض مراكز الشرطة فيها.

وفى عام ١٩٣٨ وقعت معركة بين المجاهدين بقيادة الشيخ أحمد عطية وبين قوات الاحتلال البريطانى فى بلدة اليامون، وامتد القتال إلى جبل إسكندر، واستخدمت القوات البريطانية الطيارات والدبابات والمدافع، واستمرت المعركة يومًا كاملاً، استشهد فيها الشيخ عطية وأربعة عشر مجاهداً معه.

ولقد تولى قيادة المنطقة بعده المجاهد البطل يوسف أبو درة.

رحم الله شهيدنا الشيخ عطية وأسكنه فسيح جنانه، فقد كان عالمًا مجاهداً جمع جهاد اللسان وجهاد السنان، وكان شجاعًا، متصفًا بالاستقامة فى الخلق والاندفاع فى القتال، وبالتعفف، وحسن القيادة والحكمة.

***

عبد الرحيم الحاج محمد أبو كمال[1]



ولد شهيدنا البطل بقرية ذنابة فى قضاء طولكرم سنة ١٨٩٢م، فى أسرة عريقة مجاهدة منذ القدم، فقد كان أحد أجداده له شرف الجهاد مع القائد البطل صلاح الدين الأيوبى رحمه الله والدفاع عن بيت المقدس، وكان من أجداده من وقف يتصدى لنابليون فى مهاجمته لسواحل فلسطين، وقاد حركة جهادية ضده، فوقع تحت الأسر فأعدمه القائد الفرنسى نابليون.

لقد عمل بالزراعة فى بداية حياته، ولما بلغ اتجه إلى التجارة، فنجح فى التجارة أيما نجاح، وصار من أعيان التجار وأغنيائهم فى طولكرم

لقد خدم شهيدنا رحمه الله فى الجيش التركى، وتلقى تدريبه العسكرى بالمدرسة الحربية فى بيروت، وعمل خلال سنوات الحرب العالمية الأولى فى لبنان متجولاً بين بيروت وطرابلس. ولما انتهت الحرب العالمية الأولى عاد إلى قريته ليعمل بالزراعة.

كان شهيدنا البطل يتحلى بأخلاق إسلامية، ويتجمل بخصال إيمانية، فقد عرف بالاستقامة والنزاهة والعدل والأمانة والشجاعة والتواضع، كانت روحه متشربة بحب الجهاد، والشهادة تجرى فى عروقه، والنخوة تسرى فى دمه، كان محبوبًا بين الناس يلجأون إليه فى الملمات والمشكلات فيجدون صدراً واسعًا، وقلبًا رحيمًا، يحل لهم مشاكلهم ويواسيهم فى مصابهم.

لقد أدرك رحمه الله خطورة المؤامرة على فلسطين المباركة، فلسطين المقدسة عند المسلمين، وأدرك خطر التآمر الصليبى واليهودى على فلسطين المسلمة، فشاهد بأم عينيه

---

(١) انظر: الحركة الوطنية الفلسطينية لأكرم زعيتر الصفحات التالية: ١٦٧، ١٩٢، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٥٢، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٨٧-٥٨٩.

والموسوعة الفلسطينية ٣/ ١٦١-١٦٢ وبطولات عربية ٦٥-٧٠ وجهاد شعب فلسطين ٢٦٤ وكتاب عبد الرحيم الحاج محمد بطل وثورة، وتاريخ فلسطين الحديث ص ٣٣٩-٣٤١، ومجاهدون من فلسطين ص ٦٤-٦٩.

تشجيع بريطانيا على هجرة اليهود إلى أرض فلسطين، ومصادرة سلطات الاحتلال البريطانى أراضى فلسطين وتمليكها لليهود، وإجبار الناس على بيع الأراضى، وإغراء بعض ضعاف النفوس بالمال، وشهد محاباة الإنجليز لليهود فى فلسطين، والظلم والعدوان فى الوقت ذاته الذى يقع على المسلمين من أهل فلسطين، حيث التدريب والتسليح لليهود، والحرمان من ذلك بالنسبة للمسلمين، بل واعتبار اقتناء السلاح والتدرب عليه جريمة تستوجب أشد العقوبات توقعها سلطات الاحتلال بالمسلم الفلسطينى، وهذه العقوبة تصل إلى الإعدام وقد أعدم بعض المجاهدين بتهمة اقتناء السلاح وحمله.

حينما رأى المجاهد البطل هذه الأمور الخطيرة عاهد الله أن يجاهد الإنجليز بلسانه ويده وقلبه، فأخذ يتصل بالناس ينشر فيهم الوعى، ويحذرهم من غدر الإنجليز ومكر يهود، ويحذرهم من خططهم الرامية لتهويد فلسطين. وجاهدهم بسنانه إذ أعلن للملأ أنه لا علاج لهؤلاء الغاصبين والطامعين إلا التصدى لهم بالقوى، وجهادهم وقتالهم حتى تطهر الأرض المقدسة من أرجاسهم وأدناسهم، وأخذ يبث روح الجهاد فى نفوس الناس الذين يقتربون منه، وعندهم وعى بحقائق الأمور، فالتفت حوله عصابة مؤمنة مجاهدة، تكونت لديها الرغبة الأكيدة والعزم والتصميم على الجهاد من أجل تحرير أرض الإسراء والمعراج.

لقد تأثر رحمه الله بالشيخ عز الدين القسام وبطريقته فى التربية على الجهاد، وبطريقته فى التنظيم الجهادى السرى، فسلك طريق السرية التامة فى جمع المال لتمويل المجاهدين وتدريبهم، وتسليحهم، وكان لخبرته العسكرية أثر فى نجاح خطته، وفلاح جماعته، فاستوت على سوقها قبل أن تُغتال كما اغتيل غيرها.

لقد قاد رحمه الله مجموعة من المجاهدين فى معارك دامية مع الإنجليز واليهود، فطارده الإنجليز مطاردة لا هوادة فيها، ولكن تكتمه وتخفيه الذى سلكه خفف كثيراً من الضربات المميتة له ولجماعته، بل إننا نجده فى هذه الفترة يتكتم بشدة، ويتخفى أكثر مما سبق ويستخدم كفاءته العسكرية العالية فى هذا الصدد، وهذا المجال.

وبعد إعلان الإضراب العام الكبير فى شهر نيسان ١٩٣٦ قاد مجموعة من المجاهدين قامت بعدة هجمات على البريطانيين والمستوطنين اليهود، فلاحقته سلطات

الاحتلال فاضطر إلى ترك بيته وأهله. وأن يجعل كل تحركاته الجهادية سرية، وأخذ يصعد عملياته الجهادية وظهر علنًا فى معركة نور شمس، وهى أول معركة منظمة وأكبر معركة خاضها المجاهدون الفلسطينيون مع قوات الاحتلال والمستوطنين، كان ذلك فى ٢٢/ ٦/ ١٩٣٦ وتوالت الهجمات وأعمال المقاومة التى قادها المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، وحقق فيها نجاحًا كبيرًا على قوات الاحتلال وضرب طرق مواصلاتهم، ودمر كثيرًا من المنشآت العسكرية وبذلك ازدادت شهرته، واتسعت دائرة نشاطه.

وعندما جاء القائد اللبنانى المتطوع فوزى القاوقجى واجتمع بقادة المجاهدين فى فلسطين، اجتمع بالقائد المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، وبحث معه تنظيم الحركة الجهادية، فأعجب به وبقوته وكفاءته فاختاره ليتولى قيادة المنطقة الثانية أهم مناطق الثورة، تقع فى المثلث وسط فلسطين.

لقد خاض معارك كثيرة تحت إمرة القيادة العامة وانتصر فيها، ففى ٢٤/ ٩/ ١٩٣٦ سجل انتصارًا رائعًا على قوات الاحتلال فى معركة نابلس، وفى ٢٥/ ٩/ ١٩٣٦ خاض معركة بلعا ضد المحتلين وانتصر عليهم. وكذلك معارك جبع، ودير شرف. فشددت سلطات الاحتلال على ملاحقته، ورصدت جائزة مالية كبرى لمن يأتى به، وقامت بنسف بيته.

وبعد أن سافر القاوقجى فى أواخر تشرين الأول سنة ١٩٣٦ إلى خارج فلسطين بناءً على نداء الملوك والرؤساء الداعى إلى الإخلاد إلى السكينة، أوكلت إليه القيادة العامة للثورة وساد الهدوء، فسافر إلى دمشق فى تشرين الثانى، وأخذ يجمع المال ويشترى السلاح ويجمعه ويرسله إلى فلسطين، ليستأنف الجهاد ضد المحتلين والمستوطنين، وعاد بعد ذلك القائد المجاهد فى شهر تشرين أول سنة ١٩٣٧ بعد أن اندلعت الثورة على رأس مجموعة من المجاهدين، وجعل المقر المؤقت لقيادته قرية النزلة الشرقية بقضاء طولكرم، فتولى القيادة العامة للثورة، وقيادة المثلث كذلك، ويساعده القادة الأشاوس المجاهد يوسف سعيد أبو درة، والمجاهد محمد الصالح وكنيته أبو خالد، والمجاهد عارف عبد الرازق، واتخذ له مستشارين كان ينتفع بآرائهم وهم: الشاعر المجاهد الشهيد عبد الرحيم محمود من بلدة عنبتا وممدوح السخن، وأحمد جميل. ولقد خاض معارك ضارية مع قوات الاحتلال البريطانى، وألحق بهم ضربات موجعة

وخسائر فادحة، ومن أهم هذه المعارك معركة بيت أمرين وكان فى المقدمة، وجرح فيها رحمه الله، ومعركة دير غسانة ٢٠/ ٩/ ١٩٣٨ واستشهد فيها القائد المجاهد محمد الصالح أبو خالد.

ومما يجدر ذكره هنا أن الحركة الجهادية التى يقودها المجاهد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد كانت منظمة وتعمل فى أكثر من اتجاه.

لم تقتصر الحركة الجهادية على قتال المحتلين، بل تجاوزت هذا إلى الناحية الإعلامية، فلابد أن تُظْهِرَ الوجه البشع للاحتلال الإنجليزى والممارسات الوحشية التى يرتكبها جنود الاحتلال ضد أبناء الشعب الفلسطينى فى مدنه وقراه وباديته.

ولقد نجح القائد الشهيد فى هذا المجال مما أزعج بريطانيا، وخاصة القائد البريطانى للمنطقة المتوسطة، فأخذ يصدر البيانات التى يهدد فيها كل من ينشر معلومات تتعلق بممارسات الإنجليز ضد أهالى البلاد، وحاول تكذيب الأخبار الصحيحة المتعلقة بهذا الشأن.

فقد أصدر القائد العسكرى هـ. س هاريسون منشوراً من نابلس ومؤرخ فى ٨ كانون الأول جاء فيه: يروج بعض الناس، عن تعمد، تهمًا عديدة عارية عن الصحة بحق الجنود أثناء قيامهم بواجباتهم المشروعة، يقصد إساءة الثقة بقوات جلالته. وبما أن هذه التهم موجهة ضد مصلحة الأمن العام، فإنى أحذر الجمهور بأنى سأتخذ التدابير بموجب أنظمة الطوارئ بحق كل شخص يروج قصداً إشاعات كهذه عارية عن الصحة.

وقد بادر القائد المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد بالرد على منشور القائد البريطانى يؤكد فيه ما نسب إلى الجنود البريطانيين من الفظائع والأعمال المشينة أثناء قيامهم بالتفتيش، ويطالب بالتحقيق ومحاكمة مقترفى الأعمال البربرية، ويؤكد أن المجاهدين لن يمكنوا أعداءهم من انتهاك أعراضهم بدون أخذ الثأر منهم، وأنهم سيوقعون إذ أصر الإنجليز على أساليبهم هذه بالآمنين الإنجليز ما يوقعونه بالآمنين العرب.

وقد ذكر بعد هذا ما اقترفه الجنود الإنجليز من مأساة عتيل الكبرى، إذ اعتدوا على حرمة المساجد، وعلى بيوت المحصنات من النساء، وعلى الأطفال والشيوخ، وحرق

البيوت والدكاكين. ثم أصدر بيانًا آخر وجهه إلى العالم العربى والإسلامى فَصَّلَ فيه الفظائع فى عتيل، ومنها أن الجنود أتوا بثلاثة من رجال القرية وأدخلوهم فى مكان فيه حطب وأعملوا فيه النار فاحترقوا، واستاقوا شيخًا فى الستين من عمره كان يقوم بأداء الصلاة ولما خرجوا به من المسجد أطلقوا عليه الرصاص فقتلوه.

وختمه بقوله: اللهم إن الإسلام ليشكو ضياعه فى البلد المقدس، وإن العروبة لتندب نفسها فى فلسطين فهل من منجد؟ هل من مجيب؟.

وكانت بياناته صحيحة ودقيقة غير مبالغ فيها، فأثر فى كثير من غير أهالى فلسطين، وبعضهم من الإنجليز، واعترفوا بظلم بريطانيا، وتعسف جنود الاحتلال البريطانى.

وقد قدم القائد عبد الرحيم الحاج محمد قائمة بأسماء الذين اعتدى عليهم الجنود الإنجليز فى بلدة «عتيل» بقتل أو تعذيب أو اعتداء على الأعراض، وقد وصلت هذه القائمة إلى خارج فلسطين كبريطانيا وغيرها.

وإضافة إلى قتال الإنجليز وتوضيح حقيقة أفعالهم فقد كان يدعو إلى إضراب عام احتجاجًا على هذه الممارسات البشعة.

وكان أعداء المجاهدين يطلقون الإشاعات التى توهن العزائم وتثبط المجاهدين وتضعف ثقة الناس بالحركة الجهادية، فقد أشاعوا أن المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد من المعتدلين، وأنه ليس من أنصار المفتى الحاج أمين الحسينى، إذ كانوا يصفونه بالتطرف وعدم الاعتدال، وهو الذى يقف حجر عثرة فى سبيل التفاهم بين العرب واليهود.

فأعلن أن هذه الأخبار يراد بها الدس وتشويه الصورة المقدسة، وقال: أنا أعلن أن ما جاء فى هذه الأقوال عار من الصحة، وقال مكذبًا الادعاء القائل بأنه من المعتدلين: فنحن ثرنا لأجل تحقيق مطالبنا المقدسة التى لا يمكن أن نحيد عنها كما إنى أعتبر سماحة المفتى الأكبر الزعيم الأوحد ورمز الجهاد.

وقد كان رحمه الله عادلاً مع الأعداء والأصدقاء على حد سواء لا يحابى محبًا ولا يظلم عدوًا، قد شكل المحاكم للشعب حتى يستغنوا عن الذهاب إلى الحاكم الإنجليزى. ولم تكن أحكام هذه المحاكم قطعية، بل كانت أحكامها قابلة للاستئناف، والاستئناف يرفع إلى قائد الثورة المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد رحمه الله.

فتذكر ملفات حركته الجهادية أن المجاهدين قد أسروا مهندسًا يهوديًا، ولما مثل أمام قاضى المحكمة التابعة للمجاهدين حكمت عليه بالإعدام، ولكن المهندس طلب الاستئناف أمام محكمة المجاهدين العليا التى كان يرأسها القائد المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد، ولما رفعت القضية إليه حكم ببراءة المهندس اليهودى، لأنه لم يعترف بأنه يعتنق فكرة الصهيونية، وهو ذو أسرة وأطفال واسم المهندس اليهودى جيشودفنا.

وإليكم البيان الصادر عن القيادة بتاريخ ٢٦ جمادى الثانية ١٣٥٧ هـ بشأن هذه القضية[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان إلى الأمة العربية الكريمة

لقد أسر مجاهدو فصيل الزلازل على طريق حيفا ويافا المهندس اليهودى (جيشودفنا) وفى الجلسة المنعقدة فى تاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٣٨ قررت هيئة محكمة فصيل الزلازل إعدام هذا الشخص رميًا بالرصاص، مع إعطائه حقًا باستئناف هذا الحكم أمام محكمة الثورة العليا، وعند طلبه الاستئناف أحيل إلى المحكمة المذكورة التى تم تشكلها وأركان حربها، وبعد سماع أقواله وأقوال كثير من الشهود قررت المحكمة ما يأتى:

١- بما أن شهودًا عربًا موثوقين قد شهدوا لصالح (جيشودفنا) المذكور.

٢- وبما أنه لم يعتنق فكرة الصهيونية التى نكرهها ونحاربها.

٣- وأن محكمة القيادة تأخذ بقول العرب الشهير: (العفو عند المقدرة).

٤- وبما أنها تعتبره أسيرًا يجب أن لا يؤذى.

لكل هذه الدلائل وملابساتها حكمت القيادة الحكم التالى:

١- إطلاق سراح الأسير المذكور، وعدم قبول الفدية التى عرضها الأسير نفسه، ومقدارها ألف جنيه، ليكون هذا دليلاً على أن الثورة أوجدت لغاية عليا تتنزه عن المادية الخسيسة.

٢- صرف خمسة جنيهات من خزانة الثورة، وملابس عربية لهذا الأسير، وإرجاعه إلى مقره بسلام.

---

(١) انظر: كتاب عبد الرحيم الحاج بطل وثورة ص ٧٥-٧٦.

٣- تكليف لجنة النشر بإعلان هذا الحكم وحيثياته على الناس ليعلموا أن العرب نبلاء في كل أفعالهم، وأنهم ليسوا كأعدائهم كما قال الشاعر :

وحللتمـوا قـتل الأسـارى وطالما ... غـدونا على الأسـرى نمن ونصـفح

ويكفـيكمـوا هذا التـفـاوت بيننا ... وكل إناء بالذى فـيـه ينضح

المجاهد الصغير: عبد الرحيم الحاج محمد

استشهاده :

لقد ذهب القائد المجاهد رحمه الله إلى دمشق لمقابلة الحاج أمين الحسينى سنة ١٩٣٩ ، وبحث معه أموراً منها المساعدة بالسلاح والعتاد، ثم عاد ومعه نفر من المجاهدين إلى فلسطين، وفى الطريق توقف فى قرية صانور قضاء جنين.

كانت القوات البريطانية ترسل العيون تجمع الأخبار عنه وعن تحركاته، وفى ٢٧/ ٣/ ١٩٣٩ تحركت قوات بريطانية بناء على معلومات وردتها أن القائد المجاهد مع نفر من المجاهدين موجود فى قرية صانو، وهاجمت المجاهدين مع قائدهم، فلم يستسلم رحمه الله ومن معه بل تصدى يقاوم جنود الاحتلال حتى استشهد فى هذه المعركة، واستشهد عدد من مرافقيه.

قامت سلطات الاحتلال بدفنه فى قرية صانور، ولكن المجاهدين أصروا على نقله ليوارى جثمانه فى قريته ذنابة، وكان لهم ذلك.

لقد ترك شهيدنا البطل أربعة أطفال، وأكبرهم لا يتجاوز العاشرة من عمره.

نعيه ورثاؤه:

وبعد استشهاده أصدرت قيادة الثورة بيانًا تنعى فيه القائد العظيم إلى الأمة، جاء فيه.

بيان من ديوان الثورة العربية الكبرى فى فلسطين

ينعى فيه القائد الكبير عبد الرحيم الحاج محمد

ديوان الثورة العربية الكبرى فى فلسطين. التاريخ ٨/ ٢/ ١٣٥٨- ٢٩/ ٣/ ١٩٣٩ .

دمعه الأسى على الأخ الشهيد

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

لقد كتب الله علينا القتل والقتال، ليتخذ منا شهداء ليعلم المجاهدين وليعلم الصابرين، كتب علينا القتال مذ كان فى الأرض حق وباطل، وضعف وقوة، وقد كان الحق مجبراً على الدفاع عن نفسه ليظهر فى الدنيا ويشيع فى الناس، ومن أجل أن يقهر الباطل فيندحر مهزوماً مقهوراً مذموماً من أجل نصرة الحق. ونشر الفضيلة بين الناس.

كتب الله القتال والاستشهاد على سيد الأنبياء، وسيد الشهداء، فجاء المسلمون بعده، واقتفوا أثره وتتبعوا خطاه، فقاتلوا وقتلوا، وفتحوا العالم ودوخوا الأمصار ليحققوا سعادة البشرية فى ظل الإسلام، وليكون الرسول شهيداً علينا ونكون شهداء على الناس بأن الخير كل الخير فى طاعة الله والرسول والجهاد فى سبيل الله.

***

الطفل الشهيد صباح عبد الغنى[1]



هذا الطفل من سورية ولم يبلغ عمره سوى اثنى عشر عـامًـا حـتى تعلق قلبـه بالدفـاع عن الأرض المقـدسـة فلسطين، وازداد تعلقه حينما رأى أخاه يتطوع للجهاد فى فلسطين، فهرب من بيت والده فى دمشق، والتحق بقيادة الجهـاد المقـدس فى بيت المقدس. ولكن القيـادة لما رأت صغر سنه رفضت السماح له بالمشاركة فى قوة الجهاد، وأعادته إلى أبيه فى مدينة دمشق.

لكن الطفل صباح رحمه الله الذى كان شغوفًا بالجهاد، متعلقًا به أشد التعلق، رفض أن يبقى فى دمشق ويحرم من شرف الجهاد، فعاد إلى القدس مرة ثانية وأصر على المشاركة فى الأعمال الجهادية، وأثبت جدارته وكفاءته لذلك على الرغم من صغر سنه، فقبلوه لكفاءته وإصراره على الجهاد.

التحق رحمه الله تعالى بفرق التدمير لخفة حركته وسرعته وذكائه، وقد أبدى شجاعة وجرأة أذهلت الكبار من المجاهدين، فها هو ذا يتقدم بكل جسارة ليفجر الألغام والقنابل فى العمارات اليهودية والأحياء اليهودية، غير مبال بالموت وغير هياب من وابل الرصاص الذى ينطلق من رشاشات اليهود عليه أثناء العملية وبعدها.

ولما دخل الجيش العربى القدس كان رحمه الله فى مقدمة المجاهدين الذين يحملون القنابل والألغام، ويسيرون لتدمير أوكار اليهود.

وفى إحدى المعارك تغلغل رحمه الله فى الحى اليهودى المسمى ميشورم فى القدس وهو حى يهودى كبير، وراح يفجر فى عماراته الألغام والقنابل بدون خوف أو وجل،

(١) بطولات عربية ص ١٤٢، ١٤٣.

ولما فرغ من مهمته وعاد فى طريقه إلى مربضه، اصطدم بمقاتلين يهود، فرموه بالرصاص فأصيب بجراح خطيرة، أخذ فوراً إلى المستشفى ولم يلبث رحمه الله أن فارق الحياة، فنال الشهادة التى كان يتمناها.

رحم الله شهيدنا الطفل، ووفق الله كل أطفالنا إلى أن يتعلقوا بجهاد الأعداء من اليهود وغيرهم من الكفار. ووفق العلماء من المسلمين لتربية النشء على حب الجهاد والاستشهاد ومقاومة كل الحلول الاستسلامية لأى قضية من قضايا المسلمين.

***

الشيخ يوسف سعيد أبو درة[1]



ومن أهم المعارك التى خاضها معركة أم الزينات فى منطقة الكرمل بتاريخ ٢٨/ ١١/ ١٩٣٨، وقد كان عدد المجاهدين الذين كانوا معه بضع عشرات، وعدد الجنود البريطانيين يتجاوز الألف، تؤازرهم ثلاث عشرة طائرة حربية، وأسفرت المعركة عن استشهاد خمسة من الثوار، ومقتل عشرات الجنود البريطانيين. وأشيع على أثر ذلك أن القائد المجاهد (أبو درة) قد استشهد فى هذه المعركة، فأصدر بيانًا ينفى هذه الشائعة وتحدث فيه عن المعركة جاء فيه:

وإنى أعلن أن لا صحة مطلقًا للإشاعة القائلة أنى أنا يوسف سعيد أبو درة، قد أصبت بضرر ما، فأنا لا زلت بحمد الله أتمتع بالصحة والعافية، وأعاهد الله والرسول على مواصلة الجهاد إلى النهاية حتى تصل الأمة إلى ما تصبو إليه، أو يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

هاجم مع رجاله سجن «عتليت» المحصن، فاقتحمه وحرر سجناءه.

وقد طوقه الإنجليز أكثر من مرة فكان يتمكن من الإفلات منهم.

وهو الذى أرسل أحد المجاهدين الذين تحت إمرته، ليغتال حاكم جنين ومساعد حاكم لواء نابلس وهو فى مكتبه، واسمه موفات، فأفلح فى مهمته.

ومما يجدر ذكره أن حاكم جنين المسترموفات كان شديداً على أهل فلسطين متحمسًا لتهويدها، شرسًا فى معاملة الأسرى والمساجين من المجاهدين، واستمر فى سياسته الحاقدة ومعاملته السيئة على الرغم من الإنذار الذى وجه إليه والتهديد الذى حذر به،

---

(١) انظر: بلادنا فلسطين الجزء الثالث. القسم الثانى ص ١٩٢-١٩٣ والموسوعة الفلسطينية ٤/ ٦٥٢-٦٥٣: فلسطين ص ٢٣٥ والحركة الوطنية الفلسطينية لأكرم زعيتر ص ٣٨١، ٣٩٣، ٥٣٦-٥٣٨، ٥٤٣، ٥٥٠، ٥٦٤، ٥٦٧، ٥٧٨، ٥٩٧، ٦٠٢-٦٠٣ ووثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ص ٤٠٤، ٦١١، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٩ ومجاهدون من فلسطين ٧٠-٧٤.

وعلى الرغم مما حدث لعميلهم « حليم بسطا » الذى كان مساعداً لمدير الشرطة من قتله رميًا بالرصاص، وعلى الرغم مما حدث لحاكم لواء الجليل المسمى «أندروز» إذ قتله المجاهدون وحارسه الإنجليزى على مسافة أربعة أمتار فقط فخراً صَرِيعَيْنِ.

وبينما كان المدعو «موفات» حاكم «جنين» قد أحاط نفسه بمجموعات من البوليس والجنود يحرسونه، ويحمون مقره بعد أن تلقى إنذارًا من المجاهدين كان هذا نصه: من القائد الصغير يوسف أبو درة إلى «مسترموفات».. إذا لم تحسن سلوكك مع الأهالى خلال ثمانية أيام فسأقتلك.

ولكن المستر موفات ركب رأسه واستمر فى سوئه بل ازداد شراسةً على أهل فلسطين، لأنه صليبى حاقد اجتمع مع اليهود فى كره المسلمين وعداوتهم ولكنه نقل سكنه إلى معسكر الجيش البريطانى خارج جنين، واشتدت حراسته بالمصفحات، ولم يبق أى احتمال للاعتداء عليه.

ولكن القائد المجاهد الكبير الذى أطلق على نفسه القائد الصغير الشهيد يوسف أبو درة كان صادقًا فى وعيده، فبعد ثمانية أيام تمامًا أرسل إليه اثنين من المجاهدين تسلق أحدهما أنابيب المياه حتى وصل الدور الذى به مكتب « المسترموفات »، فوجه إنذاراً إلى سكرتيره العربى «رأفت الدرهللى»، واجتاز غرفته إلى غرفة الحاكم البريطانى وأفرغ فيه رصاص مسدسين كانا معه، واستمر يطلق الرصاص دون أن يجفل أو يخاف، وعاد تاركًا المكان، بينما أخذ رفيقه يطلق الرصاص خارج البناء لتغطية الانسحاب، والحرس فى ذهول وارتباك شديدين.

جن جنون المندوب السامى، كيف يصرع المجاهدون أركان إدارته التهويدية فى فلسطين، فأصدر أمره باعتقال عدد من العلماء والقضاة والأطباء والمحامين والمثقفين، ونكلت السلطة بالشعب وزعمائه المجاهدين، فاعتقلت أعضاء اللجان، وعزلت رئيس المجلس الإسلامى الأعلى، وأبعدت إلى جزيرة سيشل نفرًا من المجاهدين.

لقد كان الإنجليز واليهود يصابون بالرعب الشديد، ويذعرون أشد الذعر إذا ذكر اسم هذا المجاهد القائد، لأنه إذا قال فعل، وإذا هدد وأوعد نفذ كلامه مهما كانت الظروف، وهو مجاهد فى سبيل الله، لا يهاب الردى ولا يخشى الموت، وكان يتوكل

على الله بعد الأخذ بالأسباب، بل كان يوقع بيانات الثورة المجاهدة الصادرة عن قيادته تحت اسم: المتوكل على الله يوسف سعيد أبو درة. وأحيانًا يوقع باسم: خادم دينه ووطنه المعتز بالله يوسف سعيد أبو درة، ويختم بعض بياناته بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

وكان بالإضافة إلى قيادته المعارك ضد الإنجليز واليهود يشارك فى المؤتمرات السياسية ويشارك أيضًا فى الرد على بيانات وزير المستعمرات البريطانى المتعلقة بشأن القضية الفلسطينية.

شارك رحمه الله فى بيان مؤرخ فى ٦/ ١٢/ ١٩٣٨ جاء فيه: إن الثورة ستضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه إلقاء الرعب والقلق فى نفوس الناس، أو سلبهم أموالهم، أو محاولة الانتقام والكيد الشخصى للإيقاع بهم، وستعاقب الوشاة والدساسين بأشد أنواع العقاب.

ولما توقفت الثورة فى أيلول سنة ١٩٣٩م سافر إلى دمشق، ثم إلى الأردن، فاعتقلته وهو فى الطريق دورية من الجيش الأردنى، واحتجز لفترة فى الكرك، ثم سلمه الجنرال «كلوب» القائد يومها للجيش الأردنى، إلى سلطة الانتداب البريطانى التى حكمت عليه بالإعدام.

وقد نفذ فيه الحكم فى القدس بتاريخ ٣٠/ ٩/ ١٩٣٩م. رحمه الله رحمة واسعة ورزقنا الله الشهادة كما رزقه الشهادة إنه سميع مجيب الدعاء.

***

سعود حسن الصعيدى[1]

ولد رحمه الله سنة ١٩٣١م فى دير الزور بسوريا. ونشأ فيها، وتفتحت عيناه على أحوال المسلمين المؤلمة، وأبصر الإنجليز وهم يدنسون مقدسات المسلمين فى فلسطين، ويسعون لتهويدها، وشعر بخطورة اليهود على هذه البلاد المباركة وتدفق الآلاف عليها لاحتلالها واجتثاث أهلها منها.

لقد أيقن رحمه الله أن الجهاد فرض من فرائض هذا الدين، ينبغى على كل مسلم أن يهب للدفاع عن فلسطين، فانضم إلى أول كتيبة تنطلق من مدينة دير الزور إلى فلسطين، وكان عمره سبعة عشر عامًا.

وصل الشاب المجاهد مع كتيبته إلى أرض فلسطين، وعسكر فى قرية زرعين، وهى قرية من قرى قضاء جنين، تبعد ٢ كلم عن المستعمرات اليهودية من قطاع العفولة.

وفى ٢٩/ ٢/ ١٩٤٨ استشهد ابن عم للمجاهد سعود حسن الصعيدى، فوقف عند جثته ونظر إليه نظرة الوداع الأخير ثم قال: انتظرنى هناك فى العالم الآخر، بين إخوانك الشهداء، وها أنا أمضى متابعًا جهادى لأثأر لك بأربعة خونة، فانتظرنى يا ابن عمى، وانحنى عليه وقبله ثلاث قبلات: الأولى عن أهله، والثانية عن إخوانه ورفاقه، والثالثة عنه، ثم ابتهل يدعو الله أن يمكنه من الوفاء بنذره.

مضت أربعة أيام بعد دفن ابن عمه ثم استأنف القتال مع اليهود، وكان قتالاً ضاريًا استطاع فيه أن يقتل ثلاثة من يهود وبقى رابعهم حتى يفى بنذره، وبينما هو يتحضر لقتل الرابع وإذا برصاصات قد مزقت صدره وتركته يتخبط فى دمائه، وبعد قليل صعدت روحه إلى بارئها.

رحم الله المجاهد سعود الذى جاء ليدافع عن الأرض المباركة المقدسة، ويرويها بدمائه الزكية. فهنيئًا له، وتقبل الله منه.

---

(١) انظر: كتاب إلى فلسطين ص ٤٤-٤٧.

عبد القادر موسى كاظم الحسينى[1]

نشأته :

ولد المجاهد الشهيد عبد القادر رحمه الله فى إستانبول سنة ١٩٠٨ إذ كان أبوه مقيمًا فيها، وتذكر بعض الروايات أنه ولد سنة ١٩١٠م فى بيت المقدس[2].

نشأ مجاهدنا فى بيت مسلم وتربى فى بيت من أشرف البيوت، وفى بقعة من أشرف بقع فلسطين، بل أشرفها على الإطلاق، إنها بيت المقدس. أرض الإسراء والمعراج، ومهاجر الأنبياء. وأبوه موسى كاظم الحسينى من أبرز المجاهدين ومن أشهر القيادات لا فى فلسطين فحسب، بل فى بلاد الشام كلها، فقد كان رحمه الله تعالى عضواً فى مجلس المبعوثين بالدولة العثمانية، وشغل عدة مناصب إدارية فى العهد العثمانى فى تركيا والعراق واليمن وفلسطين، وترقى فى الرتب حتى حصل على لقب باشا.

---

(١) انظر: بطولات عربية ص ١٠٠–١٠٧ وجهاد شعب فلسطين ٣٤٧ – ٣٥٧ وقضية فلسطين فى سيرة الشهيد الحى عبد القادر الحسينى ص ٧ – ١٤٠ وبلادنا فلسطين الجزء الأول ـ القسم الأول ص ٢٥٣، ٢٦٠ والجزء الرابع ـ القسم الثانى ص ٧١٦ والجزء العاشر ـ القسم الثانى الصفحات التالية: ٢١٧، ٢٢٧، ٢٩٠، ٢٩١ – ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٣، ٤١٤ ورجال من فلسطين ص ٢٩٩–٣٠٧ والنكبة ١/ ٤١، ٦١، ٧٣، ٧٤، ٨١، ٨٣، ٩١، ٩٢، ٩٨، ١٠٤، ١١٣، ١٢٣، ١٢٨ ١٢٩ – ١٣٥، ١٤٠ـ ١٤٣، ١٥٠، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٧، ٢٥٠، ٢/ ٤٩٤، ٣/ ٦٦٦، ٦٦٨، وصحافى من فلسطين يتذكر ص ٣٦، ٨١ وفلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسينى ص ١٣٥–١٩٤، ٢٠٧–٢٩٩، ٣٤٩–٣٧٨، ٤٢٩–٤٤٩ والموسوعة الفلسطينية ٣/ ١٦٨–١٧٠ وفلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لعيسى السفرى ص ١٦٠ ولمحات من تاريخ فلسطين لأحمد أبو خوصة ١/ ١٤٥–١٤٦ و١٢٩ ومن سجل ذكرياتى للصواف ص ١٩٠–١٩١ وعباس السيسى فى قافلة الإخوان المسلمين ١/ ١٩٨–١٩٩.

(٢) جاء فى كتاب فلسطين الأم ص ١٣٥: ولد عبد القادر فى عام ١٣٢٥هـ=١٩١٠م هكذا ورد فى مذكرات والده موسى كاظم باشا، كما ذكر السيد سامى شقيق الشهيد أنه ولد فى الآستانة (العاصمة العثمانية) عام ١٩٠٧ الموافق ١٣٢٣هـ عندما كان والده قد عين بمنصب متصرف لواء فى إحدى ألوية الدولة العثمانية كما ذكر الدكتور قاسم الريماوى فى مخطوطه أنه ولد عام ١٩٠٨م.

ولما دخلت قوات الاحتلال البريطانى فلسطين، وخاصة بيت المقدس، وقال القائد الإنجليزى الصليبى اللنبى : الآن انتهت الحروب الصليبية، وكشرت بريطانيا عن أنيابها، وأعلنت عن عزمها على إقامة دولة لليهود على أرض فلسطين، وبدأت تضع الخطة الكفيلة بتحقيق هذه الجريمة، وتشرف على تنفيذها، فتشجع الهجرة اليهودية، وتستولى على الأراضى وتصادرها وتنقل ملكيتها إلى اليهود، وقف الباشا موسى كاظم الحسينى فى وجه مخططات بريطانيا وتصدى لها، فقاد المظاهرات الصاخبة منذ سنة ١٩٢٠ واستمر يقودها ويجاهد من أجل إسلامية فلسطين حتى تعرض لبطش الإنجليز ووسائلهم القمعية البشعة، فأوذى على الرغم من كبر سنه، وعلو منزلته ومكانته فى قومه وعلى المستوى الدولى والعالمى، إذ انهال عليه جنود الاحتلال بالضرب المبرح، بقلوب لا تعرف كرامة للإنسان، ولا تقدر كبيراً قد وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبًا، وقد توفى على إثر هذه الإصابات سنة ١٩٣٤ .

أما أم المجاهد عبد القادر فهى من بيت الحسينى، واسمها : رقية بنت مصطفى هلال الحسينى وقد حرم حنانها منذ صغره، فقد توفيت رحمها الله تعالى بعد ولادة طفلها عبد القادر بسنة ونصف فكفلته جدته لأمه « نزهة بنت على النقيب الحسينى»، غمرته بعطفها وحنانها، وكانت السيدة « ثليجة » هى التى تشرف على تربيته، فعوضته بعاطفتها وعنايتها الغامرة بعض ما فقده من حنان أمه، فأحبها حبًا شديداً بل كان لفرط حبها إياها لا يناديها إلا بالوالدة.

كانت جدته رحمها الله، ذات فراسة، تنظر إليه وتحدث أن لهذا الغلام مستقبلاً زاهراً، وتتمنى أن يطيل الله عمرها حتى تشهد مستقبل هذا الفتى، ولكنه لم يمض وقت قصير حتى توفيت رحمها الله، فعاش بعد ذلك فى كنف أبيه مع إخوانه الأربعة.

ومن المعلوم بداهة أن الإنسان فى الغالب يتأثر بالبيئة التى ينشأ فيها، وبخاصة البيئة الخاصة التى يعيش فيها، ألا وهى الأسرة، وهكذا كان عبد القادر رحمه الله، فقد كان والده مجاهداً ووجيهًا فى قومه وأهل بلده بل وفى أرجاء الدولة العثمانية قبل التآمر عليها.

لقد كان أبوه يلتقى بوجوه القوم ويتجاذب معهم أطراف الحديث فى ظلم الإنجليز وبغيهم على الأمة الإسلامية، وغدرهم بحلفائهم، وعزمهم على تهويد فلسطين،

وكان عبد القادر يعيش فى هذا البيت، ومن البديهى أن يشق أسماعه كثير من هذه الأحاديث، ويتفاعل معها، ويدرك خطورة هؤلاء المحتلين على أمته وبلاده.

درس عبد القادر فى بداية حياته بالمدرسة الرشيدية، ثم بمدرسة المطران، ثم بمدرسة روضة المعارف التى أسسها فضيلة المفتى الحاج أمين الحسينى رحمه الله ليربى فيها جيلاً مجاهدًا مؤمنًا مخلصًا لدينه ولأمته ووطنه، وليقف فى وجه المدارس التى أنشأتها سلطات الاحتلال البريطانى التى تسمم عقول الشباب، وتفسد أخلاقهم وتضعف هممهم، وتخذرهم عن المطالبة بحقوقهم والثورة على المحتلين العتاة الغدارين. كما أسسها ليقف فى وجه المدارس التبشيرية التى أسست لتشويه صورة الإسلام عند أبناء المسلمين، وتغرس الحقد فى قلوبهم نحو أمجادهم وأبطالهم، وتشكك الأجيال فى تاريخها وأمجادها وأبطالها حتى ينسلخ الشباب من دينهم فيسهل على المحتلين والصليبيين اقتلاعهم من أرضهم. ولقد استفاد عبد القادر من هذه المدرسة فاستوعب ما يدور حوله من مؤامرات المبشرين والمستعمرين والمحتلين، وأدرك الواجب الذى ألقى على كاهله تجاه أمته، ووطنه ودينه.

لقد اجتاز رحمه الله فحص شهادة الدراسة الثانوية بنجاح، فأرسله أبوه إلى الجامعة الأميركية ببيروت، وهى مؤسسة تبشيرية، قد أسست من أول يوم لهدف تبشيرى هو إفساد أبناء المسلمين وإبعادهم عن دينهم، بشتى أساليب الإفساد والإبعاد.

لكن الشاب المجاهد عبد القادر رحمه الله كان صاحب قضية ورسالة، يحمل هذه الرسالة لكل إنسان، قد حصنته بيئته الخاصة ودراسته فى مدرسة روضة المعارف من الأفكار التبشيرية، والغزو الفكرى الخبيث، فلم يتأثر بما تثيره هذا الجامعة من أمور تسىء إلى العقيدة الإسلامية وتفسد الجيل، بل دفعته هذه البيئة الفاسدة لينشط فى رسالته، ويحدث الناس عن قضية بلاده، وأمته ودينه، ويحضهم على ضرورة الجهاد للحيلولة بين الإنجليز وبين تهويد الأرض المقدسة، يتصل بالطلاب، ويعقد الاجتماعات والندوات، فأدركت الجامعة الأمريكية ببيروت خطورة هذا الشاب على رسالتها التبشيرية وغزوها الفكرى الخبيث، وخشيت أن يفتضح أمرها وأن يظهر زيف ادعائها بأنها مؤسسة علمية لا غير، فما كان منها إلا أن أصدرت قرارًا بفصل هذا الشاب المتدين المتطرف الأصولى، وسبب هذا الفصل تطرفه وتشدده. كل هذا كان فى السنة الأولى من دراسته الجامعية. فماذا يفعل بعد هذا الفصل؟

لقد قرر أن يسافر إلى القاهرة ليكمل دراسته بناء على رغبة أبيه، فالتحق بالجامعة الأمريكية فى القاهرة، وهى صنو الجامعة الأمريكية ببيروت تحملان نفس الرسالة، وتسعيان لنفس الأهداف.

لقد كان لإقامته على أرض مصر تأثير على حياته ونشاطه الجهادى والسياسى، فأرض الكنانة تقع تحت نفوذ الاحتلال البريطانى الغاشم، حيث تقهر الشعب وتمتص خيراته، وتستنزف أمواله وثرواته، وهو يشاهد الشعب المصرى المسلم يقاوم هذا الاحتلال ويسعى جاهداً للاستقلال والتحرر من ربقته.

فالحالة فى مصر وفلسطين تكاد تكون واحدة، فالبلدان يرزحان تحت الاحتلال البريطانى، والشعبان يجاهدان من أجل التحرير، رأى عبد القادر رحمه الله أنه سفير بلاده فلسطين إلى شعب مصر المسلم، وخاصة شباب مصر فى الجامعات المصرية، فهى فرصة سانحة ليشرح قضيته لهؤلاء الشباب، ويستثير هممهم لبذل ما يستطيعون من جهود من أجل تحرير فلسطين أرض الإسراء والعراج.

قصة تخرجه:

من خلال اتصال عبد القادر بإدارة الجامعة، وبأعضاء هيئة التدريس فيها، واطلاعه على خطتها ومناهجها الإفسادية من حفلات ترفيهية ورقص وغناء وشرب وما إلى ذلك من المفاسد ومن خلال حواره مع المحاضرين وما يبثون من أفكار، تأكد لديه أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة جامعة استعمارية تبشيرية تدميرية. تقوم على مهاجمة العقيدة الإسلامية ومهاجمة الرسول، وتشويه صورة الإسلام فى نفوس الطلاب، وتشكيكهم فى الصحابة الذين صنعوا لهم تاريخًا مشرقًا، فأرادت تشويه التاريخ أيضًا وأرادت ترويض الأجيال لقبول اليهود على أرض فلسطين، فتحرك بأسلوب سرى بين الطلاب متصديًا لهذه الأساليب الاستعمارية حتى يكمل دراسته ثم يكون منه بعد التخرج تصرف ذو شأن وتأثير.

ويوم تخرجه حدث شيء لم يخطر ببال أحد من الخريجين ولا من إدارة الجامعة ولا من أعضاء الهيئة التدريسية ولا من الحضور، إنه لم يكن بالحسبان، ولكنه هز الجامعة، وكاد يقوض البنيان لولا تدارك إدارة الجامعة وعملائها والمؤتمرين بأمرها.

لقد أنهى عبد القادر دراسته الجامعية بنجاح وتخرج متخصصاً فى الكيمياء حائزاً على درجة البكالوريوس فيها. وفى نهاية العام الدراسى أقامت الجامعة حفلها السنوى المعتاد لتوزيع الشهادات على الخريجين فى الكليات المختلفة، ويحضر هذا الاحتفال أولياء أمور الطلاب والطلاب وإدارة الجامعة، وهيئة التدريس فيها والوزراء ورجال الأعمال، والطبقة المثقفة، والعلماء والباشوات.

نودى على الخريج عبد القادر موسى كاظم الحسينى، فتسلم شهادة البكالوريوس من كلية العلوم قسم الكيمياء من رئيس الجامعة شارلز واطسون، ثم استأذن الحضور بإلقاء كلمة فى الحضور بمناسبة تخرجه، فأذن له[1].

وقف عبد القادر خطيبًا مصقعًا - ولم يكن يعرف عنه أنه خطيب - رافع الرأس غير هياب ولا وجل، وراح يندد بالسياسة الأمريكية وبما تقوم به بين جدران الجامعة، من دعوات تبشيرية، وأن الجامعة تظهر أمام الناس بمظهر المعهد العلمى، ولكنها فى الحقيقة بؤرة إفساد للعقائد الدينية، لأنها تطعن فى الدين الإسلامى وتشوه الدين المسيحى، وأنه يطلب من الحكومة المصرية أن تنتبه إلى خطورة هذا الموقع المسمى بالجامعة الأمريكية، وأنه ما لزم الصمت إلا لأنه يريد أن ينهى دراسته، أما الآن فإن واجبه الوطنى والقومى يدعوه إلى أن يقول هذا، وأن يبلغ دعواه إلى المسلمين والمسيحيين العرب على حد سواء، حتى لا تحدث فتنة طائفية بين أبناء الوطن الواحد، ثم مزق شهادته أمام الحفل الكبير، ورمى بنتفها أمام رئيس الجامعة وعمدائها قائلاً: (هذه شهادتكم فخذوها فإنى لفى غنى عنها، وإنه ليس مما يشرفنى أن أحملها أو أن أنتسب إليها. أنا لست بحاجة إلى شهادة من معهدكم الاستعمارى التبشيرى).

ثم هتف بسقوط الاستعمار والأجانب، وحيا العروبة والأمة العربية، ودعا الجيل الجديد إلى الثورة ضد الأجنبى ووسائله ومعاهده التعليمية، وقوبل خطابه بحماس منقطع النظير، وبعاصفة من التصفيق الحاد، عقبه وجوم لما رآه المجتمعون من فرط جرأة عبد القادر.

---

(١) انظر هذه الكلمة فى كتاب فلسطين الأم وابنها عبد القادر الحسينى ص ١٤٢-١٤٤ وكتاب قضية فلسطين فى سيرة بطل الشهيد الحى عبد القادر الحسينى ص ١٥-١٨ وصحافى من فلسطين يتذكر ص١٨.

اضطربت الجامعة لهذا الحادث اضطرابًا هز كيانها وأركانها، فعقد سدنتها اجتماعًا طارئًا فى نفس ليلة الحادث، وقرروا سحب الشهادة من الطالب (المشاغب) بشطب اسمه، كما اتصلوا ببعض الصحف والصحفيين، وسألوهم التعتيم على أخبار الحادث، وعدم التعرض والكتابة حفاظًا على سمعة الجامعة، وقدموا لهم الرشاوى، كما سلطوا بعض الطلبة للطعن فى شخصية عبد القادر واتهامه بالخبل لدى بعض إدارات الصحف، إلا أن بعض أصحاب الضمير الحى رووا القصة وغطوا أنباء الحادث، فمنهم من أشاد بموقف الشاب الجرىء، كما حدث فى جريدة الشورى التى يصدرها محمد على الطاهر (المجاهد الكبير)، ومنهم من وبخ الطلبة الذين قصدوا الجرائد للطعن فيه، كما حدث مع إدارة جريدة (البلاغ).

جن جنون الجامعة، وهالها مما رأته يملأ صفحات الجرائد والصحف، وحاولت تزوير الحقائق، إلا أن عبد القادر أسرع ووجه رسالة مركزة إلى كل الصحف فى القاهرة يروى ما حدث: وإليك البيان كاملاً:

(تدعى إدارة الجامعة الأمريكية بالقاهرة، أنها علمية محضة، وليس لها أدنى علاقة بالتبشير، وهى تتبرأ مما حصل فى المعادى حيث يسكن أساتذتها المبشرون، وفيهم من أرسل خصيصًا على حساب أحد أثرياء التبشير الكبار، وادعاء الجامعة أنها علمية ليس صحيحًا وإليك حجتى وأدلتى الواضحة:

رئيس الجامعة ؟

رئيس الجامعة هو الدكتور (شارلز واطسون) مبشر ووالده مبشر وأمه مبشرة، فهو من سلالة مبشرين، وإنى أستشهد على ذلك بكتابه المسمى (حروب صليبية مسيحية فى مصر) ويعنى بهذه الحروب الحملة التبشيرية، وقد قال فى مقدمة ذلك الكتاب: (أهديه لأمى وأبى اللذين قضيا حياتهما مبشرين فى مصر) ويوجه فيه الدعوة إلى أهل الخير والإحسان، ليروا الانتصار الباهر لأعمال التبشير فى مصر، كما أنه يوجه إلى المبشرين كلمة مؤداها (أنهم هم الذين سوف يتم تنصير مصر بأكملها على أيديهم)، وبذلك يتوجون رؤوسهم بأكاليل الظفر والفخار، جزاء لهم على جهادهم المقدس.

أو تدرى ماذا يقول هذا المبشر أيضًا فى كتابه المشار إليه؟ إنه يقول:

(إن للمسلمين طقسا دينيا هو أساس الإسلام، وهذا الطقس هو الحج، ويجب على كل مقتدر أن يؤديه وهو عبارة عن الذهاب إلى الكعبة، حيث تقام طقوس دينية مخزية، وهذا المكان ـ الكعبة ـ قلب العالم الإسلامى، وكر لصوص تؤتى به جميع أنواع المخازى الأخلاقية (كذا)، ولكنه يجعل بين المسلمين رابطة متينة يخاف منها).

وبعد . . . فهذا رئيس الجامعة الأمريكية الدكتور « شارلز واطسون » كما تراه فى كتاب واحد من كتبه. والآن . . إليك غير هذا الرجل من أقطاب الجامعة:

هناك قسم فى الجامعة الأمريكية يسمونه (مدرسة اللغات الشرقية) يؤمه الأجانب ويرأسه الدكتور (جوفرى) وهو رجل لاهوتى، وهذا القسم، إن هو إلا معهد لتدريب المبشرين وتعليمهم اللغة العربية، وكيفية مهاجمة الإسلام مهاجمة علمية فنية، ومن يزر مكتبة الجامعة ويرى الكتب التى نقلت من هذا القسم إليها يحقق صدق قولى.

وهذه الكتب تؤلف الآن قسمًا كبيراً من المكتبة، وكلها تبشيرية، بعضها يبحث الحركات التبشيرية وتاريخها ونجاحها وأعمالها فى الشرقين الأدنى والأقصى، وبعضها يبحث فى كيفية التنصير، والبعض ـ وهو أكثرها ـ يحتوى على شتائم فى الإسلام والمسلمين.

والدكتور جوفرى رئيس هذا القسم هو مبشر الجامعة الأكبر، ويليه المستر مولر، وكلاهما قاطن بالمعادى، حيث المبشر (بطرس عيان) صديقهما الأعز وبطل الحادثة المشهورة.

والدكتور جوفرى يصلى بطلبة الجامعة أيام الآحاد وهم مجبرون على الاستماع لطعنه فى الإسلام والمسلمين ونبيهم، بل فى المذاهب المسيحية التى لا تتفق مع مذهبه، وأذكر أنه قال يومًا فى إحدى عظاته وعنوانها (النبى الكاذب): إن محمداً لا يمكن أن يكون نبيا، لأن مستوى أخلاقه عادى (كذا) إذ أباح لنفسه أن يتزوج من عدة نساء (كذا) كما اختص نفسه بأثمن أسلاب الحرب فهو رجل شهوانى (كذا).

وفى عظة أخرى ألقاها هذه السنة، أتانا ببراهين واهية ليقنعنا بأن القرآن ليس من كلام الله، كما أنه ليس كله من كلام محمد، لأنه أدخل عليه كثير من الآيات التى ثبت علميًا أنها لا يمكن أن تكون من روح محمد.

هذا عدا ما يقوله فى الدروس اليومية التى يسمونها (علم الأخلاق وفلسفة الديانات، وعلم النفس وعلم الاجتماع) من الافتراءات والشتائم، مما لا يتلفظ به مسيحى، لأن الدين المسيحى نفسه دين سماحة ولطف، أما ما يفعله هؤلاء فتحامل وشتائم وسباب وبث كراهية وإشعال حروب، فالإسلام فى رأيهم دين وحشى بربرى، يحث على القتال والسلب والنهب، ولن يرتقى الشرق ويسعد حالاً إلا إذا تخلص من هذا الدين؟! وهو لديهم عبادة أوثان وخرافات وأساطير مضرة مخلة بالآداب. . الخ.

أكتفى بهذا القدر الآن، مشيراً إلى أن هذه الحركة التى تقوم بها الجامعة الأمريكية غير محمودة، بل هى تخلق روحًا سيئة فى البلاد، فالواجب على كل وطنى، مسلمًا كان أم مسيحيًا، أن يحارب هذه الفكرة ليعيش المسلمون والمسيحيون أهل هذا البلد وغيره من الأقطار هانئين آمنين).

عبد القادر الحسينى خريج الجامعة الأمريكية بمصر.

وعلى أثر ذلك اتصلت إدارة الجامعة بالإنجليز والأمريكان، الذين اتصلوا بدورهم بالحكومة المصرية وأخبروها بالأمر، وطلبوا منها إخراج عبد القادر من مصر، فما كان من الحكومة المصرية إلا أن أصدرت قرارا يقضى بوقفه فى سجن الأجانب كإجراء احترازى، ثم بطرده من مصر خلال أربع وعشرين ساعة، وبعد ذلك أصدرت قرارا موقعًا من رئيس الوزراء الطاغية (إسماعيل صدقى) بإخراج عبد القادر وترحيله إلى فلسطين فى تموز (يوليو)١٩٣٢م.

وهناك فى القاهرة (فى باب الحديد) وقف الفلسطينيون والمصريون فى انتظار توديع هذا الشاب الجرىء، وما إن وصل عبد القادر مخفوراً بالشرطة والجند، حتى انقلب الوداع فى محطة سكة الحديد إلى مظاهرة وطنية صاخبة.

عودته إلى فلسطين:

وبعد تخرجه عاد إلى فلسطين بناء على قرار اتخذته الحكومة المصرية استجابة لرغبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة، كان ذلك سنة ١٩٣٢م، وشاع خبر موقفه من الجامعة الأمريكية يوم تخرجه، فلاقى استحساناً عامًا عند الناس، وسروا سروراً عظيمًا لموقفه البطولى، وكانوا متلهفين للقاء به والاستماع لحديثه.

وما إن وطئت قدمه الأرض المقدسة حتى هُرع الناس إليه من المدن والقرى يهنئونه على موقفه الجرىء، وعلى شجاعته التى رفعت رؤوسهم عاليًا، واستقبلوه بالتهليل والتكبير كما تفاءلوا بمقدمه، ورجوا الله أن يأتى بالخير على يديه.

عاد عبد القادر الشاب الواعى المتعلم الجامعى سنة ١٩٣٢ إلى فلسطين، واطلع على سياسة سلطات الاحتلال فى التوظيف، وملء الشواغر فى الأجهزة، فرأى العجب العجاب، رأى من الواقع المحسوس والممارسات العملية أن الوظائف على ثلاثة مستويات:

المستوى العالى: ويتمثل هذا المستوى فى الوظائف العليا، والمناصب الكبيرة، ووجد أن هذه الوظائف محصورة فى الإنجليز واليهود.

المستوى المتوسط: ويتمثل فى الوظائف المتوسطة والتى تأتى فى الأهمية بعد المستوى الأول.

وهذه الوظائف يعين فيها اليهود أولاً ثم الصليبيون ثانيًا، وأخيرًا إن بقى شىء فيعين فيه المسلمون، ويحكم هذا الترتيب فإن تصيب العرب فى هذا المستوى من الوظائف قليل جداً.

المستوى الأدنى: ويتمثل هذا المستوى فى الوظائف الدنيا التى لا تتطلب كفاءة، كالمراسلين والأذنة والكتاب وغيرهم.

ويوظف فى هذا المستوى المسلمون والأميون من النصارى.

إن هذه السياسة الظالمة لها نتائجها الخطيرة على مصير البلاد والعباد فى فلسطين، إذ يبعد أهل البلاد الحقيقيون عن حكم أنفسهم بأنفسهم، والهيمنة على بلادهم، ويقرب الأجانب واليهود من غير أهل البلاد ليحكموا أهل البلاد ويتصرفوا بأموالهم ودورهم وأراضيهم، ومن ثم يصبح الحق لمن لا حق له، ويبعد عن الحكم من له الحق والبلد. ومآل هذه السياسة أن يسيطر اليهود على فلسطين ويحكموا أهلها.

لقد انبرى عبد القادر رحمه الله يؤسس الجمعيات والنوادى ويعقد الندوات والمحاضرات التى يفضح فيها هذه السياسة الظالمة، فقد أسس جمعية الشباب الفلسطينى المسلم المتعلم، وشاركه فى ذلك السيد فوزى الغصين، وحمل حملة شعواء

على هذا الظلم الصارخ، وهذا التجاوز الفادح على أهل فلسطين. وتتابعت الضغوط من الجمعيات والنوادى، فبدأت سلطات الاحتلال مرغمة أن تدخل بعض المتعلمين المسلمين فى بعض وظائف الدولة المهمة. ووظفت بريطانيا ستة وعشرين شابًا مسلمًا من شباب فلسطين فى جهازها الضخم، وكان رقم عبد القادر رحمه الله الرقم السادس والعشرين.

لقد عرضوا على عبد القادر الشاب الجامعى المسلم المثقف أن يعمل فى تسوية الأراضى، وفكر رحمه الله أن يكون هذا العرض استدراجًا له ليحتووه، ولكنه أدرك أيضًا أهمية هذا العمل وفوائده الكثيرة التى تعود على أهل القضية. وبالذات على أهل الأراضى وجلهم من أهل الريف الذين يتصفون بالبساطة والسهولة واليسر، ولا يعرف الخبث والغدر إلى قلوبهم سبيلاً.

ففى هذه الدائرة تحاك المؤامرات لشراء الأراضى وبيعها إلى اليهود، وفى هذه الدائرة تنفذ قرارات مصادرة الأراضى ونقل ملكيتها لليهود، وإذا ما عمل عبد القادر فى هذه الدائرة فسيقدم خدمة لأهل البلاد. إنه سيحمى الأراضى من العبث والضياع، وسيكون العين المبصرة فى هذه الدائرة لكل الدسائس والمؤامرات. وفى النهاية إذا رأى المصلحة فى تركه لهذه الدائرة فإنه يستطيع أن يتركها.

ومن فوائد هذه الوظيفة أنها تيسر له الاتصال بأهل القرى وأصحاب الأراضى، ومع الزمن تتوثق هذه الصلة وتتقوى وتتعمق، ويصبحون جنودًا طوع القائد المجاهد بعد أن أحبوه ووثقوا به.

من هذه المنطلقات ولهذه الأسباب قبل عبد القادر رحمه الله أن يعمل فى تسوية الأراضى، وسيرته كانت حسنة، ولقد استطاع أن يفيد كثيرًا من المواطنين، وأن يبطل كثيرًا من قرارات المصادرة ونقل الملكية إلى اليهود، ولقد فوت على الإنجليز واليهود استملاك كثير من الأراضى، وشجع المواطنين على وقف الأراضى حتى لا تصادر، كما استطاع رحمه الله أن يغرس الوعى فى نفوس الناس وفى مقدمتهم أهل الأراضى فيما يتعلق بسياسة الإنجليز نحوهم ونحو أرضهم.

لقد استطاع رحمه الله أن يوقف أراضى ست عشرة قرية من القرى العربية حتى يمنع استيلاء اليهود عليها، وكان يكثر من الاتصال بمخاتير القرى التى تنوى الحكومة

مصادرة أراضيها، ويطلعهم على المخطط الإنجليزى الخبيث، فيقوم أهل القرى فوراً بزراعة أراضيهم بالزيتون حتى لا تعتبر من الأراضى البور فيستولوا عليها، وكان رحمه الله يقف فى وجه كل من يريد بيع أرضه لغير المسلمين، وإذا قامت حاجة تدعو إلى ذلك جعل البيع بين المسلمين. ويذكر أن قسماً كبيراً من أراضى قرية (بتول) أو بيت ايل كانت تتسرب إلى الجمعيات الصهيونية، فما كان منه إلا أن أوقف معاملة البيع، وتقدم هو وبعض من إخوانه المواطنين، واشتروا الأرض. وكان دائمًا يحض المواطنين على الاحتفاظ بأرضهم وألا يبيعوها مهما بلغ ثمنها، وليورثوها لأبنائهم كما ورثوها عن آبائهم، ويردد قوله: إن هذه الأراضى وبالأحرى هذا الوطن مجبول بدماء الآباء والأجداد، فعلينا أن نحافظ عليه بدمائنا[1].

وكان رحمه الله أثناء مزاولته لعمله متمسكًا بدينه وبعزته الإيمانية، لا يقبل الذل، ولا يخنع لطاغوت، ويأبى أن يسام خسفًا من أى مسؤول، كان صلب الإرادة، قوى الشخصية، يفرض على خصمه احترامه وتلبية مطلبه، فقد جاهد رحمه الله لأجل أن يكون لكل موظف مسلم عطلة يوم الجمعة مكان يوم الأحد، حتى يؤدى صلاة الجمعة، فكان له ذلك، واستطاع أن يخفض ساعات العمل فى رمضان على كل مسلم تخفيفًا للمشقة على الصائم.

نشاطه الإعلامى:

لقد كان رحمه الله نشيطًا فى كل مجال يخدم قضية فلسطين الإسلامية، ومن أهم هذه المجالات المجال الإعلامى.

ويخبرنا المؤرخون أن الأستاذ المجاهد عبد القادر بعد رجوعه من القاهرة بقرار من الحكومة المصرية، قد عمل فى المجال الصحفى، وذلك قبل العمل بدائرة تسوية الأراضى وخلاله، وبعده، فخدم القضية خدمة جليلة، فأول ما عمل كان محرراً فى جريدة الجامعة الإسلامية التى يحررها الشيخ سليمان التاجى الفاروقى، فكتب المقالات التى تكشف حقيقة الاحتلال، البريطانى لفلسطين، وما يخطط له من تهويد البلاد، وهذا أمر أزعج سلطات الاحتلال، فمارست ضغطًا على رئيس التحرير لمنع عبد القادر من الكتابة فى الجريدة فرفض الانصياع لأوامرهم، فهددوه بتعطيل الجريدة إن استمر عبد القادر يكتب فيها، فلم يستجب لهم، فعطلوها مراراً.

(١) انظر: فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسينى ص ١٥٠.

ولكنه لم يستسلم لإرادة قوات الاحتلال، فانتقل إلى جريدة الجامعة العربية يحرر المقالات التى تعرى سلطات الاحتلال وأهدافها الشريرة فى البلاد، ويظهر غدرها وخيانتها، ثم عمل محرراً بجريدة اللواء على نفس الأسلوب والطريقة، فعطلت السلطات البريطانية هذه الجريدة حتى توقف عن الكتابة فيها، وبقى رحمه الله يكتب فى الصحف العربية محذراً من المؤامرات الاستعمارية القاضية بتشجيع الهجرة اليهودية وتهويد البلاد والاستيلاء على المقدسات.

وبعد أن غادر فلسطين إلى العراق لم يتخل عن رسالته، بل ظل يكتب فى صحف العراق، يشرح قضيته، قضية الأرض المقدسة والمؤامرات التى تحاك ضدها، ويهيب بالأمة العربية والإسلامية أن تهب قبل فوات الأوان لإنقاذ فلسطين من التهويد، وتطهير المقدسات من دنس اليهود والصليبيين.

ولقد استطاع رحمه الله أن ينقل قضيته إلى آفاق بعيدة وأن يؤثر فى جماهير غفيرة فى فلسطين وفى خارجها.

نشاطه الجهادى:

لقد كان رحمه الله - كما علمت - واعيًا وعيًا تامًا لما يجرى حوله من أحداث، ومدركًا تمام الإدراك لجميع المؤامرات التى تجرى فى فلسطين والعالم العربى، والعالم الدولى وتأثير هذه المؤامرات على أهل فلسطين. وأيقن أنه لابد من علاج حازم حاسم، لابد من الوقوف فى وجه كل المؤامرات التى تحاك فى الخفاء والعلن لتهويد فلسطين، ينبغى أن يقاوم الاحتلال البريطانى الغاشم، والهجرة اليهودية بأى أسلوب نافع مفيد.

ومن هذه الأساليب كان أسلوب التظاهر ضد سلطات الاحتلال والمطالبة بوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع مصادرة الأراضى من أهل البلاد المسلمين وتمليكها لليهود.

وفى اجتماع شبابى برزت فكرة المظاهرة الصاخبة ضد الاحتلال البريطانى ومؤامراته الخبيثة فى فلسطين، ووصل الأمر إلى أهل الحل والعقد ليصدروا قرارهم، فكانوا ثلاثة اتجاهات: الأول يميل إلى هذا الأسلوب، والثانى يعارض هذا الأسلوب، والثالث متردد فى الأمر، وكان الشيخ موسى كاظم الحسينى والد عبد القادر مترددًا فى

هذا الأمر، يخشى أن يتخذ الإنجليز هذا وسيلة يتذرعون بها للانتقام من الشباب والبطش بهم. أما عبد القادر فقد كان متحمسًا للمظاهرة وحاول إقناع والده بما رأى فقال له: (يا والدى.. لقد بلغت من العمر ما يشتهيه الكثيرون، فاختم هذا العمر الطويل الجليل. اخرج على القوانين يا والدى، وإن لم يمت مثلك فى سبيل وطنه، فمن ذا الذى يموت؟) فنظر الشيخ إلى ولده نظرة إعجاب، ووعده بأنه سيلبى طلبه مهما كلف الثمن. وقرر الزعيم قيادة المظاهرة بنفسه وحاولت سلطات الاحتلال منعه من ذلك، وأرسلت إليه من يحاول إقناعه، وكان ممن تحدث معه فى ذلك إنجليزية تتظاهر بصداقتها للعرب اسمها مس «نيوثن»، فقد حاولت ثنيه عن القرار الذى اتخذه، معللة ذلك بأنه لا يحقق مصلحة لقضيته، بل إن التظاهر ضد السلطات البريطانية يزيد الأمر تعقيداً ولا يخدم القضية، والأولى إلغاء المظاهرة، وكان عبدالقادر رحمه الله يحضر هذه المقابلة ويسمع كلام الإنجليزية المعسول المراوغ فقاطعها قائلاً: أرجو ألا تسعى مع والدى للكف عن دعوته، فهو لن يكون خائنًا لبلاده، فوالله لو أن والدى قبل نصحكم ووساطتكم، فإنى سأكون أول من يخرج عليه، فإن حبى لأمتى ووطنى يفوق حبى لوالدى، ثم التفت إلى والده الجليل وقال له (لقد شيخت، وناهز سنك الثمانين، وإنك لقريب إلى ملاقاة ربك، فما أطيب أن تقود هذه المظاهرات، وتسقط برصاص هؤلاء الطغاة، فتذهب لملاقاته على خير ما يلقى المؤمن من وجه ربه الكريم، شهيداً فى سبيله، وفى سبيل الدفاع عن حرماته).

وعندما سمع الشيخ كلام ولده اغرورقت عيناه بالدموع، وخاطب تلك المرأة قائلاً: يا مس نيوثن.. هذا ما يقوله ولدى فلذة كبدى، فماذا يقول الناس؟ وأعتقد أن ما سمعته هو فصل الخطاب ورد الجواب(١).

وتمت المظاهرة فعلاً، على الرغم من معارضة الإنجليز لها وعدم السماح بها، وتعرض المتظاهرون لبطش الإنجليز وتنكيلهم، ونال قائد المظاهرة السيد موسى كاظم الحسينى ما ناله من الأذى على كبر سنه ووهن عظمه واشتعال رأسه شيبًا.

لقد أدرك عبد القادر أن المظاهرات وحدها لا تكفى لإيقاف سلطات الاحتلال عن تهويد فلسطين، بل لا بد أن تقوم حركة جهادية، تقاتل الإنجليز واليهود وتخرجهم من

(١) انظر: كتاب فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسينى ص ١٤٧ - ١٤٨ نقلاً عن مخطوط للدكتور قاسم الريماوى بعنوان حياة عبد القادر وقضية فلسطين فى سيرة بطل ص ١٠.

فلسطين بالقوة، تقوم هذه الحركة بتنظيم السكان وبخاصة الشباب في تنظيم جهادي سري يقوم بتدريب الشباب على استخدام السلاح وفنون القتال، وكذلك تدريبهم على استخدام المتفجرات وصنعها إن أمكن.

كتب المجاهد الأستاذ الدكتور قاسم الريماوي يقول[1]:

(أذكر بهذه المناسبة، أنه قامت مظاهرة كبرى في القدس، فجمع الإنجليز قواتهم، وأخذوا يفضون تلك المظاهرة بقوة السلاح، وقبضوا على الكثيرين، وكنت أنا والشهيد (فريد العوري) من بينهم - وكنا طالبين في السنة النهائية - فأخذوا في إيذائنا، واتهمونا بأننا السبب في تلك المظاهرة، وبينما نحن في مركز البوليس، والضابط الإنجليزي يحقق معنا، فإذا بعبد القادر - وكان مديراً للحزب العربي - يدخل غاضبًا إلى القسم، ويصب على الضابط سيلاً من اللوم والتقريع والإهانة على حجزنا، ويطالبه بإخلاء سبيلنا على الفور، وإلا ساءت العاقبة، وهكذا كان.. فلم يخرج عبد القادر إلا بنا، وهنا قال: اذهبا إلى بيتكما، وسآتي في المساء لزيارتكما والتحدث إليكما، وفي المساء حضر عبد القادر إلى بيتنا كما وعد، وكان عندي فريد العوري وجمع من الشباب ننتظر هذه المقابلة بفارغ الصبر، وهنا وجه إلينا الحديث قائلاً:

(إخواني، إن الأمر جد، إن المظاهرات والاحتجاجات لا تغني عن وطننا المهدد شيئًا، وإنه ما لم نعد لهم بما نستطيع من السلاح والعدة، ونوطن النفس على بذل الدماء رخيصة في سبيل وطننا الغالي، فلن نزداد إلا وبالاً على وبال، ولن تكون النتيجة إلا ضياع أرضنا وأوطاننا، ونحن نرى ذلك بأعيننا فهل تفهمون ذلك)؟.

قلنا: (نعم فهمنا، وها نحن أولاء بين يديك، فمرنا بما تشاء تجدنا أطوع لك من بنانك).

ومنذ ذلك اليوم تلقينا الدرس الأول في الجهاد على يد إمام المجاهدين.

اختار عبد القادر نخبة منا، وكنا نذهب إلى بيته، فيأخذ في تدريبنا على صنع المتفجرات وكيفية استعمالها، حتى أتقنا هذا الأمر، وكان معظم نسف القطارات والقوافل اليهودية والإنجليزية وبعض المنشآت الاستعمارية، والتي تمت فيما بعد، من

(١) المرجع السابق ص ١٦٣ - ١٦٤ نقلاً عن مخطوط للدكتور قاسم الريماوي بعنوان حياة عبد القادر.

ثمار هذه المدرسة التى أنشأها عبد القادر، حيث ألقى خير الدروس المثمرة، فى الصراع الذى وقع بيننا وبين أعدائنا.

وإنه لا يفوتنى بهذه المناسبة، أن أذكر بالفخر والتمجيد أخى الكريم رفيق الصبا والشاب الغض الإهاب (فريد العورى) الذى انفجر فيه لغم كان يصنعه فقضى عليه، وكان بذلك طليعة الشهداء فى كفاح ١٩٣٦م وما بعدها).

لقد أعلن عبد القادر رحمه الله الثورة على المحتلين ليلة ٦/ ٥/ ١٩٣٦م فهاجم ثكنة عسكرية بريطانية فى قرية بيت سوريك، ثم انتقل إلى منطقة القسطل وانتشر المجاهدون فى القرى والمدن.

وكانت حركته جهادية إسلامية تأخذ البيعة على ذلك، ويتعاهد الجميع على الجهاد فى سبيل الله، وطلب العون والنصر منه، ففى صباح ٢٨/ ٨/ ١٩٣٦م اجتمع نفر من المجاهدين فى بيت الأستاذ صالح الريماوى بحى وادى الجوز، منهم سعيد العاصى وعبد القادر الحسينى، وبعد أن أدى الجميع الصلاة متضرعين إلى الله تعالى أن يأخذ بأيديهم وينصرهم على أعدائهم أعلنوا هجرتهم خالصة لوجه الله تعالى، كما أعلنوا عزمهم على ترك مدينة القدس ليعتصموا بجبالها، لا تشرداً ولا بطراً ولكن حبًا لله وجهاداً فى سبيله، ونصرة للدين وذوداً عن الوطن، ودفاعًا عن المحرمات والأعراض والحريات والمقدسات[1].

واستمر عبد القادر يرسل رسله من المجاهدين يتصلون برجال القرى لينضموا إلى حركة الجهاد ضد الإنجليز المحتلين واليهود الطامعين، وقد أقبل الناس عليه ووثقوا بقيادته، فاستطاع أن ينشئ فى كل بلدة مجموعة من المجاهدين تدافع عن بلدتها وتنجد جاراتها.

وقد شارك فى معارك كثيرة سنة ١٩٣٦ وأهم هذه المعارك معركة الخضر الذى قادها المجاهد سعيد العاص واستشهد فيها بتاريخ ٤/ ١٠/ ١٩٣٦ وجرح مساعده المجاهد القائد عبد القادر الحسينى. ثم أسرته قوات الاحتلال البريطانى وأُدخل المستشفى العسكرى بالقدس ومنه استطاع أن يهرب إلى دمشق ليتم علاجه وليعود إلى الجهاد.

---

(١) نقلاً عن مذكرات الدكتور قاسم الريماوى من كتاب: فلسطين الأم وابنها عبد القادر ص ١٧١.

وفى سنة ١٩٣٨ عاد من دمشق ليستأنف حياة الجهاد، فقاد الثوار المجاهدين فى منطقة القدر، وقام بعمليات جريئة موجعة للعدو، كإلقاء القنابل على مساكن الإنجليز المحتلين، واغتيال العسكريين منهم، كسيكرست مدير بوليس القدس ومعاونه، ونسف القطارات وتدمير السكك الحديدية، وشن الهجوم على المستعمرات اليهودية، والسيارات البريطانية واليهودية.

وفى أوائل أيار (مايو) سنة ١٩٣٨ قاد هجومًا عسكريًا على مستعمرة فيغان اليهودية جنوب القدس، كما كبد القوات البريطانية فى القدس وبيت لحم والخليل وأريحا ورام الله وبئر السبع خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات. وفى خريف سنة ١٩٣٨ ضربت القوات البريطانية حصارًا محكمًا حول قوات المجاهدين بين بيت لحم والخليل واستشهد كثير منهم، وأصيب القائد عبد القادر رحمه الله بجراح بالغة نقله إخوانه المجاهدون إلى المستشفى الإنجليزى فى الخليل، وقطعوا الأسلاك والمواصلات والاتصالات بين المستشفى العسكرى والقوات البريطانية وأرغموا الأطباء الإنجليز على أن يسعفوا عبد القادر الجريح وأن يعالجوه، ثم نقلوه خفية إلى سورية فلبنان، ثم سافر إلى العراق.

وفى العراق اشتغل مدرسًا للرياضيات فى المدرسة العسكرية فى معسكر الرشيد، وفى إحدى المدارس المتوسطة، وحضر دورة الضباط الاحتياط فى الكلية العسكرية، وألف فرقة الجهاد المقدس من الفلسطينيين وقادها مؤيدًا لثورة رشيد عالى الكيلانى سنة ١٩٤١، وكانت مهمتها توجيه الضربة للقوات الإنجليزية المعسكرة فى بغداد. ولما أجهضت الثورة على يد الإنجليز وحلفائهم حاول الهرب إلى إيران فلم يستطع، إذ ردتهم إيران ومنعتهم من دخول أراضيها، فاعتقلتهم السلطات العراقية وحاكمتهم وحكمت على عبد القادر ومن كان معه من المجاهدين بالسجن والنفى لمدة سنتين.

وفى سنة ١٩٤٣ سافر إلى المملكة العربية السعودية وأقام فيها سنتين، ثم تسلل إلى ألمانيا حيث تلقى دورة تدريب على صنع المتفجرات وتركيبها، ثم انتقل وأسرته إلى القاهرة سنة ١٩٤٦، ثم أمرت حكومة السعديين المصرية بإبعاده من مصر سنة ١٩٤٧ بسبب نشاطه السياسى، وصلاته بجماعة الإخوان المسلمين، فقد تعاون مع المرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا رحمه الله تعالى، ومع رئيس حزب مصر الفتاة فى

مصر وتجميعه الأسلحة وتدريبه بعض الفلسطينيين والمصريين على المتفجرات، ولكن قرار الإبعاد لم ينفذ نتيجة للضغوط التى بذلها المخلصون وحملات الصحف المصرية الشديدة على هذا القرار الحكومى الجائر[1].

هذا وقد اتخذ رحمه الله بيته الصغير المتواضع مختبراً لصنع المتفجرات، وهو فن يتقنه إتقانًا كبيراً.

وأخذ يشترى السلاح من مصر ويهربه عن طريق إبراهيم أبو دية وآخرين إلى المجاهدين، وبقى فى مصر حتى صدور قرار تقسيم فلسطين بين اليهود وأهلها المسلمين الأصليين.

وفى ٢٢/ ١٢/ ١٩٤٧ دخل المجاهد القائد عبد القادر الحسينى أرض فلسطين، وتسلم قيادة الجهاد المقدس، فقام بعمله خير قيام، فتولى بنفسه قيادة منطقة القدس وأرسل سرايا الجهاد إلى اللد وقراها والرملة وقراها، ورام الله وقراها ونابلس وقراها، وبئر السبع وقراها، وحيفا وقراها ويافا وقراها، والمجدل وقراها، وكانت تشمل هذه السرايا فرقًا للتدمير بالإضافة إلى المقاتلين.

وقد شارك فى معارك كثيرة حقق فيها أمجاداً، ومن هذه المعارك والأحداث معركة بيت سوريك، ونسف دار الصحافة اليهودية، وتدمير شارع هاسوليل، ونسف حى المتتفيورى، ونسف شارع ابن يهوذا، ونسف مقر الوكالة اليهودية، وخاض معركة ميكورحاييم، ومعركة شعفاط، ومعركة الدهيش، وقد شن رحمه الله بقواته هجمات قوية ضد المستعمرات اليهودية التالية: مستعمرة نيفى يعقوب، ومستعمرة عطارون،

(١) انظر: قضية فلسطين فى سيرة بطل الشهيد الحى عبد القادر الحسينى ص ٣٦، ٣٧ وانظر عباس السيسى فى قافلة الإخوان المسلمين ١/ ١٩٨، ١٩٩. ويذكر المؤلف أن الشهيد عبد القادر الحسينى قدم إلى الإخوان فى مرسى مطروح وعاش معهم فترة من الزمن وكانت غايته الإشراف على السلاح فاصطحبه مع إخوانه إلى الصحراء لجمع السلاح الذى خلفته الحرب العالمية الثانية فيها وإصلاحه فجمعوا أسلحة كثيرة وعتاداً كثيراً ثم تابع قائلاً: ومن لطائف ما حدث أنهم وجدوا مرة عدداً من الطلقات الخاصة بعيار كبير من المدافع، ولما كنا لم نتوقع أن نعثر على هذا النوع من المدافع فقد رأينا ألا نأخذ معنا هذه الكمية لتعذر حملها وعدم وجود مدفع تطلق منه، ولكن الشهيد عبد القادر رحمه الله قال: يا جماعة خذوها فربما نعثر على المدفع الخاص بها وحينئذ يتعذر علينا العودة إلى هذا المكان أو حتى التعرف عليه فيما بعد، فأخذنا بنصيحته وتقدمنا بعد ذلك فى طريقنا، وبعد عدة كيلو مترات عثرنا على المدفع الخاص بهذه الطلقات وكانت مفاجأة وكان درسًا لا ينسى.

ومستعمرة رامات راحيل، ومستعمرة تل بيوت، ومستعمرة سانهدريا. وقد تمكنت قوات الجهاد المقدس من السيطرة على منطقة القدس، ومن التحكم في خطوط المواصلات التي تربط بين أغلب المستعمرات اليهودية في فلسطين.

لقد شعر القائد المجاهد بتفوق اليهود في الأسلحة من حيث الكمية والنوعية، فسافر إلى دمشق وقابل اللجنة العسكرية للجامعة العربية، وأخبرها بأنه لا يحتاج إلى رجال وإنما يحتاج إلى سلاح، وأن النصر الذي أحرزه على اليهود مهدد بالزوال إذا لم يدعم رجاله ومجاهدوه بالسلاح، فاعتذروا عن ذلك مدعين عدم وجود السلاح عندهم الذي يقدمونه له ويلبي حاجته، والواقع المشهود يدحض ادعاءاتهم الكاذبة.

وفي أثناء وجود القائد في دمشق بلغه أن بلدة القسطل قد احتلها اليهود، فهرع إلى عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية، الذي وعده بالمساعدة، فلم يجد عنده شيئًا، وقابل اللجنة العسكرية من جديد لعل ما حدث في القسطل يكون دافعًا لها لتلبية مطلبه، وعند مقابلة إسماعيل صفوت أحد أعضاء اللجنة العسكرية قال له: هذه القسطل قد سقطت يا عبد القادر وعليك أن تستردها، وإذا كنت عاجزًا عنها فأخبرنا بصراحة حتى نعهد بها إلى القاوقجي فما رأيك؟.

أجاب عبد القادر بغضب وانفعال شديدين: القسطل يا باشا مأخوذة من الكلمة الإفرنجية، ومعناها الحصن، وليس من السهل فتح الحصن بالبنادق الإيطاليةcastel القديمة وبالذخائر القليلة التي بين أيدينا.

لقد كانت خطتي إلى الآن أن أحاصر القدس والمستعمرات اليهودية وباب الواد، وأن أمنع وصول النجدات والمؤن إلى اليهود الصهاينة، ونجحت هذه الخطة لدرجة أن اليهود شرعوا في تموين رجالهم في القدس وباقي المستعمرات بالطائرات، وقد وصلت إليهم طائرات ومدافع جديدة.. وليس من الميسور أن نستعيد القسطل بدون مدافع، أعطني ما طلبت وأنا كفيل بكسر شوكة اليهود في منطقة القدس قبيل الخامس عشر من أيار(مايو)، وإذا لم أفعل فدمي حلال عليكم تشنقوني في أوسع ميادين دمشق، فقال له الباشا بلهجته العراقية: شنو عبد القادر ماكو مدفعية.؟.

وهاج النمر الغاضب من جديد، وصاح بصوت مجلجل: السلاح في عنابركم، ونحن أحق به من مزابل جبع، إن التاريخ سيتهمكم بإضاعة فلسطين، أما أنا فإني

ذاهب إلى القسطل لأموت هناك قبل أن أرى نتائج تقصيركم وتواطئكم . . وقال لرفيقه قاسم الريماوى : ليسقط دمى على رأس عبد الرحمن عزام وطه الهاشمى وإسماعيل صفوت الذين يريدون تسليمنا لأعدائنا كى يذبحونا ذبح النعاج ، لكننا سنقاتل ، سنقاتل بدمائنا وأجسادنا ، وليبق السلاح مكدسًا فى عنابر اللجنة العسكرية وفى مزابل جبع . سنرجع إلى فلسطين لنحقق أملنا بالفوز بإحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، ولنذكر قول الله تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٧٤] .

ورجع يردد قول أخيه المجاهد القائد الشاعر عبد الرحيم محمود الذى استشهد فى معركة الشجرة :

بقلبى سأرمى وجوه العداة	فقلبى حديد ونارى لظى
وأحمى حياضى بحد الحسام	فيعلم قومى بأنى الفتى
أخوفًا ؟ وعندى تهون الحياة!	أذلاً ! وإنى لرب الإبا[1]

وتذكر جريدة المصرى أن أحد المجاهدون المرافقين للقائد المجاهد عبد القادر الحسينى لما رأى وسمع سخرية المسؤولين فى اللجنة العسكرية للجامعة العربية وفى مقدمتهم طه الهاشمى قال له : والله يا باشا إذا ترددتم وتقاعستم عن العمل فإنكم ستحتاجون بعد يوم ١٥ أيار(مايو) إلى عشرة أضعاف ما أطلبه منكم الآن ، ومع ذلك فإنكم لن تتمكنوا من اليهود ، إنى أشهد الله على ما أقول ، وأحملكم سلفًا ضياع القدس ويافا وحيفا وصفد وطبريا وأقسام أخرى من فلسطين .

فلم يهتم هؤلاء بالأمر ، وجعلوا يتهكمون ويسخرون من أقوال عبد القادر ، فاستشاط عبد القادر غضبًا ، ورمى بإضبارة كانت فى يده فى وجوههم وقال : إنكم تخونون فلسطين . . إنكم تريدون قتلنا وذبحنا ، فقال طه الهاشمى : لماذا كل هذا الاهتمام بالقدس يا عبد القادر ، إنها لا تستحقه ، ولو كانت القدس ميناء على البحر ، لاستحقت الاهتمام ، وقمنا بمساعدتك .

---

(١) انظر : قضية فلسطين فى سيرة بطل ص ١٠٢-١٠٣ أخذًا من مقابلة مع الدكتور قاسم الريماوى أجريت معه فى عمان .

وبعد ذلك وقف إسماعيل صفوت قائلاً: يا عبد القادر يظهر أنكم تخافون من اليهود، ولذلك فإنكم تقدرون قواتهم أكثر من اللازم، ونحن نعرف الحقائق أكثر منكم، ولدينا من القوات ما نستطيع به القضاء على اليهود، أعنى دعهم يحتلون القدس وحيفا ويافا، فإننا سنسترجعها حالاً[1].

ومما قاله القائد المجاهد للباشا طه الهاشمى حينما رفض أن يقدم السلاح مع وجوده فى عنابره: إن التاريخ سيتهمكم بإضاعة فلسطين أنتم ومن يقفون وراءكم، وهل المدافع لتطويق مزابل جبع يا باشا، لقد أضعتم بلادنا، أنتم المسؤولون عما سيحل بنا من دمار أيها الخارجون المتآمرون. . . . سأحتل القسطل وأموت أنا وكل جنودى، وسيسجل التاريخ، وسيشهد العالم أنكم كنتم المجرمين الخونة الذين أضعتم البلاد[2].

القائد المجاهد يعود إلى الأرض المقدسة ويحرر القسطل[3]:

وعاد عبد القادر رحمه الله إلى القدس وإلى ساحات القتال وبالذات ليقود معركة يحرر فيها القسطل أو يلقى ربه شهيدًا، ووضع خطته لاستعادة القسطل. وبدأ القتال فى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم الأربعاء فى ٧/ ٤/ ١٩٤٨، ودخل المجاهدون القرية من الجهة الغربية، فدفع العدو اليهودى أعدادًا ضخمة من قواته الجديدة واستمات فى القتال فأرسل عبد القادر يطلب النجدة، فتوالت النجدات من القدس والخليل، وفى أثناء ذلك استطاع اليهود أن يشلوا حركة المجاهدين من الناحية الشرقية. وتضعضع قلب الهجوم، فغضب عبد القادر أشد الغضب وخشى الهزيمة، فاندفع مكبرًا: الله أكبر، الله أكبر. إلى الإمام يا أبطال القسطل. . اتبعونى يا رجال. . وتبعه الرجال وهم يرددون: الله أكبر. . وهاجم تلاً عاليًا حصينًا وقاد بنفسه جنوده مخالفًا بذلك قوانين الحرب التى تحتم بقاء القادة الكبار فى مؤخرة الجنود حرصًا على

---

(١) انظر: فلسطين الأم ص ٣٦٣-٣٦٥ نقلاً عن جريدة المصرى العدد الصادر فى ٤/ ٤/ ١٩٤٨.

(٢) انظر: فلسطين الأم ص ٣٦٨ نقلاً عن مخطوط للدكتور قاسم الريماوى بعنوان حياة عبد القادر.

(٣) تعود أهمية القسطل إلى كونها قرية عالية على طريق القدس يافا، وتمر القوافل اليهودية من هذا الطريق، وهى تمول اليهود فى القدس، ولقد استطاع عبد القادر رحمه الله والمجاهدون معه أن يقطعوا الطريق وأن يمنعوا التموين عن اليهود فى القدس وعطلوا القوافل اليهودية شهرًا.

كان اليهود يدركون أهمية هذه االقرية لتأمين التموين إلى القدس فحاولوا احتلالها أكثر من مرة ففشلوا أمام شجاعة عبد القادر وحنكته ورجاله، وفى غيابه فى دمشق يطلب المساعدة بالسلاح احتل اليهود القسطل فغضب القائد المجاهد غضبًا شديدًا وعاد ليحررها وكان له ذلك بعد أن دفع الثمن دمه الزكى.

سلامتهم. وتحقق النصر وأسفرت المعركة عن قتل ١٧٠ مقاتلاً من اليهود وجرح ٨٠ وأسر ٧٠ ولم يستطع اليهود لكثافة الرصاص وشدة القتال أن يخرجوا جثث قتلاهم من أرض المعركة، فاستعانوا بالإنجليز.

استشهاد القائد:

ولم يذق المجاهدون طعم النصر وحلاوته إلا لحظات قد انتهت حينما رأوا قائدهم في وسط القرية صريعًا يروى بدمائه أرض القسطل ووجد بجانبه رشاش لا عتاد فيه من نوع توميجن، ومسدس، وسلحلك.

انشغل المجاهدون به وتركوا مواقعهم العسكرية، فاستغل اليهود هذه الفرصة وحشدوا قواتهم وهاجموا القسطل واحتلوه بعد يوم واحد من تحريره.

أثر استشهاد عبد القادر رحمه الله:

لقد كان لاستشهاد عبد القادر الحسينى رحمه الله أثر سلبى كبير على المجاهدين فضعفت المعنويات، إذ فقدوا قائدًا ذكيًا جريئًا منظمًا محبوبًا، لا يعوَّض، والذين جاءوا بعده لم يملأوا الفراغ الذى تركه، وفى نفس الوقت كان لاستشهاده وسقوط القسطل فى يد اليهود بعد ذلك أثر على معنويات اليهود والروح القتالية عندهم، فارتفعت الروح المعنوية، وتجرأوا فى شن مذابح ضد المسلمين فى قرى فلسطين، فلقد أقدم اليهود بعد يومين من معركة القسطل واستشهاد عبد القادر على أكبر مجزرة مروعة بحق العزل فى قرية دير ياسين ثم تبعها مجزرة قرية ناصر الدين[١].

نعى الشهيد للأمة العربية والإسلامية:

ولقد أصدرت الهيئة العربية العليا لفلسطين النعى التالى[٢]: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

تنعى الهيئة العربية العليا بالقاهرة بمزيد من الأسى مع الفخر والاعتزاز للأمة العربية الكريمة فى فلسطين وسائر الأقطار العربية، وللعالم الإسلامى رجل فلسطين البار

---

(١) انظر: بلادنا فلسطين الجزء الثامن - القسم الثانى ص ١٣٢-١٣٣ وبطولات عربية ص ١١١-١١٢ والقضية الفلسطينية لأكرم زعيتر من ٢١٣-٢١٤ وجهاد شعب فلسطين ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) انظر: قضية فلسطين فى سيرة بطل ص ١١٢.

وقائدها الوطنى الفذ، الشهيد المرحوم السيد عبد القادر الحسينى الذى سقط شهيداً فى معركة القسطل بعدما ربح المعركة، واسترد ذلك الموقع الخطير من أيدى اليهود.

وإن الخسارة لكبيرة، وإن الرزء بفقده لعظيم.

وسيشيع جثمان الفقيد العظيم فى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم (الجمعة) من منزل شقيقه السيد سامى الحسينى بالقدس إلى المسجد الأقصى المبارك، حيث يُصلى عليه، ثم يدفن فى جانب ضريح والده المرحوم موسى كاظم باشا الحسينى بجوار المسجد الأقصى.

فعزاء لآل الفقيد ولفلسطين المجاهدة، وللأمة العربية الكريمة بهذا المصاب الفادح، ولتحيا فلسطين حرة عربية إلى الأبد.

وداع الفقيد الراحل:

وجاءت الجماهير المؤمنة تحيى هذا القائد وتلقى عليه نظرة الوداع الأخير، مؤكدة السير على الطريق، طريق الجهاد والاستشهاد، وعزمت على العمل الدؤوب من أجل تحرير فلسطين.

من صفاته وأخلاقه:

إن الدارس لشخصية عبد القادر الحسينى من خلال ما نقله عنه معاصروه وأصدقاؤه وأعداؤه ومن خلال الكتب التى تعرضت لشخصيته بالدراسة، ومن خلال ما كتب عن القضية الفلسطينية وتطورها ومراحلها المختلفة يمكنه أن يستنبط لهذا البطل صفات أصيلة وخصالاً جليلة وأخلاقًا حميدة كثيرة. ومن خلال مطالعاتنا تبين لنا أن المجاهد القائد عبد القادر رحمه الله كانت له أخلاق وصفات تظهره وتميزه عن غيره بشكل واضح، ومن هذه الصفات والأخلاق:

الشجاعة النادرة:

كان رحمه الله ذا شجاعة نادرة، يقوم ببطولات تبلغ حد المغامرة أو تشبه الخيال، لا يفكر بالموت، ولا يتردد عند أخطر الأمور، فما كان أحد يتقدمه فى المعارك، بل كان يتقدم الصفوف ويقودها ويتعرض لأخطر الحوادث فلا يتراجع. وكان لشجاعته يلحق الحرج الكثير بجنوده لعدم قدرتهم على مجاراته. كان يقذف بنفسه نحو الموت المحقق لينقذ جنوده.

فقد حدث ذات مرة أن أحاط مئات الجنود البريطانيين بعشرات المجاهدين الذين كان يقودهم عبد القادر في جبال القدس، وبعد أن تم تطويق الجبال والقرى المحيطة به وبجنوده حتى امتد الطوق إلى ٥٠ كم، ثم أخذوا يضيقون الخناق عليه وعلى من معه، فارتاب بعض جنوده واحتاروا في أمرهم، ولكنه بقي رابط الجنان لم يعبأ بجنودهم، فوزع عدداً من القنابل على حراسه واستل مسدسه بعد أن وزع رجاله بشكل عسكري رائع، ولما اقترب من الطوق انطلق كالأسد الثائر نحو الجنود البريطانيين الذين كانوا يسيرون واحداً وراء الآخر، لا يرفعون رؤوسهم ولا ينظرون إلا أمامهم كقطيع الخنازير. لقد قفز عبدالقادر وأخذ يلقي قنابله ونيران مسدسه عليهم، فتفرقوا شذر مذر، وأذهلتهم المفاجأة وولوا الأدبار بغير نظام كقطيع من الغنم، فتمكن من شق طريق النجاة له ولجنوده، بعد أن قتل من قتل، وشتت رجال الطوق، وعند الجنرال (وايفل) الذي كان يقود حركة التطويق بنفسه الخبر اليقين[١].

الإيثار:

والإيثار يعني أن تقدم غيرك على نفسك في المغنم، وأن تتقدم عليه وتفديه في المغرم، وهي صفة ممدوحة، وخلق كريم في المؤمن امتدح الله الأنصار بها فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]

ينقل صاحب كتاب فلسطين الأم وابنها البار عبد القادر الحسيني عن مذكرات مخطوطة للدكتور قاسم الريماوي بعنوان حياة عبد القادر قوله[٢]:

كان يؤثر رفاق السلاح على نفسه في كل شيء حتى في الطعام فإذا لاحظ أن كميته محدودة تظاهر بالشبع، فإذا انتهوا منه وظلت منه بقية أتم وجبته.

ولا يأكل إلا بعد أن يأكلوا ولا ينام حتى يطمئن أنهم ناموا جميعًا، وإذا نقص غطاء أعطى غطاءه للمحتاج ونام في العراء ولا يقبل غير ذلك.

زرنا إحدى القرى بطولكرم بدعوة من أهلها، فأحضروا له ولمعاونيه أكلاً خاصًا، وألحوا عليه بوجوب تناول الطعام على انفراد، إلا أنه أبى أن يأكل إلا مع الجنود ومثل

---

(١) انظر: فلسطين الأم ص ٤٥٠، ٤٥١

(٢) انظر: فلسطين الأم ص ٤٥٣.

ما يأكلون. وحدث فى إحدى الليالى، بينما كنا فى إحدى القرى أن نقص غطاء واحد من المرافقين فى ليلة برد قارس، فأعطاه الغطاء الذى يلتحف به وأبى إلا النوم بلا غطاء، فأشفقت عليه، وحاولت إقناعه أن يأخذ غطائى فرفض، ولكنه لما استغرق فى النوم وضعت الغطاء عليه، ولم أستطع النوم من شدة البرد إلا ساعة واحدة.

التواضع:

وكان رحمه الله متواضعًا لا يستعلى على أحد من خلق الله، ولا يتكبر ولا يبطر، ولا يأخذ العجب بنفسه والغرور بكفاءته عليه كل مأخذ، فيتطاول على الناس تيهًا وغرورًا، بل كان فى غاية التواضع، يتمثل قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] نعم كان متواضعًا ينكر ذاته، ويستصغر كل فعل يقوم به، وإن كان قليل من الأبطال يجرؤ على فعله.

فقد جاء فى رسالة كتبها إلى عمه الحاج أمين الحسينى رحمه الله:

فقد سررت برسالتكم أعظم سرور، وكانت لى أعظم مشجع، تذكرون تقديركم لتحملنا مشاهد الغربة والسجون، وهذا التقدير هو وسام عظيم الشأن أناله من زعيمى وقائدى، إلا أننى أشعر تمام الشعور أنه أكثر مما أستحقه، وأنا شخصيًا أشعر بالخجل الشديد كلما قست صغر ما قمت به من جهود بعظيم ما قام به أمثالى من شباب الأمم الأخرى الذين لا أرى بينهم ما يميزهم عن أى شباب عربى[1].

وينقل صاحب كتاب فلسطين عن جريد الدستور الأردنية العدد ١٠٧٥ الصادر بتاريخ ٨/ ٤/ ١٩٧٠م ما نصه[2]:

كان يلبس كما يلبس الجنود ويرفض أن يضع الرتب مثل القادة المغرورين بالنياشين، وكان يسير مشيًا على الأقدام من قرية إلى قرية، ومن جبل إلى جبل، وفى بعض الأحيان كان يسير حافى القدمين، مكشوف الرأس، وقد أهدى له ذات مرة زميله ورفيقه، الشيخ حسن سلامة - قائد المجاهدين فى منطقة يافا واللد - فرسًا شامخة فى ثورة ١٩٣٩ ولكنه ما كاد يعتلى صهوتها ويسير قليلاً حتى ترجل عنها، ورفض ركوبها

(١) قضية فلسطين فى سيرة بطل ١٦١.

(٢) فلسطين الأم ص ٤٥٣، ٤٥٤.

مرة أخرى، وأمر بإعادتها، ولما سئل عن السبب قال: لقد شعرت بتيه وكبر، وأخذ الغرور يدخل إلى نفسى، إننى أؤثر أن أمشى حينما تمشون، وأن أركب حينما تركبون، فأكبر الجميع هذا التواضع منه.

الزهد والتقشف:

وعلى الرغم مما كان عليه عبد القادر من الثراء واليسار فقد كان زاهدًا متقشفًا يعيش عيشة الفقراء المعسرين. ويوفر هذا المال وينفقه فى سبيل الجهاد وإعداد المجاهدين ويذكر مصطفى الطاهر فى رسالة له للدكتور موسى الحسينى أنه زار أباه فى القاهرة فوجده يعيش فى بيت متواضع فتواعدا على لقاء، فأخل عبد القادر بوعده على غير عادته وحضر بعد ساعتين، قال مصطفى: فسألته عن سبب تأخره، فقال: وجدت قميصى بحاجة إلى غسل ولا أملك غيره فغسلته ونشفته وكويته، وحضرت إليك آسفًا على التأخير، قال ذلك ببساطة متناهية مبتسمًا، فلم يخجل لأن فقره كان فى سبيل الله، ولم يخجل من عريه لأن عريه كان فى سبيل الجهاد، فى الوقت الذى كان فيه أشباه الزعماء يرفلون بالدمقس والحرير، ولو أراد الشهيد الدنيا لبقى موظفًا كبيرًا، ولو أراد الحياة الدنيا لانصبت عليه الأموال من جيوب الأنذال والعملاء[١].

عاطفة دينية قوية:

وكان رحمه الله مسلمًا يعتز بإسلامه، ومؤمنًا قويًا بإيمانه، ذا عاطفة دينية قوية، وقد وصفه أحد الكتاب الذين عاصروه بقوله: كان محبًا للعروبة والإسلام ومجنونًا بحبهما[٢].

ونحن وإن كنا لا نستسيغ هذه العبارة ولكن المراد منها أن حبه لدينه يفوق كل حب، وحماسه لدينه يفوق كل حماس.

نعم إن الشىء من معدنه لا يستغرب، فعبد القادر رحمه الله من أسرة شريفة، متمسكة بأهداب الدين فعمه الحاج أمين الحسينى عالم فلسطين وقائدها، ووالده موسى كاظم باشا الحسينى قد علمت منزلته وغيرته وجهاده، بل لقد جاء فى بعض المصادر أنه لما أراد أن يسافر إلى الجامعة الأمريكية ببيروت ودعه أبوه قائلاً:

---

(١) فلسطين الأم، ٤٥٤.

(٢) فلسطين الأم ص ١٣٧.

على بركة الله يا بنى، كن حريصًا على كرامة دينك وعزة وطنك، والله يرعاك حيثما تكون، وأينما تقيم، وقبله قبلات الوداع، ثم أعطاه شيئًا فى يده وقال له: ليكن هذا دستورك فى الحياة يا بنى، نظر عبد القادر فى يده فإذا هو القرآن الكريم فقبله وأودعه فى جيب سترته[1].

روح المغامرة عنده فى المعارك:

كان رحمه الله يصر على أن يتقدم صفوف المقاتلين ويفاجئ عدوه بهذه المغامرة التى تخلع القلب، وتشده النفس، وكان يتقن المواجهة فى التصدى لعدوه على غير عادة القادة فإنهم يكونون فى المؤخرة. وكان لهذه المغامرة أثر عجيب فى التفاف الجنود حوله والاستعانة به فى القتال، لأنهم يقتدون بقائدهم فى إقدامه وتضحيته وثباته، نعم إن قوة الروح المعنوية فى القتال عند الجند هى صدى للروح المعنوية فى القتال عند القائد، وإن ثبات الجند من ثبات قائدهم، ولهذا يحرز أحسن النتائج فى المعارك بأقل الخسائر.

وكان رحمه الله يصرح بأنه يتقدم الصفوف فى القتال ويقود المجاهدين اقتداء بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزواته وقتاله مع أعدائه.

فلقد سأله أحد أعوانه: لماذا تعرض نفسك للمهالك وأنت القائد؟ قال: وهل معنى ذلك أن أبقى بعيدًا عن الميدان وعنكم ؟ ألا تعلم أن محمدًا سيد البشر وأحكم القادة كان بنفسه يدخل المعركة، وقد أصيب فى أحد كما تعرف، وأنت تعرف الفارق، فلو توفى محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت لكانت الطامة الكبرى، أما أنا فإننى سأفوز بالشهادة أو النصر، وهما مطلبان وقفت نفسى عليهما[2].

بذله وسخاؤه:

كان رحمه الله موسرًا ومن عائلة ثرية، فأنفق ثروته فى شراء السلاح وتزويد المجاهدين به، كما أنفقها على المجاهدين وأنفق ثروة زوجته عن طيب نفس منها على الجهاد والمجاهدين، بل لقد بلغ به الحال أن باع حلى زوجه واشترى به السلاح، والنفس السخية التى تعودت البذل لا تتوقف أبدًا، ولا نعجب إذا علمنا أنه قد تحمل ديونًا باهظة فى سبيل الجهاد والمجاهدين، وكثير من الموسرين ضنوا بأموالهم فكانت

---

(١) فلسطين الأم ١٣٩.

(٢) نقل هذا الكلام عن مخطوط للدكتور الريماوى صاحب كتاب فلسطين الأم ص ٤٥٥

غنيمة لليهود، وقد رأينا أيضًا فى المقابل بخل الجامعة العربية وتقاعسها عن البذل وهى تملك الأموال، وضنها بالمدافع والسلاح وهى تملك السلاح فى عنابرها.

الجرأة فى القول:

كان رحمه الله قوى الشخصية مهيبًا، لا يتهيب عند قول الحق، ولا يتلجلج لسانه، بل يرسل كلامه كالصواعق على الخصم، فيرعبه، ويرهبه وهو فى قبضته، فيستسلم لإرادته، ويحقق رغباته.

فقد كتب أحد المجاهدين يقول: جرح عبد القادر بك، فتقدم أحد الجنود وطعنه بحربته، فى ظهره، وهو ملقى على الأرض، وفى هذه الحالة الرهيبة لم يتنازل عن شجاعته بل كلمهم بلغتهم قائلاً: أنا عبد القادر الحسينى، وأريد أن يكلمنى قائد الحملة، ولما جاء الضابط الإنجليزى بادره عبد القادر قائلاً: أهذه الجنود درست فى المدارس الحربية أم جاؤوا من وراء الأبقار والأغنام؟ فرد الضابط: بل درست فى مدارس حربية، فقال له عبد القادر: هل وجدتم جنديًا إنجليزيًا جريحًا مثلت به جنودنا الذين لم يدخل أحدهم مدارس حربية إلا القليل؟ فقال له الضابط: لا لم نجد أحدًا فقال له عبد القادر: أما كفى أنكم مغتصبون لحقوقنا واليوم جئتم بجنود أوحش من البقر ومن الكلاب؟ لأن البقر والكلاب إذا تغلبت على خصمها ووقع على الأرض كفت عنه الأذى، ولكن جنودكم والله لأوحش من البقر والكلاب، فانبهر القائد من هذا الكلام وأمر جنوده أن يرفقوا به ويعاملوه معاملة حسنة تليق بمقامه.

عبد القادر الشاعر:

لقد كان رحمه الله شاعرًا مجيدًا ومجاهدًا، سخر شعره فى سبيل قضية فلسطين، يستحث الهمم، ويبث روح الجهاد فى الأمة، وله قصائد كثيرة فى هذا الشأن منها قصيدة ناولينى السيف، وقصيدة صونى دموعك، وقصيدة بين فلسطين وفتاها، وقصيدة الطود الأشم، وقصيدة نصيحة والد، ونشيد العلى، وصلابة الأقدام، وحنين، ومدح رشيد عالى الكيلانى، وقصيدة يستغيث فيها بالملك عبد العزيز آل سعود ويحذره من استيلاء اليهود على المسجد الأقصى، ووجوب أن تهب الأمة حكامًا ومحكومين لإنقاذه.

فقد قال فى هذه القصيدة :

القــدس أولى القــبلتــين عــدا بهــا ســبط اليــهــود
مــا إن تجف بهــا الدمــاء حــتى تفــجـر من جــديد
مــزجت دمــوع اليــتم فى مــحــرابهــا بدم الشــهــيد
فــاحــذر فــديتك أن يؤول ترابه يومًــا لهــود
يا أمــة العــرب انهــضى ســيرى لمجــدك أو تبــيــدى
عــودى فــإن المجــد لا يحلو لغــيــرى أن تعــودى
المجــد نسج نضــالنا عــيــدى نسـائجــهـا وزيدى
القــدس جــيــد كــيــاننا هان المصــاب بغــيــر جــيــد
إن ديس مــســجــدنا نداس بكل واد أو صــعــيــد
أرض العــروبة كــالهــشــيم تــذوب فى لهب الوقــود
والســيل إن بلغ انحــداراً لا يقــيــد بالحــدود
فــالمســجــد الأقــصى على مــحــرابه دنس اليــهــود

وقال فى قصيدة له بعنوان ناولينى السيف:

حــدثينى عن بلادى حــدثينى وأسمــعينى خبرًا لا تكتمينى
خبرينى كيف سادتهــا عـداها حدثينى كيف داسوا فى حمــاها
كــيف ألتــذ بنومى أو رقــادى وبلادى قد غدت نهب الأعــادى؟
شبت النيران واجتاحت فؤادى مـذ دعــانى هاتف صوب بلادى
هاتف المجد إلى الحرب دعــانى مـا عنى غيرى ولكن قد عنانى
إن لى زندًا شديدًا كالجبــال وأنا الآن جـدير بالقــتــال

ناولينى السيف أمى ناولينى

وقال فى قصيدة له بعنوان صلابة الأقدام:

أنا لا أرهب الحدثان إنى | فتى أمضى من الحدثان حدا
لقد أعددت للحدثان سيفا | ولم أجعل لهذا السيف غمداً
وإن أبدت لى الأيام عندا | ترانى للجلاد أشد عنداً
ولى من قوة الإيمان عزم | أقاتل فيه دون الخلق فرداً
ولم أستجد من دهرى حظوظًا | ولم أطلب بغير الجهد سعداً

***



نكبة فلسطين ٤٨ وترك البيوت إلى التشرد والخيام بدون اى طعام او كساء



التهجير الذى لم يرحم كبيراً ولا صغيراً ولم تراع أى قيمة للإنسانية المعنية . هذه هى حضارة الغرب الذى زرع الصهيونية فى فلسطين.



تهجير الشعب الفلسطيني بقوة السلاح، وهكذا خرج الشعب الفلسطيني إلى المجهول ولايدرى له وجهة فراراً من الموت والقهر والإذلال تحت سمع الدنيا الظالمين والمسلمين النيام

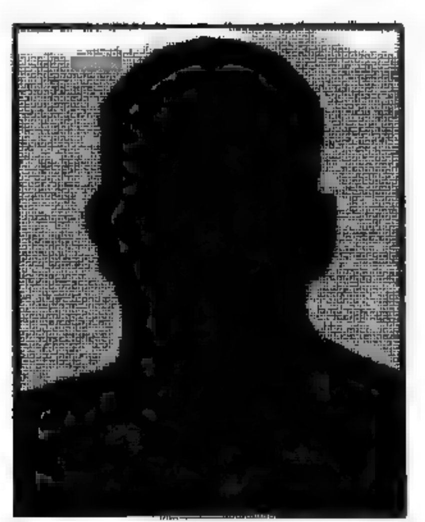


إحدى الثورات الفلسطينية التي لا تغني شيئا أمام العتاد الحربي البريطاني والصهيوني.

مجموعات من المجاهدين يتصدون للعصابات الصهيونية ولكن ليس لهم من سند أو معين فحسبهم الله، وهل يجدى الاستعداد الوقتى أمام صهيونية ماكرة تستعد من زمن بعيد ويساندهم المكر العالمى؟!



فيصل الطاهر[1]



ولد فيصل الطاهر رحمه الله فى مدينة يافا حوالى سنة ١٩٢٤م وتلقى علومه الابتدائية والثانوية فيها، ثم سافر إلى القاهرة والتحق بمعهد الفنون التطبيقية فيها، ودرس هناك كيمياء الأصباغ وتخصص فيها، كما تخصص فى التحليلات الكيماوية، والرسم الفنى، والأشغال الجلدية.

وفى سنة ١٩٣٨ عاد إلى فلسطين فوجد ثورة فلسطين الكبرى مشتعلة، على أشدها، فى جميع أرجاء فلسطين، فى المدن والقرى، فانخرط فى هذه الثورة يجاهد بما وهبه الله عز وجل من قدرة عقلية، وخبرة فنية، فشارك بأعماله الكيماوية وبراعته فى شؤون الكهرباء والمتفجرات إلى جانب أعماله الحرة العادية.

ولما نشبت الثورة فى أواخر عام ١٩٤٧ كان للمجاهد فيصل الطاهر فى يافا معمل كيماوى للأصباغ والبويات والصابون، فحوله إلى مصنع للمتفجرات، فكان رحمه الله يعيد تركيب القنابل اليدوية والألغام التى كانت ترد إلى المجاهدين من مخلفات الجيوش البريطانية فى صحراء ليبيا، ولما اشتدت حاجة المجاهدين إلى السلاح ابتكر وسيلة جديدة تسد حاجتهم، وذلك بإعادة تعبئة الخرطوش الفارغ ليستعملوه من جديد، ثم جعل يجرى تجارب علمية على بقايا الأفلام القديمة، فنجح فى إنتاج نوع من البارود يستطيع المجاهدون أن يستفيدوا منه كثيراً، وقد تمكن من إنتاج سبعة كيلو جرامات منه، وقدمه لهم كدفعة أولى. وقد استفاد المجاهدون منها فعلاً، إذ بعد تعبئتها استعملها المجاهدون وكانت النتيجة حسنة.

لم يقف رحمه الله عند هذا الحد فى بحوثه، بل أخذ يطورها، لينتج أنواعًا من المتفجرات يقدمها إلى المجاهدين ليستخدموها فى قتال اليهود، فقد أخذ يجرى تجارب

(١) انظر: بطولات عربية ١٣٥-١٣٧ وكتاب: إلى فلسطين ص ٤، ص ٥٥.

على مادة T . N . T شديدة الاشتعال والانفجار كان قد اشتراها عن طريق بعض المجاهدين بشكل أنابيب رفيعة، وتمكن رحمه الله من تعبئة قنبلة منها ليجرب المجاهدون استعمالها.

وبينما كان رحمه الله يحمل القنبلة بين يديه ويشد براغيها انفجرت بين يديه، فأودت بحياته على الفور، حيث قطعت يداه وتمزقت أحشاؤه وتشوهت صورته، واشتعلت النار فى المصنع، فتفجرت القنابل اليدوية والمتفجرات الأخرى.

كان استشهاد هذا المجاهد رحمه الله فى ١٤/ ٤/ ١٩٤٨ .

رحم الله هذا المجاهد رحمة واسعة، فقد سخر كل طاقاته العقلية وخبراته الفنية فى جهاد الأعداء الغاصبين، وأفاد الحركة الجهادية فوائد جمة [هكذا ينبغى أن تسخر كل الجهود لخدمة قضايا المسلمين، وفى مقدمة هذه القضايا قضايا الجهاد والاستشهاد].

●●●

الشيخ نسيب البكرى

ولد رحمه الله فى أواخر العقد العاشر بمدينة الخليل، فى بيت علم ودين وشرف، ينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وصاحبه فى الهجرة من مكة إلى المدينة، وخليفته من بعده، وأفضل رجل بعد رسول الله ﷺ: أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

نشأ فى صباه محبًا للقرآن الكريم، حريصًا على تعلم أحكام ترتيله، فأتقن تلاوته فى المسجد الإبراهيمى بالخليل. ثم سافر مع أبيه إلى القدس بسبب نقله من محكمة الخليل الشرعية إلى محكمة القدس الشرعية بالقدس القديمة.

لقد استفاد من إقامته فى مدينة القدس من الناحية العلمية، إذ أخذ يواظب على حضور الدروس فى الفقه والحديث التى يدرسها العلماء فى أروقة المسجد الأقصى، ومن الذين تتلمذ على أيديهم، وسمع منهم الشيخ أمين العورى والشيخ موسى البديرى، والشيخ عارف الشريف.

لقد حصل حصيلة جيدة من المسائل الفقهية على مذهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى، كما درس أجزاءً من تفسير القرطبى، وعددًا من كتب النحو، ثم انخرط فى الحياة العملية.

فى الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢٥ وحتى سنة ١٩٣٠ عمل إمامًا وواعظًا بالمسجد الإبراهيمى بمدينة الخليل، وبعد ذلك عين فى وظيفة واعظ عام لقضاء القدس. وكان رحمه الله خطيبًا مفوهًا ومؤثرًا، يوقظ النائمين، وينبه الغافلين، ويشحذ الهمم، ويرشد الناس إلى الأخطار التى تتهددهم فى بلادهم، والواجبات التى تلقى على عاتقهم تجاه بلادهم وأعراضهم، كان يشدد فى دروسه النكير على كل من تسول له نفسه بيع شبر من الأرض لليهود الصهاينة، ويصدر بحق هؤلاء الفتاوى الصريحة الجريئة الصارمة، فقد وقف يومًا فى مسجد بيت صفافا جنوب القدس الجديدة يقول: لا يجوز للمسلم أن يبيع أرضه لليهود، ومن باع أرضًا للصهاينة فهو مارق من الدين، وخارج على إجماع المسلمين.

وفى سنة ١٩٢٩ حدثت ثورة البراق التى عمت أرجاء فلسطين، فقام الشيخ نسيب البكرى رحمه الله على رأس جمهرة من المصلين فى مدينة الخليل وهاجم مستعمرة كفار عصيون اليهودية وفتك بعدد من اليهود فى المستعمرة ودمر عدداً من المنازل والمؤسسات والمنشآت، وبعد يوم من الحادث اعتقلته سلطات الاحتلال البريطانى ونفراً كانوا معه، وزجوا بهم فى السجن رهن التحقيق شهرين متتابعين، فلم تقم أدلة مادية عليهم تدينهم، فأطلق سراحهم وأخرجوا من السجن.

وفى أواخر سنة ١٩٣٦ انضم رحمه الله إلى تنظيم المجاهدين فى القدس والخليل، وقاتل تحت قيادة سعيد العاص ومساعده عبد القادر الحسينى رحمهما الله تعالى، ولما استشهد سعيد العاص وجرح مساعده عبدالقادر الحسينى، وأدخل المستشفى اختاره المجاهدون ليتولى القيادة مؤقتًا، ولكنه كان يعرف قدرته فى هذا المجال، فسلم القيادة لغيره لوجود من هو أكفأ منه فى فنون الحرب الاستراتيجية والتكتيكية، فقد كان رحمه الله يحسن رمى القنابل اليدوية، والتصويب بالبندقية.

وفى أوائل سنة ١٩٤٨ م تولى رئاسة مجموعة من الحرس الوطنى، وكلف ومن معه بحماية منطقة دير اللاتين، والباب الجديد للقدس القديمة، وفى هذا العام شارك فى معارك ضد اليهود فى حى الباشورة وخان الزيت وباب العمود بالقدس.

وفى أخريات شهر نيسان (أبريل)سنة ١٩٤٨ وبينما الشيخ رحمه الله يتفقد مجموعة الحرس الوطنى التى يشرف عليها أطلق عليه بعض اليهود الصهاينة النار، فأصابه بأربع رصاصات فى رأسه وظهره، فحمل إلى مستشفى المطلع بالقدس لإنقاذ حياته بإجراء عملية جراحية لإخراج الرصاصات التى استقرت فى جسمه، فلم تكلل بالنجاح، ولم يبق له دقيقة من عمره، فقد استوفى أجله ورزقه، وأسلم الروح إلى بارئها، ففاز بالشهادة... فهنيئًا له.

***

الملازم عادل الجزائري[1]

مجاهد سورى كان يرابط فى قطاع سمخ، وعلى مقربة منه مستعمرة شعار هاكولان، كان محبًا للجهاد، تواقًا لنيل الشهادة فى سبيل الله، حريصًا على أن يشفى صدره من عدوه، وكان يغرى القيادة العسكرية بضرورة مهاجمة مستعمرة شعار هاكولان، لينال شرف الجهاد والاستشهاد، حتى استجابت القيادة لذلك، ففى شهر حزيران (يونية) عام ١٩٤٨ صدر أمر عسكرى بمهاجمة هذه المستعمرة اليهودية فطار فرحا لذلك، فتقدم بجنوده وطوقوا المستعمرة، ثم زحف حتى المنازل، وأخرس رشاشات اليهود، وبينما هو يحاول دخول المستعمرة والاستيلاء على أحد الرشاشات فاجأه عيار نارى قاتل، توفى على أثره، فنال ما كان يتمنى: الاستشهاد.

ومما يجدر ذكره أن هذا الضابط قد ودع زملاءه الضباط، كأنه يعرف أنه اللقاء الأخير وأنه ماض إلى دار الخلود.

هنيئًا لهذا الشهيد ولزملائه الذين حازوا هذا الشرف، فقد أثبتوا للعالم أن أرض فلسطين لا تخص أهل فلسطين وحدهم، بل هى أرض عربية إسلامية، وعلى جميع العرب والمسلمين أن يبذلوا دماءهم وأموالهم وكل ما يملكون من أجل تحرير أى بلد من بلاد المسلمين، وفى مقدمتها بلادنا فلسطين. ففلسطين أرض الإسراء، وكل المسلمين لها فداء.

***

(١) انظر: كتاب إلى فلسطين ص ٥.

الشيخ حسن سلامة(1)



ولد المجاهد حسن سلامة سنة ١٩١٣ فى قرية قولة بقضاء اللد، ونشأ فى هذه القرية ودرس فيها.

أسهم فى الحركة الجهادية ضد قوات الاحتلال البريطانى وضد اليهود الغازين الطامعين منذ ريعان شبابه، ففى سنة ١٩٣٣ شارك فى مظاهرات دامية ضد قوات الإنجليز على أرض فلسطين، فتعقبته القوات البريطانية للانتقام منه، فأفلت منها، وأخذ يطوف بالمدن والقرى يدعو أهلها إلى الثورة على الإنجليز وجهادهم وجهاد اليهود معهم، واستمر على ذلك ثلاثة أعوام يختار الشباب الذين يستجيبون لحركة الجهاد، ويعدون لليوم الموعود..

وفى سنة ١٩٣٦ حينما أطلقت الرصاصة الأولى للثورة الفلسطينية الكبرى انضم إليها وشارك مشاركة فعالة حتى انتهت، واستمر يجاهد بعدها حتى توفاه الله شهيداً.

لقد تألق نجم الشيخ حسن سلامة رحمه الله فى هذه الثورة وأصبح من قادتها البارزين، وسلم قيادة منطقة اللد والرملة ويافا، فسار فى جهاده سيرة الرجال الأبطال الذين يتصفون بالرجولة والشجاعة، لقد انطلق رحمه الله ومن معه ليقاتلوا الإنجليز واليهود ويهاجموا المستعمرات اليهودية، والمؤسسات البريطانية، فيدمروا السكك الحديدية، وينسفوا الجسور، ويطاردوا الجنود الإنجليز، ويدمروا أعمدة الكهرباء، ويقطعوا الأسلاك وطرق المواصلات، ويحرقوا بيارات اليهود.

كان رحمه الله لا يكتفى بالتخطيط لبعض العمليات الجهادية بل كان يشرف على تنفيذها ويشارك فيها، ومن ذلك نسف قطار اللد ـ حيفا سنة ١٩٣٨، فقد قام بهذه

(١) نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، الجزء الثالث، الصفحات: ٥١٩، ٥٧٩، ٥٨١، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٦، ٦٦٨ وبطولات عربية ١٢٥-١٢٧ والموسوعة الفلسطينية ٢/ ٣٢٧ وجهاد شعب فلسطين ٣٨٥-٣٨٨.

العملية مع أخيه، المجاهد محمد سمحان وآخرين، وقد لاحقتهم القوات البريطانية واشتبكت معهم فاستشهد المجاهد محمد سمحان، وأصيب المجاهد حسن سلامة بجراح خطرة فى عنقه، فشفاه الله وعافاه، ثم أطلق لحيته، وعرف بعد ذلك بالشيخ حسن رحمه الله.

وبعد انتهاء ثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٩ سافر إلى سورية ولبنان والعراق، ودرس فى العراق بالكلية الحربية، وتخرج منها، واشترك فى ثورة رشيد عالى الكيلانى ضد الإنجليز فى العراق، وكان يقود فصيلاً من المجاهدين الفلسطينيين قد بلغ عدده فى هذه الثورة ١٦٥ مجاهداً.

وبعد فشل ثورة رشيد عالى الكيلانى التى قضى عليها الإنجليز بمساعدة الجيش الأردنى آنذاك، سافر المجاهد القائد إلى ألمانيا، فتدرب على فنون القتال، وزرع الألغام، ثم عاد سنة ١٩٤٣ مع ذى الكفل عبد اللطيف وثلاثة من الألمان حيث هبطوا بالطائرة إلى سهل أريحا، فاعتقلت القوات البريطانية ذا الكفل واثنين من الألمان، وتمكن الشيخ حسن سلامة رحمه الله من الاختفاء فى جبال القدس، ثم انتقل إلى حيفا، ومنها إلى سورية.

ولما أعلن عن قرار تقسيم فلسطين فى هيئة الأمم عاد رحمه الله سنة ١٩٤٧ ليستأنف الجهاد من جديد ضد الإنجليز واليهود، وأسندت إليه قيادة المجاهدين فى القطاع الغربى من المنطقة الوسطى من فلسطين. ويمتد هذا القطاع من مدينة يافا إلى وادى الصرار، ثم أضيفت منطقة القدس إلى قيادته بعد استشهاد القائد المجاهد عبد القادر الحسينى رحمه الله تعالى.

لقد شارك رحمه الله وقاد معارك كثيرة ضد الغزاة من يهود وإنجليز، ومن المعارك التى خاضها مع مجاهدين تابعين له معركة القسطل التى كان يقودها الشهيد عبد القادر الحسينى، ثم استلم الراية من بعده وانتقم له فى القسطل وباب الواد.

عاد رحمه الله إلى المنطقة العسكرية التى يقودها، وتمركز فى رأس العين، وظل يجاهد حتى دخلت الجيوش العربية النظامية فلسطين فاستمر يجاهد معها فى منطقته.

لقد استشهد رحمه الله تعالى رحمة واسعة وهو يقود معركة فى رأس العين إذ أصيب فى رئته اليسرى إصابة أودت بحياته وكان ذلك فى ٣/ ٦/ ١٩٤٨، ودفن فى قريته قولة، وإبان هذه المعركة كان الجيش الأردنى والجيش العراقى يطوقان تل أبيب اليهودية، ويقذفانها بالنيران الحامية، ثم انسحبا بعد ذلك دون أن يحققا شيئًا.

قال صاحب كتاب بطولات عربية: ولم يعش حسن سلامة ليرى كيف عاد الجيشان القويان فانسحبا من مكانيهما، وسمحا لإسرائيل بالحياة على حساب وطنه الشهيد[١].

***

(١) انظر: بطولات عربية ص ١٢٧

بوظان محمد مصطفى

ولد رحمه الله تعالى سنة ١٩٢٥ فى قرية وادعة من قرى دير الزور من سورية. كان محبًا لبلاد المسلمين، وبخاصة قبلتهم الأولى، وموطن الإسراء والمعراج، ومهد النبوات، هذه الأرض التى طمع فيها شذاذ الآفاق فهاجروا إليها واستولوا على بعض أراضيها بتدبير من سلطات الانتداب البريطانى، وهى تنادى كل مسلم يؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً أن يهب لحمايتها، وأن يجاهد لنصرة أهلها، وتطهير المقدسات فيها من أرجاس اليهود وأدناسهم.

لقد لبى المجاهد بوظان رحمه الله النداء، تاركًا الأهل والأصدقاء والزوجة والطفلة الوحيدة التى أنجبها، وكانت زوجته مريم تحضه على الجهاد، وتيسر له أسبابه، وتتجاوز عاطفتها كزوجة بحاجة إلى زوجها تعيش معه ومع طفلتها، وتحب مسامرته وتأنس به.

لقد شعرت بواجب كل مسلم تجاه الأرض المقدسة فلسطين سواء كان ذكرًا أو أنثى، فما كان عليها إلا أن تحض زوجها على الجهاد، وتدفعه إليه لأنه واجب شرعى، بل إنها كانت تتمنى لو سمحت لها ظروفها الخاصة أن تسير معه إلى أرض الإسراء تجاهد الأعداء، وتجالدهم حتى النصر أو الشهادة. لقد وقفت هذه المرأة يومًا تودع زوجها قائلة: والله يا بوظان لولا هذه الطفلة، ولو أعرف أن لها معيلاً غيرى لتركتها وكنت السباقة إلى معركة المجد والحرية، فقال لها: أوصيك بالطفلة سعدة يا مريم، وكونى أمًا صالحة لها، علميها كيف تخدم أمتها، وإن قضيت نحبى، وترعرعت ولم تجدنى قولى لها: إن أباك ذهب ليسقى شجرة الحرية بدمه، فقالت زوجته بحماس وثبات ملؤهما الإيمان: اذهب يا بوظان ولا تأتنى إلا منتصراً وها أنا وابنتك (سعدة) نضرع إلى الله أن يتوجك بتاج الظفر، لأن انتصارك انتصار لأمتك.

التحق المجاهد بمعسكرات التدريب مع فوج من المتطوعين، فأتقن فنون القتال واستخدام السلاح بأنواعه بسرعة، فسار فى كتيبته من المجاهدين السوريين إلى فلسطين، وعسكر فى قرية من قراها اسمها زرعين من قضاء جنين، وكانت محاطة

بخمس مستعمرات يهودية هى: العفولة، الفولة، كفر خسكل، عين حاروت، عين جالود.

وفى ١٢/ ٣/ ١٩٤٨ توجهت قوة من اليهود تزيد على ألف مقاتل لمهاجمة قرية زرعين، التى يرابط فيها مجاهدنا ومعه نفر من المجاهدين لا يتجاوز عددهم مائة وعشرين مجاهداً، فتصدى هؤلاء المجاهدون للمهاجمين على قلتهم، واستبسلوا فى الدفاع عن هذه القرية، فردوهم خائبين خاسرين بعد معركة دامت خمس ساعات بعد أن قتلوا منهم عدداً كبيراً منهم، أخذوهم معهم أثناء الانسحاب والتراجع، وأبقوا مضطرين عشرين من قتلاهم فى ساحة المعركة، واستشهد عدد من المجاهدين، وجرح عدد آخر. أما المجاهد بوظان فقد كان من بين الجرحى، إذ قد أصيب إصابة قوية فى ساقه، فنقل إلى مستشفى مدينة نابلس، حيث أجريت له عملية جراحية فى ساقه، ثم خرج بعد ثلاثة أشهر من المستشفى، وقد عطبت ساقه، وأصبحت مشيته وحركته بطيئة، بل لم يكن يستطيع أن يسير بدون عصا يتوكأ عليها، والأعرج معذور فى الشرع الإسلامى، قد أعفاه الشارع الحكيم من الجهاد فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. ومن المنطق العسكرى أن يخرج أيضاً من الخدمة العسكرية لعدم قدرته بعد هذا الحادث.

لقد انتقلت سريته فى أثناء العملية الجراحية التى أجريت له من قرية زرعين إلى كفر حارب وتمركزت فيها لخوض معركة جديدة.

عرف بوظان بعد خروجه من المستشفى مكان سريته، وعزم أن يلتحق بها، وقطع تلك المسافة بصعوبة ومشقة، فلما رآه أصحابه مقبلاً عليهم ظنوا أنه قد جاء ليودعهم، فقال لهم: كلا لم أحضر للوداع رغم أنى مسرح، ولن أذهب إلى أهلى، بل أريد أن أبقى بجانبكم معشر الأبطال ما دام فى قلبى إيمان، وما دامت النفس حية كيف أترككم؟ كلا إنى سأبقى معكم، ولا يمكن أن أترك أمتى.

كلفت السرية بمهاجمة مستعمرة عين كيف اليهودية الكائنة على ضفة بحيرة طبرية، فهيأ قائد السرية خطة الهجوم على المستعمرة، وابتدأ الهجوم فى صباح يوم ١٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٨، وسارت القافلة فى الليل لتصل المستعمرة قبل بزوغ الشمس. وبينما كان يسير القائد فى أحد المنحدرات إذا بوقع خطوات وراءه، فنظر ليرى من

القادم، وإذا المجاهد البطل بوظان بعينه يتوكأ على عصاه، بشكل يقطع الأكباد، فناداه القائد: ألم أقل لك يا بوظان أن تبقى فى الخيام؟..

فقال له: إننى يا سيدى الضابط لم أترك أهلى ووطنى لكى أبقى فى الخيام، وإنما جئت لأقدم الأمانة لوطنى الغالى، فسأجاهد كما تجاهدون، وأدافع كما تدافعون، إننى أريد أن أصد عن أهلى ووطنى عدواً غاشماً كما تحاولون أيها الإخوان أن تصدوا.. دعنى يا سيدى القائد أؤدى الرسالة التى ما زالت فى نفسى، فاتركنى أقدم الأمانة، وقد علمتم أن الأمين يؤدى أمانته بدون نقصان، فلم يملك الضابط أمام هذا الإصرار إلا أن يستجيب لمطلبه.

لقد بدأت السرية بالهجوم، واندفعت تتقدم نحو العدو، وفجأة توقفت بسبب كثافة النار التى سلطت عليهم من رشاش. وكان الرمى مركزاً وشديداً، وأصبح معظم أفراد السرية بين الحديد والنار، فما كان من بوظان إلا أن تقدم بخطى ثابتة، يحمل بندقية تقذف نوعاً من القنابل، فرمى القذيفة الأولى، فالثانية، فالثالثة فالرابعة فالخامسة فأسكت صوت الرشاش الثائر، ولكن الوعاء الذى توضع فيه القنابل سقط فى الرمية الأخيرة بعيداً من بوظان خمسين متراً، فأقسم أن يحضره مهما كلفه الأمر، فتقدم زاحفاً ليأخذه، ولما وصل إليه والتقطه، ثم تحول إلى مكانه، وإذا برصاصات تخترق جسمه ويخر صريعاً وقد أحرزت السرية النصر على العدو، بل كانت شجاعته وثباته وتقدمه سبباً فى حماس الجنود وإصرارهم على القتال الذى أحرز النصر المؤزر.

و دفن رحمه الله تعالى يوم الجمعة ١١/٦/١٩٤٨.

رحم الله الشهيد رحمة واسعة، ورزق الأمة وأجيالها هذه الهمم العالية، والتعلق بالجهاد، والإصرار على تأدية الأمانة بدقة وأمانة وإخلاص.

***

عبد الرحيم محمود ـ أبو الطيب[1]



ولد المجاهد الشهيد البطل فى بلدة عنبتا بقضاء طولكرم سنة ١٩١٣م، ودرس المرحلة الابتدائية فيها، ثم انتقل إلى طولكرم ودرس فيها المرحلة الإعدادية، ثم انتهى به المطاف إلى مدينة نابلس، حيث درس المرحلة الثانوية فيها، ثم التحق بعد تخرجه بمدرسة الشرطة فى بيت لحم، وعمل شرطًا فى مدينة الناصرة. ولكنه لم يلبث وقتًا يسيرًا فيها، ثم عاد ليعمل معلمًا فى مدرسة النجاح بمدينة نابلس.

ولما قامت ثورة العرب الكبرى فى فلسطين التحق بها، وكان من مرافقى المجاهد البطل الشهيد القائد عبد الرحيم الحاج محمد، فطاردته قوات الاحتلال البريطانى على أثر ذلك، فلجأ إلى العراق، وكانت الفرصة مواتية فى العراق ليدرس فى الكلية الحربية أو العسكرية فكان له ذلك، ثم تخرج برتبة ملازم، وشارك فى ثورة رشيد عالى الكيلانى، ولكنها ما لبثت أن فشلت وقضى عليها الإنجليز وعملاؤهم فى الداخل والخارج. فلم يكن بد لمجاهدنا إلا أن يتوجه إلى فلسطين ويعمل مدرسًا فى ثانوية النجاح مرة أخرى. وفى نفس الوقت ينخرط فى صفوف المجاهدين فى سبيل الله.

ففى أوائل سنة ١٩٤٨ التحق بجيش الإنقاذ، واستلم قيادة سرية من سرايا فوج حطين شارك فى معارك كثيرة ضد قوات الاحتلال البريطانى وعصابات اليهود الغازية، وبخاصة فى منطقة مرج بن عامر، ثم انتقل فوج حطين ـ الذى يتبع لشهيدنا عبد الرحيم محمود ـ إلى منطقة الجليل فى أيار (مايو) سنة ١٩٤٨م، وأصبح عبد الرحيم مساعدًا لقائد الفوج، ونال رتبة ملازم أول.

---

(١) انظر: بلادنا فلسطين ـ الجزء الثالث ـ القسم الثانى ص ٢٩٧ -٢٩٨ وكذلك الجزء السادس - القسم الثانى ص ٤٢٦، ٤٢٨ والموسوعة الفلسطينية ٣/ ١٦٥ ونكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ٣/ ٦٢٢، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧ ورجال من فلسطين ص ٢٣٧-٢٣٩.

كان عبد الرحيم محمود رحمه الله تعالى مجاهداً بلسانه وسنانه، وكان واعيًا للأحداث التى عاصرها، ومستوعبًا لها، ومدركًا لخطورة المرحلة التى تمر بها بلادنا فلسطين، لقد انبرى شهيدنا رحمه الله يصرخ فى هذه الأمة، ويحذرها من الخطر اليهودى الداهم.

ففى سنة ١٩٣٥ زار الأمير سعود بن عبد العزيز ولى عهد المملكة العربية السعودية، فلسطين، والمسجد الأقصى. فانتهز شاعرنا ومجاهدنا هذه الفرصة لينفث ما فى نفسه من قلق على مصير المسجد الأقصى. لقد وقف يستجيش النخوة فى نفس الأمير بأبيات من الشعر من قصيدة ألقاها أمام الأمير فى حشد من الناس بعد زيارته المسجد الأقصى مباشرة:

يا ذا الأمـيـر أمـام عـينك شـاعـر	ضمت على الشكوى المريرة أضلعه
المسـجـد الأقـصى أجـئت تزوره	أم جئت من قبل الضياع تودعه؟!!

ولقد أصبحت أبيات القصيدة وبخاصة هذان البيتان من الشعر على لسان كل واحد من المجاهدين. ولما صدر قرار تقسيم فلسطين وقامت الحرب بين العرب واليهود فى فلسطين ١٩٤٨ نزل إلى الميدان، وكانت أول قصيدة نظمها فى هذا الشأن قال فيها:

دعـا الوطن الذبيح إلى الجـهـاد	فطار لفـرط فـرحـتـه فـؤادى
وسـابقت النسـيم ولا افـتـخـار	ألـيس عـلى أن أفـدى بـلادى؟
حـملت على يدى روحى وقلبى	ومـا حـملتـهـا إلا عـتـادى

وكان رحمه الله يدون مشاهداته فى مذكرات دأب على تدوينها يومًا فيومًا، وكان فيها كما فى غيرها من الحالات، صريحًا للغاية، وكان تقيًا، وكثيراً ما يوجه سهام لومه وتقريعه إلى الرؤساء الذين شغلوا أنفسهم بالقشور أكثر من اللباب. وكثيراً ما عبر عن ألمه لبعده عن ميادين القتال. رحم الله شهيدنا البطل فقد كان مجاهداً تقيًا كما وصفه من يعرفه، وكان شاعراً متمكنًا سخر شعره لخدمة قضيته، لقد وقف رحمه الله يدعو إلى الجهاد من أجل تطهير فلسطين المسلمة من دنس الغزاة المحتلين، وينفث شعره من نفسه المؤمنة ومن قلبه المجاهد يحرض الشباب على القتال، ويعبئ النفوس على البذل والتضحية ومن شعره فى هذا الشأن هذه الأبيات:

سـأحـمل روحى على راحـتى   وألقى بهـا فى مـهـاوى الردى

فـإمـا حـيـاة تسـر الصـديق   وإمـا ممات يغـيـظ العـدى

ومـا العـيش لا عـشت إن لم أكن   مـخـوف الجناب حـرام الحـمى

كانت معركة الشجرة آخر معركة يخوضها المجاهد القائد الشاعر، وفيها لقى مصرعه، إذ شن هجومًا مع فوج حطين، على هذه القرية- التى تقع غرب طبرية بانحراف قليل إلى الجنوب- لتحريرها من اليهود، وفى أثناء القتال وفى ١٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٤٨ أصابته شظية من شظايا قنبلة قذف بها اليهود وهى من النوع المعروف بالسليد، فأصابته فى عنقه وذقنه وأسفل وجهه، فحمل إلى المستشفى وهو يقول:

احـمـلونى احـمـلونى   واحـذروا أن تـتـركـونى

وخـذونى لا تـخـافـوا   وإذا مـت ادفـنـونـى

لقد حمله إخوانه المجاهدون على أكتافهم. وهو يتمتم بهذه الكلمات، واتجهوا به إلى مستشفى الناصرة، وفى الطريق انقلبت السيارة فى واد سحيق قبل أن يصل إلى المستشفى فحمل إلى الناصرة ودفن فيها.

رحم الله المجاهد الشهيد رحمة واسعة، فلقد علمنا كيف يكون البذل، وكيف يكون الجود.

يجود بالنفس إذا ضن البخيل بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجود

لقد استشهد رحمه الله وهو فى عنفوان شبابه إذ لم يتجاوز خمسة وثلاثين عامًا.

***

الشهيد حسين الحلوس ١٩٤٨م
أول شهداء الإخوان فى حرب فلسطين[1]

فى عام ١٩٤٧ تطورت أحداث قضية فلسطين تطوراً بالغًا، وشهدت أحداثًا خطيرة متتابعة، ففى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ أعلنت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وعلى إثرها أعلنت بريطانيا أنها ستنهى انتدابها على فلسطين، وحددت لذلك موعداً فى ١٥ مايو ١٩٤٨، فاشتعلت الأحداث فى مصر وفلسطين وقامت المظاهرات والمسيرات والمؤتمرات بقيادة الإخوان المسلمين تأييدًا لقضية فلسطين.

وفى فبراير قرر الإخوان المسلمون المشاركة الفعلية فى حرب فلسطين، وبالفعل سافر الفوج الأول من الإخوان المسلمين فى نفس الشهر وكان يضم مائة فرد من بينهم أحد علماء الأزهر من الإخوان وهو الشيخ سيد سابق.

وفى نفس الشهر استعد الفوج الثانى من المجاهدين للسفر تحت قيادة الشيخ محمد فرغلى وبجانبه الشهيد يوسف طلعت.

وقُرر سفر الشهيد يوسف طلعت لنقل المؤن والمواد الغذائية التى يحتاجها المجاهدون، واختار الإمام الشهيد أحد زعماء شباب الإخوان بالجامعة وهو الأستاذ حسن دوح ليكون مرافقًا للشهيد يوسف طلعت ويتولى حراسته وحراسة المواد التموينية التى يحملها، وفرح حسن دوح كثيراً بتلك المهمة، وبتلك الرفقة للشهيد العظيم يوسف طلعت، ولكن كان هناك شهيد آخر على موعد مع القدر لينال شهادة غالية . . . هو شهيدنا حسين الحلوس.

ففى صباح يوم السفر فوجئ حسن دوح بالأستاذ البنا يطلب منه إرجاء السفر فحزن حزنًا شديداً، ولكنه لم يسعه إلا تنفيذ أمر القائد وطاعته.

واصطحب الشهيد يوسف طلعت أخانا حسين الحلوس معه رفيقًا وحارسًا، وفى سيناء انقلبت بهما السيارة وتحطمت تمامًا، ونجا الشهيد يوسف طلعت بأعجوبة بينما اختار الله أخانا حسين شهيداً.

---

(١) ٢٥ عامًا فى جماعة - حسن دوح - ص ٣٧ . فى قافلة الإخوان / ٣ - عباس السيسى ص ١١٦ ، نقلاً عن جريدة الإخوان المسلمين.

وفى مساء اليوم التالى، وصلت إلى الأخ حسن دوح رسالة من الإمام الشهيد حسن البنا وكانت كلماتها قصيرة حزينة تقول: اذهب إلى الإسماعيلية لتعزى فى بديلك.

وفى أبريل من نفس العام، يرثى الإمام الشهيد حسن البنا شهيدنا المبرور وإخوانه الذين لحقوا به فى معركة كفار ديروم، فى مقال مؤثر، كان من بين كلماته: هؤلاء الشهداء الاثنا عشر، ومن قبلهم الشهيد العزيز الأخ حسين الحلوس الذى اختاره الله لجواره فى حادث انقلاب سيارة المؤن والمهمات بسيناء، وقد أوقفونا نحن الإخوان، وأوقفوا أسرهم الكريمة، وأوقفوا الأمة المصرية كلها أمام حقائق الإيمان وجهًا لوجه.

رحمه الله رحمة واسعة، وتقبله فى زمرة الشهداء.

***

ضيف الله مراد[1]



لقد أدرك الإخوان المسلمون قبل دول المنطقة وهيئاتها السياسية وأحزابها العقائدية أن الطريق لعلاج اليهود هو طريق الجهاد والاستشهاد، ولكن الدول العربية وغيرها من الأحزاب لم تشاطرهم هذا الرأى، بل كانت مخدوعة بهيئة الأمم ومجلس الأمن والدول الكبرى، وبخاصة بريطانيا، فأضرت بهم سذاجتهم وغفلتهم أيما ضرر.

أما الإخوان المسلمون فعلى الرغم من العقبات الكثيرة المريرة التى كانت تعترضهم، فقد قرروا الالتزام بطريق الجهاد الذى نادوا به، وحرضوا الناس على التزامه، ورغبوا الناس فيه فسيروا كتائبهم إلى فلسطين، وانطلقت من كل حدب وصوب لتقاتل اليهود على الأرض المباركة المقدسة.

لقد أرسل الأستاذ البنا رحمه الله عشرة آلاف من المجاهدين من الإخوان المسلمين فى مصر، واختار الشيخ محمد فرغلى ليكون مسؤولاً عامًا عليهم، وأرسل الإخوان المسلمون فى الأردن كتيبة من المتطوعين بقيادة الشيخ عبد اللطيف أبو قورة، وجهز الإخوان المسلمون فى سوريا كتيبة بقيادة الأستاذ الدكتور مصطفى السباعى المراقب العام للإخوان المسلمين فى سوريا.

كان المجاهد ضيف الله مراد شرطيًا فى مديرية الشرطة بدمشق، فلما سمع نداء الجهاد لبى، واستأذن من مدير الشرطة العام وكان يومها حسنى الزعيم فلم يأذن له، فذهب إلى الأستاذ مصطفى السباعى ليتوسط له عند مدير الشرطة حتى يأذن له، فاستجاب لرغبته وذهب إلى حسنى الزعيم وكلمه فيه فوافق.

لقد كان فرح ضيف الله عظيمًا وسروره كبيراً لهذا الإذن، فانطلق مع الإخوان المجاهدين السوريين إلى فلسطين وإلى القدس بالذات، وشارك فى معارك كثيرة،

(١) انظر: مذكرات مصطفى السباعى بعنوان (الإخوان المسلمون فى معارك فلسطين) وهى مطبوعة فى ملحق لكتاب الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص٣٥١، ص٣٥٢ وانظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص١٦٧؛ ص ١٦٩ .

وسافر الدكتور السباعى إلى دمشق فى غرض من أغراض الجهاد، فسافر معه المجاهد ضيف الله رحمه الله، ولما أراد العودة إلى فلسطين حرص المجاهد ضيف الله أن يعود معه، ولكن والدة المجاهد جاءت إلى الأستاذ السباعى ترجوه ألا يسمح له بالعودة إلى فلسطين لأنه أكبر إخوانه وهو يعيلهم مع والدته، فحدثه الأستاذ السباعى بذلك فأبى الاستجابة لرغبة والدته، وبعد جدال طويل بين الأستاذ السباعى وبين المجاهد ضيف الله قال بلهجة حازمة للأستاذ السباعى: أستحلفك بالله أن تسمح لى بالعودة فإنى والله أشم رائحة الجنة فلا تمنعنى من الشهادة!..

ودمعت عيناه فدمعت عينًا الأستاذ السباعى لجلال روعة الإيمان والفداء، ثم سافر مع إخوانه إلى صور باهر قرب بيت المقدس.

ومن صور باهر تكونت حملة من مجاهدى الإخوان الأردنيين والإخوان السوريين يقودهم القائد المجاهد عبد الجواد طبالة من مصر، لمهاجمة حصن مشرف لليهود، وفيه قيادتهم، فنجح المجاهدون من الإخوان السوريين والأردنيين فى تحقيق هدفهم، وكان المجاهد ضيف الله من بين المهاجمين فأصيب فى رأسه إصابة مميتة توفى على أثرها رحمه الله.

***

الشهيد عبد الرحمن عبد الخالق

١٩٤٨/٤/١٠م

من شهداء معركة كفار ديروم الأولى.. من شباب الإخوان بمنطقة العباسية بالقاهرة...

كان من أفراد الفوج الأول من متطوعي الإخوان المسلمين للجهاد في فلسطين، فكان بذلك من السابقين إلى الجهاد، ثم صار من السابقين إلى الشهادة.

شارك في معركة كفار ديروم الأولى صباح السبت (١٠أبريل ١٩٤٨) حيث كان يقود إحدى مجموعات الاقتحام في المعركة، وحين تأزم الموقف، صدرت إليه الأوامر بالانسحاب، لكنه استمر في القتال مستأسداً ويقول: كيف ننسحب وإخواننا في داخل المستعمرة؟

ثم يذكر من معه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

ويظل يقاتل بشدة حتى تصيبه رصاصة قاتلة في رأسه لتضع اسمه في عداد الشهداء الخالدين.

***

عبد الرحيم عبد الحى [1]



كان موظفًا مدنيًا بوحدة سلاح الصيانة بالإسكندرية، وحين أنشئت شعبة الجهاد فيها كان أول من تقدم للاشتراك والمساهمة فى نشاطها بقوة وعزم، زاول الخطابة حتى صار من أبرز الخطباء تأثيراً فى الناس وبخاصة رواد المساجد، وكان له أثر بالغ فى نشر دعوة الإخوان المسلمين فى صفوف الشعب المصرى، وكان يتقن بالإضافة إلى الخطابة - الكتابة المجسمة على الحوائط فى الشوارع الكبرى، حيث كان يحمل دبلومًا فى فن الزخرفة، وكان يهوى الرياضة البدنية ويجيد السباحة.

لقد أصدر صدقى باشا أوامره بنقل هذا المجاهد من (شعبة الجهاد) بسلاح الصيانة بالإسكندرية إلى ورش سلاح الصيانة بالإسماعيلية، ولما كانت الإسماعيلية مركزاً مهما لتجمع الإخوان المجاهدين للجهاد فى فلسطين، فقد تطوع الأخ ضمن الكتيبة المسافرة إلى العريش.

لقد اشترك الأخ المجاهد عبد الرحيم عبد الحى فى أول معركة وقعت بين مجاهدى الإخوان المسلمين فى منطقة النقب بفلسطين واليهود، إذ هاجم المجاهدون مستعمرة كفارديروم اليهودية واستشهد منهم سبعون، وكان المجاهد عبد الرحيم من المجاهدين الذين اتخذهم الله شهداء، فهنيئًا له.

***

(١) انظر: عباس السيسى، فى قافلة الإخوان المسلمين ١/ ٢٢٠، ٢٢١.

الشهيد عمر عبد الرؤوف[1]

من شهداء معركة كفار ديروم الأولى.

أكرمه الله بالشهادة فى هذه المعركة المبكرة فى فترة الجهاد، فذهب للقاء ربه سابقًا سباقًا. وترك لنا مشهدًا حيًا له عند استشهاده. يصفه أحد إخوانه فيقول:

أصابته رصاصة فى صدره، فبدت على وجهه ابتسامة مشرقة وهتف بمن حوله: أترون ما أرى؟ ثم يأخذ نفسًا طويلاً ويقول:

هذه هى الجنة إننى أراها وأشم رائحتها.

ثم يلفظ أنفاسه ليمضى إلى جنة ربه الموعودة.

وآخرين لا نعلمهم..

ولكن.. الذى أكرمهم بالشهادة.. يعرف وجوههم وأنسابهم.

***

(١) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين - كامل الشريف.

فتحى الخولى [1]

١٩٤٨/٥/٦م

هو أحد الإخوان المجاهدين، تشرب قلبه بحب الجهاد والاستشهاد، ولقد حاول أهله منعه من هذا الشرف بدافع الأنانية والجهل، فأوثقوه وحبسوه فى غرفة منعزلة حتى يقطعوا الأمل عنده. ولكنه أصر على موقفه وأبى أن يستسلم لتثبيطهم، بل هددهم بالانتحار إن استمروا فى منعه والوقوف فى طريقه الذى اختاره لنفسه، إنه طريق الجهاد. وأمام هذا الإصرار حقق ما أراد من الالتحاق بالمجاهدين وكان دائمًا يقول لإخوانه: (إن الجنة تنادينى)، ولقد أجاب فتحى رحمه الله نداء الجنة، فكان أول شهيد تقدمه الكتيبة ولم يمض على وصوله إلى أرض فلسطين سوى يومين اثنين.

***

(١) انظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ١٢٥.

عمر عثمان بلال [1]

١٩٤٨/٥/١٣



أحد المتطوعين من الإخوان المسلمين فى مصر، اشترك فى أول معركة يخوضها المجاهدون ضد اليهود فى الهجوم على مستعمرة كفارديروم.

كان رحمه الله أحد الفدائيين الذين كلفوا بتدمير الأسلاك الشائكة بألغام (البنجالور) غير أن حملتها أصيبوا جميعًا، وازدادت نيران الأعداء غزارة، وفجأة تقدم شاب أسمر طويل وصاح فى إخوانه ليتراجعوا إلى الوراء، وتراجعت الجموع قليلاً، فقذف بنفسه على الأسلاك الشائكة المشحونة بالألغام، فانفجرت وتطايرت الأسلاك الشائكة وتطاير جسده أشلاء ممزقة معها، وفتحت السماء أبوابها لتستقبل ضيفًا جديدًا، وشهيدًا سعيدًا هو عمر عثمان بلال.

رحم الله الشهيد البطل ورزقنا الإخلاص فى طلب الشهادة حتى يصدقنا الله تبارك وتعالى كما صدقه.

لقد ضحى رحمه الله بنفسه من أجل سلامة إخوانه المجاهدين، لقد فتح لإخوانه بأشلائه ممرًا فى الأسلاك الشائكة، فتدفقت الجموع إلى المستعمرة وأخذت تحتمى من نار العدو بحفر الخنادق.

---

(١) الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ١٣١، ١٣٢.

الشهيد رفعت عثمان [1]

١٩٤٨/٥/١٣ م

قبل انتهاء معركة كفار ديروم الثانية . .

كان شهيدنا على موعد مع الشهادة . .

ولكن في صورة غريبة ، وموقف غريب . . ولكنها الشهادة تأتي على موعد ولها ألف باب وباب .

ففي أثناء المعركة . . كان قد توجه إلى المعسكر لإحضار ذخيرة بعد أن نفدت ذخيرته ، وطلب من أحد الأعراب مصاحبته كدليل . .

فاختار له طريقًا خلفيًا يمر ببيارة غير مأهولة . .

ثم ضربه الجلف المجهول برصاصة في ظهره أردته قتيلاً . .

وذلك طمعًا في الحصول على بندقيته . .

وما درى أي جناية بشعة ارتكب ، وأي شهيد بطل قد قتل . .

وانطلقت روح شهيدنا إلى بارئها راضية مرضية . . .

لتلحق بشهداء المعركة الذين سبقوا إلى لقاء الله ، ودفن جسده الطاهر بدير البلح .

رحمه الله رحمة واسعة . . وأنزله منازل الشهداء . .

***

---

(١) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين – كامل الشريف.

الشهيد على صبرى[1]

١٩٤٨/٥/٢٠م

شهيد بئر سبع . .

ولد بالإسكندرية واستشهد بفلسطين فى الدقائق الأخيرة من معركة الدبابات، يصفه لنا أحد إخوانه المجاهدين قائلاً:

سأجتهد أن أرسم لك حسب قدرتى صورة تقربه إليك، وإن كان هو أكبر من ذلك بكثير:

كان إنسانًا يعيش لآخرته، هجر حياة الناس ووضع لنفسه حياة بعيدة كل البعد من حياة الذين ظلموا أنفسهم.

عاش لكتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلم.

كان من الشخصيات التى تحمل أبدانًا تتقد بهذه الشعلة الإيمانية، وجه كالفجر المشرق الوضىء، نفس مطمئنة مشعة بالخير والطهر تواقة دائمًا إلى المثل الكامل والإخلاص المطلق، فيه إرادة للخير والصدق، فيه استقامة فى الضمير بحيث تطابق ظاهره وباطنه.

يؤثر الأعمال على الأقوال، له إرادة ماضية لا تعرف اليأس، وله عقل له ضياء ليس فيه ظلمة، لا يحل بمكان إلا ترك فيه أثرًا حسنًا، له روح تهفو للحب والطهر، يصبو إلى نور الحرية فى روضات السماء.

لا ينهض إلا للدفاع عن الحق، ثم لا ينتهى إلا بالثبات على الحق، كانت آخر خطواته على الأرض بئر السبع، ولكنها صاعدة إلى السماء، مجموعة صفات كريمة وأخلاق طيبة تحملها نفس زكية طاهرة.

هو أعلى مما وصفنا، ونحن عاجزون عن تخطيط رسم يقربك من حقيقته، فاعرفه يا أخى بروحك، ودع قلبك يتعرف إلى قلبه هناك فى هذه الأجواء الممتلئة بالإيمان والروحانية والإشراق تعرف شهيدنا، الذى خرج من بئر السبع إلى الجنة، ولقى ربه من

(١) شهداء على الطريق – حسن دوح: ٤٠– ٤٤. يحيى عبد الحليم عسلوج: ٢١-٢٣، حقيقة النظام الخاص – ٣٦٦.

أقصر طريق، ألا وهو طريق المعركة ولسان حاله يقول ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤].

وعن حاله قبيل استشهاده، يحدثنا قائده حسن دوح قائلاً: كان وجهه هادئًا رقيقًا، ينبئ عن سلام واستقرار لا حدود له، وكان ثغره باسمًا كثغر الإسكندرية التى أنبتته، أما خلقه فقد سعد به وبرفقته جميع زملائه ببئر السبع.

استيقظنا كعادتنا فى الصباح لنؤدى صلاة الفجر فى المدرسة التى كنا نعسكر فيها فى بئر السبع، وكان كعادته قد سبقنا إلى المصلى ليختم تهجده، فقد كان من عادته قيام طرف من الليل بين يدى ربه راكعًا ساجدًا داعيًا متبتلاً.

بعد أن صلينا الصبح مال على أذنى وقال لى: يظهر أن الله قد أذن، قلت: وفيم؟ قال: فى قبولى.. فإننى رأيت فى ليلتى أننى أمرح وأرتع فى حدائق شجراء تملؤها الزهور والرياحين وما أظنها إلا بشير الجنة.

لم أحاول الجدال معه، فقد كانت قسمات وجهه تحملنى على تصديق قوله، فملأت عينى من النور الذى كان يشع من وجهه وعينيه، ثم تركته وانصرفت إلى عملى.

وعن معركة استشهاده يروى قائد مجموعته المجاهد على صديق، فيقول(١):

كان العملية التى وكلت إلى مجموعتنا التى لا تتجاوز الثمانية من شباب الإخوان، هى نسف كوبرى يقع ما بين مستعمرتين يهوديتين تقعان فى فضاء بئر السبع، وكان بطل القصة على صبرى من بيننا.

خرجنا بليل نتحسس طريقنا عبر الوديان والجبال، يتقدمنا رجل من أبناء فلسطين الأوفياء هو الحاج سلامة بن سعيد، وحملنا أمتعتنا على جمل قوى فالمسافة بعيدة من الموقع.

كانت كشافات المستعمرات ترسل أضواءها القوية فى كل اتجاه، فتمزق ظلام الليل، وتكشف عن كل صغيرة وكبيرة فى بطن الوادى مما يضطرنا للتوقف طويلاً، والتخفى فى المغارات وخلف التباب.

استطعنا أن نصل إلى أرض العملية قبل بزوغ ضوء الفجر، وقمنا على الفور بحفر الخنادق ثم ثبتنا الألغام تحت الجسر وفى جنباته، ولم تطلع الشمس علينا إلا ونحن فى غيابة الحفرة بحيث نرى العدو ولا يستطيع أن يرانا.

---

(١) شهداء على الطريق - حسن دوح.

انتظرنا اليوم الأول بنهاره وليله، ولكن شيئًا لم يحدث، فانتظرنا اليوم الثانى. وقلوبنا تنبض بذكر الله وألسنتا لا تكف عن الدعاء.

وكان اليوم الثالث وهو يوم الجمعة، يومًا تاريخيًا فى حياتنا، ويومًا فاصلاً فى حياة الشهيد على صبرى، فقد أطلت علينا مصفحة ضخمة للعدو، كأنها قطعة من الجبل، وما أن مست الجسر (الكوبرى) حتى زلزلت الأرض من تحتها وانشقت إلى نصفين، وهوت المصفحة الملعونة من عليائها إلى بطن الوادى.

أما نحن فكاد انفجار اللغم يقتلعنا من أماكننا، وأخيرًا قررنا إرسال مجموعة القنابل التى كان يقودها الشهيد على صبرى لتقصف المصفحة بقنابلها الشديدة الانفجار، كل هذا والمصفحة صامتة مستسلمة، فاقتربنا منها الهوينى حتى تمكنا من الوثوب على ظهرها فوجدنا جميع من بها قد هلكوا فانتزعنا سلاحهم، وعدنا على عَجَل إلى خنادقنا، ثم اتصلنا عن طريق اللاسلكى بقائدنا محمود عبده ليرسل إلينا نجدة تساعدنا على الانسحاب لأننا كنا نتوقع هجومًا انتقاميًا تشنه علينا المستعمرات المجاورة.

وحدث ما توقعناه فقد هجم علينا العدو بقوة كبيرة فى محاولة للالتفاف حولنا وتطويقنا، وأرسلوا علينا وابلاً من نيرانهم فلم نرد عليهم فظنوا أننا أفلتنا من قبضتهم، فتجمعوا فى عربات نقل الجنود، وكانت فرصة هيأتها لنا قوات عدونا فأخذنا نتصيدهم واحدًا تلو الآخر.

أصدرت أوامر لقواتنا بالانسحاب، فالعدو قد تكاثر علينا وخشينا أن يتمكن من عزلنا عن قواتنا الرابضة فى بئر السبع، وبدأت عملية الانسحاب وكان شاقة للغاية، وهنا كانت السماء قد تفتحت عن آخرها لتستقبل منها خير رجالنا "الشهيد على صبرى" فقد تمكن أحد قناصة اليهود من إصابته وهو يحمى انسحابنا.

وأخيرًا و صلت النجدة وولى اليهود الأدبار فارين، فجمعنا رجالنا وحملنا شهيدين بين أيدينا وعدناس إلى بئر السبع.

إلا أننا اجتمعنا فى مسجد بئر السبع فى ظهر يوم الجمعة ومن حولنا أبناء البلدة الباسلة لتودع ابن الإسكندرية الذى ترك دنياها المترفة وشواطئها الفاتنة، ودفع بشبابه الطاهر إلى الموت فى سبيل الله ورضى بتراب بئر السبع له مدفنًا، سعد به التراب، وفرحت به ملائكة السماوات، رحمه الله ورحمنا جميعًا.

الشهيد أنور الصيحى [1]

١٩٤٨/٥/٢٠م

الشهيد الضابط أنور الصيحى . . شهيد معارك بئر سبع، ضابط فى الجيش المصرى برتبة ملازم أول بسلاح المدفعية، وجندى فى دعوة الإخوان المسلمين المباركة.

وعندما اشتعلت الأحداث فى فلسطين عام ١٩٤٧ على إثر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين - وعندها أعلن عن فتح باب التطوع للجهاد فى فلسطين، وافتتحت الجامعة العربية معسكراً لتدريب المتطوعين فى معسكر الهايكستب - والتحق بهذا المعسكر عدد كبير من شباب الإخوان الراغبين فى الجهاد. وما كان لضباط الجيش من الإخوان ومحبيهم أن يقفوا موقف المتفرج من تلك الأحداث، فتقدم عدد منهم بطلبات لقيادة الجيش للسماح لهم بالانضمام لقوات المتطوعين ووافقت قيادة الجيش وتمت إحالتهم إلى الاستيداع، ومن هؤلاء الأبطال اليوزباشى عبد المنعم عبد الرءوف والملازم أول معروف الحضرى وشهيدنا الملازم ثان أنور الصيحى.

ووصل شهيدنا مع قائده أحمد عبد العزيز إلى العريش فى ٢٦ أبريل ١٩٤٨ ومعهم عدد من المدافع التى استطاعوا الحصول عليها من قيادة الجيش، ثم استقرت القوات فى خان يونس وكان يتولى قيادتها البطل أحمد عبد العزيز، ويقوم شهيدنا أنور الصيحى بدور مساعد لقائد المدفعية الهاوتزر.

وفى ١٣ مايو ١٩٤٨ شهد مجاهدنا الكريم معركة كفار ديروم الثانية، وكان مسؤلاً فيها عن تحديد وضبط أجهزة المدفعية الهاوتزر، وشاء الله أن يكتب له النجاة فيها رغم عدد الشهداء الكبير الذى سقط فى ال معركة، ثم انتقل بعدها مع قوات الإخوان المتطوعين إلى معسكر البريج بغزة، ثم صدرت إليهم الأوامر باعتبار قوات المتطوعين قوات متنقلة خفيفة تنتقل بسرعة أمام الجيش وتقوم بالأعمال الفدائية، ومن ثم سارت فى اتجاه بئر سبع عبر صحراء النقب.

---

(١) ٢٥ عاماً فى جماعة ـ حسن دوح ـ ص ٣٧.

فى قافلة الإخوان / ٣ - عباس السيسى ص ١١٦ ، نقلاً عن جريدة الإخوان المسلمين.

وفى صباح يوم ٢٠ مايو ١٩٤٨ اتجهت أطقم المدفعية فى اتجاه مستعمرة بيت إيشل المواجهة لمدرسة بئر سبع، واستمرت المدفعية فى دك المستعمرة لمدة ساعتين متواصلتين حتى التاسعة صباحًا حيث كان شهيدنا أنور الصيحى على موعد مع الشهادة، إذ أصابته طلقة طائشة فى جبهته واستشهد على إثرها، ودفن فى بئر سبع.

وبعدها صدرت النشرة العسكرية تحمل اسم شهيدنا المبرور فى قائمة شهداء الجيش المصرى فى فلسطين، وكان قد سبقها صدور قرار بترقيته إلى رتبة (يوزباشى) وذكره بعض ضباط الجيش الذين عايشوه فى تلك الفترة، كالمجاهد الفريق عبد المنعم عبد الرءوف والضابط خالد محيى الدين فى مذكراته التى نشرت أخيراً، رحمه الله رحمة واسعة، وأنزله منازل الشهداء.

***

حسن العزازى[1]



مجاهد شرَّفه الله بالانتساب إلى جماعة الإخوان المسلمين، وهو من إخوان العريش، شارك فى معركة دير البلح، لقد انطلق هو وإخوانه المجاهدون إلى أهدافهم وقد علت وجوههم إشراقة الإيمان وكانوا ينشدون نشيد جوالة الإخوان:

هو الحق يحشد أجناده ويعتد للموقف الفاصل

فصفوا الكتائب آساده ودكوا به دولة الباطل

وكانوا رأس حربة بالنسبة للهجوم، وكتب الله لهم النصر بعد أن استشهد منهم عدد كبير وجرح كذلك، ومن الذين جرحوا فى هذه المعركة الشهيد حسن العزازى، فقد أصيب بجرح بليغ فى كتفه، فلم يتراجع، بل ظل يتابع هجومه حتى وصل إلى نتوء بارز فى مواجهة العدو وأخذ يمطرهم بوابل من رصاص رشاشه حتى أسقط منهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى، مما اضطرهم إلى تركيز نيرانهم عليه، فأصابته عدة طلقات فى مواضع مختلفة فى جسمه، فسكت مدفعه وصعدت روحه إلى بارئها.

***

(١) انظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ٢٤٢.

على الفيومى [1]



كان أحد المجاهدين المتطوعين من الإخوان المسلمين بمصر، توجه مع إخوانه ليقوم بالواجب، واجب الدفاع عن فلسطين لتبقى إسلامية طاهرة مقدسة من الأدناس والأرجاس، وشارك رحمه الله فى معركة على الحدود المصرية الفلسطينية، وبعد صلاة الفجر وسماع جزء من سورة الأنفال قامت معركة مع اليهود، فهب بحمل السلاح يقاتل اليهود قتالاً شرساً وأبلى بلاء حسناً، وكان رحمه الله يطوف على إخوانه المجاهدين فى ابتهاج واضح مذكراً إياهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأهل بدر من صحابة رسول الله: والله لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة).

لقد التحم الإخوان المجاهدون مع اليهود فى هذه المعركة الحدودية فاستشهد منهم من استشهد وأسر من أسر، ومن الذين أسروا المجاهد على الفيومى.

ومن الجدير بالذكر أن اليهود كانوا يقتلون كل واحد من الإخوان المسلمين يقع فى الأسر. وكان لمجاهدنا لحية خفيفة تدل على أنه من جماعة الإخوان المسلمين، فقتلوه بعد أن علموا أنه من هذه الجماعة، فمات شهيداً سعيداً.

* * *

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون ص ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٦.

أحمد عبد العزيز [1]

قائد من قادة المجاهدين، وعلم من أعلامهم البارزين فى فلسطين، ضابط فى الجيش المصرى، حصل على مرتبة البكباشية فيه، ولما دعا داعى الجهاد، وعلا صوت النفير سارع فلبى النداء هو ومجموعة من الضباط فى الجيش المصرى.

لقد قرر رحمه الله وإخوانه الضباط ترك الجيش المصرى الرسمى والانخراط فى سلك الجهاد الشعبى التطوعى فى فلسطين، فكان له ما أراد، إذ تسلم القيادة العامة لقوات المتطوعين فى الجبهة الجنوبية لفلسطين.

كان رحمه الله يتمتع بشخصية قوية مؤثرة محبوبة بين المجاهدين، وكانت هذه الشخصية ترتكز على خصلتين يندر أن تجتمعا فى غيره رحمه الله[2]:

أولاهما: جرأة خارقة وولع شديد بالمغامرة.

ثانيتهما: اعتزاز بشخصيته واعتداد بقدرته وكفاءته.

بل وصل به إلى حد التهور، وكان كثيراً ما يعرض نفسه لأخطار شديدة حتى أشفق عليه ضباطه، فلم يكن يجيبهم إلا بكلمة واحدة ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ٥١].

وكان رحمه الله ذا دين وخلق، يعتز بدينه، ويجاهد فى سبيل الله دفاعًا عن إسلامية فلسطين، يلمس هذا التوجه عنده من عاشره وعايشه وعمل فى خدمته، ومن قرأ مذكراته التى لم تتم عن جهاده وجهوده فى فلسطين[3].

فقد وجه فور تسلمه لمنصبه البيان التالى للمتطوعين المجاهدين، كما وزع هذا البيان على أهالى فلسطين، وبخاصة المناطق التى جاهد فيها[4]:

(١) انظر: أسرار حرب ١٩٤٨ص ٢٧٦-٢٩٤ والإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ١٢٧-١٢٩-١٣٤، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٨-١٤٩، ١٦٢-١٦٣ والإخوان المسلمون فى معارك فلسطين ص ١٤٠ ونكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ٣/ ٧١٧، ٧٢٣، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤٢، ٧٤٣، ٤/ ٧٩١، ٨١٣، ٩١٤.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ١٢٧-١٢٨.

(٣) انظر: أسرار ١٩٤٨ ص ٢٨١-٢٩٣.

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٦.

من القائد العام لقوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين إلى المتطوعين : أيها المتطوعون: قبل أن نتحرك إلى جبهة القتال يجب أن نؤمن تمامًا بالغاية النبيلة التى نحارب من أجلها، إننا سنقاتل اليهود بفلسطين لأنهم قوم جحدوا نعمة الله عليهم وإحسان المسلمين إليهم الذين تركوهم بينهم ينعمون فى بلادهم ويثرون ويتكاثرون حتى إذا ما أنسوا فى أنفسهم بعض القوة غدروا بالمسلمين وشرعوا فى اغتصاب أقدس ما لديهم وهو وطنهم العربى وتراثهم الإسلامى.

إننا نحارب دفاعًا عن تراث العروبة ودرءًا لخطر جسيم يهدد كيان الدول العربية ومستقبلها. نحن نحارب فى سبيل الله لأننا لا نبغى استعمارًا بل نريد أن نمنع أشنع خيانة وأفظع نوع من أنواع الظلم الذى لم يجد التاريخ مثيلاً له. نحن نحارب عدواً غادراً خائنًا خبيثًا يقتل ويمثل بالأبرياء الذين آووه وتسامحوا معه كثيراً.

نحن نحارب لحماية بلادنا وأولادنا وأحفادنا وأعراضنا وآمالنا فى المستقبل من خطر اليهود الذى لا يضاهيه خطر فى الشرق.

أيها المتطوعون:

إن حربًا هذه أهدافها هى الحرب المقدسة وهى الجهاد الصحيح الذى يفتح أمامنا أبواب الجنة ويضع على هامتنا أكاليل المجد والشرف.

ولا تنسوا أن هذه الأراضى التى سنحارب عليها قد حارب أجدادنا عليها فى عصور مختلفة وسجلوا لنا مجداً عظيمًا خالداً، فلنرد هذا المجد الأبدى ولنخش غضب الله وكلمة التاريخ إذا نحن قصرنا فى أمانة هذا الجهاد العظيم.

القائد العام لقوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية لفلسطين

الحدود المصرية فى أول مايو ١٩٤٨

وبعد دخوله فلسطين نشر قواته فى بئر السبع وغزة والخليل وبيت لحم وصور باهر قريبًا من القدس، وأخذ يهاجم المستعمرات اليهودية فى هذه المناطق، وأوقع فيه خسائر فادحة، وأرعب اليهود، وكان له صلة وثيقة بقيادة جيش الجهاد المقدس المتمركز فى القدس، كما كان له صلة جيدة بالقائد عبد الله التل الذى كان يقود كتيبة من الجيش الأردنى ترابط فى منطقة القدس، إذ كان يجرى التنسيق بينهما والتعاون أثناء المعارك

بينهم وبين اليهود، وقد أشاد القائد عبد الله التل بهذه العلاقة، وامتدح الرجل بعد اتصاله به وتعامله معه.

ومما يذكر أن القائد المجاهد أحمد عبد العزيز حينما قرر أن يحتل المستعمرة اليهودية رامات راحيل لموقعها العسكرى المهم إذ تطل على طريق القدس - بيت لحم وفوق بلدة صور باهر، تعاون معه القائد عبد الله التل وجنوده فاحتلوها بعد أن دمروا قسمًا كبيرًا من مبانيها وأبراجها وحصونها، وقتلوا من مقاتلى اليهود أكثر من سبعين جنديًا يهوديًا.

وعندما علم العميد الإنجليزى قائد الفرقة الأردنية باشتراك سرية من الجيش الأردنى فى احتلال المستعمرة اليهودية دون علمه أرسل إلى اللواء أحمد الجندى قائد اللواء الرابع كى يأمر الجنود الأردنيين بالانسحاب من المعركة ليلاً دون التشاور مع القيادة، وتم الانسحاب ليلاً مما جعل العدو يعود ثانية لاحتلال المستعمرة، وقد بلغ عدد الشهداء العرب اثنين وثلاثين شهيداً منهم تبسعة من المجاهدين المصريين وعشرة من الأردن وثلاثة عشر من مجاهدى فلسطين(١).

استشهاده(٢):

نشرت الأهرام بعددها الصادر يوم ٢٢ من أبريل ١٩٨٤ فى صفحتها الخامسة مقالاً للضابط محمد حسن التهامى نائب رئيس الوزراء برئاسة الجمهورية توضيحًا لمقتل البطل أحمد عبد العزيز الذى سبق الحديث عنه فى هذا الكتاب، فقال تحت عنوان (إخلاء الأرض من أقوى العناصر فى مواجهة اليهود):

استدعت القيادة المصرية بأوامر من القاهرة البطل أحمد عبد العزيز ليترك الجبهة التى كان يسيطر عليها تمامًا بقواته لينزل إلى القاهرة للقاء مهم مع القيادة السياسية فى مصر، ومع الملك فاروق نفسه كما قيل. وكان أحمد عبد العزيز فى حالة من الغضب لما يجرى من تواطؤ فى هذه الحرب لصالح إسرائيل، ونزل فى ذلك اليوم المشهود فى سيارة جيب يقودها الصاغ صلاح سالم (الرائد)

---

(١) انظر: أسرار ١٩٤٨ ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) الإخوان المسلمون فى معارك فلسطين ص ٣٥٦-٣٥٧.

حينئذ بجواره، ومن خلفهما الجندى السائق. وأثناء دخول أحمد عبد العزيز إلى مواقع الكتيبة السادسة مشاة فى عراق المنشية والتى كان جمال عبد الناصر أركان حربها قتل أحمد عبد العزيز فى سيارته برصاصة أصابته وحده. ووصل إلى المجدل حيث فارق الحياة ولم يتم لقاؤه بالقيادة السياسية فى مصر. واختفى عن مسرح العمليات العسكرية التى كان يعمل لها موشى ديان ألف حساب، ويخشاها أكثر من خشيته لكل القوات العربية المقاتلة فى فلسطين عام١٩٤٨م. فهل كان استدعاؤه مصادفة؟ أو إبعاده عن ميدان القتال مصادفة؟ ثم استشهاده على هذا الحال ـ ألم يكن هذا كله حلقة من حلقات حرب فلسطين.

***

الشهيد عبد الوهاب البتانونى[1]

١٩٤٨/٧/١٧م

كلما نظرت إلى وجه عبد الوهاب البتانونى أرى دماء الشهادة تترقرق فى وجهه . .

فراسة صادقة . . وكلمات معبرة . . وشهادة غالية . . نطق بها داعية الإخوان بطنطا الشيخ البهى الخولى ، وصدقت الأيام فراسته وتوسمه ، فاختار الله صاحبنا الكريم شهيداً .

فمن عبد الوهاب البتانونى؟

إنه الطالب بمعهد طنطا الثانوى الأزهرى ، وأحد شباب الإخوان المسلمين ، ويعد من أحد شهدائهم .

أيكفى هذا؟

إذن فاعلم أنه كان زميلاً وحبيبًا للطالب يوسف القرضاوى ، داعية الإخوان المسلمين الشاب ، والعالم الفقيه الأديب الداعية عميد كلية الشريعة بقطر من بعد ، وهو شاهدنا الذى يروى طرفًا من قصة حياة شهيدنا الكريم ، فيقول (إنى لا أنسى الأخ الحبيب النقى عبد الوهاب ، زميل الدراسة فى معهد طنطا الثانوى ، وشوقه العارم إلى الجهاد فى فلسطين ، حتى أصبح ذلك حلم ليله وشغل نهاره وكان يمنعه من تحقيق رغبته الصادقة مانعان :

الأول : أمه التى تحبه كل الحب ، وتحنو عليه أعظم الحنو ، ولا سيما بعد وفاة والده رحمه الله ، وهى لا تطيق فراقه بالبعاد فكيف بالموت لو كان؟ ولهذا لم تأذن له ولم ترض عن تطوعه فى كتائب الإخوان ، وهو حريص على برها ورضاها ، ولا يحب أن ينفر للجهاد بغير إذنها ورضاها .

ولهذا صحبنا إلى والدته لنحدثها عن فضل الجهاد ومنزلة المجاهدين وقصص أبطال المسلمين وموقف أمهاتهم منهم ، وما زلنا بها حتى أذنت له ، وعيناها تدمعان ، بما يحلم به ويصبو إليه .

---

(١) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا - يوسف القرضاوى - ٤٠ ، ٤١ .

المانع الثانى: قرار مكتب الإرشاد للإخوان بعدم السماح لطلاب المرحلة الثانوية بالتطوع نظراً لصغر سنهم.

وهنا رجانا الأخ البتانونى أن نسافر من طنطا إلى القاهرة لمقابلة المرشد العام والإلحاح عليه لقبوله فى كتائب الجهاد.. وبخاصة أن أمه قد أذنت له، وسافرنا أنا والأخ أحمد العسال والأخ محمد الصفطاوى، وقابلنا الأستاذ البنا، وعرضنا عليه الأمر، وما زلنا به حتى قبل ووافق على سفره وكاد صاحبنا يطير فرحًا بهذه النتيجة.

وسافر شهيدنا إلى ميدان الجهاد فى فلسطين، وهناك فى قرية العسلوج ببئر سبع كان موعده مع الشهادة.

كانت قرية العسلوج تشرف على طريق رئيسى، ونظراً لقلة عدد المجاهدين فقد ترك بها اليوزباشى عبد المنعم عبد الرءوف قوة صغيرة بقيادة الشهيد عبد الوهاب البتانونى ومعه الأخ رشاد محمد زكى والأخ الشهيد محمود حامد طاهر.

فانتهز اليهود الفرصة، وفى أول يوم من أيام الهدنة هجموا على القرية واحتلوها، وكان الإخوة الثلاثة فى مخزن الذخيرة ولما تيقنوا أن اليهود قد احتلوا القرية، وشعروا بهم يحاولون اقتحام المخزن، وكانت لحظة حاسمة، واتخذ القرار دون تردد، اتفقوا على نسف المخازن لحظة اقتحام العدو لها واختبأوا خلف كومة من صناديق الذخيرة.

وحين امتلأ المخزن بجنود العدو المزهو بالنصر أشعل الشهداء الثلاثة صناديق المفرقعات وفى لحظات استحال البناء الضخم كومة من الأنقاض، وارتفعت أرواح ثلاثة من كرام الشهداء فتحت لهم أبواب السماء، فى نفس الوقت الذى استقبلت فيه دركات الجحيم أرواح خبيثة ليهود صهاينة لقوا حتفهم على أيدى شهدائنا الأبرار؟

***

مكاوى محمد مصطفى [1]

١٧/١/١٩٤٩م



مجاهد من مجاهدى الإخوان المسلمين الذين انتسبوا إلى شعبة العريش بسيناء، كان رحمه الله تعالى من المجاهدين النشطين الذين يجوبون منطقة سيناء. بعد انسحاب الجيش المصرى من القرى المصرية كالقصيحة والحسنة والكنتلا واستيلاء اليهود عليها.

فقد وكل إلى نفر من الإخوان المجاهدين تطهير المناطق الحدودية التى يعيش فيها اليهود، وبخاصة الطريق الذى يوصل بين العريش وأبو عجيلة. وكان هؤلاء الإخوان المجاهدون لا يرهبون من اليهود، فيسيرون الدوريات العسكرية المستمرة وكانت تصطدم مع اليهود ويسقط من الإخوان الشهداء والجرحى.

ومن هؤلاء الذين سقطوا شهداء الأخ المجاهد مكاوى محمد مصطفى. إذ كان يركب سيارة مع نفر من المجاهدين فأبصرتهم طائرة يهودية فتعرضت لهم بوابل من الرصاص فواجهوها بسيل من رصاص رشاشاتهم التى لم تصمم لمواجهة الطائرة وإسقاطها، وهذا كل ما يملكون.

وفى هذه المعركة أصيب المجاهد الأخ مكاوى محمد مصطفى برصاصة كانت قاتلة، فنقل إلى إحد المستشفيات وهناك أسلم الروح إلى باريها، كان ذلك فى السابع من شهر يناير سنة ١٩٤٩م.

***

(١) انظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ٢٧٦، ٢٧٧.

مختار منصور(١)

١٩٤٧م

أحد المتطوعين من جماعة الإخوان المسلمين التى نذرت رجالها للدفاع عن فلسطين، وهاجر رجالها إلى الله ورسوله للجهاد والاستشهاد. لقد عاهد مجاهدنا الله أن يجاهد دفاعًا عن أرض الإسراء والمعراج، فتسلل إلى فلسطين مشيًا على الأقدام من جملة الذين تسللوا إلى فلسطين قبل نهاية الانتداب البريطانى، ووصل إلى مدينة يافا، وشارك فى المعارك التى دارت حولها بين اليهود والمجاهدين، وفى إحدى هذه المعارك وقع أسيرًا فى قبضة اليهود.

لقد كان اليهود يخافون خوفًا شديدًا من المجاهدين من الإخوان، وترعبهم كلمة الله أكبر، وكانوا حاقدين أشد الحقد على الإخوان، يعتبرونهم مجرمى حرب، وبناء على ذلك لا يعاملونهم معاملة الأسرى، بل كانوا يقتلونهم ويشوهونهم ويمثلون بهم.

وما وجده مجاهدنا البطل مختار منصور خير دليل على ذلك. فقد حملت لنا الأخبار أنه لما وقع فى الأسر، وعلم اليهود أنه من الإخوان المسلمين من البطاقة التى يحملها ومن لحيته الخفيفة التى كانت تستدير حول وجهه، استلوه من بين الأسرى وأطلقوا النار عليه أمام الأسرى.

رحم الله شهيدنا رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ورزقنا الشهادة فى سبيله... إنه نعم المولى ونعم النصير ونعم المجيب.

***

(١) انظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ٦٢.

محمد سلطان

١٩٤٨م

هو من الإخوان المسلمين المجاهدين الذين تطوعوا للقتال فى فلسطين ضد العصابات الغازية من يهود الشرق والغرب، وهو من محافظة الشرقية بمصر.

كان أحد المجاهدين المهاجمين لمستعمرة كفارديروم اليهودية فى النقب، وهى تقع على الطريق الموصل بين فلسطين ومصر، قريبًا من الحدود المصرية. وهى مستعمرة حصينة محاطة بالأبراج الشاهقة للمراقبة، قد زرع اليهود الأرض المحيطة بها بالألغام الكثيفة وأحاطوها بالأسلاك الشائكة، ووضعوا فيها نخبة من رجال الهاجانا، وفرقة البالماخ الفدائية.

لقد هاجم المجاهدون من الإخوان المسلمين هذه المستعمرة فى الصباح الباكر، ونجحوا فى المرور خلال الألغام عبر ممرات أعدوها طوال الأسبوع الذى سبق المعركة، واجتازوا عوائق الأسلاك الشائكة بعد الألغام دون أن ينتبه حراس المستعمرة من اليهود إلى شىء من ذلك، ولم ينتبهوا إلا على صوت انفجار هائل أطاح بأحد مراكز الحراسة، ثم بدأت المعركة داخل الخنادق وعلى أبواب الأبراج.

لقد أبدى الإخوان فى هذه المعركة من ضروب البطولة والفدائية ما لا يمكن حصره وتصويره، ومن هؤلاء الشهيد محمد سلطان، فعلى الرغم من غزارة الرمى وشراسة القتال أخذ يزحف على بطنه حاملاً لغمًا هائلاً يريد وضعه فى أحد مراكز الحراسة فى هذه المستعمرة اليهودية، ولكن الحراس فى المستعمرة ينتبهون إليه وهو على بعد خطوات من هدفه، فيطلقون عليه رصاصات تصيبه فى ذراعه، وتعجزه عن المضى فى زحفه نحو هدفه ولكنه يتحامل على نفسه، ويزحف بصعوبة والدماء تنزف من جراحه والرصاص يتناثر من حوله، ويظل يجاهد بعناد حتى يقترب من هدفه فيشغل اللغم فينفجر، ويدمر مركز الحراسة، ويقضى على البطل الفذ ليلاقى ربه شهيداً.

رحم الله شهيدنا رحمة واسعة وجزى الله هؤلاء المجاهدين عنا خير الجزاء.

محمد عبد الخالق يوسف [1]

١٩٤٨/٤/١٠م



أحد المتطوعين من الإخوان المسلمين المصريين، خرج وأبوه مجاهدَيْن فى سبيل الله إلى فلسطين، وكان أبوه يعمل مزارعًا فى بلدة قويسنا بالمنوفية. فترك الزراعة وهاجر إلى الله ورسوله يجاهد اليهود ويطهر أرض الإسراء من رجسهم.

لقد شارك هو وأبوه فى أول معركة حدثت بين المجاهدين واليهود بالقرب من دير البلح. لقد اغتسل جميع الجنود فى هذه المعركة استعداداً للموت ومقابلة الحور العين فى الجنة، وصلوا على أنفسهم صلاة الموت التى صلاها خبيب بن عدى قبل أن يقتل، ثم تلوا آيات من كتاب الله تبارك وتعالى، واندفعوا بعد ذلك يقطعون الأسلاك الشائكة التى تحيط بالمستعمرة اليهودية ثم باغتوا العدو بهجوم عنيف لم يتوقعه مما اضطره إلى الاستغاثة بالجيش البريطانى، فحضرت الدبابات وأخذت ترفع الألغام التى وضعها المجاهدون وفصلت بين القوتين.

لقد استشهد فى هذه المعركة اثنا عشر شهيداً من مجاهدى الإخوان المسلمين وجرح خمسة آخرون، وكلهم لم يتجاوزوا الخمس والعشرين من أعمارهم، وليس من بينهم واحد أصيب فى ظهره.

وكان من بين هؤلاء الشهداء الشاب المجاهد محمد عبد الخالق يوسف الذى كان يقاتل مع أبيه وبجواره فى نفس المعركة، لقد أصيب الولد وسقط شهيداً ورآه أبوه، فلم يضطرب أمره ولم يتوقف عن القتال، بل استمر يقاتل اليهود حتى نهاية المعركة، لم ينتظر والده الحاج عبد الخالق حتى يشيع جنازة ولده بعد نهاية المعركة، بل ذهب مع ابن أخيه الجريح أحمد يوسف إلى مستشفى غزة.

---

(١) انظر: حسن البنا.. مواقف فى الدعوة والتربية ٢٧٤-٢٨٠.

ولما عاد إلى المعسكر، وجاء إخوانه المجاهدون يعزونه فقال لهم عندما قالوا له : إننا نعزيك : كلا بل هنئونى هنئونى، إننى سأبقى هنا لأنال بعض الشرف الذى ناله ابنى، ووقف يتقبل تهانى المجاهدين وكأنه يزف ولده إلى عروسه ليلة عرسه وقد بلغ العشرين من عمره.

لقد كتب الأستاذ حسن البنا رحمه الله فى أعقاب هذه المعركة يقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. لابد من امتحان لحقيقة إيمان المؤمنين، ودعوى الإيمان وحدها لا تكفى فى كثير ولا قليل، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

وهذا ناموسُ الله لا يتغير، وسنته لا تتخلف: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وكلنا مؤمنون بحكم الوراثة..

ولكن هذا لا يكفى، حتى يقف المرء وجهًا لوجه أمام حقائق الإيمان العملية، وأوضح هذه الحقائق: ما اتصل بالجهاد والشهادة والموت فى سبيل الله، والعزوف عن متاع الحياة الدنيا، إيثاراً لما عند الله.

وهؤلاء الشهداء الاثنا عشر... قد أوقفونا نحن الإخوان.. وأوقفوا أسرهم الكريمة وأوقفوا الأمة المصرية كلها.. أمام حقائق الايمان وجهًا لوجه...

فيا أيها الإخوان المسلمون، أنتم وأسركم المتصلون بكم: لقد عاهدتم الله على الإيمان الكامل بكل حقائقه ومقتضياته، ولقد كان، وسجلوا عليكم هتافكم، وعرف الناس عنكم ذلك فى كل المدن: الجهاد سبيلنا.. والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا.

***

الأخوان الشهيدان
محمد وعبد الوكيل حسن العنانى
١٩٤٨/٥/١٣م

الأخوان الشهيدان. . . وهكذا يعيد لنا أبناء دعوة الإخوان سيرة الصحابة الأبرار، حين كنا نسمع ونقرأ عن الشهداء الأشقاء، كأبناء الخنساء الصابرة الراضية، وهكذا يعيد لنا الآباء الصابرون، سيرة السلف الصالح، فى الصبر والرضا.

وكنا على موعد مع هذه السيرة العطرة، فى معركتنا هذه؛ معركة كفار ديروم الثانية بدير البلح والتى اشترك فيها الشقيقان الكريمان، وأثناء المعركة أصيب الشهيد محمد حسن العنانى فى فخذه، فلم يتمكن من وضع طوربيد البنجالور تحت الأسلاك الشائكة لنسفها وفتح ثغرة فيها كما كان مكلفًا من قبل إخوانه.

ونزف نزفًا شديداً من هذه الإصابة تلطخ بسببه سرواله الكاكى فأصبح جميعه بلون الدم، فاستغاث بشقيقه عبد الوكيل بصوت منخفض، وكان من رماة البرن، فبدأ يتحرك نحوه رغم ما فى ذلك من مخالفة عسكرية، حيث لا يصح الاقتراب من المصاب أثناء المعركة، لأن موقع المصاب أصبح مكشوفًا للعدو.

وبدأ عبد الوكيل بالزحف للخلف بعض الشىء، وسحب بندقية شقيقه وسلمها لقائد الفصيلة الذى لم يكن مسلحًا ببندقية بل كان معه مسدسًا، وحاول محمد التحرك ولكنه لم يستطع بسبب نزيف جرحه وآلامه فلم يتحمل شقيقه عبد الوكيل المشهد واندفع بعاطفته نحو أخيه، فأصابته دفعة من الطلقات أردته شهيداً فى الحال.

وكان استشهاد الأخوين تحقيقًا لرؤيا صالحة رآها أبوهما الصالح، فتحققت كفلق الصبح، وكان قد رآهما مجتمعين فى الجنة.

ولما ذهب الإمام الشهيد حسن البنا لمواساة الأب الصالح، رد عليه قائلاً: لو أردت ولدى الثالث لأرسلته فوراً إلى ميدان الجهاد.

وكان موقفًا، رجع بالقلوب والنفوس إلى ذكريات الصحابة الكرام فى صدر الإسلام، وها هو يتجسد الآن فى ذلك الأب المؤمن الصابر المحتسب.

تقبل الله من شهيدينا جهادهما وأنزلهما منازل الشهداء، وتقبل من الوالد الصالح صبره واحتسابه، وجمعه بهما فى مستقر رحمته، آمين.

الشهيد سيد حجازى [1]

١٩٤٨/٧/١٩م

لحق شهيدنا سيد حجازى بأخيه الشهيد عيسى إسماعيل عيسى، وفى منطقة قريبة من منطقة استشهاده، بالقرب من قرية (أبو معيلق).

وقد استفاد الإخوان من غدر اليهود فى منطقة أبو معيلق، حيث كانت إحدى القوافل اليهودية تمر قريبًا من مضارب البدو، وكان الإخوان قد لغموا هذا الطريق، فانفجرت الألغام فى هذه القافلة، وظن اليهود السوء بالبدو، فغدروا بهم وأخذوا يطلقون عليهم النار، ولكن قوة من الإخوان كانت مستعدة عن قرب، فهاجمت مؤخرة اليهود حتى أرغمتهم على الهرب إلى مستعمراتهم.

والتحم البدو المجنى عليهم بالإخوان لما رأوا جسارتهم، فقام الإخوان على تدريبهم على القتال، وكان الأخوة «على صديق» و «نجيب جويفل» و «حسن عبد الغنى» وغيرهم يتناوبون على تدريبهم، ثم قام الإخوان بتشكيل مجموعة منهم للتطوع فى القتال، وفتحوا باب التطوع للآخرين، فانهال عدد كبير من الشباب البدو، وكون الإخوان منهم عدداً من السرايا المقاتلة أشرف على تدريبها الأخ نصر الدين جاد.

وحينئذ أقام الإخوان فى المنطقة موقعًا حصينًا فوق تل مرتفع يشرف على مساحات واسعة من الأرض، وأحاطوه بالأسلاك والألغام، وزودوه بالأسلحة والعتاد، وأشرف قادة المعسكر على تنظيم دوريات مسلحة تخرج بمعونة البدو، وتتعرض لقوافل التموين اليهودية فتدمرها وتقتل الكثيرين ممن فيها، مما اضطر اليهود إلى مهاجمة الموقع أكثر من مرة بمصفحاتهم غير أنهم لم يفلحوا فى اقتحامه.

وفى صبيحة يوم ١٩/ ٧/ ١٩٤٨م حشدوا قوات كبيرة من جميع المستعمرات القريبة ومهدوا لهجومهم بضرب شديد من مدفعيتهم ثم تقدموا تحت حماية المصفحات.

---

(١) ٢٥ عامًا فى جماعة - حسن دوح - ص ٣٧ . فى قافلة الإخوان / ٣ - عباس السيسى ص ١١٦ نقلاً عن جريدة الإخوان المسلمين.

وقد تصدى لهم إخوان المعسكر بقيادة الأخ «محمد الفلاحجى» من إخوان الدقهلية وأحاطوا بهم وسط التلال المتناثرة على مقربة من قرية «أبو معيلق» وأوقعوا بهم خسائر فادحة وأرغموهم على التقهقر بعد تدمير عدد من المصفحات .

وقد استشهد فى هذه المعركة المجاهد «سيد حجازى» وجرح فيها قائد المعسكر الأخ «محمد الفلاحجى».

***

الشهيد مكاوى سليم على

٢٠/١٠/١٩٤٨م



وقد استشهد الأخ مكاوى سليم على، من الزقازيق، والسيد محمد قارون، من المنصورة، وإبراهيم عبد الجواد، من الفيوم رحمهم الله رحمة واسعة فى معركة تبة الإخوان التى كانت تسمى تبة اليمن فأطلق عليها تبة الإخوان.

وقائعها:

حاول اليهود الهجوم على (صور باهر) غير أن هجماتهم المتكررة تكسرت تحت تحصينات الإخوان القوية، فقرروا الاستيلاء على المرتفعات المجاورة، للانقضاض منها على (صور باهر) وعلى قيادة القوات الخفيفة فى بيت لحم، وحشدوا حشودهم لهذا الغرض.

فأرسل الأخ محمود عبده قوة كبيرة لتقوم بهجوم مضاد، تستعيد به تبة «اليمن» التى كانت أولى المرتفعات التى احتلها اليهود، وعين لقيادة هذه القوة الملازم أول خالد فوزى.

وقد نجح الإخوان فى الهجوم الذى شنوه على اليهود الذين تراجعوا بعد مقاومة شديدة وخسائر من الطرفين، وقد وصفت قيادة بيت لحم هذا الهجوم فى إشارتها إلى قيادة الجيش بتاريخ ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٨ تقول:

قام العدو بهجوم عنيف على جميع مواقعنا الدفاعية تحت ستار غلالة شديدة من نيران الأسلحة الأتوماتيكية والهاونات وقاذفات الألغام والمدفعية الثقيلة، صدت قواتنا الهجوم وتمكن العدو من الاستيلاء على مواقعنا بجبل «اليمن»، قامت قوة من الإخوان المسلمين بقيادة الملازم أول خالد فوزى بهجوم مضاد فطردت العدو بعد أن كبدته خسائر فادحة.

وقد علقت جريدة (الناس) العراقية فى عددها الصادر ٧/ ١١/ ١٩٤٨ على هذه المعركة بمقال تحت عنوان (بسالة متطوعى الإخوان المسلمين) جاء فيه: «وأن اليومين الماضيين امتازا ببسالة منقطعة النظير من متطوعى الإخوان المسلمين، فقد استولى اليهود شمال غربى بيت لحم بعد محاولات عديدة على جبل مرتفع يسمى «تبة اليمن» ويشرف على قرى «الولجة» و«عين كام» و«المالحة» وما جاورها وأصبحوا يهددون كل المناطق المحيطة بها.

ورأت قيادة الجيش المصرى ضرورة تطهيرها، فندبت لذلك عدداً من متطوعى الإخوان المسلمين فى «صور باهر» فتقدمت سرية منهم، ولم تمر ساعة حتى كانت هذه الفرقة قد أجهزت على القوة اليهودية وغنمت ذخيرتها ومتاعها وحررت قرية «الولجة» وأصبحت تسيطر على منطقة واسعة.

***

عبد الحميد بسيونى خطاب [(١)]

١٩٤٨/١٢/٣م

هو نجل العالم الجليل الشيخ بسيونى خطاب، وأحد المتطوعين للجهاد فى فلسطين من الإخوان المسلمين فى مصر. كان مولعًا بالجهاد، حريصًا على المشاركة فى كل هيعة أو فزعة من فزعات القتال والنزال. لقد كان رحمه الله يبكى بكاءً مرًا حين أمره قائد فصيلته بالبقاء فى المعسكر، وما زال يبكى ويبعث بالوساطات حتى أشفق عليه القائد العام فأذن له بالخروج، فخرج من المعسكر وهو أشد ما يكون فرحًا وابتهاجًا.

وفى معركة دير البلح توجه المجاهدون من الإخوان المسلمين يهاجمون التبة ٨٥ التى احتلها اليهود.. وهى مرتفع يقع جنوبى دير البلح ويشرف على المواصلات والطرق للجيش المصرى، ولم يستطع الجيش انتزاعه منهم، ففوض المتطوعين من الإخوان المسلمين لتحرير هذا الموقع المهم. ولما علم الإخوان بهذا سروا سروراً عظيمًا بهذا وأخذوا يتنافسون فيما بينهم فيمن يشارك فى هذا الشرف العظيم.

وكان شهيدنا رحمه الله ممن حصل له هذا الشرف العظيم، إذ انطلق مسروراً يحمل فى قلبه إخلاصًا، وشوقًا إلى الجنة، وجاهد مع إخوانه جهاد الأبطال، واستطاعوا أن يحتلوا الموقع وأن يكسبوا المعركة.

وكان رحمه الله ممن نال الحسنيين: النصر على عدوه فى الدنيا ثم الشهادة فكان عند الله حيًا.

***

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ٢٠٨، ٢٤٢.

الشهيد سيد محمد منصور[1]

معركة التبة ٨٦

١٩٤٨/١٢/٣م

الشهيد سيد محمد منصور من إخوان الشرقية الكرام، الأستاذ الذى كان يعلم ضباط الجيش المصرى ويدربهم على طرق بث الألغام وانتزاعها والذى علم الضباط والجنود والأمة كلها: كيف يكون الفداء وكيف تكون التضحية والثبات، وكيف تكون الموتة المطهرة العزيزة التى تختم الحياة، فتكون شهادة غالية، ترفع صاحبها لمنازل الشهداء، ورفقة الأنبياء.

تطوع شهيدنا مع نخبة من إخوان الشرقية الكرام، وانتظموا فى التدريب بمعسكر الهايكستب استعداداً للسفر إلى الميدان فى فلسطين.

فى معسكر الهايكستب يروى شاهدنا المجاهد حسن دوح فيقول:

كان من عادتنا إذا فرغنا من التدريب فى معسكر «هايكستب» جلسنا فى حلقة دراسية نقرأ القرآن ونستمع لحديث عن السيرة العطرة، ثم نتناول العديد من الموضوعات العلمية خاصة ما يتصل بالقضية التى هيأنا أنفسنا لها.

وكان سيد منصور يحرص على هذه الدروس حرصه على التدريب الذى كان يتولى أهم شطر منه، وهو التدريب على بث الألغام أو إعدام مفعولها، وكان يجلس فى صفوف التلامذة المتطلعين للمعرفة، وكأن لسان حاله يقول: يجب على الأساتذة أن يتعلموا كيف يجلسون فى صفوف تلامذتهم، وكان يحسن الصمت كما يحسن الكلام، ولكنه ينفتح بكل مشاعره إذا عرضنا فى حديثنا لذكر الشهادة والشهداء ومقامهم عند الله، كان يحاول أن يرسم نفسه على طريق الشهداء، يسأل عن نواياهم، وعزائمهم وسيرهم، وكل ما يتصل بأخبارهم، ثم يستجمع هذه السير ليتخذ بينها طريقًا له.

وكنت كلما نظرت إليه تخيلته يمضى على الأرض بقدم واحدة، أما الأخرى فتركض إلى الجنة فى ثبات.

---

(١) شهداء على الطريق، حسن دوح.

ومضت ثلاثة أسابيع، ولم تصدر الأوامر إلينا بالتحرك لأداء الواجب المناط بنا، فازداد قلق الخمسين شابًا الذين كانوا يعسكرون معنا فى «هايكستب» وكان سيد أشدهم قلقًا، وكانت أنباء الفالوجا المحاصرة تلهب الثورة فى صدورنا جميعًا.

الطريق إلى الميدان:

ويكمل شاهدنا روايته: انتهت فترة القلق بخبر مفزع طالعنا به قائد عام المعسكر على أثر إشارة تلقاها من عمان بأن ملك الأردن رفض نزول طائراتنا فى أراضيه، وكانت صدمة لمشاعرنا الملتهبة!! جيشنا يصرخ مستنجداً والعدو يخنقه بكل قوته، وقائد عام الجيوش العربية يرفض إنقاذه!!

ولكن ماذا نفعل؟ قمنا بتعديل خطتنا، وهى تتلخص فى الذهاب إلى غزة عن طريق السكة الحديد ثم نحاول من هناك شق صحراء النقب، إلى الخليل، ومن هناك نكمل عمليتنا وهى فك حصار الفالوجا حسب الخطة المرسومة، ونفذنا المرحلة الأولى، ووصلنا إلى معسكر البريج وكنا قد استولينا عليه من الإنجليز عقب جلائهم عن فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨.

وبدأنا نعمل فى قطاع غزة، وهو الجزء الذى تبقى لنا بعد الهدنة، وكانت عملياتنا تنحصر فى الإغارة على المستعمرات الراقدة فى مواجهة القطاع، وقطع الطريق الذى يصل هذه المستعمرات، وذلك ببث الألغام فى الممرات الصحراوية والمرابطة فى أوكار جانبية، هذا بالإضافة إلى تلبية نداءات الجيش فى كل العمليات الفدائية باعتبارنا فرقة كوماندوز ملحقة بالجيش.

وبدأ سيد منصور ينطلق بكل طاقاته، لا تكاد تفلت منه دورية قتال أو استطلاع، وقد كان التنافس على هذه الدوريات شديداً، وكنا نضعف أمام روعة التنافس بين شباب لا يتجاوزون العشرين من عمرهم وبين آباء تجاوزوا الأربعين، أيهما تفضل!!

أما سيد منصور فكانت عيناه تتوسلان فى صمت، فلا نملك إلا الاستجابة لرغبته، وكانت حجتنا أمام الآخرين أن سيداً له خبرة ببث الألغام حتى إن الجيش نفسه كان يطلب إليه تدريب ضباطه على عملية بث الألغام وتفجيرها.

اليهود يسرقون الدجاج:

علمنا ذات يوم أن اليهود سيغيرون على قرية مجاورة وكانت العملية تحتاج لشباب سريع الحركة، فانتدبنا عبدالرحمن البنان وكان فى السابعة عشرة، وسيد منصور وكان فى الثلاثين من عمره أو يزيد قليلاً، فانطلقا فى الوادى الفسيح لا يحميهما إلا الله ثم الظلام المتراكم ودعاء المئات من زملائهم المقيمين فى المعسكر، وانتظرنا إلى منتصف الليل ولكن الأخوان لم يعودوا فران علينا صمت كثيف يسبق عادة نبأ استشهاد أحد الزملاء.

وفجأة تبددت أوهامنا ونحن نسمع وقع أقدام الرجلين وهما يقطعان الطريق إلى داخل المعسكر وقد حمل كل واحد منهما مجموعة من الدجاج استوليا عليها من اليهود الذين كانوا قد سرقوها من إحدى القرى العربية.

يوم الشهادة فى معركة التبة (٨٦):

وتلقينا رسالة مستعجلة من اللواء أحمد فؤاد صادق قائد عام الجيش المصرى بالتحرك على وجه السرعة، وعلى الفور أعد الأخ كامل الشريف قوة من ٣٥ شابًا من شباب المعسكر كان من بينهم سيد منصور، وعبد الحميد خطاب، وسيد عيد، وفوزى فارس.

وصلنا لأرض المعركة فى أدق مرحلة من مراحلها، وتمت عملية انتشار سريعة، وتمركزنا فى مناطق رئيسة بحيث تمكنا من اكتشاف مراكز تجمعات العدو والدشم التى يسدد منها نيرانه إلى صدور رجالنا.

حاولنا التمركز فى مواقع قريبة من تحصينات العدو، ومراكز إطلاق نيرانه، ولكن لم يكن هذا ليتم إلا إذا قطعنا طريقًا مكشوفًا ومعرضًا للنيران، فطلبنا من قيادة الجيش السماح لنا بدبابتين لنتخذهما ساترًا متحركًا نحتمى به إلى أن نتسلق تبة عالية، ووافق القائد، وبدأت قواتنا تتحرك خلف الساتر تكتنفها نيران العدو من كل جانب، وفى ظلال دبابة مكشوفة كان يتحرك سيد منصور وعبد الحميد خطاب الطالب الأزهرى الذى لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة ونيران العدو تنفذ من بين أيديهما وتتساقط فوق رؤوسهما، ودوى القنابل يزلزل الأرض من تحتهما، ومع هذا مضى سيد وعبد الحميد لغايتهما فى إقدام وجرأة وتحد للعدو، وإصرار على مواجهته، ورغبة صادقة فى لقاء

الله مع النبيين والصديقين والشهداء، ويشعر العدو بالخطر المتحرك خلف الدبابة فيسدد جميع أسلحته فى اتجاهها، ويركز عليها نيرانه، وتطوق الدبابة بسحاب من الدخان فيرتبك قائدها فيصاب اليوزباشى نهاد شوقى، وتضطرب عجلة القيادة فى يده، ولا يستطيع الهيمنة عليها، فتتدحرج الدبابة إلى الوراء، ويسقط الرجلان تحتها فتعتصر جسد عبد الحميد وتضغط تروسها على النصف الأسفل من سيد منصور فتعجنه فى الطين، وتمضى المعركة، ويتمكن الثلاثون شابًا من تغيير مجرى المعركة من هزيمة إلى نصر، ويشعر اليهود بصلابة العنصر الجديد الذى هبط فجأة، واستطاع أن يقتحم عليهم مواقعهم ويغير فى جرأة على الدشم ويلتقى وجهًا لوجه بهم، فيضطر للانسحاب حاملاً معه قتلاه وجرحاه.

كانت الأرض تسبح فى بركة من الدم الزكى ممزوجًا بماء المطر، وجثث القتلى تتناثر على التباب والطرقات وتحت أشجار التين الشوكى، ومن بين هؤلاء يرقد البطلان عبد الحميد خطاب الذى أسلم روحه لربه، وعلى قيد خطوات منه يرقد نصف سيد منصور ساكنًا مستسلمًا.

اقتربت من سيد، وتحسست جسده، فإذا بنبض خافت ينبئ عن بقية حياة، وفتح الرجل عينيه وأدارهما فى وجهى وكأنه يدعونى إليه فحنوت عليه إلى أن لثمت جبهته، فتمتم بعبارات فظننته يملى على وصية لأبنائه الستة وزوجته فأرهفت السمع فإذا به يردد عبارة واحدة «اللهم انصر دعوتنا، اللهم بارك مرشدنا»، ثم يقفل فمه قليلاً حتى يدفع عنه ماء المطر المتدفق من باب السماء، ويعود لدعائه يكرره فى إلحاح ورجاء، ونسرع بطلب عربة إسعاف لإنقاذ سيد فيحضر رجال الإسعاف بمحافتهم، ويهمون بسيد ليستخلصوه من الطين فيستعصى عليهم لأن ساقيه كانتا قد امتزجتا بالطمى حتى صارتا قطعة واحدة، فيحملونه بكل الطمى المتراكم عليه، ويمضون به إلى المستشفى العسكرى، ويقرر الأطباء بتر الساقين لاستخلاص بقية الجسد وتجرى عملية سريعة، كان قضاء الله أسرع منه، وترتفع روح سيد متمتمة بالدعاء (اللهم انصر دعوتنا).

ويسمع قائد الجيش اللواء فؤاد صادق بوفاة الجندى سيد منصور، فينزعج للنبأ ويحضر على الفور لمعسكرنا ليقوم بنفسه بواجب العزاء فى (الشهيد سيد منصور) ثم يصدر أعجب قرار وهو ترقية الجندى سيد منصور إلى رتبة ملازم أول تقديراً لخدماته فى الجيش.

عيسى إسماعيل عيسى [1]

من المجاهدين الذين تطوعوا للدفاع عن إسلامية فلسطين، وهو من شعبة الإخوان المسلمين بالشرقية.

لقد استطاع المجاهدون من الإخوان المسلمين أن يدمروا شبكات المياه بين مستعمرتى (بيرى) و (أتكوما) وأباحوا للأعراب فى المنطقة أن ينتزعوا هذه الأنابيب تحت حراستهم، حتى نزعت مساحات شاسعة من الأنابيب، ثم رابطت فى المنطقة لتمنع اليهود من إصلاحها، فلم تجد القيادة الإسرائيلية بدًا من الدخول فى معركة مباشرة مع الإخوان، فحشد الفريقان حشوداً ضخمة وانتهت المعركة بفوز المجاهدين من الإخوان المسلمين وغنموا من السلاح والعتاد الشىء الكثير، كما غنموا دبابة من دبابات اليهود التى تركوها وراءهم بعد هروبهم من وجه الأبطال الأشاوس وقد كتب المجاهدون عليها: الإخوان المسلمون.

ولما أيقن اليهود أن مواجهة المجاهدين من الإخوان المسلمين تكلفهم خسائر باهظة دون فائدة لجأوا إلى الغدر والخيانة، فحاولوا وضع السم فى الآبار التى يشرب منها الإخوان فى منطقة خزاعة، فأرسلوا يهوديين لبسا الزى العربى فقبض عليهما المجاهدون وقتلوهما على مرآة من أهالى المستعمرة اليهودية.

جن جنون اليهود وتوعدوا بالانتقام، وحين جن الليل هاجموا مواقع الإخوان المسلمين فى خزاعة انتقامًا لهذا الحادث، وحاولوا يائسين أن يزحزحوا الإخوان فلم يفلحوا أبداً، وكل الذين استطاعوه قتل المجاهد الشهيد عيسى إسماعيل عيسى من إخوان الشرقية.

***

(١) نفس المصدر ١٠٧، ١٠٨.

محمود منصور [1]

أحد أفراد جماعة الإخوان المسلمين بمنطقة الشرقية فى مصر، لبى نداء الجهاد فى فلسطين فانضم إلى المجاهدين المتطوعين من جماعة الإخوان، وسار حتى دخل أرض فلسطين المباركة. لقد اشتبك هو وإخوانه فى معركة دير البلح.

كان محمود منصور رحمه الله قائد فصيل فى المعركة، وكان أول رجل استشهد فى هذه المعركة، لأن القائد الناجح هو الذى يتقدم الصفوف ويعرض نفسه للمخاطر دفاعًا عن جنده رفعًا للروح المعنوية عندهم.

ويذكر أن شهيدنا رحمه الله لما أصيب بضربة قاضية قاتلة، التف حوله نفر من إخوانه المجاهدين، وانشغلوا به عن القتال، فنهرهم وزجرهم بشدة، وأمرهم بالاستمرار بالهجوم.

ولما حمله إخوانه المجاهدون إلى الخطوط الخلفية وأفاق من غيبوبته نتيجة إصابته البليغة سألهم عن سير المعركة فأجابوه بما طمأن نفسه، فابتسم وتمتم: الحمد لله. ولم يقف لسانه عن الدعاء لحظة: اللهم انصر دعوتنا، وحقق غايتنا، حتى لفظ آخر أنفاسه الطاهرة.

***

(1) انظر: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ٢٤١، ٢٤٢.

الشهيد أحمد فؤاد (1)

1949/3/22م

الشهيد أحمد فؤاد عبد الوهاب، ضابط شرطة، وأحد رجال النظام الخاص، شارك فى عملية مقتل النقراشى رئيس وزراء مصر. وكان مستنده فى ذلك هو وإخوانه:

- تضييع النقراشى لقضية مصر الوطنية والتفريط فى حقوقها.
- خيانة قضية فلسطين بقبول الهدنة وسحب الإخوان من الميدان.
- حل جماعة الإخوان المسلمين تنفيذًا لأوامر الإنجليز والأمريكان.

وكان الإخوان فى ذلك الوقت رهن السجون والمعتقلات، والمرشد العام محجوب عن لقاء الإخوان، فكان اجتهاد رجال النظام الخاص بقيادة الشهيد سيد فايز، بضرورة التخلص من النقراشى للأسباب السالفة.

وتكونت مجموعة بقيادة الشهيد الضابط أحمد فؤاد وكانت تضم محمد مالك، شفيق أنس، وعاطف عطية حلمى، وعبد المجيد أحمد حسن، ومحمود كامل).

وقامت هذه المجموعة بعملية اغتيال النقراشى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨.

وفى ٢٢ مارس ١٩٤٩ توصل التحقيق إلى من وصفه رئيس المحكمة بأنه مهندس الجريمة وهو الشهيد الضابط أحمد فؤاد عبد الوهاب، وكان قد نقل أثناء التحقيق إلى مدينة بنها وذهب البوليس للقبض عليه، وأثناء ركوبه سيارة البوليس تمكن من الإفلات من أيدى رجال البوليس، وانطلق هاربًا وسط المزارع، ولاحقته قوات البوليس فعبر بملابسه إحدى الترع ولكن البوليس أطلق عليه النار فسقط على الفور شهيدًا رحمه الله رحمة واسعة، وأنزله منازل الشهداء.

***

(1) النقط على الحروف - أحمد عادل كمال. حقيقة النظام الخاص - محمود الصباغ.

الشيخ فائق شحادة الأنصاري



ولد الشيخ فائق رحمه الله تعالى سنة ١٨٩٥م فى جبل صهيون قرب مقام النبى داوود بالقدس، بدأ الشيخ دراسته العلمية بالعناية بالقرآن الكريم دراسة وترتيلاً وحفظًا فى المسجد الأقصى، ثم التحق بالمدرسة الإسلامية التى سميت فى عهد الانتداب كلية الروضة، وتلقى فيها مختلف العلوم الشرعية واللغوية، ومهر اللغة التركية، وكان كثير السماع للدروس التى يلقيها العلماء والفقهاء والمحدثون فى المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة.

وقد عمل بعد تخرجه فى عمل إدارى بمحكمة الاستئناف الشرعية بالقدس، ثم عين مشرفًا على أوقاف التكارنة وتكية الأتراك، ثم عين برتبة شيخ سدنة المسجد الأقصى سنة ١٩٣١م، ولقد أتاح له هذا العمل الاتصال بالناس والمشاركة بالعمل الجهادى المنظم ضد قوات الاحتلال البريطانى فى فلسطين، إذ كان الإنجليز ينظرون إلى الرجل المتدين على أنه منغلق على نفسه لا يهتم بغير الشعائر والطقوس الدينية وبالتالى فلم يخطر بخلدهم أن هذا الشيخ يفكر فى التدريب على إطلاق النار أو اقتناء السلاح. ولكن هذا الشيخ أملى عليه دينه أن يحسن استخدام السلاح الأتوماتيكى والمتفجرات والقنابل اليدوية، وفرض عليه أن يقاومهم حتى ينتصر عليهم ويطهر الأرض من دنسهم أو يموت شهيداً ينال من التكريم والإجلال والتعظيم فى الدنيا والآخرة، وأى منزلة أكرم من منزلة الشهداء.

وفى ثورة فلسطين الكبرى التى حدثت سنة ١٩٣٦ وعمت أحداثها جميع البلاد فى فلسطين، أسهم الشيخ المجاهد فيها بنصيب وافر، وبذل جهداً كبيراً فى محاربة قوات الاحتلال البريطانى، واليهود المهاجرين الذين جاءوا لنزع البلاد من أهلها المسلمين، وقد استهل عمله الجهادى بالانضمام إلى جمعية اليد السوداء التى كان يرأسها السيد شكيب قطب، وهى جمعية فدائية، كانت تقوم بشن عمليات جريئة فيها روح المغامرة على جنود الإنجليز وقادتهم، وعلى اليهود الطامعين وزعمائهم.

وأول عملية فدائية أجريت تحت إشرافه: تدمير سيارة عسكرية إنجليزية كانت تقف خارج باب الأسباط تمنع المسلمين الذين يتجهون فى طريقهم من المسجد الأقصى إلى محلة رأس العمود ليستقلوا السيارات الذاهبة إلى النبى موسى، للمشاركة فى هذا الموسم السنوى الذى اعتاده المسلمون منذ عهد صلاح الدين الأيوبى رحمه الله.

ومن أعماله الفدائية أيضًا ما يذكر أنه فى ١/ ٥/ ١٩٣٦ خرج ومعه أربعة من المجاهدين الذين كانوا يسيرون خلفه، دون أن يشعر أحد بأنهم فى صحبته إلى جهة محطة القدس العمومية للسكك الحديدية لتنفيذ عملية نسف القطار الذى كان قد تقرر قيامه من المحطة المذكورة فى تمام الساعة الحادية عشرة بعد الظهر، لينقل مئات الجنود الإنجليز واليهود الصهاينة إلى تل أبيب، للمحافظة عليها من هجمات المجاهدين الذين كانوا يشددون قبضتهم عليها.

وقد استطاع الشيخ فائق رحمه الله والأشخاص الذين معه أن ينسفوا ذلك القطار بعد خروجه من المحطة بدقيقتين فقط، وقد دمرت القاطرة وثلاث عربات، وقتل عدد كبير من الإنجليز واليهود الصهاينة.

وفى شهر آب / أغسطس سنة ١٩٣٦ وكلت قيادة جمعية اليد السوداء إلى الشيخ فائق أمر تفجير قنبلة يدوية فى دبابة إنجليزية، كانت تقف أمام باب الخليل، وكانت الخطة تقضى أن يكون الفدائى المجاهد معممًا كى يتسنى له الاقتراب من ذلك المكان دون أن يعترضه أحد من الجنود. وتقدم الشيخ الجليل حتى وقف عند الدبابة وألقى القنبلة بيده فى جوف الدبابة، وعيون الإنجليز تنظر إليه، وكانت الدهشة التى حملتهم أن يشكوا فى بصرهم ويرفضوا الاقتناع أن شيئًا من جانب الشيخ قد حدث، أما هو فقد تظاهر بالخوف والفزع وألقى بنفسه على الأرض متظاهرًا بالإغماء.

وفى سنة ١٩٤٨ كان الشيخ يقضى الليالى وحده فى غرفته بالمسجد الأقصى والأبواب مغلقة عليه، وقنابل اليهود تتساقط من حوله، ولا تجد مقاومة تذكر، مما جعله يذهب فى صبيحة ذلك اليوم على رأس وفد من أهالى القدس إلى الكتيبة الأردنية التى كانت تعسكر فى جبل المكبر ليطالبهم بالجد فى المحافظة على المسجد الأقصى، والصخرة المشرفة، وقال لذلك القائد الذى كان يتلقى أوامره من كلوب باشا

الإنجليزى س: إذا كنتم لا تريدون المحافظة على المسجد الأقصى فإن الجماهير من أهالى القدس مستعدون للدفاع عنه، والمحافظة عليه بأرواحهم، ولا نريد منكم سوى أن تعطونا هذه البنادق التى فى أيديكم.

وفى أواخر شهر نيسان/ أبريل سنة ١٩٤٨ قام اليهود بهجوم على باب العمود، فتصدى لهم الشيخ على رأس فريق من الحرس الوطنى، وقد دامت المعركة نحو ساعتين، انجلت بهزيمة اليهود الصهاينة وانتصار المسلمين. ولكن المجاهدين لم تطل فرحتهم لهذا النصر على الأعداء، إذ قد أصيب الشيخ فائق بإحدى شظايا القنابل اليهودية فى صدره، وكانت الإصابة خطيرة، فحمل إلى مستشفى المطلع بالطور حيث أجريت له عملية جراحية لاستخراج هذه الشظية التى استقرت فى جسمه، فلم يكتب له الشفاء، وظل رحمه الله متأثراً بجرحه حتى كتب الله تبارك وتعالى له الشهادة سنة ١٩٤٩.

***

الشيخ سليمان بن خميس[1]

هو من عشيرة سويلم بن رمان من قبيلة السعديين، تعيش فى وادى عربة على الحدود بين فلسطين والأردن.

كان سليمان رحمه الله يعمل فى قوة بوليس الهجانة، ثم استقال منها، ليعمل فى تربية المواشى، ويصرف جزءاً من وقته لصيد الغزلان وغيرها. وكان رحمه الله فناناً يصنع شداد جمله بيده، وكان يزين بندقيته بأطواق نحاسية صفراء من صنع يده أيضاً. وقد اشتهر بالدقة فى الرمى وإصابة الهدف.

لقد تواترت الأنباء إلى الشيخ رحمه الله بغدر الإنجليز، وطمع اليهود فى أرض الإسراء والمعراج أرض فلسطين كل فلسطين، وكان يبصر بأم عينيه يوم أن عمل بقوة بوليس الهجانة، اليهود وهم يأتون إلى عين البيضاء ليأخذوا منه الماء العذب، ويدبرون الخطط للاستيلاء عليها.

حين أيقن الشيخ رحمه الله بخطر اليهود على أرضه جنَّد نفسه لقتالهم، وعقد البيعة مع الله تبارك وتعالى على الجهاد، واعتمد على نفسه، ولم يستعن فى بداية جهاده بأحد من الخلق.

كان رحمه الله يملك بندقية من نوع فرنسى ذات طلقة واحدة، وكان يملك من العتاد لها عشر طلقات، وشاع بين الناس أنه يذهب للصيد، فأراد أن يغطى جهاده تحت هذا، نعم كان يقوم بأعباء الجهاد بسرية تامة، فلم يُعلم فى بداية حياته الجهادية أحداً من الناس بشىء من أمره حتى أقرب المقربين إليه زوجته «سليمة» المخلصة الوفية. لقد حرص على ذلك ابتغاء الأجر الجزيل من الله، وخشية أن يكشف الأعداء أمره، فيعيقوا مسيرته، ويعطلوا حركته.

كان رحمه الله يذهب إلى عين البيضاء التى يأتى إليها اليهود دون أن يشعروا بحركته، ويتمركز فى مركز مشرف على العين، ينتظر قدومهم، حتى يذيقهم الموت جزاءً وفاقاً لهم على طمعهم وعدوانهم. ثم يعود وقد أفرغ رصاصاته التى معه باستثناء

(1) انظر: رحلة الضياع لجمعة حماد ص ١٦-٢٥ وكتاب إلى فلسطين بعض مقتطفات من مذكرات ضابط بقلم الرئيس أول محمد خالد المطرجى ص ٨ والإخوان المسلمون فى حرب فلسطين ص ٧٧ .

واحدة يبقيها معه فى بندقيته، ويجمع العتاد الفارغ ويأخذه معه إلى بيته، ليحشوه بملح البارود المخلوط بلحاء الشجر، ثم يصنع مفجراً جديداً ورصاصات جديدة يسكبها على طريقته الخاصة ليتزود بها للرحلة القادمة إلى العين البيضاء.

لقد أذهلت أعمال هذا المجاهد اليهود، فضجت وسائل إعلامهم بأفعال هذه العصابات الشريرة كما يظنون وكما يزعمون، ولم يعلموا أن الذى يقوم بهذه الأفعال البطولية رجل واحد هو الشيخ سليمان بن خميس.

لم يكن يعلم بصاحب هذه الأفعال أحد من أهل البادية، لا حتى زوجة المجاهد ولا جبهة شباب بئر السبع التى كانت تعتنى بالجهاد والدفاع عن الوطن.

لقد لاحظت زوجة الشيخ سليمان بن خميس أمراً يثير العجب، ويدعو إلى التأمل والتدبر والتفكر. إن الشيخ وهو الصائد الماهر، يعود من الصيد بلا صيد بخلاف ما قد عودهم عليه من اصطحاب الغزلان فى كل عودة مما يجعلها فى حيرة من أمرها، إنه كان يعود وقد أطلق رصاصاته ومعه الفارغ منها يقوم بإصلاحها وإعدادها للاستعمال مرة ثانية. ولقد شعر الزوج بذلك، وأمام تساؤلات زوجته أطلعها على أمره، وما يقوم به من عمل جهادى ابتغاء مرضاة ربه، فسرت بجرأته وشجاعته وجهاده، وكتمت أمره، بل كانت تطلب منه أن تصحبه فى رحلاته الجهادية، فكان يعتذر إليها بلطف، فكانت تودعه وهى تعلم إلى أين يسير، وكانت ككل زوجة حينما تودعه، ويغيب عن عينيها تنتابها الهواجس، ويسودها القلق والخوف عليه، ولا ترتاح إلا إذا اكتحلت عيناها برؤيته بعد عودته من جهاده.

لقد علمت جبهة شباب بئر السبع بأعماله الجهادية بعد وقت، فأرسلت إليه سفيراً يلتقى به، ويسأله عن حاجاته، حتى تقوم بشرف تلبية طلبه وسد حاجاته، فكان لا يرهقها من أمرها عسراً، فلم يطلب إلا مساعدته بالذخيرة لبندقيته الفرنسية ذات الطلقة الواحدة.

قصة استشهاده:

لقد استطاع اليهود أخيراً أن يكتشفوا العصابات (الشريرة) التى أجهزت على عدد من نزلاء (سدوم) حتى فكرت بقيتهم فى النزوح نهائيًا، وتمكنوا من معرفة عدد العصابة..

وأقبل سليمان كعادته فرآه اليهود، فتسمروا فى أماكنهم، وأحس الرجل بشىء غير عادى، حين رأى آثار أقدام جديدة. وأراد أن يعود من فوره لئلا يسقط فى الفخ، وما

إن أدار ظهره إلا وأمطر بوابل من الرصاص، فأخذ يقفز يمينًا وشمالاً، متفاديًا سيل الرصاص، وظل يركض بعد أن أصيب برصاص الأعداء حتى لا يمكن الأعداء من جثته، فوصل إلى الجمل فركبه وسار يسابق الريح نحو بيته، حتى أقبل على نقطة بوليس عين حصب، قريبًا من جدول الماء، حيث تمهل الجمل، وسقطت البندقية، وسقط بعدها سليمان بن خميس جثة هامدة.

وهرع بوليس الهجانة يستطلعون الأمر، وظل الجمل يدور حول جثة صاحبه، ونقل الجنود جثة زميلهم وصديقهم تحت ظلال السدرة الكبيرة غربى العين، وحفروا قبره، وأطلقوا النار من بنادقهم تحية للبطل، وهم يهيلون عليه التراب.

لقد ترك الشهيد زوجه وأمه تعيشان فى بيت صغير هو خيمة من الخيش، فيه بقايا كيس دقيق وقدر فى الركن المقابل، وجدى يحاول التفلت من رباطه، وبندقية مزخرفة معلقة فى شعبة قادم البيت. وحين تقدم سفير جبهة شباب بئر السبع وقابل زوجة الشهيد وجدها شامخة الرأس، ثابتة الخطوة، إذ حين أمر بتنزيل حمل السيارة من الدقيق والشعير قالت: لمن هذا؟

قال: لكم.

قالت: ما نحن بحاجة إليه!

قال: إنها ليست من عندنا، لقد أرسلتها جبهة شباب بئر السبع طعامًا لضيوف سليمان، وعلفًا لجمله، وسليمان لم يمت.

قالت: إى والله سليمان لم يمت، لقد دفناه فى ملابسه، وقبرناه دون أن نغسله، لأنه ذهب شهيدًا، ولكننا لسنا فى حاجة إلى القمح والشعير والمال، وعندنا الغنم وعندنا الإبل، لا تخافوا علينا.

قال: ولكننا لا نستطيع أن نرجع بها، إنها هدية إلى سليمان، وضيوف سليمان على حالهم، وجمله.. وسكت!

ورق صوت المرأة الأنوف وتلفتت إلى البيت الخيش الذى يتحرك مع النسيم وهى تقول: ولكن الجمل سقط راكبه. وبندقيته، أشارت إلى البندقية المعلقة وقالت: من يحملها؟

رحم الله شهيدنا الشيخ سليمان بن خميس.. . إن الأمة بحاجة إلى مثل هؤلاء الأعلام فى الجهاد والاستشهاد حتى تربى أجيالها على معانى التضحية والبذل والفداء وإنكار الذات وهى تجود بنفسها وبكل ما تملك.

الشهيد سيد شراقى

شهيد تل بسطة ١٩٥١ (١)

قليل من الناس من يستمتع بطبيعة سيد شراقى، وقليل جداً من يدانيه فى صبره وإخلاصه وشجاعته، وقصة سيد شراقى يمكن أن أسجلها فى كلمات، ويمكن أن تتسع لها كتب ومجلدات، الكلمات تقول: فلاح، فقائد، فمعلم، فشهيد.

والكتاب يتسع فيفرد لكل كلمة بابًا يفيض فى ذكرى سيد، ولندخل لدنيا سيد من أوسع الأبواب:

بعد أن أعلن الإخوان المسلمون عن فتح باب التطوع لحرب فلسطين فى أوائل سنة ١٩٤٨، توافد الشباب والشيوخ على دار الإخوان لتحملهم إلى الميدان، سمع سيد شراقى بالدعاية الكبيرة للحرب وجمع التبرعات، إلا أنه لم يعجل بالحضور للقاهرة لتسجيل اسمه فى كشف المتطوعين وانتظار دوره فى الطابور، بل اتخذ خطوات هادئة ومتعقلة، وانتهى لقرار عجيب، قال لأبناء قريته: لمَ لا نجمع التبرعات بما يفى ثمن السلاح والتموين ثم نهيئ أنفسنا للتدريب، ونتقدم بعد ذلك لدار المركز العام للإخوان ومعنا عدتنا من السلاح والتموين؟ وافق أبناء القرية على فكرة الشيخ سيد كما كانوا يسمونه، علمًا بأنه لم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره.

وبدأ الشباب العشرة بأنفسهم ثم بزوجاتهم وأهليهم، يجمعون القروش القليلة يقتطعونها من أقواتهم حتى تجمع لكل منهم مبلغ يكفيه لزاد الطريق وثمن قطعة السلاح، فأرسل إلى قيادة الإخوان رسالة، يخبرهم فيها بكل الخطوات التى قام بها أبناء القرية، فلم يملك الإخوان إلا الاستجابة لرغبة أبناء حوض نجيح. لم يشأ الشيخ سيد أن يترك القوة المرافقة له تتبعه على غير هدى وعلم، فقد كان بعضهم لا يكاد يلم بالقراءة والكتابة، فبدأ معهم دراسة منظمة على هيئة مناقشات وقراءات، يدور أغلبها حول شرعية القتال وآدابه وثواب المقاتل الشهيد، وكان تركيزه كبيراً على الشهادة يفيض فى الحديث عنها، ويحرص على أن يلزم نفسه بكل ما يؤهله لبلوغها، وبنفس الفهم كان يحاول أن يستوعب كل شىء عن السلاح وطريقة استعماله، ثم الالتزام المبصر بطاعة قادته واتباع أوامرهم بدقة.

(١) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا - يوسف القرضاوى - ٤٠، ٤١.

أما مسلكه الشخصى وعلاقته بزملائه المقاتلين فكان سيد رقيقًا لينًا سهلاً أليفًا، يتسع قلبه لكل من يعرفه، ومن أبرز خصاله التواضع الجم فقد كان يشعر أنه يحتاج لمعونتنا للتعرف إلى أمر دينه ودنياه، كان يقول لنا إنه فلاح بسيط وليس له من زاد من الشهادات الدراسية والعلمية، ثم يأخذ مجلس التلاميذ، وبعد أن يحصل على حاجته يفيض عليك من الشكر وكأنك أعطيته كنزاً من ذهب، وقد يكون سيد أوفر علمًا من محدثه، أما إذا اضطرته الظروف ليجلس فى مقام المعلم، فإنه يأخذ بأسلوب سقراط فى الدراسة، ويحاول عن طريق التساؤل أن يصل إلى النتائج، حتى لا يشعرك بأنه أستاذك.

قدر لأبناء حوض نجيح أن يكونوا ضمن أول كتيبة تدخل فلسطين، وهى الكتيبة التى رافقت الشهيدين محمد فرغلى ويوسف طلعت، واتخذت لها معسكراً فى «النصيرات».

وعلى الرغم من ميزة الصمت التى كان يتحلى بها سيد شراقى إلا أنه كان يفاتحنى بكثرة برغبته فى نزال العدو.

ووقعت معركة «ديروم» الأولى، وكان سيد مكلفًا بقيادة قوة البنادق والمرابطة على الجانب الغربى من المستعمرة، واستشهد فى هذه المعركة اثنا عشر شابًا مؤمنًا.

عدنا بعد المعركة إلى معسكرنا، وقد أخذ منا الحزن كل مأخذ على زملائنا، أما سيد فكان حزنه على نفسه أشد من حزنه على الآخرين، كان شعوره بأن هؤلاء الشباب قد مضوا إلى حياة أسعد من حياتهم، وأنهم ماضون إلى جنة أرحب من أرضهم وديارهم، أما هو فلا يزال مشدوداً إلى الأرض بضيقها وظلامها، إنه فى سجن الدنيا، لقد كان يتمنى الخروج من هذا السجن ولكن لم يوفق فى جولته الأولى.

وكانت الجولة الثانية والثالثة، والمعارك تتتابع ويعود سيد من جميع معارك فلسطين دون أن تمسه رصاصة واحدة، ويعود إلى تساؤله عن الشهادة والطريق الموصل إليها.

فى معتقل رفح:

كان من برنامجنا فى المعتقل عقد اجتماع دورى بعد صلاة العصر من كل يوم نتبادل فيه الآراء ونناقش مشاكلنا العامة ونتدارس فيه أمر ديننا ودنيانا، كان الحديث يمتد مابين فقه العبادات إلى فقه الجهاد، وكان الشيخ سيد يحرص على هذه الندوات حرصه على الصلاة نفسها، كان يفتح كل نوافذ قلبه وعقله لتلقى كل جديد ويثبته بإحكام فى أعماقه، وبعد أن يفرغ من درسه يحاول استرجاع ما سمعه من زملائه ليتأكد من صحته.

وينتهى المعتقل بنهاية حكم إبراهيم عبد الهادى، ويرجع سيد إلى قريته الحبيبة «حوض نجيح».

وينصرم عامان بعد الخروج من المعتقل، ويأتى عام ١٩٥١ حافلاً بأخطر الأحداث فى تاريخ مصر، إذ ألغيت معاهدة ١٩٣٦، واشتعلت الأحداث على إثر ذلك. ويفكر الإخوان فى تنظيم عمليات حربية قوية لتحطيم كبرياء العدو وإرغامه على الجلاء، ويدب النشاط فى شعب الإخوان، فيتدافع الشباب للتطوع.

وبنفس الأسلوب، وبنفس التفكير، وبنفس الهدوء جمع سيد رجال «حوض نجيح» ليواجه بهم «بريطانيا العظمى»!!

التقيت بسيد عند «تل بسطة» (جبل صغير يقع بالقرب من الزقازيق) حيث أعد الإخوان مركزًا للتدريب ولإمداد الرجال، وأبى سيد إلا أن يدخل الميدان على أصول ثابتة، فبدأ يسترجع التدريبات السابقة ويضيف إليها ما استجد فى دنيا السلاح.

التقيت به عند مشارف تل بسطة، وكان يقف على كومة من «قش الأرز» ويداه تديران عصاه الصغيرة، أما عيناه فكانتا تدوران فى عالم آخر تنشد شيئًا بعيدًا.

كانت عيناه تؤكدان عزمًا وتصميمًا على أمر ما، وتأملان تحقيق رجاء تعز به النفس.

قال لى سيد بقلبه ما تمتمت به شفتاه: ألم يأن الأوان؟! ثم عاد ثانية يسألنى عن نية المقاتل، وعن الاستشهاد وعن رضاء الله وكيف يتحقق وعن الصدق فى العمل، وعلى الرغم من إيمانى بأن سيدًا على علم بهذه الأمور كلها، إلا أنه كان يحب أن يستزيد علمًا ومعرفة، وفى أدب التلاميذ حاولت استدراج سيد ليجيبنى عن كل أسئلته، فقد شعرت أن زميلى وحبيبى يوشك على الرحيل. إن إشراق وجهه ينبئ بأن سيدًا لم يعد منا، كان وجهه يشرح صفات أهل الجنة، فقط قدماه ترتبطان الأرض وجسده مشدود إليها، أما روحه فقد اتصلت بالأسباب أسباب السموات، والتحمت فى إخاء أبدى مع حمزة وأبى أيوب وأرتال الشهداء على الطريق الطويل.

وكان استشهاد سيد على غير ما ينتظر وننتظر، فقد أصابته رصاصة خاطئة وهو يزحف فوق تلال بسطة حيث كانت تجرى مناورات عسكرية، وأسند الرجل العظيم وفلاح مصر الكريم، والمسلم الكبير سيد شراقى رأسه فوق الرمال ورفع وجهه المشرق الباسم ليتلقى تهانى الملائكة[1].

---

(١) تهانى على الطريق – حسن دوح.

شهداء معركة التل الكبير مع الإنجليز

يقول الأستاذ حسن دوح أحد أبطالها فى كتابه « كفاح الشباب الجامعى على القناة سنة ١٩٥٢ »:

ليسمح لى القارئ أن أقدم له معركة التل الكبير بقلم أحد أبطالها المهندس أحمد مجاهد. يقول فى مقدمة قصته. . . «قبل أن أكتب مذكراتى أذهب إلى الوراء قليلاً. . . فقد كنت أتوق للمشاركة فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ . . . وكان الدافع لهذا الأمل الذى لم يتحقق آية من كتاب الله استمعت إليها من قارئ. . وكأننى لم أكن قد سمعتها من قبل. . . تقول: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فهزتنى الآية من أعماقى، وجعلتنى أعيش فى عالم آخر غير عالمنا، عالم الخلود الحق. . . ولكن ظروفًا خارجة عن إرادتى حالت بينى وبين المشاركة فى حرب فلسطين - إلا أن صدق نيتى وإخلاصى فَتحا لى بابًا آخر للجهاد، وكان ذلك فى معركة القناة. . .

فبعد أن ألغيت المعاهدة فكرت فى المشاركة فى المعركة، وبدأت أبحث عن معسكرات التدريب، فقيل لى إن حزب العمال قد يساعدك فى أداء رسالتك.

فهرولت إليه. . . ولكن تبين لى أن الحزب لم يكن جادًا. ومن الطريف أنهم طلبوا منا تزويدهم بقنابل يدوية، حتى يسمحوا لنا بالسفر للقناة. . .

لم تيئسنى هذه التجربة، بل إنها حفزتنى للإقدام على أخرى، وكانت الثانية مع بعض ضباط الجيش المخلصين الذين تطوعوا سرا لتدريب بعض الشبان. . . إلا أن التدريب لم يستمر طويلاً، وكاد اليأس يتسرب إلى نفسى.

وأخيراً وجدتنى أندمج بكل عواطفى وأحاسيسى فى معسكر الجامعة الذى أقامه الإخوان المسلمون: لمست فيه الجدية والصدق. . . فتلقيت فيه تدريبًا منظمًا على أيدى مدربين أكفاء.

بعد أن استكملت تدريبى ألححت على القائد لإلحاقى بأول كتيبة. . . وتم الكشف الطبى علىَّ من الدكتور أحمد الملط الذى كان يتولى هذه المهمة متطوعًا.

صدرت إلينا الأوامر بالاستعداد للسفر. واستكتمنا القائد الخبر... كما أخفى عنا موعد السفر.

تحركت بنا سيارة كبيرة بعد أن صلينا الفجر إلى جهة لم نكن نعرفها... وبعد ساعتين وجدنا أنفسنا فى عزبة كبيرة قيل لنا إنها عزبة الحاج إبراهيم نجم.

فى هذا المكان تلقينا تدريبًا على الطبيعة تحت إشراف عبد العزيز عسلى ويوسف على يوسف وآخرين. استمر التدريب لمدة أسبوعين شعرنا بعده بقدرتنا على العمل فى الميدان... ثم نقلنا إلى أبى حماد ومنها إلى التل الكبير حيث عسكرنا فى بيوت الفلاحين... وكان معى فى غرفتى عمر شاهين قائد المجموعة وإسماعيل عبدالله، وعبد الوهاب عبد المقصود وعلى إبراهيم وإدوارد جورج.

دوريات استكشاف:

كان أول عملنا القيام بدوريات استطلاع لمعرفة تحركات العدو... والبحث عن مراكز نبدأ منها عملياتنا...

فى يوم الجمعة ١١ يناير جمعنا الشهيد عمر شاهين فى فناء منزلنا الريفى ووقف فينا خطيبًا إلا أنه لم يتجاوز فى خطابه قراءة آية وحديث... وكان شعورنا جميعًا أن أمرًا ما سيحدث، وأننا مقبلون على عمل كبير... ولكن ما هو؟!.. هذا ما كنا نجهله... ولكن مساء هذا اليوم كُشف لنا الغطاء عن أحداث كبيرة. فقد وصل إلى علمنا أن الإنجليز سيغيرون على القرية لتخريبها... وعلى الفور انتشرت قواتنا لحماية مداخل القرية... وكنا فى الليلة السابقة قد فجرنا عبوات تحت شريط السكة الحديد... ووضعنا عبوات أخرى فى نفس المكان.

لم تتحقق إشاعة غزو القرية فى تلك الليلة، وفى اليوم التالى، أى يوم ١٢ يناير، استيقظنا فى الصباح الباكر وبعد أن صلينا الفجر خرجت أنا وزميلى على إبراهيم لنشترى الصحف اليومية... ونستطلع الأنباء الجديدة، فعلمنا من أبناء القرية أن القطار الإنجليزى فى طريقه إلينا وأنه وصل إلى قرية تسمى العبادلة وهى تبعد حوالى أربعة كيلومترات من التل... فقفلنا راجعين إلى المنزل وأخبرنا عمر شاهين بما سمعنا. وفجأة سمعنا دويًا كبيرًا، فاستبشرنا خيرًا، وقلنا لعل الصيد قد وقع فى الفخ...

وبسرعة حملنا أسلحتنا وهى عبارة عن قنابل يدوية، ومدافع رشاشة صغيرة. . . وانطلقنا فى اتجاه الانفجار. . . وقام عمر بتوزيعنا على عدة مواقع. . . وشاهدنا عن كثب جنود الإنجليز وهم يتجمعون حول مكان الانفجار يحاولون معرفة حقيقته. . . وكانت فرصة متاحة لنا لنقتلهم جميعًا. . . ولكن الشهيد عمر أصدر إلينا أوامره بعدم إطلاق النار أو إلقاء القنابل لأنه لاحظ وجود عساكر مصريين بين الجنود الإنجليز.

وتفتق ذهن الشهيد عمر عن حيلة طيبة. . . فألقى بقنبله صوتية اتجاه الجنود فولوا هاربين وأسرعنا فى اصطياد عساكر الإنجليز. . . وكانت الخطوة التالية عبور الكوبرى [الجسر] إلى منطقة الجسر، وهناك احتمينا فى حجرة صغيرة حيث كان الشهيد أحمد المنيسى وفريد ووحيد، يسددون نيرانهم إلى الجنود المذعورين. . . .

شاهدنا عربات الإسعاف تتسلل إلى مواقع الأعداء لإنقاذ الجرحى فتركناها وشأنها. . . ولكن لاحظنا أن مصفحة تحاول الاقتراب منا مستظلة بعربة إسعاف. . . فطاردناها فهربت وهى ترسل نيرانها فى غير وعى. . .

وأخيرًا وصل سعد فريد الذى فجر اللغم ففرحنا بنجاته هو وزميله وقال لنا سعد إن أشلاء الإنجليز كانت تتطاير فى الفضاء حتى سقطت أجزاء من مزقهم على بعد ١٥٠ مترًا من الموقع الذى حدث فيه الانفجار. . .

جن جنون الإنجليز وبدأوا يطلقون مدافعهم الثقيلة من أبراج عالية، وكأنهم على مشارف برلين، ولكن هذا لم يؤثر فينا، وقررنا الصمود للنهاية. . . ولن تكون إلا إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة. . . وبدأ الزحف الكبير إلينا فتقدمت منا ثلاث دبابات وهى تطلق نيرانها بجنون فى كل اتجاه. . . ولكن نيران مدافعنا المتواضعة تمكنت من صدها وقد أبلى عباس صفى الدين وعبد الفتاح داود أروع بلاء. . .

أصدر عمر أوامره لى ولزميلى عبد العزيز بمهاجمة القطار من الخلف. . . ولكن تعذرت الاستجابة لأمره نظرًا لكثافة نيران العدو. . . فقررنا الصعود فوق سطح المنزل، ومحاولة اصطياد الدبابات. . . وزودنا عمر بقنابل يدوية ومدافع ستن. . . وكانت خطة ناجحة، فقد تمكنا من إيقاف زحف العدو.

إننى لا أملك وأنا أصف المعركة إلا أن أسجل إعجابى بالشهيد عمر، فقد كان - رحمه الله - كتلة من النشاط والحيوية، والقدرة على الحركة مع احتفاظه بابتسامته الهادئة وكأنه يلعب الكرة !

النار فى كل مكان:

تحت ضغط النيران لجأت مع بعض زملائى إلى قهوة تقع على ناصية الطريق، وكان سلاحى قد توقف تمامًا، فوقعت فى حيرة، ومرت علينا فى هذه اللحظة ثلاث مصفحات. . . تطل منها رؤوس الجنود وهم يطلقون نيرانهم على كل المبانى المحيطة بهم دون تمييز، وتصادف وجود أحد رجال البوليس معنا فى نفس المكان وكان سلاحه الوحيد بندقية إنجليزى. . . ويظهر أن الرجل كان معجبًا ببندقيته وقدرته على إصابة الهدف. . . وأراد أن يجرب نفسه مع المصفحة فأطلق رصاصة أصابت مقتلاً من جندى، فجن الرجل من الفرح وأخذ يصيح «بالطلاق قتلته». . .

شعرت قوات العدو أن المعركة ليست هينة. . . وخيل إليهم أننا جيش كبير فبدأوا يصوبون نيرانهم على القرية. . . كما أطلقوا قنابل هاون حارقة على المزارع فاشتعلت فيها النيران. . .

أول شهيد:

فى هذه اللحظة الحرجة أقبل علينا زميلنا على إبراهيم وهو يزحف تحت وابل من نيران العدو، وطلب منا رباطًا معقمًا لأن أحمد المنيسى كان قد أصيب برصاصة، وتطوع زميلنا إدوارد بالمجازفة بحياته لإنقاذ أحمد ولكن بعد فوات الأوان فقد لقى الرجل ربه.

بقيت أنا وسمير الشيخ وإسماعيل عبدالله وطفلة صغيرة -ابنة صاحب المقهى- فى مكاننا ننتظر المصير المحتوم. . . فقد استعصى علينا الانسحاب لأن العدو استطاع أن يغطى المنطقة بسيل من القنابل. . ومن بعيد جاءنا صوت الشهيد عمر وهو ينادى بأعلى صوته مطالبًا إيانا بالانسحاب ثم خفت صوته ولم نسمعه بعد ذلك.

إننى لا أستطيع الآن أن أسترجع الصورة بالكامل. . . ولكنى لا ولن أنسى بكاء الطفلة الصغيرة وهى تختفى خلف صفائح البنزين تتقى بها نيران العدو الغادر. . . إنها

تمثل صورة المأساة بكاملها . . . وأخيرًا . . . استطاع العدو أن يقتحم علينا القهوة وهو فى حمى الغضب . وأطلق أول رصاصة على سمير الذى صاح «الله أكبر . . شهيد» ولم نشعر بشىء بعدها أبدًا ، فقد جرت الأحداث سريعة وخاطفة . . . ووجدنا أنفسنا بين يدى العدو وضرباته المتلاحقة تكاد تفقدنا القدرة على التفكير . . . ثم دفعونا بشدة إلى مكان بعيد حيث وجدنا الشهيد أحمد المنيسى غارقًا فى دمائه . . .

محاولة لقتلنا بالجملة :

بدأ الإنجليز يتسلَّون بضربنا ببنادقهم وأحذيتهم الغليظة ، ويكيلون لنا الشتائم . . . ثم طلبوا منا أن نقف فى طابور ، واستعدوا لإطلاق النار علينا بالجملة ، وأدركنا أن أجلنا قد انتهى فرددنا الشهادتين . . . ولكن شاء الله أن يمد فى أجلنا فوصل أحد الضباط الكبار الذى أصدر أوامره بعدم قتلنا . . .

يقول الأستاذ كامل الشريف عن هذه المعركة:

فى هذه المعركة مات رجلان من خيرة رجالنا ، هما عمر شاهين وأحمد المنيسى ، كما مات معهما إخوان لهما من الفلاحين والخفراء النظاميين ، أما الباقون فقد ذاقوا ألوانًا من العذاب فى معسكرات الأسر ظهرت آثارها بادية على أجسادهم بعد أن أفرج عنهم الإنجليز عند نهاية الحوادث .

فى صباح اليوم التالى كانت الصحف المصرية تحمل أنباء معركة التل الكبير فى صفحاتها الأولى ، مشيدة بالبطولة الرائعة التى أبداها هؤلاء الشباب ، واعتبرته عملاً فائق الروعة : أن يصبر عشرات من الشباب المسلحين بالبنادق الخفيفة ساعات طويلة أمام مجموعة لواء من المشاة البريطانيين تؤازرهم الدبابات والمدفعية ، والحق أن بطولة رجالنا فى التل الكبير كانت فائقة حقًا ، غير أنها لم تمنعنا من اعتبارها عملية خاطئة ، وأن نحاسب المسؤلين عنها على هذا الأساس .

لقد كانت عملية التل الكبير مخالفة صريحة للمبدأ الأساسى الذى قررناه لحركتنا ، (الضرب السريع والهرب السريع) وقد خسرنا فيها كل مجموعتنا بين شهداء وجرحى وأسرى ، كما سببنا للبلدة خرابًا كانت فى غنى عنه .

أما الصحف البريطانية فقد عدته دليلاً جديدًا على قوة المقاومة المصرية ومدى المتاعب الهائلة التى يعانيها الجيش البريطانى ، فقالت جريدة الديلى ميرور : «إننا لا

نستطيع بعد الآن أن نقول عن قوات التحرير المصرية إنها إحدى الدعابات المضحكة، لقد وصلت المعركة إلى طور جديد واستمر القتال يوم السبت الماضى اليوم بأكمله، وظل المصريون يحاربون لواء «الكاميرون» و«الهايلاندرز» باستماتة عجيبة».

وقالت صحيفة «نيوز كرونيكل»: «إن المعركة إحدى المعارك الكبيرة التى ثبت فيها المصريون ولم يركنوا إلى الفرار. وقد علق عليها أحد ضباطنا بقوله: إنها كانت أعنف من أى معركة خاضتها قواتنا أمام الصهاينة فى فلسطين».

ذلك كان رأى الصحف المصرية والصحف البريطانية وهو يخفف عن رأينا نحن، فقد اعتبرناها عملية خاطئة، أما البريطانية فقد اعتبرتها عملية ناجحة من وجهة نظرها، وظهر بلاغ بريطانى فى اليوم التالى يقول: «إن هذه المعركة دلت على أن الإرهابيين بدؤوا يظهرون أمامنا فى معارك مكشوفة، الأمر الذى يضاعف من أملنا فى إبادتهم بسرعة !!».

ويكمل أحمد مجاهد قائلاً:

وفى اليوم التالى اتصل بى مندوب الحكومة وأخبرنى أن الإنجليز وافقوا على تسليم جثث الشهداء، ففرحت للنبأ لأنه كانت قد ترامت إلينا أنباء عن إتلاف الجثث انتقامًا من أصحابها.. وكان اللقاء بينى وبين الشهداء الثمانية أكبر من أن أجد له تعبيراً بلسانى أو بقلمى... قضيت ساعة فى المشرحة أقلب الوجوه الساكنة الراضية، وأحاول أن أسمع خلجات نفوسهم، ونبضات قلوبهم، ولكنى وجدت نفسى قاصراً عن إدراك عالمهم المتآلف الرفيع، كانت قدماى مشدودة إلى تراب الأرض، أما هم فكانوا يطيرون فى أجواء السماء تحملهم أطيار الجنة وتشدو بلحن الخلود... شعرت أننى أنا الميت الوحيد بينهم، أما هم فقد أمدهم الله بروح البقاء وأبى إلا استضافتهم فى رحابه... ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

على الرغم منى تم الفراق بينى وبين الشهداء... فتركتهم وأنا أحاول أن أذرف ولو دمعة واحدة ولكن استعصى علىّ الدمع...

حملنا جثة عمر شاهين فى عربة إسعاف، وكان معى زميلاى محمود الفوال وأحمد الخطيب، وتركنا لأبناء الشرقية مهمة تشييع جنازة الشهيد أحمد المنيسى، وقتلى أبناء التل الكبير الستة الآخرين.

وكان يومًا خالدًا فى تاريخ مصر. . . وهى تودع شهيدها الشاب عمر شاهين. . . كانت جنازة عمر شاهين تمتد حوالى ثلاثة كيلو مترات، وتضم ربع مليون مواطن تقريبًا. . . وكان يسير فى مقدمة الجنازة كبار رجال الدولة، وأساتذة الجامعة بأروابهم التقليدية وجميع الطالبات والطلبة، وكان التنافس بين الأساتذة على حمل نعش عمر شاهين يثير الإعجاب. . . وتقدم حسن الهضيبى والدكتور مورو لحمل النعش على فترات طويلة. .

وفى ميدان الأوبرا. . بكت القاهرة. . . بل بكت الأمة وهى تودع ابنها. . . وأنا الآن لا أذكر ما قلته، لكنى أذكر أثر ما قلته فى نفسى إلى يومى هذا. . كنت نبضات قلب تخفق لا أملكه ولكنها تملكنى، كنت لسان عمر شاهين وهو يخاطب أهل الأرض وهو فى عليائه وسموه، وبعد أن تكلمت بكيت ساعة ولم يخفف عنى إلا شقيق عمر الدكتور وائل شاهين. . . كان يومًا وكانت أمة!! قيادتها فى يد شهدائها. . . رحمنا الله ورحم أمتنا!!

أما أثر هذا اليوم فقد كان بعيدًا وعميقًا فى نفوس الناس، فقد اهتزت كل الصور القديمة واهتزت كراسى الحكم والأحزاب، واهتز العرش الملكى، ويكفى أن نقول إن هذه الأنظمة كلها كان يمكن أن تسقط فى هذا اليوم. . . لقد قلت بصراحة «لينزل النحاس ومن هو أعلاه ومن هو دونه إلى المعركة أو لينزلوا». وقلت وأنا أشير لعمر «اشكُ الظلم لله يا عمر» وكررتها مرارًا وأنا أشير إلى قصر عابدين. واندفعت المظاهرات بعد الخطاب وكادت الثورة الكبرى أن تندلع لولا قدرٌ ما كنا نعرف خباياه. . . أما أثر هذا اليوم فى الإنجليز والحكومة والقصر والشباب فقد كان بعيدًا وعميقًا. . . الإنجليز عبر عنهم «تشرشل» بقوله «لقد نزل الآن إلى الميدان عنصر جديد». وكان فى كندا فقطع إجازته وعاد إلى لندن. . . أما رجالهم فى القناة فضاعفوا من استعدادهم وحراستهم، وامتنعوا عن الخروج من المعسكرات بعد الخامسة مساءً.

نشكو إلى الله ظلم الظالمين. ولا نقول فى الختام إلا ما يرضى ربنا، إنها ضريبة العزة والكرامة، وإن ثمنها الجنة:

إنهـــا الجنة تبـــغى ثمنًا   عـز إلا من شـرايين الشـهـيـد

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا أخانا ـ يا أمجد ـ لمحزونون ولا نقول إلى ما يرضى ربنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الشهيد عادل غانم[1]

١٩٥٢/١/٤م



الشهيد عادل غانم، أحد السابقين إلى الشهادة فى معارك القناة، التحق بدعوة الإخوان المسلمين فى سن مبكرة لا تجاوز السادسة عشرة من عمره، وفى فترة عصيبة من عمر الدعوة، إذ التحق بها بعد المحنة الأولى واستشهاد الإمام البنا.

وفى ذلك العام كان قد التحق بكلية الطب جامعة إبراهيم باشا (عين شمس) وعندما بدأت حركة التدريب للجهاد فى الجامعة التحق بها، وانتظم فى معسكر التدريب الذى كان تحت قيادة الأخوين محمد مهدى عاكف ووائل شاهين.

ويحكى أخوه الأصغر على غانم، عن حاله فى تلك الأيام قائلاً:

إن أخى عادل كان ينتظر ملك الموت كل ليلة، وذات ليلة أيقظنى من نومى وقال لى إنه يشعر باقتراب أجله، فسخرت منه وقلت إنها أوهام وأحلام، ولكن يبدو أنه كان ينظر بنور الرجل المؤمن.

فبعد أيام دخل على وهو أشد ما يكون انفعالاً، وقال لى لم لا تفكر فى التدريب فى الجامعة ؟ فقلت له إن الدراسة جهاد كالعلم تمامًا، ولكنه استطاع أن يقنعنى برأيه وبدأنا التدريب سويًا.

ومع حلول أول يناير ١٩٥٢، كان عادل على موعد مع الشهادة.

كان المؤذن ينتهى من أذان فجر الجمعة الماضية حينما كان الأخ عادل محمد غانم يتوضأ للصلاة، وبعد أن خلص من ختام الصلاة مشى برفق إلى حيث يرقد أخوه الصغير على وهو طالب بالإبراهيمية الثانوية، فأيقظه برفق وقبله ثم ودعه، وأخبره أنه

---

(١) مجلة الدعوة، يناير سنة ١٩٥٢ العدد (٤٦).

يستعد لرحلة وسيعود بعد أيام قلائل، وطلب إليه أن يخبر الأسرة بذلك، أما والده محمد غانم بك المفتش بوزارة المعارف وأخوه الملازم سيد غانم فقد علما عندما أنبأهما على، وقالت والدته: «يظهر أنه رايح القنال». وفى صبيحة السبت الماضى نشرت الجرائد فى صفحتها الأولى خبر هجوم الفدائيين على الإنجليز عند نقطة تفتيش العباسة الذى كان نتيجته انسحاب الإنجليز بمصفحاتهم ودباباتهم من المعركة بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة فى الأرواح والعتاد، وجرح أحد الفدائيين، فذهبوا به إلى مستشفى فاقوس، وبعد أربع وعشرين ساعة فاضت روح الشهيد عادل غانم إلى بارئها.

قبل أن تفيض نفس عادل وتلقى بارئها صحا والتفت إلى إخوانه يسألهم: متى يبرأ هذا الجرح حتى أعود إلى الميدان لقتال الإنجليز؟ ثم رجع إلى غيبوبته، وأخيراً صحا وهتف: لا إله إلا الله محمد رسول الله، عليها نحيا وعليها نموت، وفى سبيلها نجاهد.

وفى صباح الأحد كان أهالى فاقوس جميعًا يشيعون جثمان الشهيد إلى خارج المدينة فى موكب مهيب، ثم عاد المشيعون وفى قلوبهم حسرة على فراق الشهيد وفى نفوسهم عزم أكيد على الانتقام له من المجرمين.

وبعد دقائق كان رتل من السيارات يتجه إلى القاهرة حاملاً وفداً كبيراً من أهالى فاقوس والإخوان تتقدمهم العربة التى تحمل جثمان الشهيد وقد لفت بالعلم المصرى، وكانوا قد أبرقوا للمركز العام، فاستعد الإخوان بالقاهرة لاستقبال الشهيد وكان المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبى فى المركز العام مع الإخوان.

وجىء بوالد الشهيد، وتقبل الرجل الخبر تقبلاً حسنًا كما يتقبله الأب المسلم فقال وفى قلبه لوعة: «فى سبيل الله».

ووصل الجثمان مع الموكب فأحاط به الإخوان وهم يهتفون، وفى المغرب نقل الجثمان إلى منزل العائلة الكريمة وصحبه وفد كبير من الإخوان وكان المرشد العام معهم.

وفى الثانية بعد ظهر أمس نقل الجثمان من منزله إلى مسجد القبة الفداوية بالعباسية حيث كان الإخوان هناك يتجمعون لتشييع الجنازة، وكان طلبة جامعات فؤاد وإبراهيم

والأزهر يصطفون فى الموكب الحزين الرائع، وكان شباب الكتائب ينظمون سير الذين تجمعوا فى الموكب الصامت لتحية شهيد الإخوان والجامعة فى القناة.

وكانت أعلام المركز العام وجامعة إبراهيم - التى كان عادل طالبًا بكلية الطب بها - تتصدر الموكب مع باقات الورود من مختلف الهيئات ثم الطلاب ثم كتيبة الجيش ثم كتيبة الأزهر وبعدها النعش محمولاً على أعناق الطلاب من شباب الكتائب الجامعية ثم المشيعون يتقدمهم المرشد العام ومندوب رئيس الوزراء ومندوب عن وزير المعارف ووكيل الأزهر وصالح حرب باشا ومكرم عبيد باشا ومدير جامعة إبراهيم، حتى إذا وصلت الجنازة الرهيبة إلى ميدان فاروق - ميدان الجيش حاليًا - تقبل فضيلة المرشد العام العزاء».

***

الشهيد عمر شاهين[1]

١٩٥٢/١/١٣



عمر شاهين، شهيد من شهداء الدوحة المباركة، دعوة الإخوان المسلمين.

استشهد وهو فى العشرين من عمره، ليشهد، أن دين الله ودعوته، والجهاد فى سبيله، أغلى من حياته كلها، وشهد له الجميع، بدءاً من زملائه فى الجامعة، وإخوانه فى الدعوة والجهاد، وقادته فى معسكرات التدريب وساحة الجهاد، وأمته جمعاء يوم خرجت عن بكرة أبيها تودع جنازته حتى أعداؤه الذين شهدوا له ولإخوانه بالشجاعة والثبات، حتى قطع زعيمهم تشرشل أجازته وقال: لقد نزل الميدان عنصر جديد.

كان عمر نموذجًا للشاب الذى تمناه كل أب ليكون له ابنًا، وكل صديق ليكون له خليلاً وكل امراة ليكون رجلها، وكل ابن ليكون ابن عمر.

كل ما تحب أن تراه فى شاب يمكنك أن تجده فى عمر.

فيه جمال الرجولة بكل ما تحمله هذه العبارة، قسمات وجهه نضرة رائعة، عضلاته قطعة من صلب، فارع الطول، سوى البنيان، راسخ الخطوات، مهيب النظرات.

تتمثل فيه القوة والرقة، الإصرار والحنان، الجمال والرجولة.

كان عمر مجموعة من الرجال فى رجل واحد، إذا التمست الرجل التقى العابد وجدته فيه، وإذا شئت بطلاً رياضيًا أثار إعجابك وحماسك، وهو مع هذا كله محب للعلم والدرس مغرم بالتعمق فى الفلسفة وعلم النفس فى غير جدل أو مراء.

---

(١) شهداء على الطريق - ٢٧- ٣٩- حسن دوح. المقاومة السرية فى القناة - كامل الشريف - ١٢٠ -١٢١ . صفحات من جهاد الشباب المسلم - حسن دوح (٥٤-٥٨) (٧٠-٧٥). حقيقة النظام الخاص - محمود الصباغ (٢٩٨-٣٠٠).

وأجمل ما فى عمر طفولته روحه التى تنضح براءة وطهراً فى قسمات وجهه، وكأن الرافعي يعنيه وهو يقول: إذا اكتملت للرجل رجولة أعماله، عادت إليه طفولة روحه[1].

ولد شهيدنا الكريم عام ١٩٣١ بالقاهرة. وارتبط بدعوة الإخوان المسلمين فى سن مبكرة لم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره، وشاركه فى الارتباط بالدعوة أخواه وائل شاهين ونعمان شاهين، فكانوا من بين أعضاء شعبة الإخوان بالعباسية.

وفى منزلهم الذى كان يطل على ميدان العباسية، كان يجتمع مجموعة من شباب الإخوان بعد صلاة المغرب يوميًا، وذلك لدراسة طرق مقاومة الإنجليز بما يتفق مع إمكاناتهم البسيطة فى ذلك الوقت، وكانت تلك المجموعة تضم الإخوة عمر ووائل ونعمان شاهين - والأخوين على وعصمت حمدى - والأخ رفعت النجار - والأخ المجاهد حسين حجازى.

وكانت هذه أولى خطوات شهيدنا فى ميدان الجهاد.

واجتمع الرأى على مهاجمة جنود الطيران الإنجليز أثناء عودتهم من السينما داخل المعسكرات بجوار كلية البوليس إلى مكان مبيتهم الواقع بين مستشفى الدمرداش وجامعة عين شمس.

وكان لهم فى هذا الأسلوب تجارب فاجعة وموفقة.

واشترك شهيدنا فى المظاهرات العاصفة التى كان يقوم بها الإخوان حينذاك من أجل نصرة قضية فلسطين، وتأييد مطالب مصر فى الجلاء والاستقلال.

حتى إذا جاء عام ١٩٤٧ وصدر قرار تقسيم فلسطين، واشتعلت الأحداث فى مصر وفلسطين، وفى نهاية العام أعلن عن فتح باب التطوع للجهاد فى فلسطين، فكان شهيدنا من أوائل المتقدمين للتطوع للجهاد.

وانتظم فى معسكرات التدريب بالهايكستب، انتظاراً للسفر إلى فلسطين للمشاركة فى الجهاد هناك.

وعلى الرغم من أنه لم يكن قد بلغ السابعة عشرة، إلا أن نشاطه وحيويته وإقباله على التدريب واستعداده النفسى، كانت له خير شفيع عند قادته.

(١) هذا الوصف الرائع الملحق نقلناه عن الأستاذ حسن دوح فى كتابه «شهداء على الطريق» ص ٢٧.

وكان من رأى بعض الإخوان أن ينتظر الشباب حديثو السن لاستكمال جوانب التربية المختلفة من ثقافية وغيرها أولاً ثم يفسح لهم مجال المشاركة الجهادية بعد ذلك، وكان لهم حوار ونقاش طويل مع عمر اضطره لموافقتهم، والعودة من المعسكر إلى القاهرة لمواصلة الدراسة فقد كان طالبًا بالمرحلة الثانوية حينذاك.

وعاد عمر إلى مدرسته، ولكن لم يتسن له مواصلة دراسته، فقد جاءت نذر المحنة الأولى بحل جماعة الإخوان المسلمين، واعتقال قادتها وشبابها، بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم الفاسد فى مصر، فظل فى المعتقل فترة، حتى أفرج عنه وواصل دراسته إلى أن التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة.

وجاء عام ١٩٥١ حافلاً بالأحداث الهامة، فألغيت معاهدة ١٩٣٦، وكان ذلك إيذانًا ببدء حركة جهاد قوى ضد الإنجليز فى القناة، وكان للجامعة دور قوى وفعال فى هذه المعركة. فقد تجمع الشباب الجامعى تحت قيادة شباب الإخوان الذين أطلقوا الشرارة الأولى وتولوا قيادة شباب الجامعة، فأقيمت معسكرات التدريب استعداداً للقتال فى جامعة القاهرة وعين شمس والإسكندرية.

وفى معسكر جامعة القاهرة، كانت هذه فرصة شهيدنا الذهبية.

والذين رافقوا عمر فى المعسكر يجمعون على أنه كان أبرز شخصية فى كل شىء كان رائعًا فى تدريبه، رائعًا فى خلقه، حتى إن قادة المعسكر وضعوه فى صفوف القادة وأسندوا إليه قيادة مجموعة من زملائه.

وبعد انتهاء فترة التدريب، وبدا الاستعداد للنزول للميدان، تعرض شهيدنا لمحنة جديدة لم تكن فى الحسبان، إذ كان تزاحم الشباب شديداً للسفر إلى الميدان فتقرر إجراء قرعة بين طلبة الإخوان المنتمين للمعسكر، وطرح اسم عمر شاهين فى القرعة، ولكنه لم يفز فأصابته كآبة نفسية شديدة ارتسمت على قسماته البريئة حتى تأثر له إخوانه، وتحايلوا بصورة ما لإجراء قرعة أخرى فكان من الفائزين.

فاندفع بكل مشاعره وعواطفه يهنئ إخوانه ويهنئ نفسه وأعلن عن إقامة حفل بمناسبة نجاحه فى القرعة وبلوغه العشرين من عمره.

وفى صباح اليوم التاسع من نوفمبر، سافرت الكتيبة الأولى من شباب الجامعة إلى فاقوس حيث أقامت معسكرًا للتدريب هناك استعدادًا للبدء فى القتال، وكان شهيدنا أحد الأفراد البارزين فى هذا المعسكر.

وذات يوم زار المعسكر المجاهد الكبير كامل الشريف القائد الفعلى لمجاهدى الإخوان فى القناة لتحية شباب الجامعة المجاهدين، ورأى شهيدنا المبرور، فكتب عنه تلك الكلمة الطيبة، تحت عنوان «شهيد»:

لا أدرى لماذا ترى أحد الوجوه أحيانًا فيظل عالقًا فى ذهنك بشكل بارز، كأنه عنوان لقصة مثيرة لم تكمل فصولها بعد.

وقد ترى هذا الوجه وسط مجموعة كبيرة من الناس لا يتميز عنها بشىء، بل ربما كان فيهم من يزيد عنه بالصيت أو الدرجة العلمية أو الماضى الطويل، ومع ذلك لا يبقى فى ذاكرتك إلا هذا الوجه وحده دون الناس جميعًا، وتظل تنتظر خاتمة القصة تحت هذا العنوان البارز:

لقد مرت بى هذه التجربة مرات عديدة خلال حملة فلسطين، وكانت هذه الوجوه عناوين لقصص من سير البطولة والاستشهاد، حتى تكرر منى أكثر من مرة أن أشير إلى بعض أصحاب هذه الوجوه، وأقول مازحًا: هذا شهيد.

وتصدق الأيام ظنى بعد قليل، حتى أصبح الإخوان يخافون من نظرتى تلك ويرونها فألاً غير مرغوب فيه.

إن أوصافًا معينة يلتقى فيها أصحاب هذه الوجوه التى مرت بى: إشراق واضح لا تخطئه العين، وصفاء روحى تحس به، وعكوف على العبادة، كأن صاحبها مقبل على لقاء قريب، وحركات سريعة نشطة كأن قوة داخلية تحركه، تريد أن تشده إلى أعلى وتنطلق به بعيدًا.

لقد رأيت هذه الشارات كلها فى عمر شاهين، يوم زرت مجموعة الإخوان الجامعيين لأحيى أفرادها عندما وصلت إلى أحد معسكرات التدريب فى الشرقية، وكانت المجموعة تستعد لتناول طعام الغداء.

ولفت نظرى شاب حديث السن وسيم الخلقة يقفز من مكان إلى مكان وفى فمه صفارة ويصدر أوامره، ثم يطوف على إخوانه ليستمع إلى مطالبهم، ثم يمزح مع هذا،

ويربت على كتف ذاك، وسألت أحد الإخوان ولعله الأخ - حسن دوح عن اسمه فقال: عمر شاهين فقلت له هامسًا ما أظن صاحبك هذا إلا شهيد.

وكانت هذه المرة الأولى والأخيرة التى رأيت فيها هذا الشهيد الكريم[1]

وبعد انتهاء مدة التدريب، توزعت الكتيبة على مواقع متعددة، وكانت قوة الشهيد عمر شاهين ترابط فى التل الكبير، وبدأ عمر وزملاؤه يعدون لأول معركة منظمة مع الأعداء، وجاءت هذه المعركة سريعًا يوم ١٢ يناير١٩٥٢.

وفى ليلتها زاره رفيقه المجاهد حسن دوح، ويروى هنا ذكرياته عن تلك الليلة فيقول[2]:

"كان لقاؤنا عجيبًا وحديثنا أعجب، كان عمر منهكًا من فرط العمل طيلة يومه فاستلقى على أرض الغرفة وأرسل يديه إلى جانبيه فى استرخاء، ونظر إلىَّ بعينَيْه البريئتين ثم أجراهما على جسده الممدد، وكأنه يرسم نفسه فى قبره، وقال لى مازحًا، يبدو أنها ستكون نصيبى هذه المرة فقلت له مداعبًا، بل هى من نصيبى أنا.

ثم ابتسم فى براءة واعتدل له فى جلسته، وهمّ أن يقف وأخذ يلوح بيديه فى الفضاء ويقول: لا إنك ستقف هكذا وتقول، الشهيد عمر شاهين، ثم أرسل ضحكة بريئة هزتنى من أعماقى ثم عاد إلى هدوئه وسكينته وابتسامته الطيبة، فنظرت فى وجهه وشعرت وقتها بمهابة كبيرة له، شعرت بأن الشاب قد منح من قوة البصيرة ما جعله يستشف شيئًا لم تدركه بصائرنا فآثرت السكون وانسحبت من الغرفة تاركًا إياه ليأخذ نصيبه من الراحة، وألقيت نظرة على وجهه المشرق وكأننى أودعه الوداع الأخير.

وفى ظهيرة ذلك اليوم بدأت أحداث المعركة، وكانت له فيها مواقف مشهودة، يرويها أحد إخوانه المشاركين فى المعركة فيقول[3]:

شاهدنا جنود الإنجليز وهم يتجمعون حول مكان الانفجار يحاولون معرفة حقيقته، وكانت فرصة متاحة لنا لنقتلهم جميعًا، ولكن الشهيد عمر أصدر إلينا أوامره بعدم إطلاق النار أو إلقاء القنابل لأنه لاحظ وجود عساكر مصريين بين الجنود الإنجليز.

---

(١) المقاومة السرية فى قناة السويس - كامل الشريف.

(٢) المصدر السابق.

(٣) صفحات من جهاد الشباب المسلم.

وتفتق ذهن الشهيد عمر عن حيلة طيبة، فألقى بقنبلة صوتية باتجاه الجنود فولوا هاربين وأسرعنا نصيد عساكر الإنجليز.

إننى لا أملك وأنا أصف المعركة إلا أن أسجل إعجابى بالشهيد عمر، فقد كان رحمه الله كتلة من النشاط والحيوية، والقدرة على الحركة، مع احتفاظه بابتسامته الهادئة وكأنه يلعب فى فريق كرة.

وعندما استعصى علينا الانسحاب، ومن بعيد جاءنا صوت الشهيد عمر وهو ينادى بأعلى صوته مطالبًا إيانًا بالانسحاب، ثم خفت صوته ولم نسمعه بعد ذلك.

وانتهت المعركة باستشهاد عمر وأخيه أحمد المنيسى وستة من شباب القرية وأسر ستة من شباب الجامعة.

يقول الأسرى: إن الإنجليز كان ينظرون بخوف شديد إلى عمر وهو مضرج بدمائه. كانوا يتخيلونه حيًا وقادراً على مطاردتهم، حتى إن بعضهم هم بوخزه مراراً بسلاحه للتأكد من موته.

وتركوا جثته وإخوانه الشهداء فى العراء طعامًا للكلاب، ولكن الكلاب كانت أكرم منهم فلم تمس جثث الشهداء بسوء.

وكان الإنجليز حريصين على استبقاء جثته، ولكن الضغط الشعبى المتزايد، ومخافة الانتقام من الإنجليز المقيمين بالقاهرة اضطرتهم لتسليم جثث الشهداء.

وخرجت القاهرة عن بكرة أبيها تستقبل شهيدها المبرور، وكان يوم تشييع جنازته يومًا مشهودًا.

كانت جنازته تمتد حوالى ثلاثة كيلو مترات وتضم ربع مليون مواطن تقريبًا، وكان يسير فى مقدمة الجنازة كبار رجال الدولة وأساتذة الجامعة بأروابهم التقليدية وجميع الطلبة والطالبات وكان التنافس بين الأساتذة على حمل نعش الشهيد يثير الإعجاب، وتقدم الأستاذ المرشد حسن الهضيبى والدكتور عبد الوهاب مورو لحمل النعش على فترات طويلة، وفى ميدان الأوبرا.. بكت القاهرة، بل بكت الأمة وهى تودع ابنها البار المبرور.

ووقف أخوه وائل شاهين فى الجنازة يعلن فى الأمة إصراره على مواصلة مسيرة عمر الشهيد، وكان من أوائل من نزلوا للميدان، وأصيب بقنبلة حارقة لا تزال آثارها مرتسمة على وجهه حتى الآن.

ورثاه رفيقه فى الجهاد الشاعر محيى الدين عطية بهذه القصيدة الرائعة المؤثرة :[1]

حنانيك يا ذكــريات العــمـر
ورفــقًــا بقلب ذوى وانفطر
هناك على الجــدول المنحــدر
ظلال النخـيل وضـوء القـمـر
شـهـود على دمـعىَ المنهــمـر
هناك التــقـينا، ونعم الرفـيق
فــتــيًــا، أبيًــا، ذكى البــريق
شفيقًا، رهيفًا، كلحن رقيق
وفى صـــدره أمل يســتــفــيق
بأعـــمــاقــه، ثورة تســتــعـر
ســرى بيننا كــشــعــاع وليــد
كـرمـز لإنسـان جـيل جـديد
كــحب تغنى بأحلى نشــيــد
كـزرع روته دمــاء الشــهــيـد
فــشب بهــا نامــيًــا، وازدهر
إلى أن تردد يــومًـــــا، نـداء
ودمــدم صــوت يشق الفـضــاء

(١) شهداء على الطريق ـ حسن دوح. شهداء الدعوة الإسلامية ـ أحمد الجدع.

لصيحات شعب تحدى الفناء

لصرخاته يستحث السماء

ويقسم بالله أن ينتصر

دارت رحى الحرب، لا ترحم

معارك يذكى لظاها الدم

وحقد العدا ناره تضرم

وفتياننا قدر ملهم

أتوا فوق ما يستطيع البشر

وقالوا رأيناه بين الصفوف

يحث خطاه بقلب لهوف

وبين المعاقل ليلاً يطول

عمالقة فى بطون الكهوف

وخلفهمو أمة تنتظر

ويوم أتى فجره كالغريب

بأنباء ليل عصيب رهيب

أفقنا، وأسماعنا تستريب

نسائل عنه وما من مجيب

سوى أدمع بالأسى تنهمر

أحلم ؟ وفتشت حولى أرى

أحقًا ؟ كما ظن قلبى جرى؟

أحقًا قضيت؟ طواك الثرى؟

وكيف طعنت ؟ وكيف انبرى

ذراعًا لطيفك، لم ينكسر؟

وقالوا دم من دماه سرى

على التراب خط كلامًا يرى

حكاه الرواة بتلك القرى

حديث كفاح مرير جرى

على أرضهم، ثم لم يندثر

ودار الزمان على أرضنا

تضج ربانا بأعدائنا

فتلفظهم فى بحار الفنا

كأن السماء استجابت لنا

وعمرك ما ضاع فينا هدر

وبعد، رفيقك ماذا دهاه؟

وغرسكما، يا ترى هل جناه؟

أتعلم كيف اكفهرت سماه

وكيف أذاقته كف الحياة

كؤوس المرارة حتى سكر

لقد ضؤل الكون فى وهمه

وغاضت مناهل أحلامه

سوى طائف طاف فى نومه

يرتل أعذب أنغامه

مقاعد صدق، معا يا عمر

الشهيد أحمد المنيسى [1]

١٩٥٢/١/١٣م



الشهيد أحمد فهمى المنيسى، رفيق جهاد عمر شاهين، وشهادته، فإذا ذكر أحدهما، كان الآخر حاضراً حتماً، شاهين والمنيسى، شهيدا الإخوان فى معركة التل الكبير، وشاهدى عدل، على جهاد الإخوان وتضحياتهم، وطهارة دعوتهم، ونجاح تربيتهم، وأكرم بهما من شاهدين شهيدين.

وشهيدنا أحمد المنيسى من أبناء مدينة فاقوس، وطالب بالسنة الثانية بكلية الطب جامعة القاهرة. متفوق فى دراسته، وبرز فى ميدان الجهاد حتى نال الشهادة، وصفه أحد إخوانه بقوله:

كان ملتزم الصمت والهدوء، وبرز كعملاق كبير يقف إلى جوار عمر وكان لا يقل روعة عن عمر، كان إنساناً فى كل تصرفاته، يملأ الحب قلبه والرقة والصفاء، مع رجولة غامرة وشخصية قوية.

وجاءت معركة التل الكبير، وكان أول شهدائها.

يصف أحد زملائه تلك اللحظات بقوله:

فى هذه اللحظة الحرجة أقبل علينا زميلنا على إبراهيم وهو يزحف تحت وابل من نيران العدو، وطلب منا رابطاً معقداً لأن أحمد المنيسى كان قد أصيب برصاصة، وتطوع زميلنا إدوارد بالمجازفة بحياته لإنقاذ أحمد، ولكن بعد فوات الأوان فقد لقى الرجل ربه.

وجرت الأحداث سريعة وخاطفة، ووجدنا أنفسنا بين يدى العدو، ثم دفعونا بشدة إلى مكان بعيد حيث وجدنا الشهيد أحمد المنيسى غارقاً فى دمائه.

وسار أبناء فاقوس والشرقية فى موكب وداع حزين يودعون الشهيد أحمد المنيسى وإخوانه الستة، فى نفس الوقت الذى كانت القاهرة تودع رفيق جهاده عمر شاهين.

---

(١) صفحات من جهاد الشباب المسلم – حسن دوح. المقاومة السرية فى قناة السويس – كامل الشريف.

رفيق الدرب الشهيد محمد الصوابى الديب

(١٣٤٧-١٣٧٥هـ، ١٩٢٧-١٩٥٥م)



تعرفت عليه منذ التحاقى بكلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٤٩م بواسطة إخوانى محمد الصفطاوى وأحمد العسال وأحمد حمد وغيرهم من زملاء الدراسة بالكلية، الذين أثنوا عليه الثناء الحسن، وذكروا من سيرته وصفاته وإيمانه ورجولته وصدقه ووفائه، ما زادنى فيه حبًا ومنه قربًا، فقد كان نموذجًا من الشباب الصالح، ومن نوادر الزملاء فى الكلية.

والأخ الحبيب محمد الصوابى الديب عامل صامت ومجاهد صادق، يتصف بالهدوء والدعوة والخلق النبيل الفاضل والمشاعر الطيبة الصادقة، يحب إخوانه غاية الحب ويتفانى فى خدمتهم بكل تواضع وحياء ودونما تكلف أو رياء.

إنه نموذج من النماذج الكريمة لهذه الدعوة المباركة التى انطلقت بتوجيه مجدد القرن الرابع عشر الهجرى بأرض الكنانة الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله تعالى.

كان جادًا فى دراسته، صارمًا فى مواقفه، لا يتراجع أمام الباطل، مهما طغى وتجبر، ولا يتردد عن الإقدام فى مواطن الرجولة، وميادين الجهاد.

ظلت صلتى به قوية وعلاقتى به وثيقة، وكنا نتبادل الزيارات فى المنازل، حتى تخرجت فى الجامعة وغادرت مصر سنة ١٩٥٤م، فانقطعت أخباره وأخبار الإخوان الزملاء الآخرين عنى، نظرًا للجو الرهيب الذى عاشته مصر فى عهد الطاغية عبدالناصر ـ عليه من الله ما يستحق ـ ثم سمعنا من وسائل الإعلام وعن طريق الثقات من أصحاب المروءات بما مرّ بالدعاة إلى الله من مآسٍ وابتلاءات، حيث أُدخلوا السجون بالألوف، وأُزهقت أرواح المئات منهم تحت التعذيب وعلى أعواد المشانق، وهرب من الظلم من استطاع الهروب، واختفى من استطاع الاختفاء، وقد بقى الأخ الشهيد مطاردًا فترة من الزمن، متخفيًا عن الأنظار، يسكن المقابر، ويجاور الأموات،

حتى هداه الله إلى الالتجاء إلى جوار رجل شهم كريم، وعالم أزهرى كبير، فآواه فى بيته، وأكرم نزله، وعامله معاملة الأب لأبنائه، فكان هذا العالم قمة فى الوفاء والكرم والمروءة، لم نعهدها فى الكثير من علماء السلطة، وأتباع الظالمين من المرتزقة وأدعياء العلم الذين يتاجرون بالدين فى سبيل الدنيا، وينتصبون لحرب الدعاة طمعًا ورغبًا من الحاكم الظالم الذى سخرهم أبواقًا تُسبح بحمده وتذكر مآثره وتبرز ظلمه وطغيانه وتفسر الدين على هواه!!

عالم عامل:

إن هذا المثل الرائع للعالم العامل فى هذا الزمان هو فضيلة الشيخ الكبير مفتى الديار المصرية حسنين محمد مخلوف، وهو ليس فى حاجة إلى تعريف، لأنه أكبر من أن يُعرَّف فسمعته الطيبة وذكره الحسن وسيرته العطرة معروفة فى العالم العربى والإسلامى وليس فى مصر وحدها، لقد عاش الشيخ العلامة مخلوف حياته كلها يمثل عزة العالم المسلم، ورجولة الداعية إلى الله، وكان - رحمه الله - ولا نزكيه على الله - من عباد الله الأتقياء الصالحين، الذين يقفون مع الحق ويساندون دعاة الحق ويقولون الحق، ويعملون به ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلبًا لمثوبته.

لقد بقى الأخ الشهيد والزميل الصديق محمد الصوابى الديب متخفيًا حتى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٤م، حين ذهب الساعة الثالثة ظهرًا، وطرق باب منزل العلامة الشيخ حسنين مخلوف - مفتى الديار المصرية - الذى يقع فى شارع نجيب باشا بكوبرى القبة بالقاهرة.

وحين يفتح الخادم الباب يعود إلى الشيخ ليخبره عن الطارق فيقول: إنه شاب طليق اللحية، رث الثياب، ويريد مقابلتك.

يقول الشيخ مخلوف بنفسه: تعجبت من ذلك وظننت أنه عابر سبيل..

دخل الشاب المنزل، ولم أقابله فى البداية، بل أعدَّ له الخادم طعام الغداء، فأكله بشهية وكأنه لم يأكل منذ مدة طويلة.. بعد الغداء ظننت أنه سينصرف، إلا أنه أصرَّ على مقابلتى وألح فى ذلك، فذهبت إليه وما إن رأيته حتى ظننت أنه سيطلب صدقة، فقد كان رثَّ الثياب تبدو عليه شدة التعب.

بدأ حديثه بأن عرَّفنى على نفسه . . محمد الصوابى الديب طالب بكلية الشريعة بجامعة الأزهر . . ولقد اهتز بدنى وأصبت برعشة عندما قال لى : «إنه كان من متطوعى الإخوان المسلمين فى حرب فلسطين والقناة» ، فقد كان الإخوان المسلمون فى ذلك الوقت سنة ١٩٥٤م فى أوج محنتهم ، وكانت كلمة « الإخوان المسلمون» تترادف معها كلمات الاعتقال ، السجن ، التعذيب المحاكمات . . . إلخ .

نظر الشاب إلىَّ فى هدوء ، والحديث للشيخ مخلوف ، وقال بصوت منخفض ولكنه قوى : " أنا فى محنة وأحتاج إليك ، فأنا مطلوب القبض علىَّ ، وقد مكثت أكثر من شهر هاربًا متخفيًا فى المقابر نهاراً ، ثم أخرج فى الليل لاقتات الطعام . . لقد كرهت الحياة بين الأموات وأريد أن أعيش بين الأحياء فهل تقبلنى ؟ .

يقول الشيخ حسنين مخلوف : سيطر الذهول على نفسى تمامًا ، ولم أفق إلا عندما قال الشاب : ما رأيك؟ . . استأذنت منه وذهبت إلى أولادى . . الدكتور على وابنتى زينب ، والذهول مازال مسيطراً على نفسى . . لاحظ أولادى ذلك على الفور فسألونى : " مالك يا أبى . . حصل إيه ؟ " .

أخبرتهم بالقصة ، وفجأة وجدت نفسى أردد قائلاً : إنه صادق . . إنه صادق . . إنه صادق .

قلت لأولادى : إننى متأكد أن هذا الشاب ليس من الشرطة أو المباحث جاء ليختبرنا بل إننى موقن أنه يقول الصدق فهو صادق . . وأضفت : إننى لا أستطيع أن أرد مستجيراً فى هذه المحنة ، وأنا موقن أنه مظلوم ، وقد قررت قبوله ، ولكن الذى يقلقنى هو ما ستفعله بكم أجهزة المباحث والدولة كلها إذا اكتشفوا وجوده بيننا ، حيث هناك قانون أو فرمان جمهورى صدر فى ذلك الوقت ، يعاقب كل من يتستر على أى من الإخوان المطلوب القبض عليهم بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشر سنة ، قال ابنى على - بعد فترة صمت : افعل ما تراه من الناحية الإسلامية والله يتولانا جميعًا ، ويضيف الشيخ حسنين مخلوف فيقول : خرجت مع ابنى على إلى الشهيد الصوابى ، وعرفته بابنى على ، وأخبرته بأننا قررنا قبوله عندنا ، وأنه يشرفنى ذلك . . ارتسمت أمارات الراحة والاطمئنان على وجه الشهيد . . وما زلت أذكر ابتسامته المضيئة على وجهه حتى الآن .

شخصية جديدة:

وسيطرت الدهشة على وجه الشهيد عندما قال له ابنى الدكتور على: «لابد من أن تولد من الآن بشخصية جديدة وتدفن شخصيتك الحالية»، ويضيف الدكتور على مخلوف الذى يعمل رئيس قسم أمراض النساء والولادة بطب عين شمس: كان فى اعتقادى أنه لا يمكن إخفاء الشهيد محمد الصوابى الديب، وبخاصة فى منطقتنا التى كانت تشتهر بكثرة ضباط البوليس الذين يسكنونها، فكان الحل أنه لابد من أن يولد الشهيد الديب بشخصية جديدة تمامًا.. وأن أحسن طريقة لإخفاء أى شخصية هو أن تظهره بشخصية جديدة، وتكون جميع تصرفاته طبيعية، أما الهروب والاختفاء عن أعين الشرطة والناس، فإنها طريقة فاشلة ينكشف أمرها دائمًا، عاجلاً أو آجلاً.

واتفقنا على أن يعمل الشهيد سكرتيرًا لوالدى الذى كان فعلاً فى حاجة إلى سكرتير، فقد كان مفتيًا للديار المصرية فى ذلك الوقت، وكانت ترد إليه استفسارات دينية كثيرة، بالإضافة إلى أنه يكثر من تأليف الكتب، واحترنا فى الاسم الذى نطلقه عليه، وأخيرًا قال والدى للشهيد: أنت صادق فى جميع تصرفاتك وأقوالك، فاسمك منذ الآن «صادق أفندى»، وضحكنا جميعًا.

وفى اليوم التالى كان الشهيد محمد الصوابى الديب شخصًا آخر تمامًا، نظيف المظهر، حليق الذقن، وهو أبيض اللون، واسع العينين، متوسط الطول، نحيف الجسم.

ويقول الشيخ حسنين مخلوف: إن الخطة التى تم وضعها لإخفاء الشهيد نجحت تمامًا، فقد أذعنا على كل أفراد الأسرة أنه جاء لى سكرتير جديد اسمه "صادق أفندى"، ولم يعرف بالسر سوى أربعة أشخاص: أنا وابنى الدكتور على وابنتى الدكتورة زينب، وزوجة ابنى الدكتورة سعاد الهضيبى، التى لم تتردد فى الترحيب بالشهيد رغم أن والدها المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبى وجميع إخوتها فى السجن.

ويضيف الشيخ حسنين مخلوف: إن الشهيد محمد الصوابى الديب أو صادق أفندى، كان فعلاً سكرتيرًا ممتازًا، وعاوننى كثيرًا فى عملى، وبخاصة فى الكتب التى

أخرجتها فى ذلك الوقت، وكان الشهيد يصحبنى دائمًا، فى كل مكان أذهب إليه، وقد اعتبرته فعلاً سكرتيرى الخاص.

عاش صادق أفندى لمدة ثمانية أشهر كاملة مع أفراد أسرة الشيخ حسنين مخلوف كأنه واحد منهم، يأكل معهم ويعيش بينهم، حيث كان الشيخ يطلب منه دائمًا الإجابة عن الاستفسارات الدينية الكثيرة التى ترد إليه باعتباره مفتيًا للديار المصرية، وكان الشهيد يسكن فى حجرة منفصلة بحديقة المنزل بها صالون ومكتبة كبيرة وغرفة نوم وحمام خاص، تم تخصيصها لصادق أفندى.

يقول الشيخ حسنين مخلوف: وفى أحد أيام صيف ١٩٥٥ م على ما أذكر، جاءنى صادق أفندى وقال لى إنه يريد السفر إلى السعودية ليعمل هناك، وحاولت أن أثنيه عن ذلك، ولكنه أصرَّ وأخبرنى أن هناك شخصًا قد أعد له الرحلة بالباخرة عن طريق السويس إلى جدة.

إن قلبى لم يطمئن واستعنت بابنى الدكتور على لإقناعه بعدم السفر، ولكن دون جدوى، وقال إنه يريد أن يكون نفيه هناك، ويستريح من القلق الذى يعانيه كهارب، رغم إجادته لشخصية صادق أفندى، وغادرنا الشهيد البطل بعد أن وعدنا بأن يرسل لنا برقية فور وصوله إلى السعودية لكى نطمئن، وأرسلت إلى المرحوم محمد سرور الصبان مستشار الملك سعود ليهيئ له عملاً عند وصوله إلى هناك، ولقد مضى على سفر الشهيد حوالى الشهر ولم تصل أى برقية تفيد بوصوله إلى هناك.

يقول الدكتور على حسنين مخلوف: كانت الأسرة كلها قلقة، وبما أننى كنت أكثرهم هدوءًا، فقد حاولت دائمًا أن أطمئنهم، ولكن دون جدوى، وضاع هدوء أعصابى فى أحد الأيام عندما أخبرتنى زوجتى الدكتورة سعاد الهضيبى أنها سمعت من إذاعة لندن أنه تم القبض على اثنين من الإخوان المسلمين فى باخرة السويس، وهما فى طريقهما إلى جدة، ولم تذكر الإذاعة أسماء، ولكننا شعرنا أن الشهيد محمد الصوابى الديب كان أحدهما.

رواية وهبى الفيشاوى:

ويروى الأخ وهبى الفيشاوى الذى عمل مديراً لمطبعة مصر يقول: إن الشهيد محمد الصوابى الديب سجن معنا فى السجن بعد القبض عليه، وقد علمنا أنه تم القبض عليه

بواسطة شخص عراقى، وكان زبانية السجن الحربى يعذبون الشهيد تعذيبًا وحشيًا، حيث وضعوه فى زنزانة تسمى «زنزانة الركن» وهى مخصصة للتعذيب الشديد، وكانوا لا يتركونه ينام أبداً، وكان الشهيد أشدنا تعذيبًا لا يرحمه مجرمو السجن حتى فى أوقات الراحة.

وتقول الدكتورة سعاد الهضيبى ابنة الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للإخوان المسلمين: ذهبت يومًا إلى السجن الحربى لكى أسلم والدى بعض الحاجات، وعقب خروجى من مكتب مدير السجن حمزة البسيونى، شاهدت الشهيد محمد الصوابى الديب وهم يقومون بتصويره لعمل بطاقة اتهام، وكتمت صرخة كادت تنطلق منى، وأسرعت إلى المنزل وأخبرت زوجى بما شاهدته، فصاح قائلاً « رحنا فى داهية»، وأعد زوجى د. على حقيبته التى سيأخذها معه إلى السجن، فقد كنا نتوقع فى كل لحظة أن تأتى الشرطة العسكرية والمباحث العامة للقبض علينا.

ويقول الدكتور على مخلوف: كنت خائفًا على والدى الشيخ حسنين مخلوف، فهو قد تجاوز الستين من عمره، ولا يستطيع أن يتحمل أهوال السجن الحربى، ولذلك كنت أنا وزوجتى لا نفارقه ليلاً أو نهاراً، متوقعين فى أى لحظة مداهمة الشرطة لمنزلنا.

يقول العلامة الشيخ مخلوف: لم أكن أتوقع أبدًا أن يتحمل الشهيد محمد الصوابى الديب هذا التعذيب الذى لا يصدقه عقل من أجلى، لم أكن أتوقع أن يضحى بحياته من أجلى، حقًا.. هذه هى تربية الإسلام الحق.

وتقول الدكتورة سعاد الهضيبى: تعجبنا جميعًا عندما مرت الأيام ولم تداهم الشرطة بيتنا كما كنا نتوقع، وفى أحد الأيام ذهبت لزيارة أبى المرحوم حسن الهضيبى بالسجن الحربى، وسألته عن محمد الصوابى الديب الذى كان يعرفه لأنه من الإخوان المسلمين، بالإضافة إلى أن بلدته «شبين القناطر» مجاورة لبلدة أبى وهى «عرب الصوالحة» بالقليوبية، فهز والدى رأسه بطريقة تدل على الأسى وأخبرنى أنه من الشهداء، وأضاف أبى قائلاً: لقد تعجبت له أن الذين كانوا يقومون بتعذيبه كانوا لا يسألونه إلا سؤالاً واحدًا فقط وهو «أنت كنت فين؟»، فلا يجيب إلا بآيات من القرآن الكريم، حتى كسروا عموده الفقرى وبرزت عظامه وضلوعه، وكان ممرض السجن «التمرجى» يخرج من مكان تعذيبه وفى يده صفيحة مليئة بالدم.

ويقول الأخ وهبى الفيشاوى: إن بعض الإخوة المسجونين الذين كانوا يقومون بتوزيع الطعام علينا، كانوا يخبروننا بأحوال السجن والمعذبين فيه، وفى أحد الأيام أخبرنى أحدهم أن جراح الأخ محمد الصوابى الديب فادحة جدًا ومتقيحة، وأن حالته قد ساءت لدرجة أن الحشرات تسرى بين جروحه، وأنه قد امتنع عن الطعام بعد أن مُنع عنه الماء، ولم تمض سوى أيام قليلة على هذا الحديث حتى أطفئت أنوار السجن الحربى كلها فى إحدى الليالى، وشاهدت من ثقب زنزانتى حراس السجن الحربى يحملون شخصًا ملفوفًا داخل بطانية ويضعونه داخل سيارة جيب مغلقة، وشعرت أنه الشهيد محمد الصوابى الديب، وقلت فى نفسى استرحت وفزت بالجنة إن شاء الله.

ويختم الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية وبقية السلف الصالح حديثه عن الشهيد البطل قائلا: إذا كانت تربية الشهيد من تربية الإخوان المسلمين، فأنا أضم صوتى بقوة إلى علماء الأزهر فى المطالبة بعودة الإخوان المسلمين، فتربيته هى خير تربية.

هكذا كان أخى ورفيق دربى الشهيد محمد الصوابى الديب، وتلك نبذة يسيرة عن سيرته وجهاده، نرجو أن تكون نموذجًا يحتذى لشباب اليوم، ليعرفوا كيف يصوغ الإسلام رجاله، وأى نوع من الدعاة هؤلاء الذين تخرجوا فى مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا.

نسأل الله تبارك تعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يدخلنا وإياه الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

***

محمد مصطفى الصبار[1]

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ في مدينة دير الزور بسورية، وشب وترعرع فيها، ولما بلغ مبلغ الرجال، واطلع على أحوال المسلمين في فلسطين وتآمر الإنجليز على بلادهم المقدسة وأيقن أن الجهاد واجب عليه دفاعًا عن أقدس بلاد المسلمين، سافر المجاهد محمد مصطفى الصبار من دير الزور إلى فلسطين، وترك والدته التي لا معيل لها سواه، وخاض معارك كثيرة، وكان فيها مثال الرجل المجاهد الصابر الثابت الشجاع الذي لا يفر من الموت بل يرغب فيه ابتغاء مرضاة الله ودفاعًا عن الأرض المباركة.

وفي معركة من المعارك التي حدثت سنة ١٩٤٨ أصيب بإصابة في ذراعه فذهبت به، ومع هذا لم يعد بعد هذه الإصابة البليغة إلى بلده، بل أصر على أن يبقى مع إخوانه المجاهدين بدون راتب، ليقوم بالواجب الذي قدم به من أجله.

ويحدث قائد سريته الرئيس الأول محمد خالد المطرجي عنه فيقول:

حدث أن أمرنا بالهجوم على مستعمرة (عين جالود) فتقدمنا نحو المستعمرة، ولكن إحدى الفصائل لم تستطع التقدم، وكأنها سمرت بالأرض لانصباب نيران كثيفة عليها من رشاش معاد لم نتمكن من اكتشافه أثناء الاستطلاع، فما كان من محمد مصطفى الصبار، إلا أن تسلل حتى اقترب من مكان ذلك الرشاش وقذفه بقنبلة يدوية أخرسته فوراً، وفتح مجالاً لتقدم الفصيل.

وفي هذه المعركة شاء الله تبارك وتعالى أن يرزق المجاهد مصطفى الصبار الشهادة ويكافئه على جهاده وشجاعته بنعيم مقيم. فهنيئًا له بالشهادة.

***

---

(١) انظر كتاب: فلسطين ص ٦١ - ٦٢.

مذبحة طرة

بعد محاكمات ظالمة وأسباب ملفقة يراد منها تصفية الدعوة الإسلامية وجنودها المخلصين، أعدم من الإخوان من أعدم ودخل السجون من دخل، ولم يكتف الظلمة بذلك بل أرادوا تصفية هؤلاء المسجونين وخاصة تلك القيادات الشابة الناهضة، فدبروا مذابح وحشية فى السجون متخطين كل حدود الأخلاق والإنسانية، ومن هذه المذابح مذبحة طرة.

التمهيد للمذبحة:

كانت الأوامر الصادرة للجلادين من عبد الناصر وبطانته هى ممارسة أقسى وأعنف أنواع الضغط النفسى والتعذيب البدنى ليجد مبرراً لإبادة جميع الإخوان المسجونين بحجة أنهم اعتدوا على الحراس انتقامًا منهم . . . وما هى إلا ممارسات مجرمى المذبحة وردود الأفعال من قبل الإخوان.

أولاً : رواية اللواء مجيد الخولى :

حدث ـ مع أواخر عام ١٩٥٥ – أن أقدم أحد الضباط على تصرف ينطوى على استفزاز للمحكوم عليهم من الإخوان المسلمين بليمان طرة، ولما حاولوا إثناءه عن التمادى فى سلوكه بالمناقشة الهادئة اعتبر ذلك اعتداء عليه ومساسًا بكرامته، وذهب إلى اليوزباشى(أ) (رحمه الله) مدعيًا بأن الإخوان اعتدوا عليه ـ وكان اليوزباشى (أ) متسرعًا فى بعض تصرفاته، وينقصه تحكيم العقل فيما يعرض عليه ـ لذا كان يندفع إلى ما يسىء إليه وإلى العقل فيما يعرض عليه، كما كان يندفع إلى ما يسىء إلى غيره ـ لذا ما إن أبلغه الضابط بواقعة الاعتداء الوهمى عليه حتى سارع إلى حيث يقيم الإخوان فى غرفهم المغلقة عليهم، ومعه بعض الحراس، ودهم الغرف وأعمل فى المسجونين ضربًا وسبًا، مع إلقاء الطعام على الأرض، وانتهى الأمر بإجراء تحقيق ثبتت منه إدانة الضابطين ووقع على كل منهما جزاء بالخصم من المرتب، مع نقل اليوزباشى (أ) من ليمان طرة إلى سجن آخر، كما وقع جزاء بالجلد على بعض المسجونين الإخوان، وهو

جزاء كان فيه ظلم كبير (للمسجونين)، وكان المفروض أن ينتهى الأمر على ذلك، إلا أن الجزاء الموقع على اليوزباشى عبد اللطيف رشدى ترك فى نفسه إحساسًا آخر.

كنت فى ذلك الوقت ضابطًا بليمان أبى زعبل، ثم نقلت إلى ليمان طرة فى أغسطس سنة ١٩٥٦، وكان القائمقام (عقيد الآن) السيد والى - رحمه الله - نقل مديراً لليمان طرة، وفوجئنا بعودة اليوزباشى (أ) إلى ليمان طرة مرة أخرى، مع تعيينه وكيلاً لمأمور الجبل حيث يعمل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة فى تكسير الأحجار.

يبعد هذا الجبل عن مبنى ليمان طرة حوالى كيلو متر ونصف تقريبًا، ويخرج المسجونون من الليمان يوميًا فى الصباح متوجهين إليه سيراً على الأقدام فى حراسة مجموعة من عساكر الدرجة الثانية المسلحين بقيادة ضابط يحيطون طابور المسجونين من الجانبين - فضلاً عن الحراس من الدرجة الأولى المنوط بكل منهم مجموعة من المسجونين- يتولى الإشراف على تشغيلهم واستلام إنتاج مجموعته من الحجر المستخرج من الجبل، ويشرف على العمل ضابط برتبة كبيرة نسبيًا يسمى مأمور الجبل يعاونه ضابطان يسمى كل منهما وكيل الجبل.

وكان المحكوم عليهم من الإخوان المسلمين يخرجون مع غيرهم للعمل بهذا الجبل، وكانوا يعملون فى مجموعة واحدة منفصلة عن سائر المسجونين لدواعى الأمن - وهو إجراء عادى يتبع مع جميع المحكوم عليهم فى قضايا ذات صبغة سياسية، أو فى قضايا الرأى ويحكم نظام العمل فى الجبل تعليمات محددة واضحة ودقيقة لا تسمح بأى خلل، ويكاد العمل فى ظل هذه التعليمات يسير تلقائيًا لأن الجميع يعرفون واجباتهم ومع طول المدة أصبح روتينيًا عاديًا لا جديد فيه.

وأهم ما يميز العمل فى جبل ليمان طرة هو تقسيم المسجونين فى مجموعات تلتزم كل مجموعة بإنتاج كمية محددة من الأحجار (مقطوعية) يتم استلامها منهم آخر الوقت بمعرفة الكاتب المختص بحضور وكيل الجبل، وهى مقطوعية جماعية أى تلتزم بها المجموعة متضامنة، وهذا النظام يخالف المعمول به بالمحاجر التابعة لليمان أبى زعبل فى ذلك الوقت (العمل فى قطع الأحجار توقف منذ فترة) حيث كان كل مسجون يلتزم منفردًا بتقديم كمية محددة من الأحجار..

بدأ اليوزباشى (أ) وكيل الجبل يتحرش بمجموعة الإخوان أثناء عملهم بالجبل، وأخذ تحرشه بهم صوراً مختلفة، وكانوا حريصين على عدم الاستجابة له، إلى أن حدث ذات يوم أن أصدر إليهم أمراً بأن يقدم كل منهم مقطوعيته من الحجر بمفرده- وهذا الأمر مخالف للتعليمات المنظمة للعمل بالجبل - وحاولوا إقناعه بذلك، إلا أنه أصر على موقفه، وهددهم باتخاذ إجراء عنيف ضدهم إن هم خالفوا أمره وكان طبيعيًا منهم أن يقدموا المقطوعية المطلوبة منهم كمجموعة مما أثار ثائرته، ودفعه إلى إثبات الواقعة بسجل خاص (يسمى دفتر بلاغات الجبل) وأضاف أنهم يحرضون الغير على الامتناع عن العمل، وقد عرض الأمر على السيد مدير الليمان الذى تأكد من مجانبة موقف وكيل الجبل للصواب، كما تحقق كذب ادعائه ضدهم من أنهم يحرضون الغير على الامتناع عن العمل، وقد شهد الحراس والمسجونون بعدم صحة ما يدعيه وكيل الجبل، ولم يجد مدير الليمان بدًا من حفظ البلاغ والتنبيه على وكيل الجبل بالتزام التعليمات، ويبدو أن القرار لم يَرُق له فأسرها فى نفسه.

مضت الأيام ووقع العدوان الثلاثى على مصر، وذات يوم استدعانى مدير الليمان وقال لى: «هل عرفت أن الإخوان يهنئون بعضهم بمناسبة ضرب كوبرى الفردان؟».

ملاحظة: كوبرى الفردان (كان يصل بين ضفتى قناة السويس).

وكان مفاجأة له عندما واجهته بأن وكيل الجبل اليوزباشى (أ) هو صاحب هذا الادعاء، وأخبرته بأن بعض الحراس والمسجونين أبلغونى بذلك، وقد أكد لى أنه علمه من نفس وكيل الجبل، وقد طلب حضور الدكتور كمال خليفة رحمه الله (الذى كان من بين المحكوم عليهم من الإخوان) وهو شخصية نادرة فى علمه وخلقه وإيمانه وسعة أفقه، وكان عميداً لكلية الهندسة فى يوم من الأيام، وفعلاً حضر لمكتب مدير الليمان الذى واجهه بحكاية ضرب إسرائيل لكوبرى الفردان.. وابتسم الرجل ابتسامة لها معنى، وبكل هدوء أشار إلى لوحة رخامية مثبتة بحائط مكتب مدير الليمان محفور عليها الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. أشار إليها الدكتور كمال خليفة وقال " يا سيادة المدير هذه الآية كافية للرد على ما واجهتنى به.. ما هو كوبرى الفردان هذا الذى نهنئ أنفسنا بضربه؟..

يا سيادة المدير هذا بلدنا، وإن إسرائيل وشركاءها دمروا بقنابلهم مدنًا ومعسكرات ومنشآت، وقتلوا إخوة لنا، وأظن أن قنطرة صغيرة مثل كوبرى الفردان لن تساوى فى قيمتها شيئًا إلى جانب ما ذكرت. . فهل يعقل أن تكون التهنئة على التافه؟ وفى الحقيقة كانت إجابة الدكتور كمال خليفة -رحمه الله- كافية لإقناع مدير الليمان بكذب ما أبلغه به وكيل الجبل الذى ازداد حقدًا على مجموعة الإخوان.

مع أوائل عام ١٩٥٧ دعانى مدير الليمان القائمقام سيد والى -رحمه الله- إلى مكتبه، وطلب منى الإشراف شخصيًا على زيارات الإخوان. . . فوضعت نظامًا يتحقق به عنصر الأمن المطلوب، مع إخضاع ما يدور بين الزائرين تحت مراقبة دقيقة، وذلك بالآتى:

١- تحديد عدد المسجونين فى مكان الزيارة بما لا يزيد عن ستة فى الدفعة الواحدة.

٢- تحديد مدة الزيارة بما لا يتجاوز ثمانى دقائق.

ورغم ذلك تقبل مسجونو الإخوان هذا النظام لأنه يحقق لزائريهم من النساء قدراً من التوقير، ولم يصدر عنهم ما يكون موضع مؤاخذة لهم.

استمر الحال فترة ليست بالقصيرة، إلى أن استدعانى مدير الليمان ذات يوم وقال لى: «فيه معلومات من المصلحة بأن الإخوان يتبادلون الرسائل مع معارفهم بالخارج من خلال شفرة هى بعض آيات القرآن الكريم المطرزة على قطع القماش». . . وتصادف إجراء زيارة فى هذا الوقت، وطلب إلىَّ بعض المسجونين تسليم البعض من قطع القماش الصغيرة المطرزة بآيات من القرآن، عرضتها على السيد مدير اليمان، وطلبت إرسالها إلى المصلحة لفك رموز الشفرة، وأرسلت فعلاً ثم أعيدت لتسليمها إلى ذوى المسجونين.

ما هى إلا أيام حتى طلب منى مدير الليمان عدم الاستمرار فى الإشراف على زيارة مسجونى الإخوان، وأسندت إلى ضابط آخر كان قد نُقل حديثًا من الشرطة، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه من اختلاط الإخوان مع غيرهم فى مكان الزيارة.

وفى أحد الأيام، وكنت بالمكتب المجاور لمكان الزيارة، سمعت ضجة وصراخًا صادرين من مكان الزيارة وتبين أن أحد الضباط (ب) تدخل فى الإشراف على الزيارة

دون أن يكلف بذلك ـ ومع وجود الضابط المكلف أصلاً بهذا العمل، وحاول وضع يده فى صدر إحدى السيدات اللائى يزرن الإخوان مدعيًا أنها تخفى شيئًا حاولت تسليمه للمسجون ـ رغم الحاجز الشبكى بينها وبينه ـ ولم يكتف بذلك، بل حرض الحراس على أعمال أثارت ثائرة المسجونين الإخوان، وحدثت مشادة بينهم وبين الضابط (ب) وانتهى الأمر بإنهاء الزيارة، وإجراء تحقيق انتهى بإنذار الضابط (ب) ومجازاة بعض المسجونين من الإخوان.

واستمر الحال فى شد وجذب، إلى أن تطورت الأمور، وأخذت منزلقًا آخر ينبئ بخطر يوشك أن يقع.

استدعانى مأمور أول الليمان ذات يوم وقال لى : هل علمت أن المسجونين الإخوان يلقون درسًا عقب صلاة العصر فى العنبر كل يوم، ويهاجمون الحكومة وجمال عبدالناصر؟ . . فأجبته بالنفى . . لأن هذا لم يحدث أصلاً، ولو حدث لعلمنا به جميعًا فى حينه . . وسألته عن مصدر هذه المعلومات فأجاب بأنها تحريات . . (أمر مضحك لأن الواقعة المزعومة علنية وليست أمرا خفيًا يحتاج لتحريات) واستمر فى حديثه قائلاً: «أنا أصدرت أمرًا بمنع مسجونى الإخوان من أداء الصلاة جماعة، وعلى كل مجموعة فى غرفة أداء الصلاة فى الغرفة» . . ولم أحتمل الموقف فواجهته بحزم «إن ما أمرت به يا سيادة المأمور أمر يغضب الله، ولا أظنك قادرًا على تحمل تبعته، وإنك بذلك تثير ثائرة المسجونين وقد بُهت الرجل ولم يكن يتوقع منى تلك المواجهة رغم رتبتى الصغيرة (ملازم أول) وأحسست وكأنه نادم على تورطه بإصدار هذا الأمر، ولكن لا رجعة فى أمر قصد منه مرضاة الرئاسة . .

التزم الإخوان بالأمر رغم قسوته، وفى يوم كانت مجموعة منهم تصلى العصر أمام غرفتهم وإذا بالضابط (ب) يقترب منهم ويجذب سجادة الصلاة من تحت قدمى المسجون الذى كان يؤم الجماعة . . والعجيب أنه جاءنى يخبرنى بما فعل، ولم أجد ما أقوله له إلا «أنت ضابط طيب القلب ولم أعهد فيك ما يدفعك إلى مثل هذا السلوك . . عمومًا احذر غضب الله عليك، لأن فعلتك لن تُغفر لك» . . وحدث فعلاً وكان انتقام الله رهيبًا.

والأمر العجيب أن المسجونين الآخرين المحكوم عليهم فى جرائم القتل وغيرها، أبدوا استياءهم من ذلك وما ترتب عليه من عدم إمكانهم إقامة الصلاة جماعة، وأجمعوا على أن الإخوان لم يتناولوا فى أحاديثهم ما يمس الحكومة أو جمال عبد الناصر أو غيره.. بل إن حديثهم فيه وعظ جميل.. وقد قال لهم أحد الضباط: «واعظ السجن موجود تسمعون منه ما تريدون.. فكان ردهم: أين الواعظ؟ وأين نجده؟.. إنه يحضر ساعة فى المسجد ولا نستطيع لقاءه.. ثم إن حديثه مكرر وأصبحنا جميعًا نعرف ماذا سيقول».

استمر الحال على هذا المنوال حتى كان اليوم الموعود، يوم الجريمة النكراء، يوم المذبحة البشعة.

رواية اللواء مجيد الخولى عن هذه المذبحة:

كان يومًا من أيام شهر يونية سنة ١٩٥٧، وكنت مكلفًا بفتح الليمان الساعة السابعة صباحًا كالمعتاد، وتم فتح الليمان ودخول أفراد القوة، وتلاوة الأوامر وتسليم مفاتيح العنابر والأدوار والغرف، ومرافق السجن إلى الحراس المعنيين بها -وهو إجراء روتينى يومى- وانصرف أفراد القوة كلٌ إلى العمل المعين به، وتوجهت أنا إلى الداخل للإشراف على خروج المسجونين للعمل، وما إن وصلت إلى الباب الخارجى للعنبر رقم١ الذى يقيم فيه مسجونو الإخوان، حتى سمعت صوت مأمور أول الليمان يناديني باسمى ويطلب منى التريث حتى يصل إلى حيث أقف، وكان هو مقبلاً من ناحية بوابة الليمان يرافقه مأمور الجبل، ولدى وصولهما أخبرنى المأمور الأول بأنه هو الذى سيشرف على خروج مسجونى الإخوان من عنبر رقم ١، فاستأذنته للتوجه إلى حيث يتجمع المسجونون الآخرون بفناء الليمان للإشراف على ذهابهم لأعمالهم، إلا أننى فوجئت بقوله لى «إنت حتكون معايا».. وأجبته بألا مانع وأنا خالى الذهن تمامًا عن أى شىء أو إجراء مُزمَع القيام به.. ووجه حديثه إلى الحارس المعين بالدور الثالث الذى يقطنه مسجونو الإخوان قائلاً:

افتح على المسجونين غرفة واحدة، وعقب خروجهم ونزولهم ووصولهم خارج العنبر، افتح غرفة أخرى وهكذا حتى ينزل الجميع.

وكان مأموز أول الليمان قد أمر أثناء ذلك بإحضار فرقة الحلاقين، مع إعداد القيود الحديدية المخصصة لتقييد مجموعة كبيرة من المسجونين لدى نقلهم من سجن لآخر تلافيًا لهربهم.

وقد سارت الأحداث على النحو التالى :

١- نزلت أول مجموعة وكانوا ثلاثة، ومع كل منهم مصحف يتلو منه آيات القرآن- كما هى عادتهم- وألقوا السلام علينا، وتوجهوا إلى خارج العنبر ليفاجأوا بإجراءات شاذة لم أتوقعها، إذ أصدر مأمور أول الليمان أمره بحلق شعر رأس الثلاثة، كذا كل من يحضر من مسجونى الإخوان، مع تكبيل أيديهم بالقيود الحديدية . . وسألته عن سبب ذلك فأجاب (ده موضوع خطير . . فيه معلومات بأنهم يعدون العدة للهروب أثناء توجههم للجبل . . ولازم نقيدهم بالقيد الحديد) فسألته وما علاقة ذلك بقص شعرهم ؟ فلم يجب . . ثم سألته ولماذا لا يبقون فى غرفهم دون داع للخروج للعمل كما تقضى بذلك التعليمات ؟ إلا أنه أبدى تضرره واستمر فى إلقاء أوامره . .

وكان طبيعيًا أن تتذمر المجموعة الأولى من هذا الإجراء :

٢- نزلت المجموعة الثانية، وليس لديهم ما يوحى بما يُدبر لهم، ألقوا السلام وخرجوا ليقابلوا بنفس الإجراء (حلق الشعر والتكبيل بالقيد الحديدى) .

٣-يبدو أن الحارس رأى أن الأمر لا يستدعى هذه الدقة فى تنفيذ توجيهات مأمور أول الليمان، ففتح غرفتين، ووصل مسجونو الغرفة الثالثة إلى باب العنبر الخارجى ليشاهدوا حقيقة ما يحدث، فعادوا مسرعين إلى داخل العنبر، ليبلغوا إخوانهم بما يجرى فى الخارج، وكان حارس الدور فى هذه اللحظة قد فتح بعض الغرف، فتمكن المسجونون من أخذ المفتاح منه وأكملوا فتح باقى الغرف، وأعادوا المفتاح للحارس، وهكذا خرج جميع مسجونى الإخوان من غرفهم وتجمعوا أمامها معلنين أن مؤامرة تدبر لهم . . وكانوا فعلاً صادقين فى إحساسهم .

٤- امتنع مسجونو الإخوان عن الخروج للعمل حتى يحضر مدير الليمان الذى كان قد وصل لتوه، وحضر للعنبر وكان واضحًا أنه على علم تام بما يحدث . . وسأل «الجماعة دول عايزين إيه ؟ هم ممتنعين عن الخروج للعمل ليه؟» يا إسماعيل بك . . حذرهم . . إذا لم ينزلوا سأتخذ ضدهم إجراءات عنيفة . .

هنا تأكد لى أن الأمر أخطر مما تصورته، وتقدمت إليه أستوضحه الحقيقة، فأجابنى بأنهم يدبرون للهـرب من الجـبل. . فـقلت له على الفـور « يا أفندم الأفـضل عـدم خروجهم للعمل. . وفى هذا ضمان كاف للحيلولة بينهم وبين الهرب». . ولم يكن مدير الليمان يتوقع هذا الرأى، لأن التعليمات تقضى فعلاً بأن المسجونين الذين يخشى هروبهم، يمنعون من الخروج للعمل وتشدد الحراسة عليهم داخل السجن.

٥- بدأ إيقاع الأحداث فى السرعة. . آراء متضاربة، ثم أمر يصدر بحضور قوة من جنود الدرجة الثانية من كتيبة الحراسة بطرة بقيادة الرائد (ج) بعضهم يحمل البنادق (لى أنفيلد) والبعض يحمل مدافع رشاشات برتا.

صعد بعضهم إلى الدور الرابع بعنبر رقم ١، والبعض انتشر فوق الأسوار الخارجية للعنبر وكان واضحًا أن الأمور تسير إلى منزلق خطر، وأن زمامها قد خرج من أيدى الإدارة.

٦- حضر جميع الضباط وتجمعوا حول مدير الليمان وكان بينهم الضابط (أ) تقدح عيناه بالشرر. . وكان واضحًا أن مدير الليمان بدأ يشعر بحرج موقفه وبسوء المنقلب، وبدا عليه بعض الاضطراب سيما وأن الجو الذى خيم على الموقف كان قاتمًا من كل الوجوه، صياح بأعلى صوت. . وتهديدات بالقتل من الجنود وقادتهم الضباط. . وإيحاءات من الضابط (أ) بأن لا جدوى من نصح هؤلاء المسجونين وضرورة استعمال العنف معهم. . وهكذا.

٧- طلبت من مدير الليمان الصعود إلى مسجونى الإخوان لمناقشتهم ومحاولة تهدئتهم فلم يوافق، وطلب إلى الواعظ أن يتوجه إليهم ويتحدث معهم، إلا أنه عاد بعد قليل ليقول «مافيش فايدة. . إن القوم ركبوا رؤوسهم» وهنا تدخلت ووجهت الحديث للواعظ «يا مولانا كان أجدر بك أن تناقشهم بالحسنى، وبالصبر، بدلاً من أن تستثير إدارة الليمان». . وبدأ كيانى ينتفض: إن المذبحة التى كان يتمناها الضابط (أ) توشك أن تتم. . فاستأذنت مدير الليمان للحديث إلى الإخوان، وفعلاً صعدت إليهم، وبدأ حوار طويل بيننا ـ سيما وأنا أعرف الكثيرين منهم ـ وطلبت منهم دخول غرفهم، وعدم إعطاء الفرصة لأحد لاتخاذ أى إجراء عنيف ضدهم، بل أقسمت لهم

إن فعلوا ذلك سأعترض طريق كل من يحاول مسهم بسوء. . ولكن اضطراب الموقف، وعدم سيطرة الإدارة على مجريات الأمور فى تلك اللحظة، مع صدور بعض العبارات الحادة من الضباط والعساكر محت أثر حديثى الذى كان يوشك أن يؤتى ثمرته. . إلى أن قالوا لى « يا أخ مجيد. . إنت عملت اللى عليك. . واحنا تأكدنا أنكم تريدون القضاء علينا. . ونحن قد توضأنا، وصلينا صلاة الاستشهاد» . . عندئذ انصرفت ونزلت إلى حيث يقف مدير الليمان وأخبرته بما حدث ورجوته ألا يفلت زمام الأمر من يده.

٨-أثناء وقوفى جاءنى من يخبرنى بمكالمة تليفونية بالمكتب، وما إن خرجت من باب العنبر حتى سمعت دوى الرصاص. . طلقات من البنادق، وأخرى من الرشاشات، فعدت إلى العنبر على فور لأجد المذبحة قد بدأت. .

«العساكر الدرجة الثانية بالدور الرابع ومعهم ضباطهم يطلقون الرصاص بصورة جنونية، واستغاثات المسجونين وتكبيرهم: الله أكبر. . الله أكبر تهز المكان. . . وأجساد تتساقط ودماء تنزل بغزارة إلى أرض العنبر. . البعض من المسجونين دخل الغرف وأغلقها. .

قوة من حراس الدرجة الأولى العاملين بالليمان يقودهم اليوزباشى (أ)، واليوزباشى (د) ممسكون بعصى غليظة صلبة (شوم) من النوع الذى صدر أمر بعدم استخدامها وتم جمعها وحفظها بالمخازن، بدأت تهاجم المسجونين الذين بدأوا فى الدخول إلى غرفهم ولم يمنعهم ذلك من التعرض للاعتداء إذ كان الجنود من حملة البنادق يصوبون بنادقهم ويطلقونها لتنفذ طلقات الرصاص من فتحات عريضة تعلو أبواب الغرف. . وهو أمر لا يتم إلا بعد تصويب دقيق. . بل إن منهم من كان يطلق الرصاص من فتحة صغيرة بباب الحجرة تسمى النظارة (هذه الفتحة وجدت للنظر من خلالها إلى ما يدور داخل الغرفة) وكانت هذه الطلقات تصيب رؤوس بعض المسجونين، ونظراً لقرب المسافة وطبيعة السلاح فإن الكثير من جماجم المسجونين تحطم وتناثرت محتوياتها على جدران الغرف وأرضها.

وقفت بالدور الثانى لحظات قبل أن تنتهى المذبحة، وإذا بى أفاجأ بمقذوف نارى ينطلق من خارج العنبر ليمر من أمامى مباشرة. .

فتوجهت إلى نافذة الدور المطلة على فناء العنبر وسوره وشاهدت أحد العساكر ممسكًا ببندقيته فصحت بأعلى صوتى معنفًا إياه وأمرته بمغادرة المكان فوراً . . طبعًا كان ذلك دليلا كافيًا على الفوضى السائدة . .

ادعى البعض أن مسجونى الإخوان خطفوا اليوزباشى (أ) واحتفظوا به فى إحدى الغرف ليجهزوا عليه . . ما الذى دعاه إلى دخول غرفة مغلقة على من فيها؟ وهو لم يكن بمفرده . . ولم يكن الإخوان بحاجة إلى قتله بأيديهم ـ إذا كانوا حقًا ينوون ذلك ـ فيكفى أن يعرضوا جسمه للباب ليمزقه وابل الرصاص المنهمر من الخارج ، وليكون ذلك حجة دامغة ضد إدارة الليمان ، وهذه الغرفة بالذات كان بها خمسة عشر مسجونًا قتل منهم تسعة . . .

٩- انتهت المذبحة ، وانصرف أفراد القوة من ضباط وعساكر كأنهم انتهوا من معركة مظفرة . . وترك الجميع العنبر على حالة توحى وكأن معركة حربية دارت رحاها)...

–حالة من الكآبة والظلمة أظلتا العنبر رغم أن الساعة كانت الحادية عشرة صباحًا .

– صمت رهيب يلف المكان .

– حشرجة الموت اختلطت بأنات الجرحى .

– صنابير من الدماء تنزل من الدور الثالث (ميدان المذبحة) إلى فناء العنبر .

أجساد مبعثرة هنا وهناك ، أحد المسجونين الإخوان أطلق عليه الرصاص من طبنجة وهو داخل دورة المياه بنفس الدور ، والثانى ممسك بجردل ماء ، وقد انسكب الماء منه ، وكانت آثار ماء الوضوء بادية على ساعديه ، ووجهه ، ورجليه وكان مشمراً أكمام قميصه ، ورافعًا طرف بنطلونه من أسفل وكان خارجا لتوه من دورة المياه . .

لماذا قتل هذان المسجونان فى هذا المكان؛

ـ أحد الضباط (ب) يخرج من العنبر وبيده الطبنجة الأميرية الخاصة به ، وكان يفرغ ما بها من طلقات ويقول لى « يا حاج . . أنا قتلت اثنين» . وهو نفس الضابط الذى جذب سجادة الصلاة من تحت قدمى المسجون الذى كان يؤم المصلين .

ـ اليوزباشى (أ) يعود إلى العنبر بعد انصراف القوة واستقرار الأمر ومعه اثنان من الحراس ، وكل منهما ممسك بشومة ويسرعون إلى الدور الثالث ، ويشرعون فى ضرب

المصابين للإجهاز عليهم، فنهرته بعنف وقلت له «سأشهد ضدك أمام النيابة» فإذا به يلقى العصا ويجرى خارجًا من العنبر وهو يقول « أنا النهارده أخذت بثأرى» . . . يقصد الثأر منهم بسبب الجزاء الذى وقع عليه نتيجة التحقيق الذى أُجْرِىَ معه وسبقت الإشارة إليه.

- اثنان من الممرضين يقفان ينظران إلى آثار المذبحة دون مبالاة، ولم يفكر أى منهما فى القيام بواجبه، خشية غضب الرؤساء. . وعندئذ أمرتهما بنقل المصابين إلى المستشفى، وعاونهما بعض المسجونين الذين أشهد أنهم كانوا أكثر شهامة ورجولة من غيرهم.

- أحد المصابين، وكنت أعرفه قبل دخوله السجن، يشير إلىَّ لعدم قدرته على الكلام، وألحظ وجود مقذوف مستقر بين جلد رقبته ولحم الرقبة. . فسارعت بنقله إلى المستشفى لينجو من موت محقق.

١٠- كان الجرحى ملقين بأرض مستشفى الليمان، كل منهم ينتظر دوره فى الإسعاف ومنهم من توفى وهو على أرض المستشفى متأثرًا بإصاباته.

حقيقة كان السادة أطباء الليمان عند حسن الظن بهم وكان موقفهم إنسانيًا مشرفًا.

١١- أحد الأطباء الدكتور منير رياض (رحمه الله) يطلب نقل أحد المصابين إلى قصر العينى لنقل دم إليه وإسعافه على وجه السرعة. . وأنقل طلب الطبيب إلى مدير الليمان الذى عرضه على مدير المصلحة الذى كان جالسًا بمكتب مدير الليمان ومعه مدير المباحث العامة، وأركان حرب وزارة الداخلية، وجاءت الإجابة بالرفض، وتوفى. . المسجون بعدها بمدة كانت تكفى لإسعافه. .

١٢- جثث القتلى فى المستشفى حيث ألقيت على الأرض بأحد الأماكن الملحقة بها، معرضة لوهج الشمس وحرارة الصيف.

وأما من نالوا وسام الشهادة فى المذبحة فهم واحد وعشرون شهيدًا على النحو التالى:

١ـ أنور مصطفى أحمد، قبض عليه فى ٣٠/ ٣/ ٥٥، دبّاغ وعنوانه: حارة الأميرة شارع أبو سفين مصر القديمة.

٢- السيد على محمد، قبض عليه فى ٨/ ٥/ ٥٤، تاجر، متزوج وله أربعة أولاد، عنوانه: شارع الجداوى قسم المنشية ـ الإسكندرية.

٣- محمود محمد سليمان قبض عليه فى ١٢/ ١/ ٥٥ مهندس، متزوج وله ولد، عنوانه: ٣٠ شارع جنينة القادرية العباسية ـ القاهرة.

٤- أحمد حامد على قرقر، قبض عليه فى ١٠/ ٨/ ٥٥، محاسب متزوج وله ولد، عنوانه: دنديط مركز ميت غمر ـ دقهلية.

٥- محمود عبد الجواد العطار، قبض عليه فى ١٨/ ١١/ ٥٤، خياط، متزوج وله ولدان، عنوانه: ٣٣ شارع وكالة الليمون ـ الجمرك ـ الإسكندرية.

٦- إبراهيم محمد أبو الذهب، لم يعرف عنوانه بعد.

٧- رزق حسن إسماعيل، قبض عليه فى ٤/ ٨/ ٥٥، مزارع، متزوج وله ٧ أولاد، عنوان: كفر المرازقة مركز قلين ـ كفر الشيخ.

٨- عبد الله عبد العزيز الجندى، قبض عليه فى ٣/ ٣/ ٥٥، عامل متزوج وله ٣ أولاد: عنوانه: ١٠ شارع الوايلى الكبير العباسية ـ القاهرة.

٩- عصمت عزت عثمان، قبض عليه فى ١٦/ ١١/ ٥٤، موظف عزب، عنوانه: ٢٣ شارع المنشية القديمة بالسويس.

١٠- عبد الفتاح محمود عطا الله، قبض عليه فى ٢٧/ ٢/ ٥٥، خياط متزوج وله ولد، من كفر وهب، مركز قويسنا منوفية.

١١- أحمد محمود الشناوى، قبض عليه فى ١٣/ ٥/ ٥٥، براد (حداد) عزب يعول والديه، عنوانه: ٣٠ شارع غرب القشلاق العباسية ـ القاهرة.

١٢- خيز الدين إبراهيم عطية، قبض عليه فى ٣/ ٣/ ١٩٥٥، طالب بالأزهر، عزب، عنوانه: باب الوزير رقم/ ٢٠ قسم الدرب الأحمر ـ القاهرة.

١٣- مصطفى حامد على، قبض عليه فى ٤/ ٣/ ٥٥، طالب ثانوى، عزب، عنوانه: ٩ شارع الحاج إسحاق، إمبابة ـ القاهرة.

١٤- أحمد عبده متولى، قبض عليه فى ١٥/ ٥/ ٥٥، بكالوريوس زراعة، عزب، عنوانه: أبو الشقوق ـ كفر صقر ـ الشرقية.

١٥- عثمان حسن عيد، قبض عليه فى ١٧/ ٣/ ٥٥ طالب ليسانس دار العلوم، عزب يعول والديه، عنوانه: ابن طولون ـ القاهرة.

١٦- محمد أبو الفتح معوض، قبض عليه فى ٢٥/ ٢/ ٥٥ مطبعجى، عزب، من عزبة ناصف بمنوف ـ المنوفية.

١٧- على إبراهيم حمزة، قبض عليه فى ١٦/ ١٢/ ٥٤، ترزى (خياط) عزب، من شارع أبو الفضل ـ المحلة الكبرى.

١٨- فهمى إبراهيم نصر، قبض عليه فى ١٢/ ٩/ ٥٤، طالب ثانوى، عزب، من رملة الأنجب هواش، منوفية.

١٩- السيد عزب صوان، قبض عليه فى ٢٤/ ١١/ ٥٤، موظف متزوج وله ٣ أولاد. من شارع محمد على المحلة الكبرى.

٢٠- سعد الدين محمد شوق، قبض عليه فى ٢/ ٣/ ٥٥، موظف، عزب، من ١٤ شارع سماحة عطفة نصار رقم ٢ إمبابة.

٢١- محمد السيد عفيفى، قبض عليه فى ١٧/ ٣/ ٥٥، موظف، عزب، من ١٤ شارع محمد على بين السرايات ـ جيزة.

أما الجرحى فقد بلغ عددهم خمسة وثلاثين جريحًا منهم ثلاث عشرة حالة خطرة، وقد أودعوا جميعًا فى المستشفيات العسكرية تحت حراسة مشددة حتى لا يعرف أحد أسماءهم.

***

السيرة العطرة للشهداء

١ - شهادة لواء شرطة متقاعد مجيد الخولى

كانت هذه المجموعة تضم صفوف الشباب المؤمن، وكان إيمانهم تجسيدًا وتطبيقًا عمليًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل»، كانوا يلتزمون بما يصدر إليهم من تعليمات مهما بلغ شططها وذلك فى هدوء دون مناقشة، وكانوا هادئى الطبع، لا يتكلمون إلا همسًا، ولا يرتفع لهم صوت مما حاق بهم، ولا يصدر عن أى منهم لفظ جارح أو ما يسيء إلى الغير أو ما يسبب إثارة المشاكل مع إدارة السجن وكانوا موضع احترام وحب الجميع من ضباط وحراس وأطباء ومسجونين، وهم بالإضافة إلى ذلك منهم المثقفون من الأطباء والمهندسين، ومنهم الطلبة فى المراحل النهائية من التعليم الجامعى رفيع الشأن فى ذلك الوقت، وكان لهم نشاط رياضى واضح.

وقد حدث أثناء وجودهم بسجن الواحات الخارجة فى أواخر الخمسينيات، أن مأمور السجن أجرى تفتيشًا لعنابرهم، وتعمد إثارة مشاعرهم بكل وسيلة، فصادر ملابسهم الخاصة المصرح لهم بحيازتها وأحرقها، وأتلف الأدوية التى وصلت يده إليها وأتلف آلة موسيقية (أوكرديون) كان مصرحًا به لواحد منهم وهو ضابط بالقوات البحرية، ولكنهم قابلوا ذلك بهدوء وصبر مفوضين الأمر إلى الله.

وحل انتقام الله بالضابط فى نفس الليلة، إذ مرض ابنه، واشتد عليه المرض، وكانت المنطقة التى بها مسكن الضابط والسجن بعيدة عن أقرب مكان فيه طبيب بمسافة لا تقل عن عشرين كيلو مترا مع عدم ضمان وجود الطبيب فى هذه الساعة المتأخرة من الليل، واستبد الفزع بالضابط حتى يئس من نجاة ابنه، لكن الله كان رحيمًا بالابن، فأوحى لوالده الضابط بما ذكَّره بوجود طبيب من بين الإخوان - الذين أحرق ملابسهم وأتلف دواءهم فى الصباح، وبدون تفكير منه حمل ابنه بين يديه وذهب إلى السجن وفتح العنبر الذى فيه هذا الطبيب المسجون ورجاه أن يسعف ابنه، وتولى المسجون

علاج الولد وإسعافه بأدويته الخاصة التى لم تصبها يد الإتلاف، وسهر بجانبه، والمسجونون الإخوان يهدئون من روع الضابط حتى زالت العلة عن الولد، ورجع الضابط به إلى بيته قرير العين، وفى الصباح كان أول ما قام به هو الاعتذار لهم وطلب عفوهم.

٢- شهادة المساجين المحكوم عليهم فى جرائم القتل والسرقة وغيرها ينقلها اللواء مجيد الخولى فى شهادته:

يشيع الضابط أن الإخوان كانوا يدبرون لكسر مخزن المتفجرات فى الجبل والحصول على محتوياته لنسف الليمان، وإذا بالمسجونين المحكوم عليهم فى جرائم القتل والسرقة وغيرها، يتقدمون إلى مدير الليمان فى حالة من التذمر، ويصرون على مقابلته، ويقابلهم مدير الليمان، ويستمع إليهم وإذا بهم يلقون بمفاجأة «الكلام ده محصلش.. الناس دول أحسن ناس... ومشفناش منهم غلط أبدًا.. يا سعادة البيه.. مخزن البارود بعيد عن مكان العمل، وواقف عليه حرس مسلح إزاى دول يوصلوا له. الحقيقة يا سعادة البيه إن الضابط (أ) هو اللى طَلَّعً الإشاعة دى والناس دول انظلموا فى اللى حصل لهم..»ذهل مدير الليمان، وقد طلبت منه تحرير محضر بهذه الواقعة ومواجهة الضابط (أ) بالمسجونين، وإرسال المحضر للمصلحة أو النيابة.. إلا أنه صمت برهة وقال للمسجونين «طيب روحوا إنتم دلوقت».

٣- شهادة الأستاذ عبد المنعم سليم جبارة مفتش بالتربية والتعليم وكاتب بمجلة الدعوة، حكم عليه بالسجن ٢٥ سنة قضى منها عشرين سنة كان ممن عاشوا المذبحة ساعة بساعة يصف مشاهد من أخلاق هؤلاء وهممهم:

الشهيد محمد قوراة.. فى لحظاته الأخيرة داخل إحدى الزنازين يناديه واحد من إخوانه فلا يجيبه.. ثم بعد لحظات ينظر إليه متسائلاً فى تثاقل:

- هل كنت تنادى ؟!

فأجابه:

- نعم.. ولكنك لم تجب !!

فقال الشهيد: لقد كنت أصلى الظهر . . فقد فاتتنى الصلاة مع من صلى! ثم تمتم بكلمات وصعدت روحه طاهرة نقية!!

وفى زنزانة أخرى كان الشهيد عبد الله الجندى على وشك الرحيل . . وجهه باسمٌ يردد آيات من القرآن كالعهد به دائمًا، وعبد الله الجندى العامل البسيط لم تغادر بسمته وجهه يومًا فى الجبل وفى الزنزانة . . فى أسفل الحفرة الواسعة العميقة يحمل الصخر فوق كتفيه وهو فى طريقه إلى عربة السكة الحديد مسهمًا فى شحنها حجارة ودبشًا. يلتفت إلى إخوانه لفتة كل يوم قائلاً:

- أبشروا أيها الإخوان، والله إنى لأرى الملائكة، تضحك لكم وتفرح بكم وتهش لرؤياكم، إنى أراها فى عالم الرؤى الصادقة وبين الدبش والحجر باسمة مهللة تهتف فى جزل:

- إن على الأرض رجالاً صدقوا، فثبتوا وصبروا فتحملوا وعرفوا الوجهة فاهتدوا . . أبشروا أيها الإخوان، فإن موعدكم الجنة. لقد فاضت روح عبد الله الجندى وهو فى مرضه . . لقد صدق العهد وصدق عند اللقاء، فعليه وعلى إخوانه الرحمات والرضوان!

وفى المخزن . . الزنزانة الواسعة استشهد أحمد قرقر، رجل . . والرجال قليل . . انهالت عليه الضربات بالعصى والشوم وأحاط به زبانية الإجرام فى أبشع وأقسى صورة للإجرام؛ صورة العهد الناصرى وعلى رأسه من زعم أنه جاء يرفع الرؤوس بعد طول انحناء واستبداد فإذا به لا يكتفى بتنكيسها ولكنه يتمادى فى تحطيمها وبترها بعد أن عجز عن استذلالها . . وكطبع أحمد قرقر الشهم الأبى الكريم الوفى المسلم التقى أنكر ذاته وتلقى الضربات عن إخوانه وألقى بجسده فوق أجسادهم وهو يظن أنه يدافع عنهم حتى هوى شهيدًا بعد أن لفظ آخر أنفاسه شجاعًا كريمًا على الطريق الذى سار فيه عمار وياسر وسمية وبلال، الحياة فى حرية وعزة، أو الشهادة فى صدق وكرامة . . ومع أحمد حامد رقد سيد العزب صوان يحدثنا طيلة الليلة عن الشهادة ومنزلة الشهيد، وأجر الشهيد . . فلما كان الغد وفارقنا سيد عرفنا أنه كان على الموعد، ومع سيد العزب، وأحمد قرقر رقد مصطفى حامد تلميذ الثانوية العامة، كان فى ربيعه الثامن

عشر أو أقل، أكبر من سنه سلوكًا وفهمًا. . كان يختلس لحظات تغفل فيها أعين الحراس ليقوم بطابور جرى حول العنبر ويقول باسمًا:

- المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف.

وربما اختلس كتابًا من هنا أو هناك يلتهمه قراءة واستيعابًا ثم يقول باسمًا: المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف !!

وفى المذبحة هتف بعد أن رأى الرصاص وشاهد الغدر وأحس الشر:

- اللهم اقبلنى فى زمرة الشهداء !!

واحد وعشرون شهيدًا من الإخوان المسلمين فى مذبحة طرة فتك بهم رصاص عبد الناصر وعصابة حراسه فى يوم السبت أول يونيو ١٩٥٧ كانوا جميعًا على شاكلة أحمد حامد قرقر، وعبد الله الجندى، وسعد شوقى، وسيد العزب صوان، ومصطفى حامد، وقوارة. . اختطفتهم أيدى المباحث العامة من بيوتهم ضمن الآلاف، ونصب لهم عبد الناصر المحاكم الصورية كان هو فيها الحكم والخصم. ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]

وهؤلاء هم الذين سيقفون ليحاكموا فى محكمة قاضيها رب العالمين وليسألوا عن الدماء الزكية فيم أريقت ؟ والأرواح الطاهرة فيم أزهقت ؟

المباحث العامة تقول إنها قامت بتوصيل الأوامر ثم الإشراف على التنفيذ وإن الأوامر صدرت من زكريا محيى الدين، وأن زكريا محيى الدين يقول إنه تلقاها من عبدالناصر !!

ومهما يكن الأمر فإن المسؤول الأول هو عبد الناصر، والمنفذ الأول هو زكريا محيى الدين. . وأصابعه هم صلاح الشيشتاوى وأحمد صالح داود ضابطا المباحث العامة.

أما الذين أطلقوا الرصاص فى الصدور والرءوس، والذين هشموا الجماجم بالشوم والعصى فهم سيد والى وعبد اللطيف رشدى وعبد العال سلومة، وعبد الله ماهر، ومتى وزغلول شلبى. وأمثالهم.

إسماعيل الفيومى

(الحارس الخاص لجمال عبد الناصر)

هل كان هناك تنظيم للإخوان المسلمين سنة ١٩٦٥ على رأسه الشهيد سيد قطب؟!

الجواب: نعم كان هناك تنظيم للإخوان المسلمين على رأسه الشهيد سيد قطب.

وهل كان هدف التنظيم هو اغتيال جمال عبد الناصر انتقامًا منه لما فعله بالإخوان سنة ١٩٥٤، وقلب نظام الحكم وتغيير دستور الدولة بالقوة؟!..

الإجابة على هذا السؤال الأخير تحتاج إلى إجابة مفصلة أكثر من الإجابة على السؤال الأول.

أولاً: اغتيال جمال عبد الناصر وقلب نظام الحكم وتغيير دستور الدولة بالقوة هى ذات الكذبة التى افتراها جمال عبد الناصر تمامًا كما افترى كذبة اتهام الإخوان بحريق القاهرة، كذلك حادث المنشية وكيف اتخذه جمال عبد الناصر مبررًا لتصفية الإخوان المسلمين... وعلى وجه الخصوص تصفية العناصر القيادية التى يراها خطرة على نظام حكمه.... أو الذين رأى فيهم أعداء الإسلام أنهم خطر على مصالحهم! أمثال الشهيد عبد القادر عودة والشهيد محمد فرغلى والشهيد سيد قطب والشهيد محمد يوسف هواش والشهيد عبد الفتاح عبده إسماعيل الذين استشهدوا أيضًا على أعواد المشانق سنة ١٩٦٥ [يقول الشهيد سيد قطب لصلاح نصار رئيس النيابة الذى حقق معه: «إن عملية الانتقام عملية تافهة بالنسبة لمستقبل الإسلام وإن إقامة النظام الإسلامى تستدعى جهودًا طويلة فى التربية والإعداد وإنها لا تجيء عن طريق إحداث انقلاب من القمة... وأنه يجب تربية الأفراد قبل أن يوجدوا فى التنظيم»... «إن قلب نظام الحكم القائم لا يأتى بالإسلام ولا يقيم النظام الإسلامى وأن العقبات فى وجه قيام النظام الإسلامى أكبر بكثير من حكاية نظام الحكم المحلى وإنه يحتاج إلى زمن طويل وتمهيد طويل وتربية جيل وأجيال كثيرة».

وعندما سأل صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة سيد قطب:

س : ما هى أهداف التنظيم فيما اتفقتم عليه بعد اتصالك به (يقصد أعضاء قيادة التنظيم)؟.

فأجاب الشهيد سيد قطب:

أولاً: تربية المجموعات الموجودة فعلاً تربية إسلامية كاملة قبل ضم أحد آخر إليهم، وبعد ذلك لا قبله يبدأ التوسع فى ضم أفراد آخرين سواء من داخل جماعة الإخوان المسلمين أو من خارجها من الراغبين فى العمل للإسلام لتربيتهم على هذا المستوى، وفى برنامج طويل المدى ومتروك فيه الزمن بلا حساب يتوصل إلى تكوين جيل مسلم أو على الأقل قاعدة واسعة يمكن أن يقوم عليها النظام الإسلامى باعتبار أن التربية الإسلامية الأخلاقية لابد أن تسبق النظام، بناءً على هذا الفهم بدأت معهم تدريس العقيدة وتاريخها..

وهذه الحقيقة التى وضعها الشهيد سيد قطب تؤكدها كتبه الكثيرة التى كتبها داخل السجن وأولها كتابه «هذا الدين» وآخرها كتابه «معالم فى الطريق».

ثانيًا: هناك دليل على أن اغتيال جمال عبد الناصر لم يكن هدفًا من أهداف التنظيم الذى تولى قيادته الشهيد سيد قطب بعد خروجه من السجن فى مايو سنة ١٩٦٤ . . . هذا الدليل هو أن الحارس الخاص لجمال عبد الناصر وهو الشهيد إسماعيل الفيومى كان أحد أعضاء التنظيم، ولو أراد الإخوان قتل جمال عبدالناصر لما أفلت من يد إسماعيل الفيومى نشنجى مصر الأول. . . وأقرب أفراد حرسه الخاص له. . . لقد بقى إسماعيل الفيومى يحرس جمال عبدالناصر حتى بعد عمليات القبض على الإخوان المسلمين، ولو فكر إسماعيل الفيومى فى اغتيال جمال عبد الناصر. . لاغتاله بعد القبض على الشهيد سيد قطب يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٦٥ . . . ولكن لم يحدث. . لأن اغتيال عبدالناصر لم يكن هدفًا من أهداف التنظيم. . .

لقد بلغ الإرهاب ذروته فى مذبحة السجن الحربى سنة ١٩٦٥ وأعلن جمال عبدالناصر نبأ اكتشاف مؤامرة لاغتياله وقلب نظام حكمه من موسكو تقربًا وزلفى للزعماء الروس. . . ومن موسكو هدد عبدالناصر الإخوان وتوعدهم بالبطش والإبادة والسجن مدى الحياة لكل الذين شاركوا فى المؤامرة المزعومة التى دبرت لاغتياله!!.

وكانت عمليات القبض قد بدأت قبل إعلانه بأكثر من شهر وقبل أن تكتشف أجهزته أى تنظيم على الإطلاق. . . فقد كان الأمر مبيتًا. . . وكان لابد من إدخال الإخوان السجون لحاجة فى نفس عبد الناصر. . ومن يحركونه!!.

بدأت عمليات القبض على عشرات الآلاف من خيرة شباب مصر. . . وفتحت زنازين السجن الحربى وحشر فيها الأبرياء حشراً ونصبت آلات التعذيب فى ساحات السجن الحربى تحوطها الكلاب الجائعة. . . والكلاب البشرية المسعورة. . . وأحضرت السياط السودانية بطائرة خاصة من لندن وأصبح السجن الحربى «جهنم» الحمراء كما كان يصفه بعض الجلادين!!.

كان الأمباشى صفوت الروبى [الذى رقى إلى رتبة ضابط شرف، مكافأة له على ما أزهق من أرواح ومزق بالسوط من أجساد] كان يقول مخاطبًا بعض المعذبين:

– اسمع يا ابن الـ. . . إذا كان ربنا بتاعكم عنده جهنم فنحن أيضًا عندنا جهنم!!.

وكان إسماعيل الفيومى الحارس الخاص لجمال عبدالناصر أحد هؤلاء الشهداء. . بل كان الشهيد الثانى فى مذبحة السجن الحربى. لقد جن جنون الطغاة عندما اعترف على عشماوى على إسماعيل الفيومى. . . فذهبوا إليه وقبضوا عليه وأحضروه إلى السجن الحربى وكانت مفاجاة أذهلتهم وفجرت الغيظ فى قلوبهم. لقد خدم إسماعيل الفيومى فى حرس جمال عبدالناصر الخاص ثمانى سنوات ولو أراد قتل عبدالناصر لقتله. . . ولكن لم يحدث.

قال لى زميل الشهيد إسماعيل الفيومى واسمه عبدالمنعم وكان يعمل مع إسماعيل الفيومى فى حرس جمال عبدالناصر منذ عام ١٩٥٨ حتى يوم القبض عليه:

– أنا زميل الشهيد إسماعيل الفيومى. . . كان تجنيدنا واحداً، وبعد أن قضينا فترة الجيش التحقنا بالبوليس وخدمنا معًا فى قسم الخليفة لمدة ثمانية أشهر ثم طُلبنا إلى رئاسة الجمهورية وأُجرى لنا اختبار مع أكثر من ١٥٠ فرداً ونجحنا مع عشرين، وكان إسماعيل الفيومى الأول وكنت أنا الثانى. . . دربونا ستة أشهر على ضرب النار، وكان إسماعيل الفيومى ممتازاً فعينوه معلمًا فى مدرسة ضرب النار، وأخذونى أنا حراسة فى داخل منزل عبدالناصر، وكانت أى سفرية للرئيس نطلع أنا وإسماعيل.

وأثناء وجود الرئيس عبدالناصر فى الإسكندرية نبقى معه والشهيد إسماعيل طول الشهر، وكنت أنا أزامل إسماعيل، لأنه كان رجلاً ممتازًا فى خلقه.. فطرته طيبة... مؤمنًا... متدينًا وكنا طول النهار نقرأ القرآن ونتدارسه..

قبل القبض على إسماعيل الفيومى بيومين كنا فى القطار الخصوصى فى عربة الرئيس عبدالناصر وكان فى القطار جميع الوزراء.. ثانى يوم قالوا قبضوا على إسماعيل الفيومى لأنه من الإخوان المسلمين.. وعجبت كيف خفى عنهم أنه من الإخوان المسلمين طوال الثمانى السنوات التى كان يعمل فيها حارسًا خاصًا لعبد الناصر والمفروض أن المخابرات تكتب عن كل واحد فى الحرس تقريرًا كل ستة أشهر! لقد أحسست أن فى الأمر شيئًا غامضًا، كنت أظنه أولاً صراعًا بين الرئاسات - أقصد رئاسات الأجهزة!!.

لقد نشرت الصحف أن إسماعيل الفيومى كان سيغتال عبد الناصر. قلت فى نفسى لو أن إسماعيل الفيومى كان ينوى قتل جمال عبدالناصر لقتله قبل القبض عليه بيومين فقط، حيث كنت أنا وهو فى القطار المخصوص وكان معى طبنجة وكان مع إسماعيل طبنجة، وكان بالقطار جميع الوزراء، وكان بالإمكان القضاء على جمال عبدالناصر وجميع من معه!!. ولما نشرت الجرائد أن إسماعيل كان سيضرب عبدالناصر من الخلف أنا كنت فى ذهول لأن عبد الناصر كان أمامنا قبل يومين من القبض عليه وكان إسماعيل يستطيع أن يقتله ببساطة... لقد كنت أنا وإسماعيل ملازمين لجمال عبدالناصر فى الحراسة وكنا نجلس فى الصف الثانى ونقف منه على بعد خطوات!!.

وبعد القبض على إسماعيل انتظرت القبض على أنا أيضًا لأنى كنت أقرب الناس لإسماعيل وأول من يقبض عليه بعد القبض على إسماعيل. نزلت مصر وذهبت إلى الرئاسة.. وجدت الجو متغيرًا ورأيت وجوهًا غريبة تتعقبنى عرفت أنها من المخابرات.. كان لى زميل اسمه (حجازى) يردد دائمًا أن إسماعيل لن يعترف على أحد غيرى، بعد أيام قبض على حجازى هذا ولم يقبض على. فى هذه الفترة أشيع أن إسماعيل هرب من السجن الحربى... لم أصدق كيف يهرب إسماعيل من السجن الحربى.. أنا قلت: إسماعيل لم يهرب.. إسماعيل مات من التعذيب.. كل زملائى الذين أثق فيهم أمنوا على كلامى وقالوا إنه مستحيل أن يهرب أحد من السجن الحربى!!

وفى يوم جاء أمر بالقبض على كل واحد فى الحرس الجمهورى اسمه «عبدالمنعم» . . أخذوا كل من اسمه «عبد المنعم» «وجمعونا فى عربة وأمرونا أن نرتدى الملابس المدنية ثم ذهبوا بنا إلى السجن الحربى وعرضونا على أحد بلديات إسماعيل المقبوض عليهم فى السجن الحربى . . كنت أظن أنى أنا المقصود ومطلوب التعرف عليه . . . ولكن لم يتعرف على أحد منا . . وفى اليوم التالى أحضرونا أيضًا ولكن بالملابس الرسمية وحققوا معى . . .

– أنت تعرف إسماعيل الفيومى . . .

قلت :

– الله يرحمه !! ولم أكمل العبارة . . انهالوا على بالضرب وقالوا لى :

– كيف عرفت إنه مات ؟! .

قلت :

– كل الناس يقولون إنه مات .

حذرونى من التحدث بهذا الكلام . . . وقتها أيقنت أن إسماعيل قد مات!! .

سألونى :

– هل إسماعيل كان من الإخوان المسلمين ؟! .

قلت :

– المخابرات أولى منى بمعرفة ذلك لأنها تكتب عن كل واحد تقريرًا كل ستة أشهر وتعرف عنا كل صغيرة وكبيرة!! .

ويضيف «عبد المنعم» زميل الشهيد إسماعيل الفيومى :

– بعد القبض على إسماعيل الفيومى غير عبد الناصر عددًا كبيرًا من حرسه فعزل ٣٠٠ عسكرى من الحرس لأنهم متدينون . . كل إنسان يشعر أنه على قدر من التدين أو حتى مجرد أنه يذهب إلى المسجد يعزله!! .

وقال لى الأخ عبد الحميد عفيفى ، بلديات الشهيد إسماعيل الفيومى :

- قابلت إسماعيل أول مرة فى دورة المياه فى السجن الحربى وكان يسكن الزنزانة ١٤٤ فى يوم رأيته نازلاً وقد طلبوه للتحقيق، جلست أنتظره حتى يرجع. . . فرأيته عائداً فى الليل متعباً ماشياً يستند على الحائط وكان يرتدى ملابسه التى كان نازلاً بها ولكنه يرتدى أفرول أزرق لأنهم كانوا يمزقون الملابس قبل التعذيب.

وقال لى سليم العفيفى صديق إسماعيل الفيومى وبلدياته:

- إسماعيل ابن بلدى . . عشنا حياتنا مع بعض وعندما قبضوا على سألونى عن إسماعيل وذهبوا ليحضروه. . ثم التقيت به فى السجن الحربى وكان يرتدى بنطلوناً والتعذيب ظاهر عليه، وبعد أيام وكان الوقت ليلاً رأيت الأمباشى محمد المراكبى ورأيت معه عسكريين يحملان جردلين وقطعة من القماش ودخلوا زنزانة إسماعيل الفيومى وبعد فترة خرجوا منها وأطفئت أنوار السجن وأنزلوا إسماعيل ملفوفاً فى بطانية وحملوه فى عربة وسمعت صفوت الروبى باتشاويش السجن وسفاحه يقول:

- جهزوه لأجل نخرجه فى العتمة !!.

ويقول على عبد الحميد عفيفى - بلديات إسماعيل:

- قابلت إسماعيل فى دورة المياه وسلمت عليه وكان سلاماً أسود أخذت بسببه علقه ساخنة!

وفى اليوم التالى رأيتهم يأخذونه إلى المكاتب للتحقيق، وفى آخر اليوم أحضروه مضروباً ممزقاً لكنه كان يسير على رجليه، ورأيته مرة ثانية محمولاً على النقالة يحمله الأمباشى المراكبى والعسكرى رشاد مفراكه . وتكرر نزوله على النقالة ورجوعه، وكنت دائماً أنتظره على باب زنزانتى حيث كنت أسكن فى الزنزانة رقم ١٤٠ وكنت أراه فى ذهابه وإيابه. . وآخر مرة رأيته فيها وهو ميت كان ذلك بعد العشاء، طلع الأمباشى محمد المراكبى مع عساكر آخرين من أجل أن يغسلوا الدماء من على أرضية الزنزانة ولفوا إسماعيل فى لفافة بيضاء وحملوه. . . وكان صفوت الروبى سفاح السجن الحربى يستعجلهم من تحت. . . نزلوا بإسماعيل ووضعوه فى المخزن بجوار باب السجن الكبير ثم أطفئت الأنوار وسمعت صوت عربية دخلت إلى حوش السجن ووضعوه فيها وخرجت العربية وخرج معها عدد من الحراس يحملون كوريكاً. .

وفأسًا ولكن العربية توقفت فجأة وأضيئت الأنوار خطأ فرأيت العربية وفى الصباح رأيت الزنزانة خالية من سكانها وأيقنت أن إسماعيل الفيومى قد استشهد!!.

يقول أخوه عبد المجيد:

لقد اعتقلت خمس سنوات ونصف بدون سبب إلا لأننى شقيق إسماعيل الفيومى.

لقد قدمنا بلاغًا إلى النائب العام وفتح التحقيق حول استشهاد أخى إسماعيل. وهنا شهود رأوه بعيونهم يعذب حتى فاضت روحه وحمل إلى خارج السجن ودفن فى مكان لا نعرفه.. فهل يرد القضاء الحق إلى أصحابه؟!.. إننا حتى الآن لم نصرف مكافأة أخى ولا معاشه ولم يصرف لأولاده الستة أى مليم، والدولة أمرها غريب، لقد كان لإسماعيل زميل خرج من الخدمة بعد الإفراج عنه وصرف مكافأة. أما إسماعيل فالدولة لم تصرف له أى شىء!!.

وهكذا كانت نهاية إنسان شريف لم يرتكب ذنبًا سوى أن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، مواطن كريم كرمه الله وجعله خليفته على الأرض، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»....

***

الشهيد.. محمد منيب

كان الشهيد محمد منيب عبدالعزيز يعمل أمينًا لمكتبة كلية العلوم بجامعة أسيوط . . وأعطته وظيفته فرصةً لأداء الكثير من الخدمات لطلاب الكلية . . بل لطلاب جامعة أسيوط وبخاصة الطلبة الغرباء عن المدينة . . الذين قد حضروا من قرى ومدن الوجه البحرى للدراسة فى جامعة أسيوط ، فكان هو الذى يرسل نتائج الامتحانات للطلاب البعيدين عن أسيوط وكانوا يتراسلون معه . . ويأنسون إليه ويصادقونه . . يجدون فيه أخًا كبيرا ونعم الأخ . .

لقد كانت إحدى الرسائل التى وصلت إلى محمد منيب عبدالعزيز سببًا فى تعذيبه حتى الموت .

ويروى الأخ زكريا التوابتى أحد الذين عاشوا مع الشهيد محمد منيب عبدالعزيز حتى لحظاته الأخيرة . . يقول :

– فى يوم الجمعة ١٠/ ٩/ ١٩٦٥ دخلت بنا سيارة الشرطة العسكرية تحمل ما يقرب من عشرين معتقلاً إلى السجن الحربى . . وعندما دخلنا من البوابة السوداء لهذا المكان الرهيب تعرضنا للكثير من الإهانات من سب وصفع . . وإن كان ذلك لا يعد شيئًا إذا قيس بما حدث للوافدين إلى «باستيل» عبدالناصر فى غير يوم الجمعة حيث تتوقف التحقيقات وتسكت حركة وحوش غابة السجن الحربى ، لأن يوم الجمعة كان إجازة الجلادين . . وبعد أن أنهيت إجراءات تسليمنا وتسلمنا وتفتيشنا وتسلم أماناتنا التى سرقوا بعضها وأثبتوا بعضها الآخر . . قادونا إلى «المخزن» وهى حجرة واسعة على يمين الداخل من بوابة السجن الكبير ، وعندما دخلنا المخزن وجدنا بعض أفراد أذكر أنهم بين الخمسة والسبعة منهم دكتور أستاذ فى كلية صيدلة وطبيب عظام اسمه الدكتور إبراهيم عبيد من الإسكندرية وطالب بكالوريوس علوم واثنان من إخوان السويس . . والأخ الشهيد محمد منيب ويعمل أمين مكتبة كلية العلوم بجامعة أسيوط . . المهم بلغ عددنا فى المخزن ستة وعشرين معتقلاً عشنا أيامًا رهيبة نفترش الأسفلت على بقايا بطاطين ولكن دون غطاء!!

ومنذ اللحظة الأولى لاحظت أن الشهيد محمد منيب أشد تعرضًا للإيذاء من كل من فى المخزن من زبانية السجن الصغار أمثال «سامبو» فكنا عندما نؤخذ إلى دورة المياه صباحًا فى مجموعات كان هو أكثرنا تعرضًا للضرب . . ففى الذهاب والإياب كان يتعرض للصفع والضرب على أية صورة دون سبب أو حتى مبرر مصطنع كعادتهم، ومن سامبو بالذات. وبدأت فى ذلك اليوم فى التعارف معه : عرفت أنه أمين مكتبة كلية العلوم بجامعة أسيوط ودهشت عندما عرفت أنه من الصعيد فقد ظننت من لهجته أنه من الشرقية أو من أى إقليم من أقاليم الوجه البحرى التى تتكلم بلهجة قريبة من لهجة الوجه القبلى، فقد كان محمد منيب أبيض الوجه . . ملون العينين يميل شعره إلى اللون الأشقر الغامق . . وعرفته بنفسى وأننى أسكن قرية مجاورة للمحلة الكبرى .

وبدأت أسأله عن بعض الطلاب من قريتنا بكلية العلوم بجامعة أسيوط . . وكانت مفاجأة لى أن وجدته يعرفهم جيداً . . وزاد هذا من تقاربنا . وقد هيأت محنتنا . وتجاورنا فى المكان ومعرفته لأبناء قريتى وأصدقائى لذلك كله .

فى اليوم التالى (السبت ١١/ ٩/ ١٩٦٥) لم يكن قد بدأ التحقيق معه بعد، ونودى على البعض من إخوان المحلة الكبرى، ثم ما لبث أن استدعى الأخ شمس الدين السندى، والأخ الشهيد محمد منيب . . وعاد إخوان المحلة وقد ضربوا وبدت آثار التعذيب على أيديهم خاصة وأبدانهم بصفة عامة . . ولكنهم كانوا يمشون على أقدامهم ثم فى وقت متأخر لا أذكر إن كان قبل العصر أم بعده جىء بالأخ شمس الدين والأخ الشهيد محمد منيب فى حالة يرثى لها يسوقهما جنود السجن فى فظاظة من صفع وضرب بالأيدى . . كان كل من الأخوين قد عذب تعذيبًا مبرحًا ينذر بخطر جسيم على حياتهما . ورغم أن البعض من أفراد مجموعة المحلة الذين عادوا قبلهما وعلى أجسادهم آثار الضرب بالكرباج ورغم ما قالوه من وحشية وبشاعة ما يجرى فى مكاتب التحقيق التى يجريها شمس بدران وأعوانه من أمثال حسن كفافى ورياض إبراهيم وإحسان العاجاتى وغيرهم من زبانية عبدالناصر، فلم نتصور أن يبلغ حد التعذيب هذا القدر المميت، وأيضًا وضح أمامنا الطريق والمصير قبل أن يحقق مع أكثرنا . . أخذت أجادل نفسى فى تفحصى جسد الأخ الشهيد محمد منيب، كنت مصراً على تسجيل تلك البشاعة فى ذاكرتى . . كانت كفاه ويداه كلها وساعداه إلى ما

بعد المرفق كتلة مشوهة لا أثر فيها للصورة السليمة التى خلقنا الله عليها، وكانت قدماه وساقاه إلى ما بعد الركبة على نفس الصورة من التشوه الكامل، وكانت كمية الضرب بالكرباج يمكن أن تكون عدداً غير محدد، فبدا موضع الضرب فى كثير من الأماكن غائراً وكأن الكرابيج كانت تتوالى على الموضع الواحد فتنثر لحمه ودمه حتى تعمق تلك الجروح حتى لتوشك عظامه على الظهور مجردة مما يكسوها، وفى مختلف بدنه كانت تتناثر مثل هذه الآثار، ولكن التركيز على تلك المواضع التى ذكرت، ولاحظت عند نقله ووضعه فى مكانه إلى جوارى وفى حالات تصحيح وضع نومه أنه يتألم من أماكن فى ظهره وضلوعه وكأنها دكت دكًا بلكمات أو مثل ذلك، وكانت جروحه البشعة قد تأكسد الدم فيها فمالت إلى السواد، وقد سارع الدكتور إبراهيم عبيد بإخراج «روب» أحمر قاتم وغطى به جسد الأخ الشهيد منيب الذى بقى بالفانلة والكلسون لتعذر إلباسه بدلته التى خلعها عند التحقيق معه كشأنهم عند التحقيق والتعذيب، وكان تعذيب الأخ شمس الدين على مستوى قريب من تعذيب الأخ منيب وإن لم يكن فى حجمه، وانحنيت على الأخ الشهيد محمد منيب أحاول فهم شىء منه متسائلاً . . لم كل ذلك ؟

وتمتم من خلال آلامه . . وجدوا خطابًا معى عند اعتقالى به بعض عبارات تحتاج لتفسير، ومعرفة مرسل هذا الخطاب لأنه وقع توقيعًا غير واضح . . فذكرت لهم أننى فى الجامعة يقصدنى الطلاب من أبناء الوجه البحرى لأرسل لهم نتائجهم بعد الامتحان توفيراً لمشقة الطريق والمصاريف، وبعضهم يرسل لى يشكرنى، وهذا أمر شائع ومعلوم عنى فى الكلية ويجرى ذلك مع أعداد كبيرة لا تربطنى بهم صلة شخصية أو صداقات مستمرة، لذلك لا أعرف أسماء أكثرهم . .

والعبارة التى وردت فى الخطاب المذكور بعد بعض التحايا والثناء والشكر «خد بالك من الكتاكيت» . . هذا المضمون الذى ذكرته استخلصته بصعوبة أنا والدكتور عبيد من الشهيد منيب بسبب حالته المؤلمة، وقد نصحه الدكتور إبراهيم عبيد إن كان لديه شىء أن يقوله لهم، لأنهم لن يتركوه وذلك حرصًا على حياته، فنفى علمه بشىء عنها وعن مرسل الخطاب تمامًا . .

حاول الإخوان الاستفسار من الدكتور إبراهيم عن مدى خطورة حالته، ولكنه تكلم كلامًا مبهمًا محاولاً بث الطمأنينة ولزم الصمت عن ذلك وشغل برعاية الأخ الشهيد منيب ومتابعة حالته، وقد حاولت بدورى أن أستفسر عن حالة الأخ منيب فكان يجيب إجابات عامة غير محددة، والأخ الدكتور إبراهيم عبيد سبق اعتقاله عام ١٩٥٤ ويعرف كيف تسير الأمور فى السجن الحربى ولذلك حضر ومعه حقيبة كبيرة مليئة بملابس صيفية وشتوية منها ذلك «الروب» الذى غطى به جسد الشهيد منيب سترًا له ولجروحه حماية لها من الذباب الذى غزا المكان بكثرة.

وران الصمت أكثر مما كان، وامتنع ذلك الهمس الذى كنا نجرى به أحاديثنا القليلة فى ذلك المكان، وشغلنا برعاية الأخوين شمس الدين ومنيب، والتخفيف عنهما ومحاولة إطعامهما أو تسكين تأوهاتهما وتوجعاتهما، وفى اليوم الثالث أدهشنا مجيئهم فى طلب الأخ الشهيد محمد منيب، فقد قدرنا أنه لا يصلح لمجرد الكلام معه، وأنه ليس فى جسمه ما يمكن أن يصلح لمجرد اللمس.. جاء الجنود وامتدت أيديهم إليه بالصفع لأنه لا يستطيع المشى من مكانه إلى مكاتب التحقيق أو حتى لمسافة متر واحد، فقد كانت حالته بالغة السوء، ولم نكن نتصور أن تبلغ الوحشية بالبشر وسوء التقدير والعمى مابلغه بهؤلاء الجنود الذين جندوا فى خدمة جيش يصد عن وطنه الغزاة ويحمى الذمار فانقلبوا إلى جلادين يمسكون بكرابيج يتناولوننا بها فى وحشية أثارت أحد اليهود المعتقلين بالسجن الحربى أثناء نكبة أو خيانة يونيو ١٩٦٧ فثار فى وجوهم معترضًا فى غضب..

أخيرًا لم يجد هؤلاء الوحوش الصغار من جنود السجن الحربى مفرًا من حمل الأخ منيب فى بطانية أمسكوا بأطرافها وذهبوا به إلى مكاتب التحقيق، وخلال ذلك الوقت كنت أفكر فى هذا الأخ الصديق أخى المحنة والمصير، وأخى الغاية ورفيق الطريق.. أخذت أستعرض أمسه الدامى، وجروحه وأوجاعه، ونوبات الغفوة التى كانت تنتابه فلا تستمر إلا دقائق ليفيق منها وكأنها إغماءة وليست غفوة، يتخلل ذلك نوع من الهذيان فأسمع كلمات مبهمة نحو: «النتيجة ستعلن فى ٢٣ يوليو» وغير ذلك مما لا تعيه الذاكرة الآن، مرت ساعة أو أقل قليلاً وأنا على ذلك الحال ثم يفتح باب المخزن، وأفيق من خواطرى والوحوش الصغيرة تلقى إلينا بالأخ الشهيد محمد منيب داخل

البطانية، ودهشنا جميعًا للسرعة التى أُعيد به إلينا مرة أخرى . . وعندما حملناه إلى مكانه لم يكن يحس آلامًا كثيرة أو كادت تكون معدومة، والمدهش والموجع معًا أن يعود إلينا مضروبًا مرة أخرى . . كيف عرفت ذلك ؟

تلك الجروح التى جفت وقد اسْودَّ لونها عادت تنزف دمًا فى مواضع من جسده ما زال أحمر قانيًا . . أيمكن أن يحدث هذا؟!

نعم . . نعم حدث ذلك فى السجن الحربى وفى سبتمبر ١٩٦٥، ومضى وقت قصير أقل من ساعة أيضًا كنا نرقب فيها الأخ الشهيد محمد منيب فى انتظار تلك اللحظة، لم يجرؤ أحد على التساؤل إلا من نظرات نلقيها على الأخ محمد منيب ثم ننتقل بها إلى وجه الدكتور إبراهيم عبيد، كان الأخ محمد منيب قد كف عن التوجع تمامًا، وقبل نهاية تلك الساعة كان صغار وحوش غابة الحربى يفتحون باب المخزن فى عنف ودون أن نستدعيهم، وفى البطانية سجى جسد الشهيد محمد منيب فى عنف ملفوفًا بذلك «الروب» بينما يعالج سكرات الموت، وخرجوا هذه المرة ولم يعودوا به مرة أخرى .

من نافذة المخزن الذى يقع فى مواجهة مبنى العيادة تقريبًا رآهم بعضنا وهم يدخلون به إليها، ولعله لم يبلغ العيادة حيًا . . فقد كان الشهيد محمد منيب على حافة الشهادة إن لم يكن قد ولج أرضها المباركة بإحدى قدميه فعلاً خلال تلك الدقائق منذ خروجه إلى مبنى العيادة، وحيث تحمل أجساد الشهداء بعد ذلك إلى رمال الجبل فى مواجهة السجن الحربى، ثم يدون أمام اسمه فى السجلات كلمة واحدة . . هارب!!

ويقول الأخ المهندس طاهر سالم . . وكان وقتئذ طالبًا بكلية هندسة جامعة أسيوط وأحد أصدقاء الشهيد محمد منيب :

كان محمد منيب عبد العزيز أمينًا لمكتبة كلية العلوم - جامعة أسيوط - وكان دمث الخلق محبوبًا من كل الطلاب الذين يترددون على المكتبة ومن أساتذة الكلية . . لقد رأيت محمد منيب فى السجن الحربى وهو يعذب فى مكتب حسن كفافى والرائد عاصم العتر وصفوت الروبى . . لقد علقوه من يديه ورجليه وأخذوا يمزقون جسده بالسياط حتى إذا ما أغمى عليه أفاقوه ثم يوقفونه ويرغمونه على الجرى فى دائرة يحوطها الجلادون الذين يصفعونه ويركلونه حتى يسقط من شدة الإعياء فينهضونه بالسياط ويعيدون معه الكرّة . . لقد كان الموت إنقاذًا له من جحيم العذاب !!.

وقال المهندس فاروق الصاوى:

أمر حسن كفافى بتعذيب الشهيد محمد منيب حتى سالت الدماء من ساقيه، وفى اليوم التالى استدعاه حسن كفافى وضربه على جروحه بقسوة، وأمر صفوت الروبى العسكرى الأسود على عبد الله . . وعبد المحسن أحد رجال المباحث العسكرية بضربه فانهال عليه ضربًا . . وكان حسن كفافى يصرخ فى محمد منيب قائلاً له:

اعترف أحسن أموتك . . من هم زملاؤك فى التنظيم؟ من هم أعضاء أسرتك؟! من هم «الكتاكيت» الصغار الذين يوصيك بهم أحد أصدقائك فى إحدى الرسائل التى أرسلها إليك ؟ .

لقد كانت العبارة التى عذب من أجلها الشهيد محمد منيب حتى لقى ربه هى : خلى بالك من «الكتاكيت». جاءت فى رسالة من رسائل أحد أصدقاء الشهيد. وعندما اشتكى والد الشهيد محمد منيب إلى مكتب جمال عبد الناصر يسأله مصير ابنه وكان «منير حافظ» أحد الذين يعملون فى مكتب جمال عبدالناصر . . فأرسل يستفسر من الشرطة العسكرية فردت عليه . . إنه بعد اعتقاله بأسبوعين أرسل السجن الحربى للمباحث يخطرها بأنه تمكن من الهروب أثناء التحقيق معه!!

***

شهيد كفر شكر (محمد على عبد الله)

لم تكن المصيبة التى تلحق بأسرة كل من استشهد فى السجن الحربى . . أو فى أى سجن آخر تقف عند حد فقد الشهيد، ولكن أقسى من فقدان الشخص اتهامه بأنه قد هرب من السجن لأن معنى هذا الهروب أن تضيع كل مستحقاته فى المكافأة أو المعاش . . وتضيع بذلك الأسرة كلها الزوجة والأولاد!! وهذا ما حدث لجميع الأسر التى فقدت رجلها . . حدث هذا لأسرة الشهيد محمد عواد . . وحدث لأسرة الشهيد إسماعيل الفيومى . . وحدث لأسرة الشهيد محمد على عبد الله شهيد كفر شكر الذى سأروى لك قصة استشهاده . . وهنا يصدق على هؤلاء الإخوة الشهداء المثل الشعبى الذى يقول: «موت وخراب ديار»!!

والشهيد محمد على عبد الله كان يعمل مدرسًا بمدرسة كفر شكر، بلد زكريا محيى الدين صاحب مذبحة سجن طرة التى راح ضحيتها ٢٦ شهيداً من الإخوان .

كان عمر شهيدنا محمد على عبد الله ٤٨ سنة . . وله ثلاثة أولاد وزوجة .

لقد قبضوا عليه يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٥ وذهبوا به إلى سجن بنها وبقى أربعة أيام عاد بعدها إلى منزله وهو - كما تقول زوجته - فى حالة سيئة جداً . عندما خلع ملابسه رأيت جسمه كله باين عليه آثار الضرب بالكرابيج . . وكان متسلخًا . . وملابسه لاصقة بجروحه . . ولما سألته:

- من الذى ضربك هكذا ؟! .

أجاب:

عذبونى كى يرغمونى على أن أعترف على حاجات أنا لم أعملها: لقد اتهمونى بأنى من الإخوان المسلمين . .

ولم يبق الشهيد محمد على عبد الله فى منزله أكثر من أربعة أيام حتى حضر إليه من أخذه مرة ثانية ولكن هذه المرة ذهبوا به إلى السجن الحربى . . ولم يعد حتى اليوم .

ويقول على حسن عبد الله . . ابن عم الشهيد محمد على عبد الله :

عندما عرفت من أولاد عمى خبر عودة ابن عمى إلى بيته توجهت إليه ووجدته مجهداً ولا يستطيع الجلوس ويتألم ألمًا شديداً فسألته عن السبب فقال لى :

لقد أخذونى لأنى متهم بأنى من الإخوان المسلمين وذهبوا بى إلى مكتب مباحث شبرا الخيمة وهناك عذبونى كى أدلى بأقوال تثبت أننى من الإخوان المسلمين . .

لقد عذبوه بالضرب بالكرابيج . . وربطوه وعلقوه ووضعوه فى برميل مياه . .

وبقى ابن عمى أيامًا قليلة فى بيته ثم ألقى القبض عليه مرة ثانية فذهبت إلى ضابط مباحث المركز وسألته عليه فقال لى :

لا تسأل عنه . . وهو بكره سيأتى . .

ولكنه لم يعد . . . وبعد حوالى عشرين أو ٢٥ يومًا سألنى «المخبرين» فى المركز عن ابن عمى . . وقالوا لى :

– هو ابن عمك لم يأت ؟ . .

قلت لهم :

– لا . . لم يأت ابن عمى !! .

فقالوا لى :

– إنه هرب من السجن الحربى ، وإن النشرة الجنائية تقول هكذا . . فأخذت منهم النشرة ولقيت فيها مكتوبًا أن ابن عمى هرب . . ولما قال لى المخبرون ما قالوا لم أصدق هذا لأن ابن عمى كان مجهداً جداً عندما رأيته يوم ٤/ ٩/ ١٩٦٥ عندما أفرج عنه فى المرة الأولى ولا يستطيع أن يهرب . .

وتذكرت ما قاله لى ابن عمى من أن هناك (ناس) كانت تعذب ولما يموت الواحد منهم من التعذيب يقولون عنه قد هرب . .

وروى الأخ كمال أحمد إبراهيم الذى كان يسكن مع الشهيد محمد على عبد الله فى زنزانة واحدة هو والأخ محمد عاطف شاهين والأخ يوسف فرج والأخ على سبيع . . يقول كمال :

- لقد كنت معتقلاً في زنزانة واحدة مع الشهيد محمد على عبد الله بالسجن الكبير في الزنزانة ٩٩ مع الإخوة على سبيع وعاطف شاهين ويوسف فرج، وقد تعارفنا جميعًا على بعض وبقى الشهيد محمد على عبد الله معنا حوالى عشرة أيام تعرفت عليه خلالها وعرفت أنه كان متهما بأنه من الإخوان المسلمين، وحدثنى أنهم قد اعتقلوه مدة بسيطة ثم أفرجوا عنه وبعد الإفراج بيومين أو ثلاثة قبضوا عليه مرة ثانية وأحضروه إلى السجن الحربى بالقاهرة . .

وقد أُدخل علينا الزنزانة خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ . . وفى أحد الأيام جاء أحد الحراس ونادى على اسمه وقال له :

- أنت مطلوب للاستجواب !! .

وأخذه . . وذهب به إلى التحقيق . . عاد لنا بعد ساعة ورأيت رجليه كلها متشرّحة داير داير وباين عليها آثار ضرب الكرابيج وتنزف دمًا فسألته :

- إيه الحكاية ؟!

فقال :

- إن العسكرى أخذه للاستجواب وذهب به إلى مكتب واحد ضابط اسمه حسن كفافى وكان الضابط يقول له :

- تكلم . .

فكان يرد على الضابط حسن كفافى ويقول :

- أنا ما عنديش كلام . .

ولما رفض أن يتكلم قام حسن كفافى . . .

وضربوه بالسياط . . . ولما اشتد عليه الضرب قال لحسن كفافى :

- يا بيه ارحمنى . . !! .

فرد عليه حسن كفافى وقال له :

- لو فتحت صدرى ما تلاقيش فيه قلب !! .

واستمر العساكر يضربونه حتى مزقوه . . ثم أعادوه إلينا فى الزنزانة . . وقد حكى لى الشهيد قصة تعذيبه، وبعد حوالى ثلاثة أيام كانت ساقاه تزداد سوءاً . . وتورمت أكثر وتغير لونها بعد أن كانت حمراء من الضرب ازرقت . . وبدأت تنتابه حالات صرع يتشنج فيها ويفقد وعيه وكنا ندق على باب الزنزانة علشان يأتى أحد ويلحقه أو يذهبون به إلى المستشفى ويعملون له اللازم . . كان الكلام ده ليلاً . . وجاء أحد الحراس وقال لا يوجد أحد فى المستشفى الآن . . غداً صباحًا . . تذهب به . . وبقى الشهيد محمد على عبد الله فاقد الوعى طول الليل وبين الحين يصدر منه أنين . . وفى الصباح حضر أحد العساكر وقال لنا:

هاتوا الولد اللى عندكم !!

فحملته أنا وأحد زملائى فى الزنزانة وهبطنا به السلم وسلمناه لأحد العساكر ويعمل تمرجيًا وكان يوجد سرير فى الحوش بجوار فسقية الماء فقال لنا:

- ضعوه على السرير . .

فوضعناه على السرير جالسًا وعندما جلس على السرير شهق شهقة ووقع على السرير . . ومات!!

وعندها أمرنا العساكر: للخلف در . . ودرنا بالخطوة السريعة إلى الزنزانة ولا نعرف ماذا حدث بعد ذلك ولكن العساكر حضروا وأخذوا مهماته ولا أعرف أين ذهبوا بها . . هكذا انتهت حياة الشهيد محمد على عبد الله . . وأقسى من فقد أسرته له . . أن الدولة اعتبرته هاربًا . . بل ولا زالت تعتبره كذلك . . ولم تحصل أسرته على معاش سوى اثنى عشر جنيهًا عاشت بها طوال تلك السنين !![1].

***

---

(١) شهداء الإخوان ومذابحهم فى سجون ناصر - جابر زرق ص ١٥٦ .

شهداء التعذيب

محمد عواد... أول الشهداء !

كان محمد عواد. . . أول شهداء السجن الحربى. . وقصة تعذيب عواد تعطى الصورة الضارية لمذبحة السجن الحربى. . . ولكنها فى نفس الوقت كانت مثالاً رائعًا لثبات المؤمن. . فجعلت من عواد مَعْلَمًا فى طريق الدعوة الإسلامية. . .

عندما ذهبت الشرطة العسكرية لإلقاء القبض على محمد عواد كان عنده مصطفى الخضيرى الذى هرب بعد اعتراف أسرته، عليه، وأراد محمد عواد أن يعطى مصطفى الخضيرى فرصة للهرب فأوهم القوة التى ذهبت للقبض عليه بأنه جرى وسط المزارع يريد الهرب فجروا خلفه، واستطاع الخضيرى أن يفلت من إلقاء القبض عليه. . واستسلم عواد بعد ذلك فقبضوا عليه وصحبوه معهم فى السيارة وحملوه إلى السجن الحربى. وقال لى سليم العفيفى:

بعد إلقاء القبض علىَّ صحبونى إلى السجن الحربى وساقونى مع غيرى إلى ساحة التعذيب أمام مكتب سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية وقتئذ، وبدأ الجلادون يمزقون أجسادنا بالسياط، وكان الوقت ليلاً. . . وفجأة رأينا صفوت الروبى جلاد السجن الحربى يسوق شابًا عرفنا أن اسمه محمد عواد يعمل مدرسًا بوزارة التربية والتعليم. . . ومن قرية الزوامل بالشرقية.

وقال: هذا هو المجرم محمد عواد. . . يافندم. .

فأوقفوا تعذيبنا وساقونا جميعًا إلى السجن. . ولم يبقوا إلا محمد عواد. . أخذوا يعذبونه ونحن نسمع صراخه. . واستمر تعذيبه يومين وهم يعذبونه فى حضور شمس بدران وحمزة البسيونى ورياض إبراهيم. . . ورأيت صفوت الروبى ينزل إلى الفسقية ممسكًا رأس عواد يخبطها فى حائط الفسقية حتى هشمه. لقد كان عواد صلبًا عنيدًا تحداهم بإيمانه فلم يحصلوا منه على كلمة واحدة فصنعوا به ما صنعوا انتقامًا منه وإرهابًا لغيره. وكان تعذيبه أمام عدد كبير من الإخوان الذين كان يحقق معهم فى نفس الوقت.

وقال لى الدكتور محمود عزت إبراهيم:

لقد رأيت محمد عواد وهم يعذبونه أمام مكاتب التحقيق فى السجن الحربى وكان عواد مجهداً . . . عييًا لا يقوى على السير ممزق الجسد عاريًا إلا من سرواله . . . لقد طلب منى صفوت الروبى أن أبصق على وجه محمد عواد فرفضت . . فألقوا به فى حوض الفسقية ثم أخرجوه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . . استمر ذلك طول الليل وفاضت روحه مع أول ضوء فى صباح ٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٥ .

وقال لى المهندس طاهر سالم:

لقد رأيت محمد عواد وهم يعذبونه وهو يتحداهم أن يخرجوا منه كلمة . . . كان يعذبه الصاغ رياض إبراهيم والصاغ حسن كفافى وصفوت الروبى . . . كانوا يعذبونه بضراوة ويضربونه بقسوة كى يجيبهم على أسئلتهم ويعترف بما يريدون ، لكنه لم يتكلم ولم يحقق لهم ما أرادوا ، فأحنقهم ذلك عليه فأنزلوه إلى الفسقية وأغرقوه فيها ونزل العسكرى «خرشوف» وركب على أكتاف عواد وأمسك برأسه يغطسه فى الماء حتى الموت ويخرجه ويكيل له الصفعات واللكمات . . . ثم أخرجوه من الفسقية وهم يتميزون غيظًا من صلابته وعناده و «نشوفيه دماغه» على حد قولهم . . . وزادهم غيظًا عندما أخرجوه من الفسقية ورغم شدة إعيائه وإشرافه على الموت أفزعه أن الماء أوشك أن يسقط سرواله فتنكشف عورته فأمسك سرواله ورفعه حتى لا تنكشف عورته فانفجروا فيه قائلين : " حتى وأنت فى هذه الحالة . تتمسك بدينك " !! .

وأمسك به صفوت الروبى ونزل به مرة ثانية إلى الفسقية بنفسه وأخذ يضرب رأس عواد فى جدار الفسقية حتى هشمه وسالت منه الدماء بغزارة ، ووقع عواد مغشيًا عليه يسبح فى مياه الفسقية التى تلوثت بلون دمه ثم أخرجوه وألقوا به على الأرض وقالوا عنه :

– إنه سافر خلاص . . . فعرفت أنه فارق الحياة . . .

ثم ذهبت الشرطة العسكرية وقبضت بعد ذلك على والده وأحضروه إلى السجن الحربى رهينة حتى يحضر ابنه الذى هرب من السجن الحربى !! وبقى الوالد فى السجن حتى أفرجوا عنه وأوهموه أن ابنه هرب إلى السعودية . . .

وبقيت عائلة محمد عواد تصدق كذب الشرطة العسكرية وتظن أن محمد عواد قد هرب حقًا ولم تعرف الحقيقة إلا بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ عندما انتقلنا إلى سجن

ليمان طرة . . وسمح لنا بالزيارة بعد أكثر من عامين . . . وأثناء إحدى الزيارات أخبر واحد من إخوان عواد أهله بأن عواد استشهد تحت التعذيب ودفن فيمن دفن فى جبل المقطم مع غيره من شهداء مذبحة السجن الحربى .

والذى يعرف الشهيد محمد عواد لا يجد أى غرابة فيما أراد الله له من الشهادة، فقد كان محمد عواد يتوقع كل ما حدث له وكانت نفسه مهيأة لذلك ، وكثيراً ما تحدث عن مذبحة السجن الحربى الأولى عام ١٩٥٤ التى أقامها جمال عبدالناصر للإخوان من «المسرحية» الوهمية التى أطلق عليها حادث المنشية مبرراً للقضاء على جماعة الإخوان المسلمين ليحقق هدفًا من أهداف نشاط المخابرات الأمريكية فى مصر لقطع الطريق أمام جماعة الإخوان فى القيام بثورة لإقامة الإسلام فى مصر !!

وكان الشهيد محمد عواد وجيله من «أشبال» الإخوان الذين لم يدخلوا محنة سنة ١٩٥٤ ولم ينالهم ما نال إخوان سنة ١٩٥٤ من العذاب الرهيب، ولكنهم عرفوا كل الذى حدث عن طريق الآلاف من الذين اعتقلوا عام ١٩٥٤ وخرجوا عام ١٩٥٦ فرووا لهم ما شاهدوه من صور المأساة. . . وامتلأت نفوس الإخوان بتلك المذبحة وامتلأت نفوس أشبال الإخوان الذين شبوا وأصبحوا رجالاً بتلك المذبحة وكانوا يعرفون «الكذبة» الكبيرة التى افتراها جمال وأجهزته وسماها مؤامرة الاعتداء عليه فى ميدان المنشية بالإسكندرية .

لقد كان هدف عبد الناصر من مذبحة الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ القضاء على جماعة الإخوان وزرع الخوف فى قلوب الشعب المصرى بصفة عامة وأصحاب الاتجاه الإسلامى بصفة خاصة، لأنهم وحدهم الذين يملكون القوة والشجاعة فى أن يقولوا للظالم يا ظالم. وهم وحدهم الذى يقلقون القوى الخفية العالمية التى تطمع فى المنطقة وثرواتها، ومصر فى مقدمتها لأن الذى يسيطر على مصر يسيطر على العالم العربى والإسلامى!!

ولكن هل أدت مذبحة السجن الحربى سنة ١٩٥٤ الغرض من ضراوتها فقضت على جماعة الإخوان وملأت بالخوف قلوب الشعب المصرى؟! العكس هو الذى حدث فى جيل «أشبال» الإخوان المسلمين الذين أدركوا الجماعة قبل المحنة ورأوا فيها سفينة «نوح» التى أغرقها الظالمون !! لقد امتلأت نفس عواد. . . وجيله عزمًا وتصميمًا على

الصبر والثبات والتضحية فى سبيل بقاء الدعوة حية فى النفوس وكان إيمانهم بربهم حمىً لهم من كل خوف، وبقيت الدعوة حية فى النفوس وبقى الإخوان تربطهم ببعضهم رابطة الإخوة ويجمع بين قلوبهم الحب حتى فى أحلك سنين الظلم.

ولم تكن صلابة الشهيد محمد عواد وثباته وصبره وجلده ومصابرته على ما لاقاه من جلاديه وما سلكوا فى تعذيبه من أساليب جهنمية فاقت فى وحشيتها وخستها كل ما روته كتب التاريخ، بدءاً من اضطهاد الرومان للمصريين وانتهاء إلى أساليب الشيوعيين التى انحطت إلى أسفل الدركات.

لم تكن هذه الصلابة وليدة ساحة التعذيب فى السجن الحربى وإنما كانت " عقيدة " فاعلة ومؤثرة تمكنت من قلب الشهيد وملأت قلبه عزمًا وتصميمًا وصبراً وثباتًا حتى النهاية، فإما أن تنفد طاقة جلاديه فيغلبهم بصبره دون أن يتمكنوا من الحصول على كلمة ينالون بها من دعوته وجماعته، وإما أن تنفد ساعات عمره فيفوز هو بالشهادة التى طالما تمناها من الله بصدق.

وكان عواد شاعراً مجيداً . . . ففى قصيدة «مصارحة» التى نشرتها الاعتصام فى عدد المحرم ١٣٨٣ الموافق مايو ١٩٦٤ قال:

عُهُودٌ على حربنا تُوثقُ	ومالٌ على ضربنا يُنْفَقُ
وحقد يحاك لنا فى الظلام	فيفضحه وَمْضُهُ المُبرِقُ
أينسى الزمان صنوف الهوان	وسهم الظنون بنا يرشق ؟!
ولن يقبلوا الشرع فيهم صراحًا	وشمس حكومته تشرق

ثم صاح عواد على صفحات الاعتصام يخاطب الإخوان:

أخى طال عهدك بالمرقد	وطال اصطبارك بالحاقد
وطال انتظارك يوم الخلاص	ويوم الكرامة والسؤدد
فهدّم فراشك رمز الخمول	وقم للجهاد ولا تقعد
وقم للنضال وخوض القتال	وشمر عن الساق والساعد

ودرب فــــؤادك دفع المنون ... وركــز ســلاحك فــوق اليــد

وقَــبِّلْ عــيــالك قــبل المســيــر ... وَمَنِّهِمُ بانتــصـار الغــد

وفى قصيدة له بعنوان «حقيقة» يترجم عواد بصدق ودون مبالغة ما انطوت عليه نفسه وما عقد عليه العزم:

كــتــبنا النصــر من دمنا ... على أشـــلاء قـــتــلانا

جــعلنا من جــمــاجــمنا ... لشـــرع الله بنيــانا

بذلنا النفس فى شـــمم ... إلى الإســلام قـــربانا

ويصف محمد عواد صوراً من مذبحة السجن الحربى الأولى فى نفس القصيدة فيقول:

عـــراة من مــــلابسنا ... لنار الحــقــد تغــشــانا

فــمنا مـــعـــشــر هلكوا ... ومــــاتوا تحت مـــرآنا

ومــنـا مــن عــلــى نــصــب ... تعــانقــهــا وحــيــانا؟

ســيــاط الحــقــد تجــعلنا ... من التــعــذيب غــربانا

ســبــاع الطيــر ترقــبنا ... لتنهش لحم مـــوتانا

قطيع البــوم يُسْــمِــعُنَا ... من الألحــان أحــزانا!!

كانت آخر قصائد محمد عواد قصيدة بعنوان « الدنيا » نشرها فى يوليو سنة ١٩٦٥ أى قبل استشهاده بحوالى شهر فيها:

ومــا الدنيــا وإن خطرت دلالا ... بمعطيــة لعــاشــقــهــا منالا

فــلا تغــررك أيام عــذابٌ ... فــفى الآلام أيام حــبــالى

أجنتــهــا ستــقــذفــهــا همومًا ... وبهــجــتــهــا ستــجــعلها خيــالا

وأكــؤسهــا ستــفــرغــهــا سمومــا ... ومــقــبحــهــا ستــنصبه جمــالا

وإن بســـمت لمغــرور فــغــدر ... وإن أعطتــه شيــئًـا فــالخيــالا

ومن يركن لزخــرفــهــا يذقــهــا   على الأيام قطرانًا مــــــــالا

ومن يهــجــر لذائذها جــهــادًا   يـجـــد فى الخلد جنات ظلالا

ومن ينفق لدعــوته مــتــاعًــا   يزده الله مكرمـــة ومـــالا!!

إننى أطلت فى الحديث عن الشهيد محمد عواد. . . ولكننى أحس أن عواد أكبر من صفحات توضع فى كتاب. . . إن عواد ملحمة، وقصائده التى وضعت يدى عليها خلال العام الذى سبق استشهاده ترسم صورة لذلك الفارس المؤمن الذى صدق الله فصدقه الله، وأرجو أن أوفق فى جمع ديوان محمد عواد وتسطير حياته كلها ففيها نفع كثير لأجيال المستقبل.

***

إبراهيم عاشور (أبو حسن)



هو من الإخوان المسلمين الفلسطينيين الذين سجنوا وطوردوا فى عهد الطاغية جمال عبد الناصر، كان رحمه الله متصفًا بالجد والحركة المستمرة، كثير الصمت، فعله أكثر من كلامه. عمل مدرسًا فى بلدة الزبير بالعراق وضابطًا سابقًا فى الجيش المصرى ومن أوائل الذين عملوا مع فتح. ولما فتح الإخوان قواعدهم انتقل بكليته إلى القواعد مع إخوانه يفيدهم ويستفيد منهم، لقد بدأ -رحمه الله- وكأنه لا يعلم شيئًا عن الجهاد والقتال والسلاح، ولكن سرعان ما تبين للإخوة المسؤولين مقدرته العسكرية وكفاءته القيادية.

لقد وصل خبر للأخ المسؤول أن المنطقة التى يعسكر فيه الإخوان ستتعرض لهجوم الطائرات القاذفة للقنابل، فأمر إخوانه المجاهدين بالتفرق على الفور وترك المعسكر، وبعد نصف ساعة فقط جاءت الطائرات الإسرائيلية الضخمة تقذف المنطقة بقنابل كثيرة حتى حرثت المنطقة، ولم يبق أثر للخيام أو الأثاث إذ كلها أتلفت وأحرقت من الغارة، وجرح من الإخوان فقط جريحان، وفى اليوم الثانى وبينما كان الإخوان يجتمعون للغداء أحضر أهل القرية المجاورة قنبلة لم تنفجر، فأخذها الأخ إبراهيم عاشور وأخذ يشرح لإخوانه عن هذه القنبلة ويذكر لهم شدة حساسية صاعق هذه القنبلة وسرعة انفجارها لأقل الأسباب وأضعف المؤثرات، وكان المجاهد الشاب الشهيد رضوان كريشان يتكئ على كتف الأخ إبراهيم عاشور وهو يشرح وإذا بالقنبلة تنفجر فتقطع أوداج الاثنين وحلقيهما. ويموتان على الفور.

حدث هذا فى مخيم العالوط سنة ١٩٦٨، فشيعه إخوانه المجاهدون ودفن فى مقبرة أم الحيران بمدينة عمان وقد بلغ عمره ثلاثين سنة.

رضوان كريشان

من الإخوان المسلمين فى الأردن، ولد فى معان، ولبى نداء الجهاد، وانخرط فى سلك المجاهدين. كان كثير الذكر والصلاة والصمت، وكان خلوقًا، عميق التدين، طيب العشرة كثير الحركة والنشاط.

قال محدثى: كان رضوان يومًا من الأيام يقرأ قصة الصحابى الجليل الذى أخبر رسول الله أنه خرج للجهاد حتى يطعن بسهم فى حلقه فيموت شهيدًا فيدخل الجنة. فتأثر تأثرًا شديدًا بما قرأ، وسأل الله بقلب مخلص أن يرمى فى حلقه كما حدث لهذا الصحابى رضى الله، ولقد استجاب الله دعاءه فأصيب بشظية قنبلة أصابته فى حلقه فذبحته كما تذبح الشاة وفاضت روحه بعد نصف ساعة وهو فى طريقه إلى المستشفى.

واستمر محدثى يقول: فى آخر أيام شهيدنا (رحمه الله) التقى مع أمه فى معان، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأخير، فقال لأمه: لعلى لا أعود، وإنى أشعر بالشهادة فادعى الله لى، وارضى على وإذا رزقت الشهادة فلا تبكى على، ولم يمض يومان على كلامه هذا حتى رزقه الله الشهادة، فوفت أمه بوعدها، فلم تبك عليه أخذًا بوصيته، وكان له إخوان وشقيقات أكثروا من البكاء عليه، فكانت أمه تقول لهم: إن ولدها الشهيد قد أوصى ألا يبكى عليه أحد، فاذكروا الله وطبقوا وصيته.

رزقه الله الشهادة وهو شاب لا يتجاوز العشرين من العمر، فشيع فى جنازة مهيبة وكبيرة بلغ طولها عشرة كيلو مترات من السيارات على طريق معان، كان ذلك عام ١٩٦٩.

***

رضوان بلعا

هو أخ من الإخوان المسلمين السوريين ومن دمشق، يتمتع بجسم قوى، وعضلات مفتولة، وهو من أبطال المصارعة فى القطر السورى.

التحق بالجهاد وقواعد المجاهدين من الإخوان المسلمين فى الأردن بعد حرب ١٩٦٧، وحين سأله أهله مرة متى يعود إليهم أخبرهم أنه سيعود إليهم فى ١/ ٤/ ١٩٧٠م فأكرمه الله تعالى بالشهادة وعاد إليهم محمولاً على الأعناق فى ١/ ٤/ ١٩٧٠م وكان عمره ثمانية وعشرين عامًا.

قال محدثى: نزل هذا المجاهد فى إحدى العمليات لقنص دبابات اليهود، وقبل نزوله اغتسل وتوضأ وصلى استعداداً للشهادة، ثم سار مع إخوانه بين بيارات البرتقال والليمون، فأخذ -رحمه الله- يقطف زهر الليمون ويشمه ويدهن به وجهه وقال لإخوانه فى رحلته الجهادية: إن الملائكة تحب رائحة الليمون فادهنوا أنفسكم به، فقال له أحد الإخوة مداعبًا. أنت شهيد فتعطر استعداداً لملاقاة الملائكة، أما نحن فلسنا بشهداء. ثم بدا عليه صمت بعد ذلك، فعجبنا لهذا الصمت.

وبعد أربع ساعات أمرنا قائد المجموعة بالتحرك، وكان اليهود يرصدون المنطقة لما نالهم من الإصابات وتدمير الدبابات، فلما رأوا سريتنا ضربونا بالرشاشات وقنابل المدافع، فأصابت إحدى الشظايا المتطايرة الأخ المجاهد رضوان فى مؤخرة رأسه، فسقط على الأرض، وكان- رحمه الله - ضخم الجثة، فلم يتمكن الإخوان المجاهدان اللذان معه من أن يحملاه إلا بصعوبة وعنت شديد، وفى مساء ١/ ٤/ ١٩٧٠ حمل إلى دمشق ووصل فى نفس اليوم كما وعد أهله وقد رزقه الله الشهادة، فهنيئًا له ورحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

***

محمد سعيد با عباد (أبو السعيد)

مجاهد من مجاهدى الإخوان المسلمين، وعسكرى متمرس، درس فى الكلية العسكرية فى القاهرة وكان متفوقًا على زملائه فى دراسته، شهد له بذلك زملاؤه الذين كانوا فى دفة الحكم، ولد فى قرية على ساحل البحر الأحمر تدعى الشمر فى اليمن الجنوبى.

كان -رحمه الله- جريئًا، مقدامًا، متواضعًا، أليفًا يألف ويؤلف، وكان ضابطًا برتبة نقيب فى الجيش اليمنى، وبعد استيلاء الشيوعيين على السلطة خرج من بلده وقد حكموا عليه بالإعدام، ولما حدثت نكبة ١٩٦٧ حيث ضاعت كل فلسطين وسيناء والجولان، وآيست الناس من الحكومات العربية والجيوش العربية، واتجهت نحو العمل الجهادى الفدائى، كان شهيدنا -رحمه الله- مع وفد مهمته الطواف بالعالم الإسلامى ليحضه على الجهاد بالنفس والمال، وجلب المتطوعين لقواعد الإخوان المسلمين، وكان زميلاه أجنبيين: أحدهما تركى والآخر إندونيسى، ولما مر هذا الوفد بالقواعد وحين انتهى به المطاف إليها قرر أن يبقى بها يقاتل معهم العدو، وهو صاحب خبرة عسكرية والعمل الميدانى بحاجة إليه، فاعتذر لأخويه عن الاستمرار معهما فى المهمة إذ يمكن لغيره أن ينضم إليهما ويستمر فى المهمة.

قال محدثي: كان -رحمه الله- نشيطًا، عالى الهمة، سريع الاستجابة للخير، يلبى أمر قائده إذا ندبه دون تردد أو بطء، بل يهب مهرولاً، وقد يكون قائده أقل كفاءة منه، فلا يؤثر ذلك فى نفسه.

خرج -رحمه الله -فى دورية استطلاعية على نهر الأدرن، ليستطلع منافذ العبور إلى الضفة الغربية المحتلة من فلسطين، ولإجراء الدراسات العسكرية، والمسح لإعداد العمليات القادمة، فلاحظه العدو واكتشف أمره ومن معه ففاجأه بوابل من الرصاص ليلاً، فسقط على الفور شهيداً، وقد مزق الرصاص جسده، وأصيب من كان معه برصاصة اخترقت فخذه وأخذت إحدى خصيتيه معها، فسار مسافة خمسة كيلو مترات حتى وصل إلى إخوانه فحملوه سريعًا إلى المستشفى، وأجريت له عملية، وكان يعيش

بخصية واحدة، فى دولة الكويت، وقد تزوج امرأة ثانية وأنجبت منه بعد إصابته. فسبحان الله العلى العظيم رب العرش الكريم إذا أراد شيئًا إنما يقول له كن فيكون.

لقد استشهد رحمه الله سنة ١٩٧٠ عن عمر بلغ ثلاثين سنة، ونقل جثمانه إلى اليمن الجنوبى، فخرج زعماء اليمن فى جنازته وشهدوا له بالشجاعة والكفاءة والتفوق عليهم يوم أن كانوا بالكلية العسكرية بالقاهرة.

قال محدثى الذى رافق جثمان الشهيد إلى عدن:

لقد خرجت عدن بقضها وقضيضها لاستقبال جثمانه، وما إن رأت الجماهير المؤمنة المحتشدة جثمان الشهيد حتى هتفت من أعماقها: لا إله إلا الله محمد رسول الله.. الشهيد حبيب الله: طريق فلسطين طريق الإسلام.

هكذا ظهرت فطرة الجماهير، فطرة الله التى فطر الناس عليها: إنها الفطرة المؤمنة، ومهما حاول أعداء الإسلام من محاولات لطمس هذه الفطرة أو الانحراف بها فلن يفلحوا أبداً.

***

مهدى الأدلبى (أبو معاذ)

مجاهد من مجاهدى الإخوان السوريين، وهو من مدينة حماة. . لبى داعى الجهاد مهرولاً من مدينة حماة الصامدة إلى منطقة الأغوار فى الأردن وانخرط مع إخوانه المجاهدين من الأردن وسوريا ومصر والسودان وفلسطين ولبنان وغيرها.

كان- رحمه الله- رياضيًا متفوقًا فى أكثر من فن من فنون القوى والتدريبات، وبخاصة السباحة، وكان كثير الصمت خاصة بعد وفاة مدربه الأستاذ أبى الحسن إبراهيم عاشور، فقد آثره وانشغل بالإكثار من تلاوة القرآن الكريم وذكر الله تبارك وتعالى، وصيام النافلة، حتى إنه صام مع أحد الإخوة الذى كان عليه أن يصوم ستين يومًا كفارة عن قتل خطأ ارتكبه وشارك أخًا آخر فى صيام ستين يومًا كفارة الإفطار فى رمضان.

كان- رحمه الله- تعالى يحب قائده ومدربه أبا الحسن حبًا شديداً، وكان متعلقًا به، ولما بلغه نبأ استشهاده، بكى بكاء شديداً، وأغمى عليه، وتأثر عليه تأثراً كثيراً، مما حدا ببعض الإخوة أن ينكروا عليه هذه الدرجة من التأثر.

كان أهله فى حماة يحبون أن يزوجوه، وفى آخر زيارة من زياراته لهم فى حماة عرضوا عليه الزواج، وألحوا فى طلبهم ذلك، فأخبرهم بأنه خاطب - ولعله كان يقصد الحور العين - لأنه لم يكن خاطبًا فعلاً، ووعدهم وعداً مؤكداً أنه إذا جاء فى الإجازة القادمة بدون زواج سيخطب ويتزوج ولكنه عاد إليهم شهيداً ليتزوج الحور العين فى الجنة.

استشهد رحمه الله تعالى فى ٥/ ٦/ ١٩٧٠ فى منطقة الشارع فى العملية التى قادها القائد المجاهد الشهيد صلاح حسن، إذ رأى الأخ المكلف بالقنص يخطئ الدبابة اليهودية فقتل على الفور، فلما رأى شهيدنا - رحمه الله - ذلك خرج من خندقه صارخًا: الله أكبر، مندفعًا كالسهم نحو اليهودى القاتل، فقوبل بوابل من الرصاص وسقط شهيداً.

ومما يجدر ذكره أن هذا الجندى هو الجندى اليهودى الوحيد الذى نجا فى المعركة بعد جرحه، ولقد أذاعت إذاعة العدو مقابلة لهذا الجندى اليهودى وصف فيها هجوم هذا الشهيد عليه وتمكنه من قتله.

لقد استشهد -رحمه الله تعالى- وهو فى ريعان شبابه إذ لم يتجاوز عمره اثنين وعشرين عامًا. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

قال محدثى يحدثنى عن هذه العملية التى استشهد فيها: كانت عملية جريئة إذ ضربت المجنزرات اليهودية على بعد أمتار محدودة، وهى من أندر العمليات فى تاريخ العمل الفدائى.

***

صلاح الدين المقدسي

مجاهد من مجاهدى الإخوان المسلمين، وشهيد من شهدائهم، ولد فى قرية المالحة التابعة للقدس، وكان رحمه الله كثير البكاء كثير الخشوع، يُذَكِّرُ من رآه بالصدر الأول من صحابة رسول الله (فهو صوام قوام، قارئ للقرآن الكريم).

قال محدثى: لا أظن أحداً ممن كان حوله أخطأ التقدير فى أن هذا الفتى سينال الشهادة، وسيتخذه الله شهيداً عما قريب، كنا بالإجماع نعده من الشهداء وإن كان يعيش مع الأحياء، لم يكن يتسلم راتبه الشهرى، ولو دريت كم كان هذا الراتب، إنه لا يتجاوز عشرة دنانير، بل لم يكن يأكل من الطعام إلا ما يقيم به أوده، وكثيراً ما كان يقتصر فى طعامه على حبات من التمر، وأغلب أيامه كان صائماً.

لما أراد المجاهدون من الإخوان أن يقوموا بعملية عسكرية فى ذكرى هزيمة ٥ يونيو/ حزيران فى ١٩٧٠ أصر رحمه الله تعالى إصراراً عجيباً على أن يكون مشاركاً فى هذه العملية وحاول إخوانه إقناعه وثنيه عن ذلك، فما زادته هذه المحاولة إلا إصراراً وحماساً فلم يفلحوا فى إقناعه، لأن الداعى قد دعاه، ولأن مولاه قد اختار لقاءه.

حقاً لقد كانت عملية جريئة وموجعة للعدو اليهودى، بل كانت من أندر العمليات المؤلمة والمؤثرة فى معنويات العدو، لقد كتبت عنها الصحف فى اليوم التالى بعناوين بارزة كبيرة بخط أحمر.

استشهد رحمه الله فى هذه العملية فى ٥/ ٦/ ١٩٧٠ عن عمر يناهز العشرين عاماً وبقيت جثته على أرض فلسطين، حتى تشهد له هذه الأرض المباركة بجهاده واستشهاده، وسال دمه الزكى على هذه الأرض، ليرشد الأجيال إلى طريق التحرير، وليضع فى أعناقها الأمانة، حتى تؤديها وتوفى بها حق الوفاء، فتسير على نفس الدرب.

* * *

محمود برقاوى (أبو جندل)

هو أحد الإخوان المجاهدين من الأردن، ومن قرية دير أبى سعيد بمحافظة إربد، كان يتمتع بجَنان لا يعرف الخوف، وعزيمة أقوى من الحديد، وابتسامة لا تفارق محياه، مهما ادلهم الخطب واحلولكت الليالى. وكان- رحمه الله- مرحًا دمثًا مطيعًا فيه كل صفات الجندى المثالى.

شارك رحمه الله فى عمليات كثيرة فكان فيها جريئًا جدًا، وأسهم فى التخطيط لعدد من الدوريات، وزراعة الألغام فى عمق خطوط مواصلات العدو اليهودى.

أصيب أثناء التدريب بشظايا قنبلة صوتية، استقرت فى حنجرته، فأجريت له عملية استئصال الشظايا من الحنجرة، على أثرها فقد صوته فترة من الزمن، ثم شفاه الله وعافاه، فعاد إلى المعسكر وهو أشد ما يكون حماسة واندفاعًا للجهاد والاستشهاد.

وآخر عملية خاضها مع القائد المحبوب صلاح حسن (أبى عمرو) واستشهد هو وقائده أبو عمرو رحمهما الله تعالى فى ٢٨/ ٨/ ١٩٧٠ وكان عمره تسع عشرة سنة.

رحم الله شهيدنا رحمة واسعة وجزاه الله عنا وعن المسلمين خيراً.

قال محدثى: لقد كانت خسارة المجاهدين بفقد هذا الشهيد البطل لا تقل عن فقدان القائد أبى عمرو، فقد كان قياديًا وحكيمًا على صغر سنه، وكنا نتوقع له مستقبلاً باهرًا فى الأمور القيادية والنواحى العسكرية لو مدَّ الله فى عمره.

***

المجاهد الشهيد صلاح حسن (أبو عمرو)

(١٣٤٣-١٣٩٠هـ، ١٩٢٥ - ١٩٧٠م)

معرفتي به:



عرفته بمصر أثناء الدراسة الجامعية، فعرفت فيه الرجولة والصلابة، والفداء والتضحية، والعزم والثبات، فقد كان من القلائل الذين فقهوا الإسلام جهاداً، وبذلاً، وصبراً، وعبادة، ودعوة، وخلقًا، وحياءً، وأخوة وإيثاراً، حيث كان يدرس في «معهد التربية العالي» ويشارك في تدريب الشباب المسلم والطلبة الجامعين على الرياضة البدنية والتكتيك العنيف الذي يصنع الرجال، ويحارب الميوعة لدى الشباب، فكان معلمًا، ومربيًا، وداعية، ومجاهداً، أحبه زملاؤه وتلامذته وإخوانه، فكان مثال الأخ المسلم في الخلق الفاضل، والأدب الجمّ والتواضع ولين الجانب.

نشاطه وجهاده:

لقد أسهم في تدريب طلبة الجامعة بالأزهر، وعين شمس، وغرس فيهم روح الجهاد والتضحية في سبيل الله والمستضعفين، والدفاع عن أرض الكنانة بمحاربة الإنجليز في منطقة قناة السويس سنة ١٩٥١م.

وحين قام الانقلاب العسكري سنة ١٩٥٢م، غادر صلاح حسن أرض الكنانة بعد أن اجتاحتها نذر الشر، وعواصف الطغيان، مهاجراً إلى جنوب السودان للتبشير بالإسلام في مدينة «جوبا» وما حولها، وظل يكافح ويجاهد متصديًا لحملات التبشير الصليبي، المزودة بالإمكانات الضخمة، والدعم الدولي والإسناد المالي، حتى ضاق به المبشرون، فأغروا عملاءهم من أصحاب السلطة بإخراجه من السودان بكاملها، لا من الجنوب وحده، حيث توجه إلى الكويت ليعمل فيها مدرسًا للتربية البدنية في ثانوية الشويخ، التي هي مجال اختصاصه، ثم تفرغ للعمل الحر الذي يكسب منه رزقه ويمارس من خلاله دعوته في حرية وانطلاق.

ولقد سعدنا به فى الكويت كثيراً بعد هذه الغربة فى السودان الشقيق، حيث كانت لنا معه جلسات وحوارات، وأحاديث ومساجلات، تدور كلها عن وضع المسلمين فى العالم، وحاجة الأمة الإسلامية إلى إحياء روح الجهاد، الذى هو ذروة سنام الإسلام، وشعار عزته، وكان ـ رحمه الله ـ يكرر القول بأن مصائب العالم الإسلامى فى القديم والحديث إنما هى من جرثومة الفساد اليهودى الذى حارب الإسلام منذ البعثة النبوية ولا زال يسعى ليل نهار لئلا تقوم للإسلام قائمة أو يعود المسلمون إلى دينهم، ويقول: إن العلاج الوحيد لحسم مادة الشر هو التصدى لرأس الأفعى، ففى القضاء عليها شفاء لصدور المؤمنين.

تدريب الشباب:

ولذا شرع الأخ المجاهد (أبو عمرو) مع إخوانه (أبو أسامة) و (أبو خليل) و(أبو طارق) وغيرهم، فى الدراسات المعمقة والتدريبات الكثيفة، والدروس الإيمانية، والتحرك على مستوى العالم الإسلامى، لاستقطاب الشباب الراغبين فى الجهاد، لإعلاء كلمة الله، والتصدى لليهود الجاثمين على أرض المسلمين ومقدساتهم، وقد أثمرت هذه الجهود المباركة نواة طيبة من شباب العالم الإسلامى، هجرت حياة الدعة وسارعت إلى ساحة الجهاد وميدان الإعداد، وتوجهت إلى أرض الرباط قريبًا من أعداء الإسلام اليهود لمناجزتهم ومحاربتهم.

وقد قام البطل الشهيد صلاح حسن وإخوانه الكرام بتدريب الشباب على فنون القتال وأساليب الكر والفر والهجوم والدفاع وفق المنهج الإسلامى فى القتال المشروع.

ومما يجدر ذكره أنه -رحمه الله- كان يتوقع الشهادة، بل لقد رأى فى المنام ما يشعر بدنو أجله وأنه سيرزق الشهادة فحدث إخوانه: (رأيت فى المنام أنى أركب قطاراً ويقود هذا القطار الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله) فأولها هو وإخوانه بأنه سيرزق الشهادة ولقد اتخذه الله شهيداً فى ذكرى اليوم الذى رزق الله الشهيد سيد قطب الشهادة..

التخطيط للعملية:

لقد خطط الأخ (صلاح حسن) وإخوانه أبو أسامة وأبو خليل وغيرهم من المجاهدين المرابطين قبالة اليهود للقيام بعملية جهادية ضد اليهود تكون فى نفس اليوم

الذى هُزِمت فيه الحكومات العربية عام ١٩٦٧م (أى يوم ٥/ ٦) وبالفعل كان يوم ٥/ ٦/ ١٩٧٠م موعد العملية الجهادية حيث دمّر المجاهدون دبابات للعدو كانت مرابطة فى مستعمرة " كفار روبين " فى سهل بيسان.

وبعدها بأكثر من شهرين خطط (أبو عمرو) وإخوانه لمعركة أخرى مع اليهود، حيث اصطدموا بهم وتبادلوا معهم إطلاق النيران وسقط من المجاهدين ثلاثة شهداء من بينهم القائد صلاح حسن (أبو عمرو) وإخوانه زهير سعدو من سورية، ومحمد البرقاوى من الأردن، حيث سطروا بدمائهم الزكية طريق المجد لتحرير المقدسات الإسلامية، مكملين بذلك ما بدأه الإخوان المسلمون بمصر وسورية والأردن حين انطلقت كتائبهم لقتال اليهود بفلسطين عام ١٩٤٨م، وقدموا مئات الشهداء على ثرى القدس وفلسطين دفاعًا عن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المساجد التى تشد إليها الرحال.

ومن توفيق الله وعجائب قدرته أن يكون يوم استشهاد صلاح حسن موافقًا اليوم الذى أعدم فيه الشهيد سيد قطب من قبل طاغية مصر وصنيعة اليهود والأمريكان وهو يوم ٢٨/ ٨/ ١٩٧٠م أى بعد استشهاد سيد قطب بأربع سنوات.

وحين توجه المجاهدون لحمل جثث الشهداء الثلاثة وجدوا جثة الشهيد صلاح حسن قد مُثِّل بها تمثيلاً شنيعًا حيث فُقئت عيناه واخترقت عشرات الطلقات جسمه الطاهر، بعد أن قتل من اليهود أكثر من اثنى عشر جنديًا، وكان شقيقه (أبو خليل) معه فى نفس المعركة، ولكنه نجا من الموت.

قصة استشهاده :

وهذه قصة استشهاده يرويها أحد رفاقه فى ميدان الجهاد: الظلام دامس والأصوات هادئة بل معدومة، بعدما ترك معظم السكان قراهم فهى خاوية لم تسكن من بعدهم. واخترقنا هذه القرى المهجورة وخرجنا إلى الحقول والمراعى والبساتين، والركب الصغير يغذ السير إلى هدفه، ووصلنا بعد حوالى ساعتين من السير الحثيث إلى شاطئ النهر.

وتوقفنا عن السير فترة قصيرة-حوالى نصف ساعة- إلى أن ارتاحت قليلاً الأجسام المنهكة من ثقل ما حملت.

كان لساننا دائمًا يلهج بالاستغفار والذكر. وكانت تخطر دائمًا على أفكارنا كثير من الآيات وصيغ الاستغفار، وتدور حول أذهاننا وفى عقولنا أشرطة معينة لمواقف معينة، منها ما يضحك ومنها ما يبكى، ومنها ما يملأ النفس حماسة ومنها ما يملأها يأسًا. . وهكذا أشياء لا ندرى كيف تخطر على ذهن الإنسان فى ثوان معدودة بدون رابط بينها؛ ولكنها تشبه شريطًا من الأخبار الخاصة تعرض على ذهنك وكأن لا شأن لك بها.

بدأنا فى حذر شديد فى ترتيب عبور النهر، وأخذنا وضعًا مناسبًا للقتال، تحسبًا لأى مفاجأة، وقامت مجموعة صغيرة بعبور النهر والتمركز فى الضفة الأخرى، ثم بعد قليل بدأت المجموعة الأخرى فى العبور وهكذا إلى أن انتهينا جميعًا من العبور، ثم أخذنا نقطع النهر ذهابًا وإيابًا إلى أن قمنا بنقل كل المعدات وبدأنا فى الاستعداد، ولكنا شعرنا أن الوقت قد غلبنا ولم يبق على الفجر إلا القليل. ومع بعض الحسابات الخفيفة أدركنا أنه من الصعب أن يسعفنا الوقت فى عمل كل التجهيزات، فقررنا تأجيل موعد التنفيذ لليوم الثانى وكان لابد من العودة قبل طلوع النهار.

قمنا بعبور النهر إلى الضفة الشرقية واسترحنا قليلاً بعد أن أرسلنا أحدنا لإخبار مجموعة (التغطية) بتأجيل العملية لليوم الثانى، وأثناء الانتظار ألحّ النوم على جفوننا، وكنت ضمن مجموعة كتب الله الشهادة لمعظم أفرادها.

وقعت عينى على أبى عمرو (أى الشهيد صلاح) وهو يغط فى نوم عميق وكأنه ينام فى بيته. وظللت أنقل عينى بين رجلين: زهير سعدو وصلاح حسن، وهما يغطان فى النوم وعيناى تراقب الطريق. وما لبث أن عاد محمود برقاوى يخبرنا بنبأ التقائه بمجموعة التغطية وإبلاغها بتأجيل العملية. وبدأنا السير فى طريق العودة، لم نتكلم كثيرًا، لم نكن نعرف أن أبواب الجنة قد فتحت استعدادًا لاستقبال شهداء سوف ينتقلون بعد لحظات، وأننا كلما قطعنا خطوة إلى الأمام، كلما قطعنا خطوة إلى الجنة.

ووقفت أنادى محمود البرقاوى الذى كان سريعًا فى خطوه: يا محمود، لا تسرع حتى لا تختفى عن أعيننا فى الظلام الحالك. وللمرة الثانية حدث أن توقفنا وتكرر النداء لمحمود أن يبطئ فى سيره. وبدأ محمود يبطئ فعلاً فى سيره. ولكن كانت مرحلة الصعود (أى صعود الشهداء) قد بدأت، وكان أبو عمرو يسير خلفى وكذلك

شرحبيل (زهير سعدو)، وانتقلت من جانب الطريق الأيمن إلى الجانب الأيسر حتى أظل ملاحقًا لمحمود أثناء سيره.

وفجأة رأيت نارًا حامية تخرج من الأرض باتجاه محمود برقاوى وذلك من بعد حوالى خمسة عشر مترًا وتابعت النار الحامية وهى تصيب محمودًا ، وأدركت فى الحال أن محمودًا كان أول الصاعدين. . وهوى الجسد الطاهر على الأرض وصعدت الروح الكريمة إلى بارئها. . هوت المادة إلى المادة أصلها، وصعد السر الذى هو من علم ربه إلى خالقه. . وظلت المدافع تقصف فى اتجاه محمود قصفًا عنيفًا متواصلاً. وأخذنا وضع الاستعداد للالتحام. ولم يخطر ببالنا أن إخلاء الأهالى لقراهم يمكن أن يغرى اليهود بالتعمق إلى هذا الحد داخل أرض الضفة الشرقية وكأنها بدون صاحب.

فصحت بأعلى صوتى : انتبه. . ماذا تفعل ؟

وذلك ظنًا منى أنها مجموعة من الفدائيين حسبتنا يهودًا ففتحت نيرانها علينا؛ ولكن بضع كلمات عبرية بلغت آذاننا جعلتنا ندرك الوضع تمامًا. . إنه كمين يهودى وإنه لا يقل عن فصيلة كاملة.

ولكن من أدرى اليهود أننا سوف نعود من هذا الطريق ؟ هل هى (إخبارية) من بعض عيونهم ؟ هل المسألة صدفة ؟ لا نستطيع الجزم ، وإن كانت الشواهد تنبئ أن لليهود فى هذه المنطقة بعض العيون التى تنبئهم بالتحركات فى المنطقة. . ظللت حوالى ثلاث دقائق وأنا أراقب الموقف للتصرف حسب التقدير السليم. نظرت خلفى نظرة خاطفة فوجدت أبا عمرو قد جلس القرفصاء وأخذ وضع الاستعداد. ولم نحاول الالتحام أو الرد حتى نخفى مواقعنا، ونخفى أيضًا عددنا بفضل الظلام الدامس. وظل اليهود يضربون على غير هدى. وقررنا الانتقال من أماكننا إلى أماكن أكثر أمنًا. ومع الانتقال بدأت القنابل اليهودية تنهال علينا من اليهود. كل هذا ونحن ساكتون تمامًا. ثم بدأ اليهود إرسال طلقات كاشفة من مدفع هاون لمحاولة معرفة مكاننا، وأثناء انتقال أبى عمرو وزهير سعدو من مكان إلى مكان أصيب أحدهما فى قدمه ووقف الآخر لمساعدته وظلا فى أماكنهما إلى أن أراد اليهود أن يأخذوهما فأمسك كل منهما بسلاحه وكانت مواجهة عنيفة بين المجاهدين وبين اليهود، وكانت كارثة مفاجئة لليهود فقد

سقط فى الحال أكثر من ثلاثة عشر قتيلاً غير الجرحى، مما حمل اليهود على الانسحاب بسرعة، هذا مقابل استشهاد البطلين صلاح حسن وزهير سعدو وقد تمكنا مساءً من سحب الجثث حيث دفن الشهيد محمود برقاوى فى بلدة النواجع فى الأردن ودفن سعيد زهرو فى حماة فى سورية ودفن أبو عمرو فى أرض الكويت.

صفاته:

رحم الله شهيدنا الذى تعلمنا منه الكثير من دروس التضحية والجهاد، والصبر، والمصابرة، والعزم، والتصميم، والاستعلاء على زخارف الدنيا، والزهد بما فى أيدى الناس، والسعى الدؤوب للعمل الجاد الذى يرضى الله عز وجل وينفع المسلمين، والاعتزاز بالإسلام الدين الحق، والتمسك بحبل الله المتين، وتقديم الغالى والنفيس فى سبيل الله عز وجل والمستضعفين من المسلمين، والذود عن ديار المسلمين ومقدساتهم ونصرة المسلمين فى كل مكان، والتبشير بالدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله وابتغاء مرضاته.

***

شرحبيل الحموى

هذا هو اسم المجاهد الحركى، واسمه الحقيقى زهير سعدو. وهو من الإخوان المسلمين السوريين، ومن مدينة حماة الباسلة، المجاهدة الصابرة.

كان يعمل خياطًا فى حماة، ولما دعاه داعى الجهاد، لبى النداء، وسارع إلى الالتحاق بالكتيبة المجاهدة بقيادة المربى الفاضل الأستاذ صلاح حسن الذى كان يُكَنَّى بأبى عمرو، وكان شهيدنا -رحمه الله- صادق اللهجة، مخبتًا من المخبتين، وعابدًا من خيار العابدين، جيد العشرة، يألف ويؤلف، كل إخوانه يحبونه حبًا شديدًا، ويحب أن يخدم إخوانه، كما كان زاهدًا فى دنياه راغبًا فى الشهادة.

قال محدثى: كان -رحمه الله- مؤمنًا حقًا، وكنا نقرأ الشهادة فى وجهه وتقاطيعه الوديعة الهادئة، ولقد طلبت منه قبل سيره إلى العملية بقليل وهو يجهز نفسه أن يسامحنا، ثم أغيب قليلاً لأعود إليه ثانية وأطلب منه المسامحة، وكأنى كنت أحس باستشهاده فكان يقابلنى بابتسامة مشرقة ووجه يشع نوراً ويقول: شيخى، الله يسامحك.. ما فى شىء.

لقد كان -رحمه الله- من الإخوة الذين قادهم صلاح حسن للقيام بعملية فى الأرض المحتلة وبالذات مهاجمة مستعمرة كفار روبين اليهودية فى سهل بيسان على غرار عملية ٥/ ٦/ ١٩٧٠م، وفى أثناء الإعداد لهذه العملية وقبل القيام بتنفيذها بيوم واحد فقط حدث صدام مع دورية يهودية واستشهد الشاب المجاهد زهير سعدو وقائده صلاح حسن (أبو عمرو) وأخوه محمود البرقاوى. كان ذلك فى ٢٨/ ٨/ ١٩٧٠، وكان عمره عشرين سنة رحمه الله.

وهؤلاء الثلاثة من بلاد مختلفة، فزهير سورى، وصلاح حسن مصرى، ومحمود البرقاوى أردنى من دير أبى سعيد، جاؤوا جميعًا من أجل الدفاع عن فلسطين المسلمة وتحريرها، باعتبارها أرض الإسراء، وباعتبارها أرضًا مقدسة مباركة، فيها المسجد الأقصى المبارك، ثالث ثلاثة مساجد تشد إليها الرحال.

إن الذى جاء بهؤلاء لتسفك دماؤهم الزكية على هذه الأرض المباركة، هو إيمانهم وعقيدتهم ودينهم الذى يوجب عليهم وعلى المسلمين أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم من أجل تحرير فلسطين المسلمة، والمحافظة على إسلاميتها حتى تقوم الساعة.

أبو صبحى

مجاهد من مجاهدى الإخوان المسلمين الفلسطينيين، وهو من غزة هاشم، وكان -رحمه الله- كثير الصمت شجاعًا، بل منقطع النظير فى شجاعته، لا يهاب ولا يتردد فى الإقدام على قتال الأعداء مهما كانت الظروف مرعبة ومفزعة، والموت أقرب إليه من حبل الوريد.

كان عسكريًا ناجحًا، وكان عمله قنص دبابات العدو، وكان متقنًا فى رميه وإصابته لهدفه. وكانت شجاعته تدفعه لأن يتقدم إلى أقرب نقطة من العدو، وبدون ساتر ويرمى العدو ودباباته فيكون رميه محقق الإصابة.

قال محدثى: كان أبو صبحى محبوبًا، وكان من يراه يتذكر أخلاق الصحابة وخصالهم من التقى والصلاح والإخلاص وسلامة الصدر وحب الجهاد، كان إذا لم يقع عليه الاختيار لأى عملية عسكرية ضد اليهود يحزن ويبكى لأنه حرم شرف الجهاد وحيل بينه وبين نيل الشهادة.

قال محدثى: استشهد أبو صبحى وهو فى العشرين أو دونها بقليل، كان من أندر شجعان الدنيا، قناصًا مبدعًا، شجاعًا مغوارًا، أسد خطوب، وليث مواجهة، كم كان يزغرد الرشاش بيده غير هياب، ولا متردد، وكم كان يُصْلى الطائرات بالرشاش الثقيل، وهى تقذف حممها، وترسل نيرانها، تحرق الأرض من حوله، وتهدر كأنها الصواعق، فلا يتزحزح من موقعه، والشظايا تتطاير من حول كالمطر، وشارك -رحمه الله- فى عملية بالجولان، ثم استشهد - رحمه الله -سنة ١٩٧٠ وهو لم يتجاوز العشرين عامًا.

قال لى محدثى: إن القلم ليعجز عن وصف جرأة شهيدنا وشجاعته وأكتفى بما ذكرته لك. قلت: جزاك الله عنى وعن المسلمين خيرًا على ما قدمت وإن كنت أطمع فى الكثير.

***

الداعية الشهيد محمد صالح عمر

(١٣٥٠-١٣٩٠هـ، ١٩٣٠-١٩٧٠م)

مولده ونشأته :



ولد سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٠م) فى مدينة الخرطوم بالسودان، وتخرج فى كلية الحقوق قسم الشريعة بجامعة الخرطوم سنة ١٩٥٩م، ونال درجة الماجستير من جامعة لندن، وكان أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم، وهو من قادة الحركة الإسلامية فى السودان، ومن الرواد الكبار لثورة أكتوبر سنة ١٩٦٤م، وكان وزيراً فى حكومة الثورة سنة ١٩٦٤م، وقد أكرمه الله بالشهادة حيث استشهد فى أحداث جزيرة (أبا) بالسودان سنة ١٩٧٠م أيام الحكم الدكتاتورى فى السودان.

معرفتى به :

التقيت به أول مرة فى بيروت أوائل الستينيات، وكنا نتدارس قضايا المسلمين وأوضاع العالم الإسلامى وموقف العاملين فى الحقل الإسلامى من التحديات التى تواجههم، ومؤامرات قوى الكفر التى تكالبت على حرب الإسلام والمسلمين، وحركت عملاءها من الدمى والأقزام والفراعنة الصغار لضرب الحركة الإسلامية المعاصرة، وتصفية الدعاة إلى الله وقادة الفكر الإسلامى بكل وسائل البطش والتنكيل باعتبارهم الخطر الذى يهدد إسرائيل والشوكة التى تكدر صفو استقرارها بالمنطقة، وقد رسمت الخطط الجهنمية لتكون هذه الضربة للدعوة والدعاة أعظم وأعم من سابقاتها سنة ١٩٤٨م، وسنة ١٩٥٤م، وبالفعل اعتقل عشرات الآلاف من الشباب المسلم وصُفى الكثيرون منهم بأيدى الجلادين فى السجون، أو على أعواد المشانق، وعاش العالم الإسلامى فى ظلام دامس لغياب مصابيح الهدى وأعلام الحق، وانطلق شياطين الإنس والجن وخفافيش الظلام وفئات المرتزقة والمنافقين والآكلين بالدين يصفقون

للفرعون ويباركون إجرامه فى حق المؤمنين، وانطلقت أبواق الطاغية وإعلامه الفاجر يرعد ويزبد ويتهدد ويتوعد، وصار التدين أو ارتياد المسجد أو إطلاق اللحية أو الحديث عن الإسلام جريمة يعاقب عليها قانون الفراعنة، ولم يقف الأمر عند الدعاة وحدهم، بل شمل البطش عوائلهم من النساء والشيوخ والأطفال الذين زُج بهم بالسجون، بتهمة إيصال بعض القروض للعوائل المحتاجة من أسر الشهداء والمعتقلين.

ولما بلغ السيل الزبى، تداعى رجال الحركات الإسلامية فى العالم العربى والإسلامى، وكان منهم الأخ الشهيد محمد صالح عمر للبحث فى سبل التصدى لهذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين عامة وعلى الحركة الإسلامية المعاصرة وقادتها خاصة.

والأخ محمد صالح عمر من شباب الحركة الإسلامية فى السودان، نشأ فى أحضان الدعوة الإسلامية وتربى على منهج الإسلام منذ كان فى مقاعد الدراسة حيث برز داعيًا مثقفًا واعيًا يتحرك بالإسلام وينتصب بقوة لتفنيد مقولات الشيوعيين والعلمانيين فى أوساط الجماعة وخارجها حين تقام الندوات والمناظرات وتعقد الحلقات والاجتماعات.

وأثمرت هذه الجهود المباركة المبذولة من الأخ الشهيد محمد صالح عمر وإخوانه، الإطاحة بالنظام الديكتاتورى فى السودان، وتشكلت حكومة ائتلافية كان ـ رحمه الله ـ أحد وزرائها، ولم يدم الأمر كثيراً حيث تداعى أعوان الاستعمار وقاموا بانقلاب عسكرى آخر نصبوا عليه إحدى الدمى المتعاونة معهم، ليستأنف الحرب على الإسلام ودعاته.

لقد كان الأخ الشهيد من رموز الحركة الإسلامية فى السودان، بل إنه انتخب لقيادتها فترة من الفترات أثبت فيها حنكة وجدارة ومرونة فى سياسة الأمور ومعالجة القضايا وحل المعضلات.

وحين شكلت الحركة الإسلامية أواخر الستينيات كتيبة لمناوشة اليهود على الحدود، وأقامت معسكراً لتدريب المجاهدين التحق به الكثير من الشباب المسلم، من مصر والسودان وسورية والأردن ولبنان وفلسطين واليمن والعراق، وخاضوا المعارك

الشرسة مع إسرائيل التى طار صوابها حيث كانت تظن أن الضربات المتابعة على الدعاة والتصفيات الجسدية والاعتقالات ستمنع أبناء الحركة الإسلامية من معاودة الكرة لحرب إسرائيل، وقد استشهد عدد من الإخوة الكرام من مصر وفلسطين وسورية واليمن، كما سقط الكثير من الجرحى والمصابين بعد أن أصابوا من العدو اليهودى مقاتل موجعة وضربات قاتلة.

وحين استشرى الشر فى السودان وأوغل الديكتاتور العسكرى فى الظلم والبطش واستعملت كل وسائل التنكيل، بما فيها هدم البيوت على ساكنيها، واستعمال الطائرات لقصف مناطق المسلمين، كان الأستاذ محمد صالح عمر مع إخوانه السودانيين فى خط الرباط وميدان القتال ضد يهود، فاستأذن للعودة مع مجموعة من إخوانه إلى السودان لمحاربة الطاغية والتصدى لظلمه، وشارك فى المعارك التى خاضها الشعب السودانى فى جزيرة (أبا) ولقى ربه شهيداً متقبلاً إن شاء الله.

إن الأستاذ محمد صالح عمر داعية دمث الخلق لين الجانب مع إخوانه، صلب متمرس فى ميادين القتال، سياسى محنك داهية يعرف ألاعيب السياسة ودروبها، فلا ينخدع بمعسول الكلام الذى يجرى على ألسنة السياسيين، ولا يغتر بالوعود الكاذبة التى يطلقونها هنا وهناك.

وفى نفس الوقت هو داعية عالمى النزعة يتجاوز الحدود الإقليمية ويستعلى على الروابط الطينية وينتظم فى صف العاملين لوحدة الحركة الإسلامية انطلاقًا من عالمية الإسلام ومن أمة الإسلام الواحدة.

لقد تكررت لقاءاتى مع الأخ الشهيد محمد صالح عمر، فلم تزدنى إلا حبًا له، وإكباراً لمواقفه، وثقة بدينه وإعجابًا بثاقب رأيه وبُعد نظره.

كما كنت أغبطه على الحرص الشديد للقاء ربه شهيداً فى ميادين القتال ضد أعداء الله، وكان مستشرفًا للشهادة فى فلسطين مع إخوانه الذين سبقوه، فشاء الله أن يكرمه بالشهادة مع إخوانه السودانيين فى جزيرة (أبا).

قال عنه الشهيد عبد الله عزام فى كتابه: «الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية»:

وهذا المجاهد محمد صالح عمر - الوزير السوداني - يدوس الدنيا بقدمه، ليعيش في الخيام مجاهداً فوق أرض فلسطين، ويواصل جهاده حتى يلقى ربه شهيداً في جزيرة أبا.

رثاه الأستاذ الداعية فتحي يكن بقوله: «.. عرفتك أيها الشهيد الجديد فعرفت فيك الإخلاص والصدق والجرأة في الحق والنظر الثاقب والفكر النير والرأي السديد.. إن خسارتنا بك كبيرة وإن خسارة السودان أكبر.. كان أمل الإسلام في السودان يلتمع في عينيك، وكانت الثقة بانتصار الإسلام تبدو من خلال أفكارك وتصرفاتك فكنت - حقًا - صورة للمسلم داعية وجنديًا وقائداً.

واليوم نفتقدك في الليلة الظلماء، نفتقدك ونحن أحوج ما نكون إليك، نفتقدك وأنت في أوج عطائك ونضوجك.. ولكنك أيها الراحل العزيز ستكون كما كان الذين سبقوك؛ شحنة إيمان وقبسًا من نور في طريق الزحف الإسلامي الكبير...» انتهى.

رحم الله أخانا الشهيد محمد صالح عمر، وجمعنا وإياه في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

***

فهرس الشهداء

م	اسم الشهيد	تاريخ الاستشهاد	الصفحة
٢١	محمد خليل جمجوم	١٩٣٠/٦/١٧	٣٣٧
٢٢	فؤاد حجازى	١٩٣٠/٦/١٧	٣٣٩
٢٣	عطا الزير	١٩٣٠/٦/١٧	٣٤٢
٢٤	موسى كاظم	١٩٣٣/١٠/١٧	٣٤٤
٢٥	حا فظ صقر	١٩٣٦/٧/٢٤	٣٤٨
٢٦	خليل ابراهيم بدوية	١٩٣٦/٩/٠	٣٤٩
٢٧	سعيد العاص	١٩٣٦/١٠/٦	٣٥١
٢٨	أمين العورى	١٩٣٦/١١/٢١	٣٥٤
٢٩	أحمد نديم النحوى	١٩٣٧/٣/٠	٣٥٦
٣٠	فرحان السعدى	١٩٣٧/١١/٢٧	٣٥٩
٣١	عبد الله الأصبح	١٩٣٨/٤/٢٧	٣٦٥
٣٢	أحمد الحنيطى	١٩٣٨/٥/١٨	٣٦٦
٣٣	عبد الفتاح محمد الحاج	١٩٣٨	٣٦٨
٣٤	عطية أحمد عوض	١٩٣٨	٣٦٩
٣٥	عبد الرحيم الحاج محمد	١٩٣٩	٣٧١
٣٦	الطفل صباح عبدالغنى	–	٣٧٩
٣٧	يوسف سعيد أبو درة	١٩٣٩/٩/٣٠	٣٨١
٣٨	سعود حسن الصعيدى	١٩٤٨/٣/٤	٣٨٤
٣٩	عبدالقادر موسى كاظم	١٩٤٨/٤/٧	٣٨٥
٤٠	فيصل الطاهر	١٩٤٨/٤/١٤	٤١٧
٤١	نسيب البكرى	١٩٤٨/٤/٠	٤١٩
٤٢	ملازم عادل الجزائرى	١٩٤٨/٦/٠	٤٢١
٤٣	الشيخ حسن سلامة	١٩٤٨/٦/٣	٤٢٢

م	اسم الشهيد	تاريخ الاستشهاد	الصفحة
٤٤	بوظان محمد مصطفى	١٩٤٨/٦/١١	٤٢٥
٤٥	عبد الرحيم محمود أبو الطيب	١٩٤٨/٧/١٣	٤٢٨
٤٦	حسين الحلوس	١٩٤٨	٤٣١
٤٧	ضيف الله مراد	١٩٤٨	٤٣٣
٤٨	عبد الرحمن عبد الخالق	١٩٤٨/٤/١٠	٤٣٥
٤٩	عبد الرحيم عبد الحى	١٩٤٨/٤/١٠	٤٣٦
٥٠	عمر عبد الرؤوف	١٩٤٨/٤/١٠	٤٣٧
٥١	فتحى الخولى	١٩٤٨/٥/٦	٤٣٨
٥٢	عمر عثمان بلال	١٩٤٨/٥/١٣	٤٣٩
٥٣	رفعت عثمان	١٩٤٨/٥/١٣	٤٤٠
٥٤	على صبرى	١٩٤٨/٥/٢٠	٤٤١
٥٥	أنور الصيحى	١٩٤٨/٥/٢٠	٤٤٤
٥٦	حسن العزازى	١٩٤٨	٤٤٦
٥٧	على الفيومى	١٩٤٨	٤٤٧
٥٨	أحمد عبد العزيز	١٩٤٨	٤٤٨
٥٩	عبد الوهاب البتانونى	١٩٤٨/٧/١٧	٤٥٢
٦٠	مكاوى محمد مصطفى	١٩٤٩/١/١٧	٤٥٤
٦١	مختار منصور	١٩٤٧	٤٥٥
٦٢	محمد سلطان	١٩٤٨	٤٥٦
٦٣	محمد عبد الخالق يوسف	١٩٤٨/٤/١٠	٤٥٧
٦٤	محمد وعبد الوكيل العنانى	١٩٤٨/٥/١٣	٤٥٩
٦٥	سيد حجازى	١٩٤٨/٧/١٩	٤٦٠
٦٦	مكاوى سليم على	١٩٤٨/١٠/٢٠	٤٦٢

م	اسم الشهيد	تاريخ الاستشهاد	الصفحة
٦٧	عبد الحميد خطاب	١٩٤٨/١٢/٣	٤٦٤
٦٨	سيد محمد منصور	١٩٤٨/١٢/٣	٤٦٥
٦٩	عيسى إسماعيل عيسى	١٩٤٨/٧/٠	٤٦٩
٧٠	محمود منصور	١٩٤٨	٤٧٠
٧١	أحمد فؤاد	١٩٤٩/٣/٢٢	٤٧١
٧٢	الشيخ فائق الأنصارى	١٩٤٩	٤٧٢
٧٣	سليمان بن خميس	١٩٤٩	٤٧٥
٧٤	سيد شراقى	١٩٥١	٤٧٨
٧٥	شهداء معركة التل الكبير	١٩٥٢/١/١٢	٤٨١
٧٦	عادل غانم	١٩٥٢/١/٤	٤٨٨
٧٧	عمر شاهين	١٩٥٢/١/١٣	٤٩١
٧٨	أحمد المنيسى	١٩٥٢/١/١٣	٥٠٠
٧٩	محمد الصوابى الديب	١٩٥٥	٥٠١
٨٠	محمد مصطفىٌ الصبار	١٩٥٦	٥٠٨
٨١	مذبحة طرة	١٩٥٧/٦/١	٥٠٩
٨٢	إسماعيل الفيومى	١٩٦٥/٨/١٨	٥٢٦
٨٣	محمد منيب عبد العزيز	١٩٦٥/٩/١٠	٥٣٣
٨٤	محمد على عبد الله	١٩٦٥/٩/٠	٥٣٩
٨٥	محمد عواد	١٩٦٥/٨/٢٠	٥٤٣
٨٦	إبراهيم عاشور	١٩٦٨	٥٤٩
٨٧	رضوان كريشان	١٩٦٩	٥٥٠
٨٨	رضوان بلعا	١٩٧٠/٤/١	٥٥١
٨٩	محمد سعيد باعباد	١٩٧٠/٤/٢٤	٥٥٢

